المؤتمر العلمي الأول

التاريخ والمؤرخون الحضارمة

من القرن السادس حتى القرن التاسع الهجريين



مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر
Hadhramaut Centre for Historical Studies
Documentation and Publication.

المكلا
20-21 ديسمبر 2016م

المؤتمر العلمي الأول

التاريخ والمؤرخون الحضارمة

من القرن السادس حتى القرن التاسع الهجريين



التاريخ والمؤرخون الحضارمة

من القرن السادس حتى القرن التاسع الهجريين

مكانةُ حضرموتَ في سجلِّ التاريخِ معروفة، لكنَّها لم تَنلْ حظَّها منَ العنايةِ بالصورةِ التي تستحقُّها، وهي منطقةٌ خصبةٌ للدراساتِ التاريخيةَ، وإذا تجاوزْنا المرحلةَ التاريخيةَ المتعلقةَ بمملكةَ حضرموتَ القديمة، فإنّ تاريخَ حضرموتَ في العصرِ الإسلامي، درجَ ضمنَ تاريخ الدولةَ العربيةِ الإسلامية، بوصفِها جزءًا منْها، ولم يصلْنا مؤلفٌ محليٌّ قبلَ تلكَ المرحلة، إلا منذُ القرن السادس الهجري، عندما بدأ التدوينُ التاريخيُّ بمؤلفاتٍ تعدُّ الآنَ منَ المفقودات، لكنَّها كانت مُهمةً لمن جاء بعدَها منَ المؤرخين، وقد اتبعتْ هذه المؤلفاتُ على نُدرتِها الأسلوبَ الكلاسيكي، الذي يعتمدُ في التدوينِ على أسلوبِ التأريخِ بالحَوليات، أو بتراجمِ الأعيان، والتأريخ للمدن، واستمرتْ هذه الطريقةُ إلى بدايةِ عشرينياتِ القرنِ الماضي، عندما ظهر روادُ كتابةِ التاريخِ الحضرمي، الذين جمعوا بين الأساليبِ القديمةِ والحديثةِ في الكتابةِ التاريخية.

ويضم هذا الكتاب الأبحاث التي شاركت في المؤتمر العلمي الأول لمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر ، وعندما نقولُ المؤتمرُ الأول، هذا يعني بأن المركز، وضعَ في خططِه القريبة والمتوسطة، تنظيمَ مؤتمراتٍ قادمة، بالعنوانِ العامِّ ذاتِه: (التاريخُ والمؤرخون الحضارمة) إن شاءَ الله يتم نشرها تباعا.



توزيع: دار الوفاق للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية-الرياض
هاتف: 00966114041561

المؤتمر العلمي الدولي الأول

(التاريخ والمؤرخون الحضارمة

من القرن السادس

حتى القرن التاسع الهجريين)

المكلا 21 - 20 ديسمبر 2016م

ⓒ مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

رقم الإيداع بالهيئة العامة للكتاب م/ حضرموت (٢٤٨) ٢٠١٧م

التاريخ والمؤرخون الحضارمة من القرن السادس حتى القرن التاسع الهجريين، أوراق المؤتمر الدولي الأول الذي نظمه مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر - المكلا ٢٠-٢١ ديسمبر ٢٠١٦ م.

٤٥٦ ص، ١٧×٢٤ سم

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م



توزيع: دار الوفاق للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض

هاتف: 00966114041561

بريد إلكتروني: dar@wefaq.net

المؤتمر العلمي الدولي الأول

التاريخ والمؤرخون الحضارمة

(من القرن السادس حتى القرن التاسع الهجريين)

المكلا 21 - 20 ديسمبر 2016م


بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة مركز حضرموت

من هذهِ المدينةِ البيضاء، كقلوبِ أهلِها، نرحبُ بكم جميعًا، كلًّا باسمِهِ وصفتِه، ومن هذه القاعة التي شهدت لحظة إشهار مركز حضرموت، نُدشنُ فعالياتِ المؤتمرِ العلميِّ الدوليِّ الأول، الذي ينظمُهُ مركَزُ حضرموت، للدراساتِ التاريخية، والتوثيقِ والنشر، بعنوان: **"التاريخُ والمؤرِّخونَ الحضارمة، منَ القرنِ السادس، إلى القرنِ التاسعِ الهجريين"** وعندما نقولُ المؤتمرُ الأول، هذا يعني بأن المركز وضعَ في خططِهِ القريبةِ والمتوسطة تنظيمَ مؤتمراتٍ قادمة بالعنوانِ العامِّ ذاتِه: (التاريخُ والمؤرخون الحضارمة)، تُقامُ في مثلِ هذا اليوم، من كلِّ عام، وتُخَصَّصُ لدراسةِ قرنٍ منَ الزمان، ويأتي اختيارُنا لِهذا اليوم، من منطلقِ مواكبتِهِ لذكرى التأسيسِ السنوي لهذا المركَز؛ لهذا آثرْنَا أن تكونَ هذه الذكرى مناسبةً علميةً مميزة، تُذكِّرُنا بثِقَلِ المسؤوليةِ التي نتحملُها، وتُحفِّزُنا لمزيدٍ من العملِ المثمر لتحقيقِ الأهدافِ المرجوة.

وإنهُ لمِن دَواعي السرورِ أن نجدَ تجاوبًا في المشاركةِ في هذا المؤتمر من أساتذةٍ أجلاء من جامعةِ عدن، وجامعةِ حضرموت، وجامعة الأَندَلس، وهناك مشاركاتٌ من جُمهوريةِ السودان، وسلطنةِ عمان، كما شارك شبابٌ من حملةِ الشهاداتِ العليا، وكذا عددٌ منَ الباحثينَ الذين لهم أبحاثٌ منشورة.

وقد بلغتِ الأوراقُ المقدمةُ للمؤتمر التي أجازَها المحكمونَ المختصون، سبعة عشرَ بحثًا، واستبعدوا بعضَ الأبحاثِ لعدمِ التزامِها بشروطِ المؤتمرِ المعلَنة.

إن أهمَّ أهدافِنا في مركزِ حضرموت من هذا المؤتمر هو تنشيطُ البحثِ العلمي، ونشرُ المعرفةِ التاريخية، ولا سيما ما يختصُّ بتاريخِ حضرموت بحياديةٍ وأمانة، بحيثُ يتم تناولُهُ بما لَهُ وما عليه، لكنْ بأسلوبٍ يحترمُ العقول، وينحازُ إلى الحقائقِ التاريخية بعيدًا عن لغةِ الانفعالِ والأحكامِ المُسبَّقة.

ومكانة حضرموتَ في سجلِّ التاريخِ معروفة، لكنَّها لم تَنلْ حظَّها منَ العنايةِ بالصورةِ التي تستحقُّها، وهي منطقةٌ خصبةٌ للدراساتِ التاريخية، وإذا تجاوزْنا المرحلةَ التاريخيةَ المتعلقةَ بمملكةِ حضرموتَ القديمة، فإنَّ تاريخَ حضرموتَ في العصرِ الإسلامي درجَ ضمنَ تاريخِ

الدولةِ العربيةِ الإسلامية بوصفِها جزءًا منْها، ولم يصلْنا مؤلفٌ محليٌّ قبلَ تلكَ المرحلة، إلا منذُ القرنِ السادسِ الهجري عندما بدأ التدوينُ التاريخيُّ بمؤلفاتٍ تعدُّ الآنَ منَ المفقودات، لكنَّها كانت مُهمةً لمن جاء بعدَها منَ المؤرخين، وقد اتبعتْ هذه المؤلفاتُ على نُدرتِها الأسلوبَ الكلاسيكي، الذي يعتمدُ في التدوينِ على أسلوبِ التأريخِ بالحَوليات، أو بتراجمِ الأعيان، والتأريخ للمدن، واستمرتْ هذه الطريقةُ إلى بدايةِ عشرينياتِ القرنِ الماضي، عندما ظهر روادُ كتابةِ التاريخِ الحضرمي الذين جمعوا بين الأساليبِ القديمةِ والحديثةِ في الكتابةِ التاريخية.

ولَئِنْ خامرتْنا بعضُ الشكوكِ في كتاباتِ الرحالةِ والمستشرقين الغربيين الذين زاروا حضرموتَ منذُ أواخرِ القرنِ التاسعِ عشر والنصفِ الأولِ منَ القرنِ العشرين، فإنّ دراساتِهم قدمتْ خدمةً للتاريخِ الحضرمي مع بعضِ التحفظات، وتحتلُّ مدرسةُ الاستشراقِ الروسي مكانةً علميةً خاصة، فقد ظهرَتْ بعدَ نهايةِ العصرِ الاستعماري، فكانتِ الأغراضُ العلميةُ على حسَبِ علمِنا تطغى على الاعتباراتِ الأخرى.

وشهدتِ العقودُ الخمسةُ الأخيرةُ تزايدَ الاهتمامِ الأكاديمي، بالدراساتِ التاريخيةِ المتعلقةِ بتاريخِ حضرموتَ العام، ويشملُ ذلك الباحثين الأجانبَ والعرب والحضارمة، ويُمكنُ أن نصفَ هذه بالمرحلةِ الأكاديمية ذاتِ الجهدِ الفردي، ونتمنّى من هذا المؤتمر أن يكونَ بدايةً جديدةً ونوعيةً للدراساتِ متعددةِ المشاركات، تقامُ في مدنِ حضرموتَ ذاتِها مع تقديرِنا للمؤتمراتِ الخارجيةِ التي تناولتْ تاريخَ الهجرةِ الحضرمية بوصفِها جزئيةً لافتةً في تاريخِ حضرموت، وعمومًا، وإذ نُثمّنُ في مركزِ حضرموت كلَّ الكتاباتِ السابقةِ بمختلفِ اتجاهاتِها، وزمانِها، ومكانِها، فإننا نَجِدُ أنفسَنا نتكاملُ معَ رسالتِها، لكنْ بلغةِ هذا العصرِ ومناهجِه المتجددة.

ختامًا نشكركم على الحضور، ونتمنى لأعمالِ هذا المؤتمرِ النجاح، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أ. د. عبدالله سعيد بن جسَّار الجعيدي

رئيس المركز

المحور الأول

حضرموت في كتب التراث الإسلامي والحضرمي

المعتقدات الشعبيَّة في حضرموت
في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي

(من خلال مخطوط بعنوان: "الطرفة الغريبة في أخبار وادي حضرموت العجيبة "لتقي الدين المَقْرِيزي" المتوفى سنة ٨٤٥هـ)

د. سالم عبدالرب السَّلفي

كلية التربية - جامعة عدن

المقدمة

هو مؤلَّف صغير، لكنه لافت للانتباه، وقد كان المؤلِّف موفقًا إذ وصفه بالغرابة؛ لأنه تناول موضوعًا لم يكن يُلتفت إليه كثيرًا ولم تُفرد له كتب مستقلة وهو (الأخبار العجيبة)، ثم إنه خص بلدًا معينًا لتناول هذا الموضوع وهو (وادي حضرموت)، ومن هنا كانت صلتي بهذا المؤلَّف. وزاد في أهميته أنه يتناول هذه الأخبار في هذا البلد المخصوص في مرحلة تاريخية عزَّت فيها الكتابات عن حضرموت، وبحسب علمي فإن هذا المؤلف هو أقدم مؤلَّف يتناول حضرموت وحدها ويصل إلينا.

وقد فحصنا هذه الأخبار فوجدنا جلَّها يدخل فيما يعرف اليوم - في الدراسات الأنثروبولوجية- بالمعتقدات الشعبية، ونقصد بالمعتقدات الشعبية في بحثنا هذا: الظواهر الغريبة التي كان يؤمن بها أهل حضرموت أو بعضهم، وهي ظواهر واقعة عند غيرهم في منزلة العَجَب، يصدِّقها بعضهم، ويكذِّبها بعضُهم الآخر، ومنهم من يصدِّق بعضًا ويُنكر بعضًا. ونقصد بحضرموت -كما هي إجرائيًّا عند المقريزي - البلاد الممتدة من شبوة غربًا إلى ظفار (في عُمان) شرقًا، ومن صحراء الربع الخالي شمالًا إلى ساحل بحر العرب جنوبًا. ونقصد بالقرن التاسع الهجري المدَّة التي تمَّ فيها جمع مادة الكتاب وتأليفُه وإخراجُه، وهي المدَّة من سنة (٨٣٤هـ) إلى سنة (٨٤١هـ).

وفي هذه البحث قمنا برصد هذه الأخبار العجيبة/ المعتقدات الشعبية وصنفناها بحسب بنيتها الداخلية، لكننا قبل هذا ربطنا بين هذه المعتقدات والمؤلِّف من جهة والمؤلَّف من الجهة الأخرى، فكانت أقسام هذا البحث على النحو الآتي:

- **المقريزي: المؤرخ الهارب من التاريخ.**
- **مسارب حضرموت إلى يراع القريزي.**
- **تاريخ الكتاب.**
- **العنوان: صراع التاريخ والأنثروبولوجيا.**
- **بنية المعتقدات الشعبية.**
- **صيرورة المعتقد الشعبي.**

المقريزي: المؤرخ الهارب من التاريخ

تقي الدين[1] أبو محمد (وأبو العباس)، أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي. من أسرة ترجع أصولها إلى بعلبك بلبنان، ولد بالقاهرة سنة (٧٦٦هـ)، تتلمذ على خلق كثير أشهرهم عبد الرحمن ابن خلدون، التقى به وأخذ عنه بمصر عند استقراره فيها من سنة (٧٨٤هـ) حتى وفاته بها سنة (٨٠٨هـ)، وقد كان المقريزي يُظهر إعجابه الشديد به وبكتابه (العِبَر).

كرَّس المقريزي جهده العلمي لكتابة تاريخ مصر السياسي والاجتماعي والاقتصادي، ولإحياء معالم مسقط رأسه القاهرة وتوضيح مجاهلها وتجديد آثارها وترجمة أعيانها.

وَلِيَ حسبة القاهرة والوجه البحري سنة (٨٠١هـ)، وتولى نيابة الحكم والخطابة في جامع عمرو بن العاص وبمدرسة السلطان حسن، ثم أقام بدمشق حتى سنة (٨١٥هـ) وظل في وظائف متعددة حتى سنة (٨٢٥هـ)، ومنذئذ عكف على الاشتغال بالتاريخ، ولم يقطع هذا الاعتكاف سوى مجاورته في مكة بين سنتي (٨٣٤-٨٣٩هـ)، حيث حدَّث فيها ببعض مروياته وتصنيفاته، ومن أهمها إمتاع الأسماع. وقد استغل المقريزي وجوده في مكة في جمع معلومات لبعض مؤلفاته الصغيرة، ولا سيما ما يتعلق منها ببلاد العرب الجنوبية والحبشة عن طريق اتصاله بحُجَّاج بيت الله، وهي الكتب التي كتب مسوَّداتها هناك سنة (٨٣٩هـ)، وبيَّضها بعد عودته إلى القاهرة سنة (٨٤١هـ)، منها:

- **الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام.**
- **الطرفة الغريبة من أخبار وادي حضرموت العجيبة.**

---

(١) ينظر: الضوء اللامع: ٢/ ٢١.

- **الذهب المسبوك في ذكر من حجَّ من الخلفاء والملوك.**
- **المقاصد السنية لمعرفة الأجسام المعدنية.**

وكانت وفاة المقريزي في القاهرة سنة (٨٤٥هـ).

وعلى الرغم من شهرة المقريزي بوصفه مؤرخًا؛ فإنه حاول مرارًا من خلال بعض مؤلفاته الهروب من سلطة التاريخ، وذلك باختيار موضوعات تتسم بالإفلات من قبضة التاريخ، منها هذا الكتاب الصغير، وكان في كتبه التاريخية وترجماته يهتم بذكر الخوارق[١].

ويبدو أن المقريزي تأثر بأستاذه ابن خلدون في تجاوز التاريخ إلى التقاط بناه الداخلية التي تنتظم سلك التاريخ، لكنه عمليًّا لم يكن كأستاذه في عمق النظر واستخلاص العبر، وبدا كأنه ظل يسعى إلى ذلك من دون الوصول إليه.

وربما كان هذا الخروج عن نهج المؤرخ الصميم سببًا من أسباب هجوم السخاوي على المقريزي؛ إذ شنَّ السخاوي في (الضوء اللامع)[٢] هجومًا على معايب المقريزي العلمية التي يمكن حصرها في الآتي: قلة المعرفة بالمتقدمين فكان يصحِّف في أسمائهم بخطِّه، الانفراد بترجمة المتأخِّرين بما لا يوافَق عليه، كثرة الاعتماد على من لا يُوثَق به، قلة معرفته بالفقه والحديث والنحو، الاشتغال بضرب الرمل.

إلا أن بعض هذه المعايب قد يكون وجودها مناسبًا لشخص يكتب في الأخبار العجيبة أو المعتقدات الشعبية، وما أحوجنا اليوم إلى مثل هذه التآليف التي اعتمدت على البسطاء من الناس، ولم تستند إلى معرفة متعمِّقة في علوم الفقه والحديث والنحو؛ إذ ضاع بسبب هذا تراث ضخم هو تراث طبقات الشعب الدنيا، أو تلك التي كانت بعيدة عن مواطن التدوين والتأليف. هذا مع الحذر من الانسياق الكامل وراء آراء السخاوي في الرجل، فإن المعاصرة تحجب أحيانًا كثيرًا من الحقائق.

لقد اكتفى المقريزي في هذا الكتاب بسرد الأخبار العجيبة من دون التعليق عليها إلا نادرًا، حتى هذه التعليقات القليلة لم تكن لتكشف عن موقف المقريزي من هذه الأخبار، فهو

(١) ينظر: درر العقود: ١/ ٤١ (مقدمة المحقق).

(٢) ينظر: الضوء اللامع: ٢/ ٢١.

-مثلًا- يقول معقِّبًا على ظاهرة الاستذئاب عند قبائل الصَّيْعَر الحضرمية: "وهذا أمرٌ مشهورٌ عند جميع أهل حضرموت لا يُنْكِرُه أحدٌ منها؛ لمعرفتهم به المعرفةَ التامَّة". وهذا يجعلنا ننظر باحترام إلى ما عُرِفَ - ظلمًا - بعصور الانحطاط، ويجعلنا نقدِّر النظرة الموضوعية لمؤرخ كالمقريزي ينتمي إلى هذا العصر، فقد قدَّم الأخبار من دون أن يؤيدَها أو ينقضَها، فهو لم يؤيدها لأن عقليته العلمية -التي يبدو أنه اكتسبها من أستاذه ابن خلدون - ترفض تصديق معظم تلك الأخبار، ولم ينقضها لأنه تلقاها من رجال ثقات كما ذكر أوَّلَ كتابه.

ونحن ننظر إلى هذا السكوت بوصفه سلوكًا علميًّا يميل إلى التناول الوصفي للظاهرة، وهو أشبه بما يُعرف اليوم بالعمل الإثنوغرافي الذي يقوم على جمع المادة الثقافية من مواطنها ويُسْنِد مهمة تحليلها ومقارنتها إلى الإثنولوجيا أحد فروع الأنثروبولوجيا الثقافية.

على هذا يمكن القول في اطمئنان إن المقريزي في كتابه هذا وهو يوثق الأخبار العجيبة (المعتقدات الشعبية) يتحول من مؤرخ إلى أنثروبولوجي، من راصد للوقائع التاريخية إلى صائد للوقائع الثقافية، من متتبع للزمن إلى ملتقط للمنفلت من الزمن. وليس أدل على ذلك من استشهاد جيمس فريزر -صاحب أول كرسي للأنثروبولوجيا في بريطانيا- بكتاب المقريزي: الطرفة الغريبة، وذلك في كتابه (الغصن الذهبي)[1] أحد أشهر الكتب الأنثروبولوجية في القرن التاسع عشر.

إن المعتقدات الشعبية ليست مادة للمؤرخ؛ لأنها لا تخضع لتعاقبية الحدث التاريخي، فهي مادة لاتاريخية. صحيح أن هذه المعتقدات في نشأتها الأولى هي صنيعة التاريخ بمعنى أنها ظهرت في حقبة زمنية محددة، وهذه الحقبة موغلة في القدم، لكن منطق التاريخ يقتضي أن تكون هذه المعتقدات ضربًا من الماضي الذي تحتفظ به الذاكرة من دون أن يكون ممارسة حياتية، فإذا كان ممارسة واقعة على الرغم من إيغاله في القدم صار عصيًّا على التاريخ ومنفلتًا منه، يحلِّق فوقه، ولا يخضع لجاذبية التعاقبية، وهي -كما يصف ليفي

---

(١) ينظر: الغصن الذهبي: ٢٥٤. عبارته: "ويذكر لنا المؤرخ العربي المقريزي طريقة لمنع سقوط المطر كان يقال إنها كانت شائعة بين إحدى قبائل البدو في حضرموت وهي قبيلة "القمر" فقد كان الناس هناك يقطعون غصن شجرة معينة في الصحراء، ويشعلون فيه النار ثم يرشون الماء بعد ذلك على الخشب المشتعل فيقل هطول المطر حتى يتوقف تمامًا مثلما تختفي المياه التي ترش على الخشب المتوهج".

شتراوس بنية الأسطورة[1]- بنية دائمة تتعلق بالماضي والحاضر والمستقبل.

مسارب حضرموت إلى يراع المقريزي

لم تكن علاقة المقريزي بحضرموت وليدة الصدفة أو اللحظة التي فكر فيها في تأليف هذا الكتاب، بل كانت هناك مجموعة من المقدمات أدت إلى توطيد العلاقة بين المؤلف وحضرموت أهمها:

١- كَوْنُ أستاذِهِ ابنِ خلدون - الذي كان المقريزيُّ معجبًا به أشد الإعجاب - من أصول حضرمية، ولطالما نوه ابن خلدون بذلك في كتبه[2]، وأحسب أنه كان ينوه بذلك في دروسه، ولعل ذلك كان بداية اهتمام المقريزي بحضرموت، وأتصور أن حضرموت بدأت تتشكل في مخيلته من تلك الأيام بلدًا عظيمًا لأنه يولِّد العظماء أمثال أستاذه ابن خلدون.

٢- اهتمام المقريزي بالتاريخ والبلدان وتراجم الرجال جعله يقترب أكثر إلى حضرموت من حيث حضور اسمها في الكتب من هذا النوع، سواء أكان ذلك فيما قرأه أم فيما كتبه.

٣- اهتمام المقريزي بتاريخ مصر الإسلامي والقاهرة على وجه الخصوص أوجد رابطًا قويًّا بين المقريزي وحضرموت من حيث مشاركة قبائل حضرموت فيفتح مصر واختطاطها في مناطقها، وتسنم المنتمين إليها المناصب الإدارية والقضائية والعلمية طوال القرون الإسلامية الأولى[3]، ما يعني أنهم كانوا مشاركين فاعلين في صناعة التاريخ الإسلامي لمصر البلد الذي ينتمي إليه المقريزي.

٤- التقاء المقريزي بأهل حضرموت المعاصرين له ممن كانوا يأتون من حضرموت إلى مكة لأداء فريضة الحج، حيث كان المقريزي مجاورًا فيها. وفي مكة يكون المقريزي قد اقترب من حضرموت جغرافيًّا وإنسانيًّا، وهو ما شجعه على تأليف هذا الكتاب، وبدا في أيامه الأخيرة وكأنه يحقق رغبة قديمة عمرها أكثر من أربعين عامًا.

---

(١) ينظر: الإناسة البنيانية: ٢٢٩.

(٢) انظر مثلاً: التعريف بابن خلدون: ١، ٤.

(٣) انظر في ذلك: القبائل العربية في مصر: ٢٤١-٢٤٨.

تاريخ الكتاب

كتاب (الطرفة الغريبة في أخبار وادي حضرموت العجيبة) ألَّفه المقريزي وهو في مكة سنة (٨٣٩)، ممَّا سمعه من القادمين من حضرموت للْحج، وقد ذكر المقريزي في أول كتابه أنه اعتمد في ذلك على رجال ثقات[١].

وفي الواقع اعتمد المقريزي في معظم مادة كتابه على شخص واحد هو "العبد الصالح أبو بريك عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن سالم بن بريك الحضرمي" الذي ترجمه المقريزي في (درر العقود) [٢] والسخاوي في (الضوء اللامع) [٣] قائلًا: عبد الله ابن محمد بن عبد الرحمن بن سالم بن محمد بن بريك الحضرمي، من بني سيف، ثم الشَّبْوِيّ. ولد بوادي حضرموت في رمضان سنة إحدى عشرة [وثمانمائة][٤]. وهو من بيت دين وصلاح وعبادة، لأهل حضرموت فيهم اعتقاد، يقال لهم (بنو بريك)، وله في نفسه سلوك. ذكره المقريزي في عقوده هكذا، وأنه قَدِم في مجاورته بمكة سنة تسع وثلاثين، فسمع عليه قطعةً من صحيح مسلم وأشياء، بل قرأ عليَّ أشياء من كتب التصوف، وكتبت له شيئًا في كيفية السلوك، وأخبرني أنه وُجد في شبوة من وادي حضرموت قبرٌ فيه

(١) قال: "وبعدُ، فهذه جملةٌ من أخبار وادي حضرموت، عَلقْتُها بمكةَ -شرَّفها الله تعالى- أيامَ مجاورتي بها في عامِ تسعةٍ وثلاثين وثمانِمائة، حدَّثني بها ثِقاتُ مَنْ قَدِم مكةَ من أهل حضرموت".

(٢) درر العقود: ٢/ ٣٣٦.

(٣) الضوء اللامع: ٥/ ٥٢.

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من عندي للإيضاح. وفي درر العقود: إحدى عشرة وسبعمائة! وهو أمر غير مقبول، إذ لو قبلناه لكان عُمُرُ أبي بريك هذا - يوم لقائه المقريزي بمكة سنة ٨٣٩ه - قد تجاوز المائة بثمانية وعشرين سنة! ولو كان الأمر كذلك لما فات المقريزي ذكر هذه العجيبة وهو إذ ذاك مهتم بالعجائب. وربما كان الخطأ في درر العقود من جهة النساخ أو من جهة المقريزي في عدم ضبطه للتواريخ كما أشار السخاوي في معايب المقريزي. والعجب أن يأتي المعاصرون لينقلوا عن درر العقود من دون أدنى إشارة إلى هذا. وأما السخاوي فقد أعرض عن ذكر القرن اختصارًا لمعلوميته لدى القراء من حيث إن كتابه الضوء اللامع خاص بوفيات القرن التاسع، ومعظم وفياته ممن ولد في القرن التاسع نفسه، فإن كان المترجمُ من مواليد القرن الثامن نص على ذلك. وصواب السنة لدى السخاوي إما أن يكون آت من اعتماده على نسخة فيها الصواب، أو أنه أدرك خطأ النساخ أو خطأ المقريزي وهو الخبير بمثالبه؛ فصوَّبه.

إنسان ذَرَعُوا ما بين كعبه إلى ركبته، فكان طولُ عظم ساقه ثلاثة عشر ذراعًا، إلى غير ذلك من أخبار أودعتها في جزء في غرائب أخبار وادي حضرموت.

وبدوره اعتمد أبو بريك في رواية بعض أخباره على خمسة أشخاص -منهم ثلاثة من أقاربه- هم:

١- أمُّه: فاطمة بنت عبد الله بن المبارك

٢- أبوه: الشيخ المعتقد محمد بن عبد الرحمن بن سالم

٣- أخوه: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن،

٤- الشيخ الصالح: أبو عوين محمد،

٥- الفقير المعتقد: إبراهيم بن الشيخ عبد الرحمن بن محمد العلوي.

وإذا كان الجمع والتأليف قد تم في مكة فإن التبييض تم في القاهرة سنة (٨٤١). والنسخة التي نعتمدها هنا نشرها نُسْكوِيي **PAVL BERLIN NOSKOWYJ** في بون سنة (١٨٦٦م) مع ترجمة لاتينية، عن نسخة بيَّضها محمد بن أحمد المظفَّري، وراجعها وصححها بخطه المقريزيُّ نفسُه كاتبًا: "تتبَّعه مؤلفُه أحمدُ بنُ علي المقريزي، فصحَّ في ذي القعدة سنة إحدى وأربعين وثمانمائة". وهذه النسخة موجودة في مكتبة جامعة ليدن بهولندة ضمن المجموع رقم (Or.٥٦٠).

وبين أيدينا نسخة للمقابلة مصورة محفوظة في مكتبة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة برقم (٢٤٣٩ تاريخ)، ونأمل الحصول على المخطوطات الأخرى لإنجاز عملية التحقيق لهذا المؤلَّف المتميز[١].

ومادة الكتاب عبارة عن مجموعة من الأخبار التي تُرْوَى عن أهل حضرموت، وتتَّسم بطابع الغرابة، وتُفْضِي إلى التعجب، وهي في الغالب أخبار عن المعتقدات الشعبية التي

(١) قبل عامين عرضت على الأخ الباحث في الآثار أحمد الرباكي فكرة الاشتراك معًا في تحقيق هذه الكتاب، فأبدى استعداده، لكنه فاجأني بعد أشهر بأن أهداني نسخة من الكتاب بتحقيق طارق محمد سكلوع العمودي صدر سنة ٢٠١٤ عن دار حضرموت للدراسات والنشر، وهو تحقيق جيد وإن كانت لنا عليه بعض الملاحظات البسيطة التي لا تقلل منه. ومع هذا يظل أمر التحقيق واردًا، ولا سيما أن بين أيدينا نشرة نسكويي وصورة من مخطوطة، كلاهما لم يعتمد عليهما العمودي في تحقيقه.

تتعلق بالسحر والشعوذة والطب والكرامات، تتخلَّلها معلوماتٌ جغرافية وتاريخية.

لكن السؤال الذي يتبادر إلى ذهن الباحث: لماذا اختار المقريزي الكتابة في هذا الموضوع عن حضرموت (الأخبار العجيبة)؟ وعندي ثلاث إجابات مبدئية عن هذا السؤال:

الأولى: الترويج للكتاب؛ لأن مثل هذه الموضوعات تستهوي كثيرًا من القراء، في كل زمان ومكان، وما زماننا ببعيد، فإننا نجد رواجًا لكتب السحر والشعوذة والتنجيم والبروج، وكتب الأساطير والخرافات، وكتب الظواهر الغريبة غير المألوفة أو الخارقة للعادة.

الثانية: توافر المعلومات التي تتصل بهذا الموضوع، فكَتَبَ المقريزيُّ ما تناهى إليه من أفواه أهل حضرموت القادمين إلى مكة، لكن التسليم بهذا سينقل لنا صورة عن انتشار السحر والشعوذة والخرافة في حضرموت في تلك الفترة، من حيث إن الناس ليس لديهم ما يقولونه عن حضرموت إلا هذا. وهذا الكلام مجافٍ للحقيقة، وقد يكون صحيحًا بالنسبة إلى مناطق من حضرموت دون غيرها، والملاحظ أن الأخبار العجيبة في الكتاب تكثر في القبائل المتبدية الساكنة في الصحراء أو القبائل التي تعيش في الساحل.

الثالثة: الاختيار المعرفي، فالأخبار العجيبة التي تحصل بحضرموت هي التي تستحق النشر والإذاعة بين الناس لعدم معرفة الناس بها، فكان الأولى تعريف الناس بما لا يعرفونه عن حضرموت. وهذا يعني أن الكتاب متخصص في موضوع بعينه.

والراجح عندي أن السبب الأخير -وهو السبب المعرفي- هو السبب الذي كان وراء تأليف هذا الكتاب الصغير عن حضرموت. والحق أن الأخبار المذكورة في هذا الكتاب لم ترد في كتاب قبل هذا الكتاب حسب حدود علمنا. وأغلب الأخبار العجيبة التي ذُكِرت عن حضرموت في الكتب السابقة لم تخرج عن بعض الأخبار التي تتعلق بآثار الأمم الماضية كآثار عاد(١)، وقبر هود(٢)، وبئر برهوت(٣)، وقصة النسناس(٤).

(١) ينظر: الإكليل (الجزء الثامن): ١٤٠.

(٢) ينظر: الروض المعطار: ١٥.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٨٦.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢٠٣.

العنوان: صراع التاريخ والأنثروبولوجيا

يقوم عنوان الكتاب على جزأين؛ الأول خاص بالكتاب "الطرفة الغريبة"، والثاني خاص بموضوع الكتاب "أخبار وادي حضرموت العجيبة"؛ لكنهما صيغا في بنية لغوية واحدة من خلال ربطهما بحرف الجر "في"، ومع صياغتهما في بنية واحدة فإنه يمكن لكل جزء أن يستقل بنفسه عنوانًا للكتاب.

صيغ الجزء الأول من العنوان في بنية نعتية، يؤدي فيها المنعوت "الطرفة" دلالة الاستحداث وانعدام النموذج، فهذا الكتاب جديد في بابه لم يطرقه أحد قبله في تأليف مستقل. ويقوم النعت "الغريبة" بتحديد دلالة هذا التأليف الحادث، بأنه يتناول موضوعًا يعزب عن أفكار الكتاب، وهو موضوع الأخبار العجيبة في صقع بعيد لم تُفرد له مؤلفات مستقلة من قبل على ما له من صيت وحضور بارز في كتب التاريخ والبلدان.

وصيغ الجزء الثاني في بنية نعتية، يقوم فيها المنعوت على بنية إضافية "أخبار وادي حضرموت"، ويقوم بمهمة إدخالنا إلى التاريخ والواقع المادي بربط التاريخ بالجغرافيا. في حين يقوم النعت "العجيبة" بنقلنا إلى العالم اللاتاريخي حيث الغرائب والعجائب.

وقد وُجد العنوان في بعض المصادر والمراجع بتبادل المواضع بين "الغريبة" و"العجيبة"، وهو أمر غير مقبول دلاليًّا؛ لأن الغرابة صفة للتأليف في مجال بعيد عن تناول الكتَّاب، في حين أن العجب صفة للأخبار. وإذا استقامت الغرابة صفة للأخبار[1]؛ فإن العجب لا يستقيم صفة للتأليف.

بنية المعتقدات الشعبية

تقوم المعتقدات الشعبية أو الأخبار العجيبة كما يسميها المقريزي - وهي مادة الكتاب الأساسية- على بنية أساسية محورها الإنسان في علاقته بذاته، وعلاقته بالآخر، الإنسان من جهة والطبيعة من الجهة الأخرى، وهو ما يجعل هذا الكتاب كتابًا أنثروبولوجيًّا في المقام الأول، من حيث إن الأنثروبولوجيا هي علم الإنسان.

(١) وصف المقريزيُّ في درر العقود (٢/ ٣٣٧) وهو يترجم لعبد الله بن محمد بن بريك – الأخبارَ بالغرابة؛ قائلًا: "ولي عنه فوائد ضمَّنتها جزءًا في أخبار وادي حضرموت الغرائب".

وعلى هذا الأساس قمت بتصنيف الأخبار العجيبة/ المعتقدات الشعبية في كتاب الطرفة الغريبة، إلى ثلاثة أصناف:

١- أخبار تتعلق بالإنسان ذاته.

٢- أخبار تتعلق بالإنسان في علاقته بالإنسان.

٣- أخبار تتعلق بالإنسان في علاقته بالطبيعة.

الصنف الأول: الأخبار العجيبة التي تتعلق بالإنسان

وفي هذا الصنف تظهر قدرة الإنسان على التشكل والانقلاب إلى حيوان أو طير آخر كالذئب أو الرَّخَمة أو الحِدَأة.

الخبر الأول: إذا أجدبت أرضُ الصَّيْعَر انقسموا على قسمين: فرقة تُخِيف السبيل، وتأخذ المارَّة، وفرقة تنقلب ذئابًا ضارية، وذلك أن الواحد منهم عنده خرزة من كنوزٍ ظَفِروا بها من عهد عاد، فإذا أراد أحد منهم أن ينقلب ذئبًا تثاءب مرارًا واحمرَّ لونُه، فيُخْرِج الخرزة من حقوه ويبتلعها، فينقلب في الحال ذئبًا له ذنب ووبر، يمشي على أربع، ويسرح، فيفترس مَنْ وجده من بني آدم وما يظفر به من الغنم، ولا يزال كذلك حتى إذا أراد أن يخرج من مِسْلاخ الذئب إلى هيئة الإنسان وصورته؛ تمرَّخ بالأرض وإذا به بشرًا سويًّا كما كان، فتقع تلك الخرزة. وكلما أراد أن ينقلب ذئبًا بلعها كما تقدَّم، فإنه يصير ذئبًا.

الخبر الثاني: لقبائل البراوجة والجلاهمة والشباتنة وآل أبي مالك وآل مسلّم وآل ابن الربيع وآل أبي حشرج؛ أحوال عجيبة، منها: إن الرجل منهم يمرُّ في الهواء ليلًا من حضرموت، وقد انقلب في هيئة طائر كالرَّخَمة أو الحِدَأة حتى يبلغ أرض الهند، ثم يعود من ليلته ومعه من عناقيد الفلفل الأخضر شاهدة له، ومصدقة دعواه بأنه بلغ أرض الهند. قال المقريزي معلِّقًا: وهذا من نادر أعمالهم، فإنهم مع ذلك لا قدرة لأحد منهم على أخذ شيء من المال، كالذهب والفضة، ولا من الفواكه بأنواعها.[1]

(١) ذكر ناؤومكين قصة من هذا النوع، إلا أن شاهِدَ المرأة الملموس على طيرانها كان جنبية الزوج وخاتمه -سقطرى: ٥٢.

الخبر الثالث: لنساء القبائل الماضية الذكر قوة التشكل والانقلاب في هيئة رَخَمة أو حِدَأة، ثم تمرُّ الواحدةُ منهن وقد صارت كذلك في الهواء، ويصير صياحُها كصياح الرَّخَمة أو الحِدَأة، فإذا سمع أهلُ حضرموتَ صياحَهن علموا أن السواحرَ قد اجتمعن على أحد يُرِدْنَ به شيئًا من أعمالهن، فإذا كان لواحدة من هؤلاء النساءِ رجلٌ من أقاربها أو زوجٌ لها في سفر -ولو أنه بأقصى الهند- فإنها تتشكل حِدَأةً أورَخَمةً، وتمرُّ في الهواء حتى تأتيَه، فتعرفَ خبرَه، وتعود من ليلتها، فتخبربذلك، فيكون كما أخبرتْ. قال أبو بريك: أخبرتْني أمِّي فاطمةُ بنتُ عبدِ الله بنِ المبارك أنَّ أبي كان في سفرٍ بُعْدُه عنَّا خمسةَ عشرَ يومًا، وقد أبطأ عنَّا خبرُه، وبجواري امرأةٌ من هؤلاء يقال لها سعيدة بنت أبي كليب، وكانت تحمل مَنْ أرادت من نساء الجلاهمة، وتمرُّ بها في الهواء إلى حيثُ تُريد، فدخلت عليَّ ذاتَ يومٍ، فسألتها أن تأتيَني بخبر عن أبيك، فوعدتْني إلى الغد، ثم أتتني، وقالت لي: هيئي له الضيافة؛ فإنه الليلةَ الخامسةَ عندكم بعد صلاة العشاء، وهو موعوكٌ في بدنه. قالت أمِّي: فلما كان في ذلك الوقت الذي ذَكَرَتْه قَدِم علينا وهو موعوك.

الصنف الثاني: الأخبار العجيبة التي تتعلق بالإنسان في علاقته بالإنسان

وهذه العلاقة إما سلبية تتجه من الإنسان نحو إنسان آخر لتقتله أو تُعِلَّه، أو إيجابية تتجه من الإنسان نحو إنسان آخر تعالجه من المرض أو تحرره من السحر، والأخبار التي تقع في هذا الصنف كثيرة.

الخبر الأول: إذا غضبت المرأة من القبائل الماضية على أحد من قراباتها تخيَّلت وتوهَّمت أنها تأكل كبدَه، فللحال يسقط مريضًا، ويموت من يومه وليلته. ومنهن من إذا غضبت على قَرَابة لها -وكان عَبْلَ البدن -تخيَّلت وتوهَّمت أنها تأكل كبشًا سمينًا، فإن كان قرابتُها صغيرًا تخيَّلت أنها تأكل جَدْيًا سمينًا ونحوَه. ولابد لكل من عملت شيئًا من هذا أن تُعْمِلَ فِكْرَها حتى يَقْوَى الوهمُ والخيالُ عندها، حتى تصير كأنها تفعل ذلك حقيقةً، وهذا الأكل ممَّا يختصُّ به نساؤهم دون رجالهم، ولا تتصرَّف الواحدةُ منهن إلا في أقاربها فقط دون الأجانب فإنها لا قدرة لها عليهم ألبتة.

الخبر الثاني: ببادية ظفار قومٌ من أراذل العرب، لهم عمل يقال له أرنبيل، وهو أن أحدهم إذا عاداه أحد من قبيلة أو من غيرها، أو أراد أحد أن يطلِّق امرأته؛ فإنه يعمل عمله، وإذا

بغريمه يذوب لحمُ بدنه بأسره من غير مرض حتى لا يبقى عليه مِزْعةُ لحم، فإذا أصاب أحدًا هذا البلاءُ جَمَعَ الناسُ المتهمين بهذا العمل، وأخرجوهم إلى البحر، وأُجْلِسَ المبتلى والمتهمين بإضراره على شاطئ البحر، وضَرَبُوا طبلًا معهم، وهم يذكرون في حال ضَرْبِهم أسماء المتهمين واحدًا بعد واحد، فإذا اضطرب المصابُ عند ذكر اسم واحد منهم عُلم أنه غريمُه، فيصير ذلك المصاب في اضطرابه كأنه مصروعٌ يتخبَّطُه الشيطانُ من المَسِّ، فعند ذلك يلزم ذلك الرجل الذي اضطرب المصابُ عند ذكر اسمه بأن يبرئ غريمَه، فيأخذه ويغسله في البحر كما يغسل الميت وهو يرقيه فيبرأ في الحال. وهذا بعينه أصاب أبا دجانة سعد بن فارس الشعيثي متولي الشحر، فإنه ذاب لحمُه كلُّه، فحُمِل بين أربعةٍ إلى البحر، وقد جُمع عدةٌ ممن يُتَّهم بهذا العمل، وضُرب الطبلُ على رأسه، فخرج القول على جاريته، فجدع أنفها بعد أن غسلته وبرئ.

الخبر الثالث: قال أبو بريك: وأخبرني والدي الشيخ المعتقد محمد بن عبد الرحمن بن سالم أنه خرج من داره بحضرموت يريد بلدًا من إقليم الشحر يقال لها حيريج، فلما بلغ إلى طرف حضرموت نزل ببلد يقال لها بيجر، أقام بها ينتظر قدوم رجل واعَدَه، فلما أبطأ عليه استدعى رجلًا من الطائفة المذكورة ليُحضر له الرجلَ المذكور، فجمع عليه عدة رجال، وأخذ هو يرقي، ثم طلب أختًا له يقال لها سفينة -وقد ماتت من سنين- وشرع كالذي يستخبرها عن حال الرجل، ويبدي من القول لها ويعيد حتى تغير لونُه، ثم قال لي: انظر الجمل الأحمرالذي صفتُه كذا وكذا، حتى ذكر زَبَدًا خرج من فمه، ثم أخذ يصف الرجل الراكب عليه كما هو، وآخِرُ ما قال: ذا الحينَ يدخل عليكم، وكرَّر ذلك مرارًا، وإذا بالجمل وراكبه قد دخل علينا كما ذكر سواء، ونحن في مجلسنا ومن ساعتنا.

الخبر الرابع: قال أبو بريك: مرضتْ أمِّي فاطمةُ المذكورة، فطلبنا لها هذا الرجل لينظر ما وَجَعُها، فدخل عليها وعندها عدة نساء، فشرع يعمل عمله إلى أن قال: المرأة التي صفتُها كذا وكذا -وأشار إلى واحدة من تلك النساء- تموت في مثل هذا اليوم من السنة الآتية فكان كذلك، وماتت في ذلك اليوم بعينه، وقال عن الوالدة: اذبحوا عنها رأسًا من الغنم، فإنها إذا

ذبحتم ذلك غُشِيَ عليها يومين متواليين، ثم تبرأ وينتقل ما بها من المرض إلى أم الفداء المذبوح عنها؛ وفعلنا ذلك فكان كما قال، أغمي عليها يومين كاملين، ثم أفاقت في عافية ومرضت أمُّ الفداء المذبوح كما كانت أمي مريضة.(١)

الخبر الخامس: بحضرموت قبيلة يقال لها آل عمر بن عيسى التوبات، إذا لُدِغَ أحدٌ من الناس بحية ثم استغاث بها، فقال عندما يُلدغ: شِي لله يا عمر بن عيسى، أو قال: يا آل عمر بن عيسى؛ فإنه يبرأ من ساعته، ولو أنَّ بينه وبين هذه القبيلة مسافةَ عشرةِ أيام. قال: وأخبرني أخي عبدُ الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن أنه سهر ذات ليلة بعد صلاة العشاء مع جماعةٍ فيهم واحد من هذه القبيلة، وقد انبثَّ الجرادُ ببلاد حضرموت، وخرج الناس ليضمُّوا كما هي عادتهم، فلُدِغ رجل منهم بحية، فاستغاث بالقبيلة المذكورة وبيننا وبينها نحوُ بَرِيد، وإذا نحن بالرجل الذي هو معنا من آل عمر ابن عيسى قد صار كأنه مصروعٌ ويتكلم برقية لا نعرف معناها، مقدارَ ساعة ثم أفاق، وقال: والله إن رجلًا قد لُدغ بحية وهو يستغيث بنا؛ فما كان إلا ساعة وقد رجع القوم من ضم الجراد، وفيهم الملدوغ وقد برئ مما أصابه، فقال له الرجل المذكور عندما دخل علينا مع الجماعة: قد رقيناك وقضينا حاجتك. ولُدغ رجلٌ من أهل حضرموتَ بحية، فحُمل من منزله بحضرموت إلى هذه القبيلة ليرقوه، فلما بلغوا به نحو نصف الطريق إذا هم بواحد من هذه القبيلة قد خرج يريدهم، فلما لقيهم قال لهم: إن رائحة الحية قد أتتنا، وإني جئتكم لأرقيه؛ ثم رقاه، فبرئ من ساعته، وعُدْنا به.

الخبر السادس: إذا أصيب أحد من الناس بشيء من أنواع السحر المضرَّة، ولم يعرف مَنْ سَحَره؛ فإنه يجمع النساء المتهماتِ بالسحر، ويؤتى بهن إلى ماء يغمرهن؛ كالبحر ونحوِه، ثم يربط كتابهن واحدة بعد أخرى ربطًا وثيقًا، وتلقى على وجهها، ثم يربط على ظهرها رحى كبيرة، وتحمل بالرحى على ظهرها، وترمى في البحر أو النهر، فإن رسبت في قاعه علم أنها بريئة، وإن طفت على الماء ولم ترسب فيه اقتَصَّ منها، أو عَفى عنها؛ لأنها هي التي سحرته.(٢)

---

(١) ذكر ناؤومكين أن في سقطرى سحرة يستطيعون إرسال الأمراض للناس والبهائم -سقطرى: ٤٦.

(٢) نقل ناؤومكين عن العقيد الإنجليزي سنيل قصة كهذه رآها في سقطرى -ينظر: سقطرى: ٥٠ - ٥١.

الخبر السابع: من عمل قبيلة سعد بن فارس السابقِ ذِكْرُه الذين يقال لهم الشعاوثة أن من أصابته لقوة[1] في وجهه حُمل إليهم حتى يضربوا على لحييه، فبمجرد ضربهم لِحْيَيْهِ يبرأ في الحال.

الخبر الثامن: قال أبو بريك: أخبرني الفقيه المعتقد إبراهيم بن الشيخ عبدالرحمن بن محمد العلوي أنه جلس يومًا عند أخيه الشيخ عمر بن عبد الرحمن الباعلوي، وكان بينه وبين رجل يقال له أبو قُدَيم عمر عداوة، فقال لي: يا إبراهيم؛ قم وانعَ أبا قديم على رأس هذا الجبل، فقلت له: وكيف أنعى من هو في قيد الحياة، وإنما يُنعى الميت؛ فأمر غيري وهو أبو عبادة من خُدَّامِهِ، فقام على رأس الجبل ونعاه، فلم تمض ساعة حتى خرج أبو قديم من منزله لحاجة له، فصادفه قوم سكارى لهم عنده دم، فقتلوه.

الخبر التاسع: وُجِدَ في شَبْوة من وادي حضرموتَ قبرٌ فيه إنسان مقبور طويل جدًّا[2]، ذَرَعُوا ما بين كَعْبِهِ إلى ركبته، فجاء طولُ عظم ساقه ثلاثةَ عشر ذراعًا.

الصنف الثالث: الأخبار العجيبة التي تتعلق بالإنسان في علاقته بالطبيعة

وهذه العلاقة إما أن تكون علاقة تعطيل، وهو الغالب، مثل دفع المطر أو تقليله أو حبس الطير عن الحركة أو قتله عن بعد من غير أداة قتل؛ أو علاقة تفعيل، مثل تسيير الريح في البحر؛ أو علاقة تكيُّف.

الخبر الأول: في جبال ظفار قوم يقال لهم القَمَر[3] أهل بادية، وجرت العادة في ظفار أنها تمطر ثلاثة أشهر متوالية ليلًا ونهارًا مطرًا غزيرًا جدًّا، فإذا أراد أحدٌ أن يسافر في مدة المطر إلى جهة من الجهات طلب واحدًا من القمر، ودفع له مالًا ليدفع عنه المطر، ثم سار معه

---

(١) اللَّقوة: داء يكون في الوجه يَعْوَجُّ منه الشِّدق. وفي حديث ابن عمر: أَنه اكْتَوَى من اللَّقْوَة، وهو مرض يَعْرِضُ لوجه فيُميلُه إلى أحد جانبيه -لسان العرب: مادة (لقو). وجاء في تاج العروس (مادة كرك) أن مرارة الكُرْكِي الطائر المعروف بماء السِّلْق سَعُوطًا ثلاثةَ أيام تبرئ من اللقوة ألبتة.

(٢) التفت ابن المجاور إلى قضية طول القبور، فقال: "وما أظن القوم كانوا بهذا الطول، ولكن طوّلوا قبورهم" – صفة بلاد اليمن: ٢٥٨. لكن خبر (الطرفة) يتحدث عن قياس للعظام نفسها لا للقبر.

(٣) القمر -كماعرفهم المؤلف- قوم من أهل ظفار أهل بادية، وفي تاج العروس (مادة قمر): بنو قَمَر: حي من مَهْرة. وقد ذكر الهمداني في الصفة (ص٩١) القمر عند حديثه عن ريسوت، وذكر أن منهم بطنًا يُسَمَّوْن بني ريام كانوا يسكنون موضعًا يقال له رُضَاع، وذكر أن لبني ريام هؤلاء حصنًا بعُمان عظيمًا لا يرام.

والمطرُ نازلٌ، فيصير عن يمينه وشماله، ولا يصيبه ولا أحمالَه منه قطرةٌ واحدة حتى يبلغ حيثُ يريد(١).

الخبر الثاني: إذا عظمت الأمطار على قبيلة القمر هذه حتى أضرت بدوابهم؛ عمدوا إلى شجرة يعرفونها بباديتهم، فأخذوا من قضبانها شيئًا، وأضرموا النار فيها، ثم صبُّوا عليها الماء؛ فإن المطر يقل عندهم.

الخبر الثالث: لا تزال قبيلة القمر تسرق مواشي الناس، لا سيما الغنم، فإذا أرادت أكل شيء مما سرقته، وأشعلت النار لتطبخ لحومها؛ حبست الدخان حتى لا يراه أحد في ليلة ولا نهار، ولو قرب منها.

الخبر الثالث: إذا توقف هبوب الريح، ووقفت السفن في البحر، فلم تسر لعدم الهواء؛ طلب ركاب السفينة واحدًا من هؤلاء، ودفعوا إليه مالًا، فيعمل عمله حتى تخرج لهم ريح تسيرهم مدة يشترطها لهم(٢).

الخبر الرابع: قال أبو بريك: أخبرني الشيخ الصالح أبو عوين محمد أنه كان ذات يوم مع الشيخ عمر العودري وجماعة معهما يسيرون على ساحل البحر، وهناك عدة طيور كثيرة، فقال لهم عمر العودري: أتحبون أن أحبس لكم طيرًا من هذه الطيور؟ قالوا: أوتقدر على ذلك؟ قال: نعم، عيِّنوا منها واحدًا وأنا أحبسه؛ فأشاروا إلى طير منها؛ فحرك شفتيه بما لا نعلمه، ثم قال: نفِّروهم؛ فقاموا إليها، فنفرت طائرة بأجمعها إلا طائرًا منها، فإنه جثم مكانه فلم يتحرك، وهم ينفِّرونه فلا يطير، فلما رأوا ذلك قالوا له: إن كنت أنت الذي حبسته عن أن يطير فأطلِقْ سراحه حتى يطير، قال: فحرك شفتيه ثانيًا، فطار من وقته وساعته.

الخبر الخامس: كان أهل حضرموت يرون أن عند الشيخ عمر هذا اسم من الأسماء علَّمه

---

(١) هذه الظاهرة تسمى الصَّدْحة. وقد ذكر السقَّاف في (الإدام) أن أكثر المناهيل والعوامر وآل كثير والصيعر من سكان نجود حضرموت يصدحون الأمطار عن أغنامهم ونَعَمِهم وأنفسهم. وعَدَّ ذلك من آثار إجابة الدعاء ومن أسرار الحروف، فلا يلزم أن يكون سحرًا. ينظر: إدام القوت: ١٠٥٢.

(٢) ذكر ماركوبولو أن السقطريين يستطيعون إجبار الرياح على الهبوب -سقطرى: ٤٥. وفي المعتقدات الشعبية الأوروبية أن الريح تستقدم للبحارة الذين يرغبون في استقدامها إذا عُقِد منديلٌ ثلاث مرات -معجم الخرافات: ١٢١.

إياه عمر العودري وكان يتصرَّف به، حتى إنه كان إذا نزل طائر على زرعه قتله حالَ نزوله، وهو مقيم بمنزله وبينه وبين زرعه مسافة.

الخبر السادس: بوادي حضرموت واد بالقرب من أحقاف الرمل يقال له القوف والنيد، إذا نزل به المطر عَظُمَ خِصْبُه، وكَثُرَت مراعيه، وليس به ماء ألبتة، فتنزله حينئذ قبيلة يقال لها الشمَّاخ، وتقيم به ومعها إبلها وشاؤها ونساؤها أربعةَ أشهر، لا يحتاجون إلى الماء هم ولا دوابُّهم، بل يعيشون باللبن، وتستغني نَعَمُهم وشاؤهم برطوبة المرعى.

وفي المحصلة الأخيرة، يقوم معظم هذه الأخبار العجيبة/ المعتقدات الشعبية على فكرة أساسية تتمثل في سعي الإنسان إلى السيطرة على عالمه وتجاوز أهم عقبتين في وجوده عقبتين الزمان والمكان.

وفي سبيل تحقيق الهدف يوجد عنصر أساسي في بنية هذه المعتقدات، وهو (الوسيط) الذي يحقق التجاوز، وقد يكون الوسيط شيئًا ماديًّا له قدرة خارقة، أو فردًا صاحب قدرات خاصة خارقة للعادة، أو قبيلة ترسخت تجربتها في بعض المعارف الخاصة.

صيرورة المعتقد الشعبي

تمنحنا ظاهرة الاستذئاب صورة جاهزة للتعبير عن تحول المعتقد نفسه من صورة إلى أخرى عبر الزمن، مع حفاظه على بنيته الأساسية. والمعتقدات الشعبية في صيرورتها هذه؛ مثل الأساطير القديمة التي عادة ما تظهر في لباس جديد[١].

ولتكن ظاهرة الاستذئاب عينُها مثالًا على هذه الصيرورة، فهذه الظاهرة العجيبة لم نعد نسمع بها اليوم[٢] كما كان يسمع بها آباؤنا وأجدادنا، وإذا سمعنا بها أنكرناها ودفعناها، من دون أن نعلم أنها موجودة ولكن في صور معنوية. إن بنية هذا المعتقد الشعبي التي تتمثل في (إنسان يتحول إلى كائن يمتلك صفات الذئاب ليفتك بالإنسان والحيوان) لم تتغير.

---

(١) ينظر: النقد الأدبي في القرن العشرين: ٢/ ٧٤.

(٢) أدركت في صغري رجلًا كان يُشار إليه بأنه يتحوَّل في الليل إلى ذئب، وكان يُقال لنا عندما يمر قريبًا منا إن له ذيلًا. وكنت في تلك السن أقف حائرًا أمام هذا الأمر، فلم أسلِّم به ولم أُنكره، وقد كان بين ذلك الرجل والذئب أوجه شبه حتى على المستوى الشكلي. وعندما كبرت فهمت تلقائيًّا أن الأمر كان لتخويفنا من الرجل أو التعامل معه لما فيه من صفات الذئاب.

لقد تحول هذا المعتقد الشعبي إلى سلوك أخلاقي يمارس فيه المستذئب المعاصر سلوكيات المستذئب في المعتقد الشعبي، فهو يتسم بالجرأة ومهاجمة ممتلكات الآخرين – ولا سيما المواشي– والسطو عليها أو العبث بها. وفي بعض مجتمعاتنا الريفية يُعدُّ الشخص الذي يقوم بهذا العمل ممدوحًا، وعادة ما يوصف بأنه (ذِيب) بتسهيل الهمزة.

ولم تسلم تجمعاتنا المدنية من ظاهرة الاستذئاب المعنوي، فهي تتمثل في صور كثيرة، منها ظاهرة (الفساد)، حيث يشجع الفاسدون (المستذئبون) بعضهم بعضًا على الفساد والمزيد منه، بأن يصف الواحد منهم الآخر بأنه (ذيب) إذا استحوذ على ملك غيره، أو أخذ رشوة كبيرة، أو حصل على عمولة معتبرة من فاسد أكبر منه.

ومن صور الاستذئاب المعاصر ظاهرة (البلطجة) التي تقوم على فكرة الاعتداء على حقوق الآخرين من دون وجه حق، من خلال البسط على الأراضي، أو تقطع المسافرين والآمنين في الطرقات لابتزازهم، أو القيام بمهام وحشية كالقتل بالأجرة واختطاف الأطفال. وقد انتشرت هذه الظاهرة في مجتمعنا في الوضع الراهن، ونعتقد أنها ليست مجرد نتيجة لهذا الوضع، وإنما هي مصنوعة لتؤدي مهام محددة لصالح المستذئب الأكبر!

ووصلت ظاهرة الاستذئاب إلى المؤسسات التعليمية ومؤسسة الأسرة، في صورة (الغش)، حيث يسطو الطالب على جهد زميله بالقوة، ويعود إلى المنزل حيث يوجد أب مستذئب يبتهج لفعل ولده الخاطئ، ويعزِّز فيه عقلية الاستذئاب من خلال مدحه على هذا السلوك وتشجيعه عليه بأن يصفه بأنه – إذ فعل ذلك – ذيب.

كما تتجلى ظاهرة الاستذئاب في مجموعة من صور التعامل مع المرأة تتمثل في التحرش والاغتصاب والضرب، وعادة ما يوصف الرجال الذين يقومون بأعمال كهذه –ولا سيما في الكتابات النسوية– بأنهم (ذئاب بشرية).

وبالمقارنة فإن المستذئب المعاصر أكثر وحشية من المستذئب السالف، بل إن بعضهم قد تجاوز منطق الوحوش بخطوات كثيرة، فمستذئبو اليوم تجردوا من إنسانيتهم وسلطوا استذئابهم على البشر دون الحيوان، وكان استذئابهم لا ينطلق من حاجة ملحة تتصل بوجودهم وبقائهم كما كان مستذئب الأمس الذي لم يكن يستذئب إلا بعد أن يتهدد الجوعُ وجودَه، فمستذئب اليوم في إمكانه أن يقتل إنسانًا في مقابل عرض زائل في وسعه أن يتخلى

عنه، بعبارة أخرى حادة ومؤلمة: استذئاب اليوم هو ضربٌ من الرفاهية!

هذا الأمر - أقصد الصيرورة- ينطبق على بقية المعتقدات الشعبية، إنها لا تندثر ولكن تتحول من صورة إلى أخرى متكيفة مع معطيات العصر الجديدة، وهذا مظهر من مظاهر لا تاريخيتها. والبحث عن الصور المعاصرة للمعتقدات الأخرى في حاجة إلى بحث متعمق وتأمل في سلوكيات الأفراد والجماعات، ولا شك في أن هناك نتائج واعدة ستظهر في هذا المجال.

الخاتمة

استطاع المقريزي في هذا الكتاب الصغير أن يكشف عن جانب من شخصيته العلمية التي لا تكتفي بتدوين ما يتصل بالتاريخ الرسمي، وتلتفت إلى تاريخ الشعب الذي تمثل الأخبار العجيبة أو المعتقدات الشعبية صورة له. وهو بذلك يصدر عن نزعة تاريخانية، لا تاريخية.

وإذا كان من توصية يوصي بها هذا البحث فهي أن ينهض المركز بمهمة جمع ما تبقى من معتقدات شعبية في حضرموت من خلال عمل إثنوغرافي شامل ودقيق، قبل أن يندثر كثير منها. ويمكن أن تكون بعد ذلك دراسات معمقة تبحث في تجليات تلك المعتقدات في حياتنا المعاصرة.

قائمة المصادر والمراجع

- إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت: السقاف (السيد عبدالرحمن بن عبيد الله: ت ١٣٧٥هـ)، عني به تاريخيًا: محمد أبو بكر عبدالله باذيب، عني به أدبيًا: محمد مصطفى الخطيب، دار المنهاج، جدة، ط١، ٢٠٠٥م.
- الإكليل (الجزء الثامن): الهمداني (أبو محمد الحسن بن أحمد: ت ق٤ه)، حرره وعلق حواشيه: نبيه أمين فارس، دار العودة - بيروت، دار الكلمة - صنعاء.
- الإناسة البنيانية: كلود ليفي ستروس، ترجمة: حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت، ط١، ١٩٩٥م.
- تاج العروس من جواهر القاموس: الزَّبيدي (محمد مرتضى: ت١٢٠٥هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت.
- التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا: ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد: ت٨٠٨هـ)، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة: المقريزي (أحمد بن علي: ت٨٤٥هـ)، تحقيق: محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
- الروض المعطار في خبر الأقطار: الحميري (محمد بن عبد المنعم: ت ق٨هـ)، حققه: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.
- سقطرى هناك حيث بعثت العنقاء: فيتالي ناؤومكين، ترجمة: علي صالح الخلاقي، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، ١٩٩٩م.
- صفة جزيرة العرب: الهَمْداني (لسان اليمن الحسن أبو أحمد بن يعقوب: ت ق٤هـ)، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحواليّ، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ١٩٩٠م.
- صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز (المسماة تاريخ المستبصر): ابن المجاور (جمال الدين، أبو الفتح، يوسف بن يعقوب)، اعتنى بتصحيحها: أوسكار لوفغرين، منشورات المدينة، شركة دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.
- الضوء اللامع: السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: ت ٩٠٢هـ)، دار الجيل،

بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

- الغصن الذهبي (دراسة في السحر والدين): جيمس فريزر، تُرجم بإشراف: أحمد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١م.
- القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة: عبدالله خورشيد البري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م.
- لسان العرب: ابن منظور (محمد بن مكرم: ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٤م.
- معجم الخرافات والمعتقدات الشعبية في أوروبا: بيار كانافاجيو، ترجمة: أحمد البطال، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- النقد الأدبي في القرن العشرين: جان إيف تادييه، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط١، ١٩٩٤م.

حضرموت في كتاب صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى تاريخ المستبصر لابن المجاور

د. عبدالحكيم محمد ثابت العراشي
كلية الآداب - جامعة عدن

الحمد لله رب العالمين الذي له ما في السماوات والأرض وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ - ﷺ- الذي بعثه بشيرًا ونذيرًا، فأرشد ونصح، وسلك بأمته سبيل الرشاد، فكانت خير أمة أخرجت للناس، وبعد:

اكتسب عدد من الحواضر عبر التاريخ أهمية إستراتيجية وحضارية، سجلت لها مكانة في المسيرة البشرية، تتفاوت في الأهمية اعتمادًا على عدد من العوامل الجغرافية والسياسية والحضارية والدينية، وقد استمرت كثير من تلك الحواضر في تألقها الحضاري- مهما اختلفت عوامله- على الرغم من التغيرات السياسية والعسكرية التي عاصرتها؛ وتعتبر حضرموت من أبرز الحواضر التي تمتعت بعدد من المزايا الجغرافية والحضارية والدينية، التي جعلتها تحتل مكانة مرموقة بين حواضر المعمورة.

وعلى الرغم من أنها كانت مشهورة قبل الإسلام، إلا أنها حظيت بمكانة خاصة في الإسلام.

ولما كانت حضرموت على هذه الدرجة من الأهمية والمكانة، فمن الطبيعي أن تحتل مكانًا مرموقًا في الكتابة التاريخية، بمختلف فروعها وفنونها، ومن تلك الكتابات كتب الرحلات، التي تعد من أهم المصادر التاريخية التي يعتمد عليها في كشف الحقائق التاريخية؛ لأنها تضمنت مادة تاريخية تشكلت نتيجة المشاهدة والمعايشة المباشرة للواقع.

ويأتي كتاب صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز الذي صنفه جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بابن المجاور الشيباني الدمشقي المتوفى بحدود ٦٢٦هـ إبان الربع الأول من القرن السابع الهجري بعد رحلة أمضاها في الترحال بين اليمن ومكة، من أبرز الكتب لتلك الفترة.

وتميز هذا الكتاب بمادته العلمية المتنوعة، والعناية بالوصف المباشر للأشياء والظواهر

عن طريق المشاهدة المباشرة، وهذا أمر ذكره بقوله: [1] "...ثم تصوير كل بقعة منه حتى كأنك تراها رأي العين وتوقف بها على أرجائها فيغنيك ذلك عن الأين في البين. ولا يعدم كل بقعة من نادرة جرت فيها الأخبار وشعر نظم في سلكها قديمًا من الأشعار، وهذا أوان الشروع في مقصود الكتاب وتسهيل الحجاب وفتح الباب والله ميسر الأسباب إنه كريم وهاب".

إن المنهج المتبع عند إجراء أية دراسة علمية تاريخية لا بد أن يتناسب والموضوع المقرر دراسته، ومع كثرة المناهج العلمية وتطورها اليوم إلا أن المنهج الذي يمكن أن يتبع في دراسة هذا الموضوع هو المنهج التاريخي الوصفي والمزاوجة بينه وبين المنهج التحليلي، وذلك بدراسة المعلومة، ثم إخضاعها للاستنتاج والتحليل؛ أي دراسة المعطيات التاريخية وتحليلها تحليلًا معمقًا للوصول إلى النتيجة.

كما تم اتباع القواعد الصحيحة للمنهج العلمي، من خلال جمع المادة العلمية، ثم تصنيفها إلى موضوعات متناسقة ومتجانسة، ثم صياغتها بأسلوب علمي دقيق، مراعيًا الترابط بين معلوماتها والتسلسل في أحداثها، والوضوح في حقائقها بغية الوصول إلى النتائج الصحيحة التي تهدف إليها الدراسة.

لهذا فإن هذه الدراسة أخذت على عاتقها لملمة ما كتبه ابن المجاور عن حضرموت ثم نظمها في إطار من المعالم التي تخص الجانب المناسب لها، ليتسنى قراءتها بشكل متكامل، بعد تحريرها من لغة المصدر.

ووفقًا لما جادت به المادة العلمية في هذا المصدر تم تصنيفها إلى أربعة مباحث رئيسية وهي كالآتي:

المبحث الأول: دراسة نقدية مختصرة لكتاب تاريخ المستبصر

تم التناول في هذا المبحث بعض جوانب القصور في هذا الكتاب.

المبحث الثاني: جغرافية حضرموت

تم استعراض في هذا المبحث تسمية حضرموت، وموقعها، ودراسة المصادر المائية.

(١) ابن المجاور، جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد (ت: بعد ٦٢٦هـ)، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، راجعه ووضع فهارسه: ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ١٩٩٦م، ص١٠.

المبحث الثالث: مدن حضرموت

تناول هذا المبحث أشهر مدن حضرموت فترة الدراسة.

المبحث الرابع: الحالة الاجتماعية

لقد تم التناول في هذا المبحث عناصر السكان، ومستوى معيشتهم ونوعية لباسهم، وبعض من عاداتهم.

واختتمنا هذه الدراسة بخاتمة ضمَّت أهم النتائج والاستنتاجات التي توصلت إليها الدراسة، ثم ذيلناها بقائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: دراسة نقدية مختصرة لكتاب تاريخ المستبصر

من الملفت للنظر أن ابن المجاور في وصفه لبعض الأشياء كان يرجع لكتب من سبقوه للتفسير والتوضيح، وعلى الرغم من تلك الأهمية لهذا الكتاب، فإن ابن المجاور وقع في عدد من الهفوات، ولعل أشهر تلك الهفوات ذكره لبعض تفسير الآيات وكذا الأحاديث، أو التأويل للأحاديث، وإذا كان من تفسير لذلك فمرده اعتماد ابن المجاور على الرواية الشفهية من عامة الناس.

فمن غرائب ما جاء به ذكر قول الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ﴾ تمام الآية، في معرض حديثه عن حضرموت فيذكر أن هذه الآية نزلت في قوم عاد عندما سلط الله عليهم الذر، لكن كتب التفسير تذكر أنها نزلت على فرعون وقومه.

كما أخفق في عدد من أحاديث السنة، فقد ذكر حديثاً عن النبي ﷺ، إذ يقول: قال النبي ﷺ: **"القناعة غنى"**، فلم يرد هذا الحديث في كتب الصحاح والسنن، بل وكتب الحديث التي تم الوقوف عليها، ويبدو أن ابن المجاور وَهم في ذلك، أو حصل التباس عليه في الأمر.

هناك حديث آخر يذكره ابن المجاور حيث يقول: قال عليه السلام: **"القناعة كنز لا ينفد"**[1] ويؤخذ على هذا الحديث أمرين:

---

(١) ذكرته بعض كتب الحديث بصيغة مختلفة، فذكرت أن الحديث مروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، فقد قال: قال رسول الله ﷺ: **"الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ"**. ينظر: القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله، مسند الشهاب، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٠٧ – ١٩٨٦، ج١، ص٧٢؛ البرهان فوري، علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي،

الأول: يعد هذا الحديث من الأحاديث الموضوعة.

الثاني: على الرغم أن الحديث موضوع إلا أن ابن المجاور لم يذكره بصيغته الموضوعة.

ومن الهفوات التي وقع بها ابن المجاور عدم الدقة في النقل من بعض المصادر التاريخية، فنجده يذكر أنه وجد في كتاب مروج الذهب للمسعودي[1] أن مكة تقع ضمن الإقليم الثاني، مع أن المسعودي ذكرها ضمن مناطق الإقليم الثالث، ويبدو أن الأمر التبس على ابن المجاور في النقل، بدليل أنه أصاب كبد الحقيقة بموقع مكة وأخطأ المسعودي.

وفضلًا عن ذلك فقد طغى على هذا الكتاب القصص الخرافية التي كان لها من الحضور الكبير في طياته، هذا بالإضافة إلى الإخفاق في التحديد المكاني لعدد من المواقع.

لكن هذا لا يعني الإطاحة بهذا المصدر بقدر ما هو تنقيته من الشوائب، فهو بالأخير مصدر مهم من مصادر تلك الفترة.

ومهما يكن من أمر فما يهمنا هنا هو التتبع للمعلومات التي أوردها ابن المجاور عن حضرموت، بصفته شاهد عيان لتلك الفترة.

المبحث الثاني: جغرافية حضرموت

لقد أعطى ابن المجاور بعض المعلومات المقتضبة عن جغرافية حضرموت، ورغم قلة هذه المعلومات إلا إننا نستطع أن ننسج فكرة مبسطة عن جغرافية حضرموت، من خلال التعرف على الموقع والتسمية ومصادر المياه.

= كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني وصفوة السقا، الطبعة الخامسة، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج٣، ص٣٨٩. وهناك من ذكره عن جابر وآخرين عن علي، ولكن مايهمنا هو صحة الحديث من عدمها، فهناك من ذكر أنه ضعيف الإسناد. ينظر: ابن حيان، أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر، الأمثال في الحديث النبوي، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، الطبعة الثانية، الدار السلفية – بومباي الهند، ١٩٨٧، ص١٢٥. وقد قال الشيخ الألباني بأنه حديث موضوع. ينظر: الألباني، محمد ناصر الدين صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، ص٨٢٢.

(١) عن تقسيم المسعودي لأقاليم المعمورة ينظر: المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية – بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، ج١، ص٦٩-٧٠.

١- الموقع

حدد ابن المجاور[١] موقع حضرموت في ديار العرب (الجزيرة العربية)، ضمن إقليم اليمن الذي حدده- اليمن- بقوله:"...فما كان من حد السرين فهي تنتهي إلى ناحية يلملم حتى تنتهي إلى ظاهر الطائف ممتدًا إلى بحر اليمن إلى بحر فارس شرقًا".

أما عن موقع حضرموت[٢] في ديار اليمن لم يورده ابن المجاور، لكن من خلال المعلومات المتناثرة نستطيع أن نقول إن حضرموت تمتد على مساحة جغرافية مترامية الأطراف في شرق اليمن وجنوبها، فمن الجهة الشرقية نجد أنها تمتد من الجنوب الشرقي من آخر أعمال الشحر، وبخط شبه مستقيم إلى جهة الشمال الشرقي لتنتهي بالقرب من حلوف[٣].

ومن الجهة الغربية قدم ابن المجاور معلومات مربكة ومبهمة لجهله وعدم زيارته لها، فنلمس ذلك بوضوح عند الحديث عنها فيصفها بـ:"تلك الأماكن"، حيث نجدها تشمل الأحقاف، والمنطقة التي كان يسكنها قوم عاد بدليل قوله[٤]:

"وحدّ الدكاك[٥] من أعمال حضرموت إلى آخر معاملة عمان...".

---

(١) ص٥٢.

(٢) نجد ما ذكره ابن المجاور عن موقع حضرموت لا يختلف كثيرًا عما ذكره العيدروس فقد قال: "حَضرَمَوْت بِلَاد مَشْهُورَة متسعة من بِلَاد الْيمن تجمع أودية كَثِيرَة وَقد اخْتصَّ بهَذَا الِاسْم وَادي ابْن رَاشد طوله نَحْو مرحلَتَيْنِ أَو ثَلَاث إِلَى قبر هود عَلَيْهِ السَّلَام وَيُطلق على بِلَاد كَثِيرَة وساحلها الْعين وبروم إِلَى الشّحر، ونواحيها ونجدها من جردان ونواحيها إِلَى تريم إِلَى قبر هود عَلَيْهِ السَّلَام وَمَا وَرَاء ذَلِك بِلَاد مهرَة". محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله (ت: ١٠٣٨هـ)، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ص٦٢.

(٣) حلوف: حلوف وادي من أودية عمان حاليًا يقع في الجهة الشمالية الغربية من عمان.

(٤) ص٢٨٩.

(٥) لقد ذكر ابن المجاور الدكاك بقوله: " حدَّثني رجل من أهلها–حضرموت– في دار الإمارة بمكة سنة إحدى وعشرين وستمائة قال: إنَّ هذه الأراضي والجبال والشعاب مواضع كانت مساكن قوم شداد بن عاد في فصل الربيع يتنزهون بهذه الأمكنة، وقد بنوا على رؤوس الجبال، وفي بطون الأودية دكاك ومصاطب من الحجر والجص، وكانوا يقيمون بها أيام الربيع ويتفرجون. وقال آخر إنّما بنيت هذه الدكاك والمصاطب في هذه المواضع إلا لمَّا سلط الله عليهم الذر وهو النمل، فكان القوم يجدون لذلك ألمًا شديدًا. وحينئذ هجروا البلاد وخرجوا بأهلهم وسكنوا الجبال والشعاب والأودية وبنوا الدكاك متفرقة في بطون الأودية ورؤوس الجبال. فلما كثر عليهم الذر أشعلوا النيران حول الدكاك لئلا يصعد إليهم الذر". ينظر: ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص٢٨٧-٢٨٩.

٢- التسمية:

أرجع ابن المجاور[١] تسمية حضرموت إلى أنها جاءت من اسم حضرموت بن قحطان بن عيبر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام، الذي كان يسكن شبام التي هي بمثابتة سرير ملك حضرموت.

ومن الأسماء التي كانت تسمى بها حضرموت كما ذكرها ابن المجاور[٢] الوادي المفتون، وهي تسمية فيها من الغرابة، كما نجد أنه يطلق على حضرموت كلها اسم الأحقاف، إذ يقول:"... وسماه [حضرموت] الله عز وجل الأحقاف، كما قال الله عزوجل في قصة النبي هود عليه السلام: ﴿إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ [٢١:الأحقاف] والأحقاف هذه البلاد والأراضي بعينها...". ومع أنه قد أشار في مواضع عدة إلى أن الأحقاف جزء من حضرموت وهو المعروف إلى يومنا.

٣- مصادر المياه

من خلال الإشارات التي أوردها ابن المجاور حول مصادر المياه في حضرموت نجد أن المصدر الرئيسي هو مياه العيون والغيول، حيث أشار إلى أن العيون والغيول كانت منتشرة في الكثير من المناطق الحضرمية، ومن الشواهد التي أوردها ذكره[٣] أن المياه والعيون كانت

---

(١) لقد ذكر الهمداني أن حضرموت نُسب إلى حضرموت بن حمير الأصغر فغلب عليها اسم ساكنها. أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت: ٣٦٠ هـ)، صفة جزيرة العرب، تح: محمد بن علي الأكوع، دار اليمامة، الرياض، د.ت، ص١٦٥؛ ويذكر ابن خلدون أنها سميت بحضرموت ابن يعرب بن قحطان، العلامة عبدالرحمن بن خلدن، تاريخ ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر-بيروت، ٤/٢٢٦. وقيل إن صَالحًا لما هلك قومه جَاءَ بمن مَعَه من الْمُؤمنينَ فَلَمَّا وصل إِلَيْه مَاتَ فَقيل حضرموت، وَذكر الْمبرد أنه لقب عَامر جد اليَمانية كَانَ لَا يحضر حَربًا إِلَّا كثر فِيهِ الْقَتْلَى فَقَالَ عَنهُ من رَآهُ حَضرمَوْت. العَيْدَرُوس، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص٦٢. وقيل اسم حضرموت في التوراة حاضر ميت، وقيل سميت بحضرموت بن يقطن ابن عامر بن شالخ، وقيل اسم حضرموت عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائلة ابن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ، وقيل حضرموت اسمه عامر ابن قحطان، وإنما سمي حضرموت لأنه كان إذا وقرى. ينظر: ياقوت الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي (ت: ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار الفكر - بيروت، ٢/ ٢٧٠.

(٢) ص٢٨٢.

(٣) ص٢٨٩.

منتشرة في الثرار والشعاب في الأماكن الواقعة حول الشحر وكذلك بين الشحر[1] وظفار، وكان بعض هذه المناطق غير مأهولة.

كما ذكر[2] عددًا من العيون المشهورة، فمن تلك العيون عين قرن أبي إبراهيم التي توجد في وادي من وديان أعمال دوعن.

كما شكلت الأمطار مصدرًا من مصادر المياه في حضرموت، ومع أن الكتاب بخل علينا بذكر معلومات كافية عن هذا المصدر، إلا أنه ذكر معلومة يتيمة مفادها أنه يمطر باليوم مطرة على وادي دوعن[3]. ومن المؤكد أن هذا الأمر يحدث في موسم الأمطار.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تمتع حضرموت بنصيب وافر من مياه الأمطار، وهو أمر يفسره جريان مياه الغيول في حضرموت على مدار السنة.

المبحث الثالث- مدن حضرموت

هناك عدد من المدن الحضرمية التي كان لها دور كبير كمراكز تجارية ومنارات علمية وفكرية، وآثار معمارية رائعة، فالحق أن الموروث الثقافي الحضرمي الذي ما زالت تكشف لنا الأيام عن كنوزه الثمينة أو المآثر المعمارية المنتشرة على طول البلاد الحضرمية وعرضها يظل شاهدًا على ذلك؛ ومن أهم المدن الحضرمية:

١ – شبام

أهم مدن حضرموت وأكبرها وأشهرها[4]، وهو الأمر الذي جعل ابن المجاور يقول عنها[5]: "سرير ملك حضرموت...".

---

(١) يؤكد هذه الرواية بامخرمة في معرض حديثة عن منطقة بُويَش قرب الشحر من الجهة الغربية، فيذكر أنها كثيرة العيون والآبار، ص ٩٤. وكذا حديثه عن منطقة قرب الشحر تسمى تبالة، فقد ذكر أن فيها عيونًا مختلفة، منها الحار والبارد. أبو محمد الطيب بن عبدالله بامخرمة (ت: ٩٤٧هـ)، النسبة إلى المواضع والبلدان، مركز الوثائق والبحوث، أبوظبي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ص١٠٤.

(٢) ص٢٨٤.

(٣) الصفحة نفسها.

(٤) وصفها الهمداني بقوله: " وأما شبام فهي مدينة الجميع الكبيرة...". الصفة، ص١٦٩، وفي موضع آخر يقول: "بها ثلاثون مسجدًا ونصفها خراب خربتها كندة وهي أول بلد حمير". الصفة، ص١٦٩.

(٥) ص٢٨١.

كما يذكر ابن المجاور قصة فيها من الغرابة عن بداية تأسيس مدينة شبام إذ يقول[١]: "لمَّا تزوج سليمان بن داود عليهما السلام بلقيس اشترت أختها نعم نوقًا وإبلًا وأسكنت المال والنعم في مكان الأرض، فكانت الإبل إذا رمت الخلة تندت الأراضي من أبوالها وكانت تأمر الرعاة أن يفرشوا على النداوة التراب ليرد الضرر عن النعم، ولا زالوا على حالهم إلى أن صار تلًا عاليًا شامخًا في الهوى...".

ومهما يكن من أمر عن مدى صحة الرواية ومصداقيتها، فقد حاول ابن المجاور إثبات قدم شبام، وهو أمر أكدته المصادر[٢] رغم معارضة بعضها لهذا، فمنهم الجندي[٣] الذي وصفها بأنها مدينة محدثة بنيت بعد تريم.

وفي موضع آخر يذكر أن اسم المرأة شبام فسميت المدينة باسمها[٤] إذ يقول[٥]:"...يقال إنّ اسم المرأة شبام فعرف البناء بها".

وبعد بناء شبام أحيطت بالحصون والأسوار، وصارت شبام قبلة الملوك كل واحد يسعى للسيطرة عليها، ولا زال ملوكها يتغلبون عليها إلى آخر من تغلب عليها عمرو[٦] بن مهدي أخذها بالسيف وجدد عمارة الحصن وأحكمها غاية الإحكام وجعلها سرير ملكه بعد أن بنى لها أسوارًا وخنادق وأبواب[٧].

---

(١) ص٢٧٩.

(٢) العيدروس، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص٦٢؛ زكريا بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد.

(٣) الجندي، أبو عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب (ت: ٧٣٢هـ) السلوك في طبقات العلماء والملوك، تح: محمد بن علي الأكوع، الطبعة الثانية، مكتبة الإرشاد- صنعاء، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ج١، ص٤٦٣.

(٤) يذكر الهمداني أن شبام كانت تسمى شباة فلما احتربت حمير ومذحج خرج أهل شبوة من شبوة فسكنوا حضرموت وبهم سميت شبام، وكان الأصل في ذلك شباة فأبدلت الميم من الهاء. الهمداني، الصفة، ص١٧١.

(٥) ص٢٨٠.

(٦) لم أقف له على ترجمة.

(٧) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص٢٨٠.

ويشير ابن المجاور[١] أن بئر[٢] برهوت[٣] يوجد في شبام، وهو بئر تستجمع فيه أرواح أهل النار نعوذ بالله منها، ومن يهدي الله فلا مضل له: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾، ولا تزال النار تخرج منه طول الدهر. كما ذكر أن والده محمّد بن مسعود بن علي بن أحمد بن مجاور البغدادي النيسابوري كتب لجعفر بن عبد الملك بن عبد الله بن يونس الخزرجي الجرجاني يهدده ويهيبه فقال: أنا رجل برهوت وأنا سلم جهنم.

٢- تريم

يروي ابن المجارور أن تريم أحد المدن الكبيرة وهي من أعمال حضرموت، كانت تسمى ترم[٤]، وتبعد عن شبام سبعة فراسخ[٥].

ويصف ابن المجاور[٦] تريم بأنه يوجد فيها مرتفع، وفي وسط هذا المرتفع يوجد ضرس -تلة مرتفعة- صاعد في الجو شبه منارة بُني عليها حصن يسمى بـ: "حصن المشرق"، وكائنه تحفة، كان يتغنى به الشعراء، فمن الأشعار:"

أقبل من أعشقه غدوة من جانب الغرب على أشهب

فقلت سبحانك يا ذا العلا أشرقت الشمس من المغرب

---

(١) ص٢٨١.

(٢) ومن ضمن من ذكره على أنه بئر. ابن حوقل، محمد بن علي الموصلي، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر. ١٩٩٢م، ج١، ص٤٢، ابن الفقيه، أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني، البلدان. تواترت الروايات على أنه وادي. ينظر: الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، ج٢، ص٤٦.

(٣) وادي برهوت من بلاد الشحر وحضرموت. البكري، أبو بكر بن محمد شطا الدمياطي، المسالك والممالك، ص١٨٩.

(٤) ص٢٨٥. لكن أبا مخرمة يقول: "... يقال إن أول من عمرها تريم بن حضرموت بن سبأ الأصغر...". النسبة إلى المواضع والبلدان، ص١٠٨. وهذا دلالة على أن التسمية جاءت نسبة إلى ابن الملك حضرموت هذا من جهة؛ كما تبين رواية بامخرمة أن تريم بنيت بعد شبام.

(٥) الفرسخ يساوي حوالي ٥كم.

(٦) ص٢٨٥.

كما يذكر أن المدينة تلتف دائريًا على هذا الحصن، ويوجد بها مسجد قديم في غاية الروعة والجمال[١]، وإضافة إلى هذا المسجد يوجد بها مسجد آخر بناه حسن بن سلامة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على اتساع المدينة في مطلع القرن السابع الهجري.

كما أشار ابن المجاور[٢] إلى أن مدينة تريم تتبعها وتحيط بها نواحي عديدة، وفي تلك النواحي توجد عدد من القبور المشهورة، فمن تلك القبور قبر النبي هود[٣] عليه السلام[٤] يبعد من تريم ثمانية فراسخ، طوله سبعون ذراعًا. وفي هذه النواحي قبر ذي نيال عليه السلام ابن هود طوله أربعين ذراعًا.

وفي معرض حديث ابن المجاور عن القبور أشار إلى أعمال دوعان(دوعن)، وفي ذلك إشارة إلى ازدهار دوعن في مستهل القرن السابع الهجري، ففي نواحي دوعن توجد قرية تسمى هدون يوجد بها قبر ذي نيال عليه السلام بن هود طوله أربعين ذراعًا بناه هود عليه السلام، وقبر ابن ذي القرنين طوله خمسة وثلاثون ذراعًا، ويستبعد ابن المجاور أن تكون تلك بهذا الطول وأن هذا بفعل فاعل إذ يقول:[٥] "... وما أظن القوم كانوا بهذا الطول ولكن طوَّلوا قبورهم...".

---

(١) ص٢٨٦.

(٢) ص٢٨٦.

(٣) يشير الهمداني إلى أن قبر هود النبي عليه السلام في الكثيب الأحمر ثم منه في كهف مشرف في أسفل وادي الأحقاف وهو وادٍ يأخذ من بلد مهرة مسيرة أيام، وأهل حضرموت يزورونه هم وأهل مهرة في كل وقت. الصفة- ص١٧٠.

(٤) يقول ابن بطوطة الذي زار حضرموت في القرن الثامن الهجري: "...وعلى مسيرة نصف يوم من هذه المدينة -ظفار- الأحقاف، وهي منازل عاد. وهنالك زاوية ومسجد على ساحل البحر، وحوله قرية لصيادي السمك. وفي الزاوية قبر مكتوب عليه: هذا قبر هود بن عابر عليه أفضل الصلاة والسلام. وقد ذكرت أن بمسجد دمشق موضعًا مكتوب عليه: هذا قبر هود بن عابر. والأشبه أن يكون قبره بالأحقاف لأنها بلاده، والله أعلم...". وفي موضع آخر يقول: "...وقد رأيت على مقربة من مدينة ظفار اليمن بموضع يقال له: الأحقاف بنية فيها قبر مكتوب عليه هذا قبر هود بن عابر ﷺ...". أبو عبد الله محمد بن عبد الله إبراهيم اللواتي (ت: ٧٧٩هـ)، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الشرق العربي- بيروت، ص٢٢١.

(٥) ص٢٨٦.

المبحث الرابع: الحالة الاجتماعية لحضرموت

لقد كشف لنا ابن المجاور من خلال مشاهدته لبعض جوانب الحياة الاجتماعية بحضرموت في الربع الأول من القرن السابع الهجري، حيث أمدنا بمعلومات عن السكان ومأكلهم وملبسهم وبعض عاداتهم نذكرها بالآتي:

١- عناصر السكان

يخبرنا ابن المجاور أن سكان حضرموت حضارم، ويبدو أن ابن المجاور أغفل بعض العناصر الأخرى؛ لأنه من غير المعقول أن لا يوجد عناصر عربية وغير عربية سكنت حضرموت إلى الفترة التي عاشها ابن المجاور.

وفضلًا عن ذلك ذكر لنا ابن المجاور[١] الأسامي التي يتسمى بها أهل حضرموت وهي أسماءالكنى التي كان يكنى بها الحضارم، وهي مازالت إلى يومنا هذا.

لكن ابن المجاور لم يذكر تلك الكنى كما كانت عند الحضارم بل زاد عليها وانتقدها بطريقة غريبة غير مألوفة عن الحضارم، فالكنى الحضرمية معرفة بدلالاتها وأصالتها، وهذه أمور أضعفت العديد من رواياته، وكشفت عن جوانب الأخطاء التي وقع بها.

٢- معيشة الناس ولباسهم

أما عن معيشة الناس بحضرموت فقد ذكرها ابن المجاور بمعلومات مقتضبة، ولكن هذه المعلومات عن المأكل والملبس تدل على أن الحضارمة قوم ذوو قناعة بمأكلهم ومتواضعين في ملبسهم؛ وهي ميزة يتميز بها أهل حضرموت حتى يومنا هذا.

أما مأكلهم فهو السمك ويفضلون السمك الصغير الذي يسمى العيد مع الكنب واللبن يشابه الخردل في اللون[٢]، وفي موضع آخر يخبرنا أن مأكول الحضارم السمك والكنب والذرة، وقيل إنهم يعقدون الهريسة إلا بلحم السمك لا غير[٣].

وأما ملبسهم فيلبس رجالهم الأزرق مكشوفي الرؤوس حفاة، ولبس نسائهم الفتوحي،

---

(١) ص٢٨٢.

(٢) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص٢٨٢.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٩٤.

ويصبغ الثوب بالزاج ويرجع اللون لا أخضر ولا أزرق إلى لون عجيب. وتضفر النساء رؤوسهن في أوسط رؤوسهن فتشبه الهدهد يسمونه الطرطر[١]؛ ويبدو أن ابن المجاور لم يذكر من لبس أهل حضرموت إلا ما اشتهر منه فقط.

٣- العادات الاجتماعية

من العادات الاجتماعية لحضرموت التي ذكرها ابن المجاور الآتي:

أ) الخطبة والدخول على العروس

يصف لنا ابن المجاور[٢] العادات المتبعة عند الزواج في حضرموت يذكر أن العادة جرت أن لا تتم الخطبة أو الزواج أثناء فترة الحج، حيث يتم تأجيل ذلك إلى بعد انتهاء الحج، وهذه العادات متبعة في حضرموت ومكة وسائر أقاليم اليمن.

فيذكر أنه إذا خطب زيد بنت عمرو في العشر من ذي الحجة، يدخل عليها في العاشر من محرم، وعندما سأل ابن المجاور عن سبب ذلك، أفادوه أن المجتمع يعيش مع الحاج في كل فن من فنون الحج من إحرام وإحلال، فإذا رحل الحاج دار الخطب والنكاح والأفراح والأعراس بين الناس.

وعندما يدفع العريس المهر ويريد الدخول على العروس يخضب الرجال أيديهم، وأرجلهم تُزين، ويخرج إلى بيت العروس، فتُجْلَى عليه ويدخل عليها، ويبقى عندها سبعة أيام، ثم يخرج بعدها طلبًا للرزق.

ب) الطرح

من أبرز العادات التي كانت تصاحب الزواج في حضرموت وبلاد اليمن ما يسمى بالطرح، وهي إسهام المدعوين رجالًا ونساء في العرس بمبلغ من المال يقدمونه كل على قدر حاله، ويظل هذا المبلغ دينًا على العروسين، عليهما رده بمثله أو زيادة عليه.

والطريقة التي يتم فيها الطرح كما وصفها ابن المجاور[٣] هي أن الأهل والأصدقاء يدعون إلى الزواج، فيحضرون وبيد كل واحد منهم قرطاس مكتوب عليه اسم الآتي مع وزن المبلغ

---

(١) المصدر نفسه، ص٦.

(٢) ص١٦.

(٣) ص١٦.

وعدده يقدمه قدام العروس كل على حاله وسعة ماله وكذلك يفعل النساء.

وفي اليوم السابع يخرج العريس الطرح الذي طرح له، فيصبح رأس مال في يده، وعند ذلك يفتح له دكانًا يعيش به، ويكون ذلك الطرح دينًا عليه وكل من تزوج من القوم الذين حضروا العرس يرد إليهم الذي أخذه من القوم مثل الذي جاء به إليه أو أزيد منه، وكذلك يفعلون في سائر أقاليم اليمن.

ج) حفلات الولادة

عند حديث ابن المجاور عن الطرح أشار أنها سمة بارزة في المجتمع يقوم بها الرجال والنساء، والطرح دين يُرد في مناسبة العرس أو مناسبة مماثلة، فمن تلك المناسبات مناسبة الولادة، حيث يشير ابن المجاور [1] إلى تقارب هذه العادات، ففي مناسبة الولادة كان لزامًا على النساء حضورها، وفيها لابد أن تفي المرأة ما عليها من دين.

ويبدو أن ابن المجاور بالغ في هذه المسألة؛ لأن هذه العادة مازال لها بعض الوجود في المجتمع، فما يقدمه الرجال للعريس والنساء في مناسبة الولادة لا يعد دينًا كما وصفه ابن المجاور، وإنما هو عبارة عن دعم مادي وهدية تقدم في مثل هذه المناسبات.

الخاتمة

أحمد الله تعالى العلي القدير أن منَّ عليَّ ويسَّر لي سُبل إنهاء هذا البحث بهذه الصورة المتواضعة، والذي تتبَّعنا فيه حضرموت في الربع الأول من القرن السابع الهجري كما وصفها ابن المجاور. وبعد الرصد للمعلومات، برزت أمام الباحث جملة من الحقائق والاستنتاجات نرصدها بالآتي:

١- حدد ابن المجاور الموقع الجغرافي لحضرموت، وقدم لنا فكرة بسيطة عن أشهر المدن الحضرمية، وكذلك ذكره لمواقع أثرية.

٢- أخبرنا ابن المجاور بأن المياه في حضرموت كانت جيدة ذات مصادر مختلفة.

٣- بيَّن ابن المجاور في كتابه مدى الترابط الاجتماعي بين حضرموت ومكة واليمن، من خلال تطابق العديد من العادات والتقاليد الاجتماعية بينهما، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على التجانس الاجتماعي بين حضرموت واليمن ومكة خاصة والحجاز عامة.

(١) تاريخ المستبصر، ص١٨٦.

٤- تميز المجتمع الحضرمي بالبساطة الاجتماعية؛ وهو أمر يظهر جليًّا من خلال مأكلهم وملابسهم.

٥- بينت المعلومات التي أوردها ابن المجاور عن عادات الزواج والحفلات مدى الألفة والتقارب بين أفراد المجتمع.

أما بخصوص المعلومات التي أوردها ابن المجاور نستنتج الآتي:

١- أعرض ابن المجاور عن وصف عدد من مدن حضرموت، كما لم يعطِ معلومات -ولو بسيطة- عن الجانب المعماري، ويحتمل أن سبب هذا الإعراض مرده إلى جهله بحضرموت، ولعل ما يؤكد ذلك هو أخذه العديد من معلومات حضرموت عن طريق الرواية.

٢- لم يذكر ابن المجاور أي معلومات سياسية عن حضرموت، وكذا لم يذكر أي معلومات فكرية.

٣- زودنا ابن المجاور بمعلومات قيمة عن جوانب الحياة الاجتماعية، لم ترد بمصادر أخرى.

هذا ما أوردناه من نتائج البحث، وبما أن التطويل زيادة على الكفاية وذهاب عن غاية الحاجة، فقد جنح البحث إلى الإيجاز، لأن فيه تخليصًا وتهذيبًا، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق، وإنَّ ما قلَّ وكفى خير مما كَثُر وألهى، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

◉ **الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد(ت حوالي: ٢٥٠هـ).**

- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى.

◉ **بامخرمة، أبو محمد الطيب بن عبدالله (ت:٩٤٧هـ).**

- النسبة إلى المواضع والبلدان، مركز الوثائق والبحوث، أبوظبي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

◉ **البرهان فوري، علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي(ت:٩٧٥هـ).**

- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني وصفوة السقا، الطبعة الخامسة، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

◉ **ابن بطوطة، محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي (ت:٧٧٩هـ)**

- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الشرق العربي- بيروت.

◉ **الجندي، أبو عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب (ت:٧٣٢هـ).**

- السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، الطبعة الثانية، مكتبة الإرشاد- صنعاء، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

◉ **ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي.**

- صورة الأرض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر. ١٩٩٢م.

◉ **ابن حيان، أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر**

- الأمثال في الحديث النبوي، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، الطبعة الثانية، الدار السلفية - بومباي الهند، ١٩٨٧.

◉ **ابن خلدون، العلامة عبد الرحمن بن خلدون (ت:٨٠٨هـ).**

- تاريخ ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر-بيروت.

◉ **العَيْدَرُوس، محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله (ت: ١٠٣٨هـ).**

- النور السافر عن أخبار القرن العاشر، دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

◉ **القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله (ت:٤٥٤هـ).**

- مسند الشهاب، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

◉ **الألباني، محمد ناصر الدين.**

- صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي.

◉ **ابن المجاور، جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد (ت: بعد٦٢٦هـ).**

- صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، راجعه ووضع فهارسه: ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ١٩٩٦م.

◉ **المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي(ت:٣٤٦هـ).**

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية - بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

◉ **الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت: ٣٦٠هـ).**

- صفة جزيرة العرب، تح: محمد بن علي الأكوع، دار اليمامة، الرياض.

◉ **ياقوت الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي (ت:٦٢٦هـ).**

- معجم البلدان، دار الفكر - بيروت.

كتب التصوف من مصادر تاريخ حضرموت
كتاب"البرقة المشيقة" للشيخ علي باعلوي
(ت٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م) أنموذجًا

د. محمد يسلم عبدالنور
كلية الآداب - جامعة حضرموت

الملخص:

يتناول البحث دراسة أحد وأهم كتب التصوف باعتبارها مصدرًا من مصادر تاريخ حضرموت، وهو كتاب "البرقة المشيقة في ذكر لباس الخرقة الأنيقة" للشيخ علي بن أبي بكر باعلوي (ت٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م) وذلك في محورين، سبقهما التمهيد بالحديث عن بداية التدوين التاريخي الحضرمي.

أول المحورين ترجمة المؤلف الدالة على سعته في العلم ونضوج مواهبه من مؤلفاته العديدة ومحفوظاته الكثيرة، التي منها القرآن الكريم، والحاوي الكبير في الفقه للماوردي، والحاوي في النحو؛ عدا المتون الكثيرة في فنون عديدة، ومنها "الإحياء" الذي تلاه خمسة وعشرين مرة وتُلِي عليه مثلها.

وثانيهما: دراسة وتحليل كتاب "البرقة المشيقة" كمصدر من مصادر تاريخ حضرموت، واستعراض موضوعاته ومنهجه العلمي وأهميته وموارده ومصادره فيه، ومدى استفادة المؤرخين منه كمصدر من مصادرهم، في محاولة جادة أتمنى لها الموفقية.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه.

وبعد: فيعد كتاب "البرقة المشيقة" في ذكر لباس الخرقة الأنيقة" للشيخ علي بن أبي بكر باعلوي (ت٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م) من كتب الرقائق والتصوف الحضرمي، ولأن كتب التصوف تعد إحدى مصادر تاريخ حضرموت خاصة في عصرها الإسلامي فهو يعد - أي كتاب البرقة- أحد مصادر تاريخ حضرموت، لذا فإن أهميته إلى جانب ما ذكرنا تكمن في الآتي:

١- إنه ثاني نتاج علمي صوفي وتاريخي في حضرموت، بعد كتاب الجوهر الشفاف

للخطيب (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)[١].

٢- يعد مصدرًا رئيسًا في تاريخ حضرموت وتراجم ووفيات شيوخها وأعيانها، وخصوصًا شيوخ أهم مدنها مدينة تريم.

٣- يعطي صورة عن بعض ملامح الحياة الاجتماعية والعلمية بحضرموت، من القرن السادس الهجري حتى عصر المؤلف.

٤- يعد من مصادر كتب التراجم والطبقات الحضرمية الأخرى، والمصدر الوحيد في التراجم التي ذكرها المؤلف في كتابه.

التمهيد

بداية التدوين التاريخي الحضرمي[٢]

إذا جاز لنا القول بأن مدرسة اليمن التاريخية قد بدأ فيها التدوين الحضرمي متأخرًا بعض الشيء عن التدوين في جميع مناطق اليمن، فقد عرفت حضرموت عهد تدوين التاريخ أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع، حيث ظهر في ذلك ثلاثة مؤرخين يعدون الرعيل الأول، والمصدر الأول لمن تلاهم من المؤرخين[٣].

ونظرًا لازدهار تريم علميًا عن غيرها من مناطق ومراكز حضرموت فقد كان جيل هذا الرعيل منها وظهرت مؤلفات لهم وهي:

١- **كتاب**: "الياقوت الثمين وقوت قلب الفطن اللقين" لمؤلف مجهول، وهو فيما يتعلق بالعلماء والأولياء والصالحين والحوادث وذكر السلاطين والأعيان من أهل حضرموت [٤].

٢- **تاريخ العالم الأديب المؤرخ**: محمد بن أحمد بن أبي الحب (ت٦١١هـ/ ١٢١٤م) وهو عبارة عن تاريخ وتراجم، وممن ترجم لهم الشيخ سالم بن بصري (ت ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م)[٥].

---

(١) قام الباحث بدراسة كتاب الجوهر الشفاف ومنهجه واستخلاص مادته التاريخية، وصدر ذلك في كتاب عن مركز تريم للدراسات والنشر سنة ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

(٢) عبد النور، الحياة العلمية في حضرموت ٤٥٤ - ٤٥٩.

(٣) بلفقيه، نحو المدخل إلى التاريخ الحضرمي ١٠.

(٤) خرد، الغرر ٣٤.

(٥) الشلي، المشرع الروي ٢/ ١١٢.

٣-**تاريخ القاضي المؤرخ**: أحمد بن محمد بن أبي عيسى (ت ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م) [١].

إلا أنه وللأسف لم يبقَ من هذه المؤلفات شيء أو بعض الشيء عدا أسمائها.

ثم كان القرن الثامن وظهر عالمان صنفا في هذا العلم، هما المؤرخ أحمد بن محمد بن علي الخطيب (ت٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م) فصنف "مختصر لطيف في ذكر الصالحين"[٢]، وأظنه خاص لعلماء تريم لإقامة واستقرار المؤلف بها، والمؤرخ حسن (الورع) بن علي بن محمد ابن أبي علوي (ت ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م) فصنف كتابًا في "مناقب السادة آل أبي علوي"[٣]، وهو أحد كتابين اثنين اعتمد عليهما عبدالرحمن الخطيب (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) في كتابه الجوهر الشفاف[٤].

وصنف القاضي المؤرخ عبدالرحمن بن علي حسان (ت٨١٨هـ/ ١٤١٥م) تاريخه، وهو عبارة عن ثلاثة أجزاء جعل كل جزء مسمى، فسمى الأول "البهاء"، والثاني "الوسيط"، والثالث "البسيط"، وهو في تواريخ وفيات الأعيان[٥]، ويعد في عداد المفقود[٦]، وقد نقل المؤرخ الطيب بامخرمة (ت٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م) نقولات من تاريخ ابن حسان، وجدها بخط والده تتعلق بتاريخ حضرموت[٧].

وصنف المؤرخ الشيخ محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي عباد (ت٨٠١هـ/ ١٣٩٨م) كتابًا في تراجم الصالحين أسماه "السلسل المهذب والمنهل الأحلى"، حوى ترجمة (٤٠) رجلًا من صالحي عصره، ورتبهم على ثلاث طبقات، وذكر في ترجمة كل رجل من رجال

---

(١) الحداد، عقود الألماس ٢/ ٧٢ - باوزير، الفكر والثقافة ١٧٢ - الحبشي، مصادر الفكر ٤١٠.

(٢) الخطيب، البرد النعيم ٨٩.

(٣) الشلي، المشرع الروي ٢/ ٩٠.

(٤) الخطيب، الجوهر الشفاف ١/ ٨.

(٥) خرد، الغرر ٣٩٢- الشلي، المشرع الروي ٢/ ١٨٨- الحبشي، مصادر الفكر ٤١٩.

(٦) أشار علوي بن طاهر الحداد (ت١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م) بأنه قد وقف على التاريخ الصغير (البسيط) في مكتبة أحمد بن حسن العطاس (ت١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م) بحريضة، وعندما زار سالم بن أحمد المحضار في حبان سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م أخبره بأن لديه أحد تواريخ ابن حسان تلك (الحداد، عقود الألماس ٢/ ٥٨، ٥٩) فعسى الله أن يقيض من يقوم بإخراجها ونشرها إن كانت لم تزل موجودة.

(٧) بامخرمة، قلادة النحر ٣/ ٣٤٥٣-٣٤٥٥.

كل طبقة تاريخ حياته وزهده وورعه وتقواه وكراماته وتاريخ وفاته [(1)].

كما حظيت أسرة آل أبي عباد بتأليف حوى ترجمة جميع علمائها، بدأ من الشيخ عبدالله (القديم) بن محمد بن أبي عباد (ت٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م) حتى عهد مؤلفه الشيخ محمد بن أبي بكر بن أبي عباد (ت٨٠١هـ/ ١٣٩٨م) أسماه:" المنهج القويم والشفاء للسقيم في مناقب الشيخ عبدالله بن محمد القديم"، استطرد فيه بذكر مناقبهم وكراماتهم وعلاقاتهم بعلماء حضرموت والخارج، وهو يعد بمثابة سفر عظيم ومصدر مهم ليس لتاريخ هذه الأسرة فحسب، بل وتاريخ حضرموت لمدة قرنين من الزمان [(2)].

كما حظي بالمقابل علماء وصوفية حضرموت بتآليف وتراجم مستقلة سواء من تلاميذهم أم ممن جاء بعدهم، ومن ذلك:

كتاب "تحفة المريد وأنس الفريد" أو "تحفة الراغبين"[(3)] لمحمد بن علي بن أبي طحن (ت في ق٧هـ/ ق١٣م) وهو في ترجمة شيخه سعد بن علي الظفاري (ت٦٠٧هـ/ ١٢١٠م).

وصنف القاضي المؤرخ عبد الرحمن بن علي حسان (ت٨١٨هـ/ ١٤١٥م) ثلاثة مصنفات في تراجم ومناقب كل من الشيخ محمد بن علي بن أبي علوي (ت٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م)، والشيخ سعيد بن عيسى العمودي (ت٦٧١هـ/ ١٢٧٢م)، والشيخ عبدالله بن محمد بن أبي عباد (القديم) (ت٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م)[(4)]، كما أَلَّف عبدالله بن فضل بن عبدالله بن أبي فضل (ت في ق ٩هـ/ ق١٥م) تأليفًا بيَّن فيه ما لأبيه من مناقب وفضائل[(5)].

---

(١) بروكلمان، الأدبيات اليمنية في المكتبات والمراكز الثقافية العالمية ١٨٨ -الحداد، عقود الألماس، ٢/ ٧٢.

(٢) والكتاب لم يزل مخطوطًا توجد نسخة منه بمركز النور للدراسات والأبحاث تريم حضرموت رقم (٤٧).

(٣) هذه النسخة الخطية الآن غير موجودة ولعلها فقدت أو تلفت، وكان قد اطلع عليها المؤرخ صالح ابن علي الحامد (ت١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م) في شعبان ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م في مكتبة السيد حسين بن عبد الرحمن بن سهل، التي ضمت إلى مكتبة الأحقاف للمخطوطات تريم حضرموت، وهي كما وصفها صالح الحامد نسخة قديمة وثمينة وبخط جميل فرغ من نساختها في ١٩ ربيع الأول ٩٧٨هـ بقلم عمر ابن إبراهيم الحباني.

(٤) خرد، الغرر ٣٩٢ – الشلي، المشرع الروي ٢/ ١١١– الحبشي، مصادر الفكر ٤١٩.

(٥) بافضل، صلة الأهل ١٢٩.

وعني مؤرخو حضرموت بالأنساب وبالأخص نسب آل أبي علوي الذين ينتمون إلى سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب، فألَّف العالم الأديب المؤرخ محمد بن أحمد بن أبي الحب (ت٦١١هـ/ ١٢١٤م) رسائل مصرحة بصحة هذا النسب[١]، وصنف محمد بن سعد ابن محمد بن أبي شكيل (ت بعد ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م) "نبذة في الأنساب"[٢].

أولًا: ترجمة المؤلف[٣]

نسبه: علي بن أبي بكر (السكران) بن عبدالرحمن (السقاف) بن محمد (مولى الدويلة) ابن علي بن علوي بن الفقيه المقدم (محمد بن علي) إلى آخر النسب المعروف والمشهور[٤].

لقبه: نور الدين، وكنيته: أبو الحسن.

مولده ونشأته العلمية: ولد بتريم سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥م ونشأ بها، مات أبوه وهو ابن ثلاث سنين فكفله عمه عمر المحضار (ت٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)[٥]، وحفظ القرآن الكريم وأحاكم تلاوته بقراءة الشيخين أبي عمرو ونافع، وحفظ "الحاوي الصغير" في الفروع للقزويني (ت٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م) في الفقه، و"الحاوي" لملك النحاة ابن صافي (ت٥٦٨هـ/ ١١٧٢م) في النحو، بعد وفاة عمه المحضار لازم أخاه عبد الله العيدروس (ت٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م)[٦]، وأمره بملازمة كتاب "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي (ت٥٠٥هـ/ ١١١١م)، فقرأه عليه مدة حياته خمسًا وعشرين مرة، وكان الشيخ عبدالله يصنع عند كل ختمة ضيافة عامه للفقراء وطلبه العلم

---

(١) مجلة الرابطة المجلد (٣)، الجزء (٦) جماد الآخر، ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م.

(٢) الحداد، عقود الألماس ٢/ ٦٣.

(٣) مصادر ترجمته: بامخرمة، قلادة النحر ٣/ ٣٦٠٧ رقم (٤٣٣٢) – خرد، الغرر ٢١٨ – الشلي، المشرع الروي ٢/ ٢١٥ – الحبشي، عقد اليواقيت الجوهرية ٢/ ٩٨ – السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ٨٥.

(٤) وهو: محمد (الفقيه المقدم) بن علي بن محمد (صاحب مرباط) بن علي (خالع قسم) بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله بن أحمد (المهاجر) بن عيسى بن محمد بن علي (العريضي) لابن جعفر (الصادق) بن محمد (الباقر) بن علي (زين العابدين) بن الحسين (السبط) بن علي بن أبي طالب.

(٥) باعلوي، البرقة المشيقة ١٤٦ – خرد، الغرر ١٩٢ – الشلي، المشرع الروي ٢/ ٢٤١.

(٦) السخاوي، الضوء اللامع ٥/ ١٦ – بامخرمة، قلادة النحر ٣/ ٣٥٩٨ رقم (٤٣١٥) – خرد، الغرر ٢٠٢ – الشلي، المشرع الروي ٢/ ١٥٢.

الشريف، كما أخذ أيضًا عن الشيخ محمد جمل الليل بن حسن بن محمد (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)[١] وقرأ عليه "الإحياء" أيضًا، وعن الشيخ سعد بن علي مذحج (ت٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م)[٢]، قرأ عليه "الإحياء" للغزالي مرتين، و"رياض الصالحين" للنووي، و"منهاج العابدين" و"الأربعين الأصول" للغزالي، و"رسالة القشيري"، و"العوارف" للسهروردي، و"بداية الهداية" و"شرح أسماء الله الحسنى" للغزالي وكتاب المعرفة للمحاسبي وكتاب "التجويد في معرفة معاني كلمة التوحيد" وكتاب "روض الرياحين"، و"المائتي حكاية"، و"نشر المحاسن" و"شرح أسماء الله الحسنى "وكتاب "الإرشاد"، والجميع للإمام عبدالله ابن أسعد، وكتاب "تحفة المتعبد" وغير ذلك من علوم الكتاب والسنة.

كما أخذ عن الشيخ محمد مولى عيديد بن علي بن محمد (ت٨٦٢هـ/ ١٤٥٧م)[٣]، وأخذ الفقه والحديث وعلوم العربية عن الشيخ أحمد بن محمد بافضل[٤]، ثم ارتحل إلى ساحل حضرموت مطلع العقد الرابع من القرن التاسع، وقصد الشحر والغيل ومكث بها أربع سنوات، قرأ فيها على علمائها وشيوخها من الفقهاء آل باهارون وآل باعمار، وعن الشيوخ محمد بن علي باعديلة وإبراهيم بن محمد باهرمز، ومحمد بن أحمد باغشير، وعبد الله بن محمد باغشير، وعبد الله بن عبد الرحمن باوزير[٥]، ثم ارتحل إلى عدن وأخذ بها عن الشيخ مسعود بن سعد باشكيل[٦] والفقيه بعلم، كما ارتحل إلى زبيد وأخذ بها عن عدد من الشيوخ.

وفي سنة ٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م سافر إلى الحرمين الشريفين لأداء النسكين (الحج والعمرة)

---

(١) بامخرمة، قلادة النحر ٣/ ٣٥٧١ - خرد، الغرر ٢٦٢ - الشلي، المشرع الروي ١/ ١٧٧.

(٢) باعلوي، الدر المدهش البهي - بامخرمة، قلادة النحر ٣/ ٣٥٧٢ رقم (٤٢٩٩) - الحامد، تاريخ حضرموت ٢/ ٦٩٤.

(٣) باعلوي، البرقة المشيقة ٤٢ - خرد، الغرر ١٣٧ - الشلي، المشرع الروي ١/ ٢٠٢.

(٤) باعلوي، البرقة المشيقة ٤١ - بامخرمة، قلادة النحر ٣/ ٣٥٧١ - خرد، الغرر ٢٦٢ - الشلي، المشرع الروي ١/ ١٧٧.

(٥) باعلوي، البرقة المشيقة ١٦٤ - الحامد، تاريخ حضرموت ٢/ ٣٠٠، وأخت باوزير زوجة عمه المحضار.

(٦) الإمام العالم القاضي، توفي سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م.

فسكن في رباط باجياد[1] بمكة، وأخذ عن كثير من العلماء سواء المقيمين بها أم الوافدين لأداء الحج، ثم رحل إلى المدينة المنورة وأخذ بها عن الإمام محمد زين الدين أبوبكر العثماني[2] بالحرم النبوي، وقرأ عليه "صحيح البخاري"، بعدها عاد إلى مسقط رأسه تريم، ونصب نفسه للتدريس، وقد انفرد بعلو الإسناد.

كان كثير الاعتناء بكتب الإمام الغزالي ولاسيما كتاب "إحياء علوم الدين"، فقد قرأه كما سبق على أخيه عبد الله (٢٥) مرة، وقرأه عليه ولده عبد الرحمن (٢٥) مرة، فمجموع ذلك قراءة وإقراء خمسون مرة.

وكان كثير الصلاة والصيام طويل القراءة والقيام، مواظبًا على السنن الشرعية.

أوصافه: وصفه بامخرمة[3] بأنه: "من العلماء الراسخين، والأئمة العارفين"، ووصفه خرد[4] بأنه: " الشيخ الكبير، العالم الخبير، القدوة الشهير، شيخ الشريعة، وإمام أهل الطريقة، وبحر علوم الحقيقة...."

ووصفه الشلي[5] بأنه: "الشيخ الإمام العالم الهمام، عنوان النظام وسلطان أرباب الكلام، أستاذ الأستاذين وأوحد علماء الدين، وعمدة المعلمين وهداية المتعلمين، شيخ الإسلام والمسلمين، وإمام المحدثين خادم السنة الشريفة وحامل ألويتها المنيفة".

ووصفه السقاف[6] بأنه: "شيخ الإسلام والمسلمين، وأحد الأئمة المجددين، زعيم

---

(١) رباط أجياد: أو رباط ربيع ويعرف برباط الحضارمة لنزولهم فيه وتوليهم النظارة عليه، أنشأه ربيع بن عبد الله المارديني (ت٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م) بأمر من الملك الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين الأيوبي (ت٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م) سنة ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م (شافعي، الأربطة في مكة، ٧٦).

(٢) محمد بن أبي بكر بن الحسين، أبو الفتح، شرف الدين: فقيه عارف بالحديث. أصله من القاهرة، ومولده في المدينة، ووفاته بمكة سنة ٨٥٩هـ/ ١٤٥٤م (السخاوي، الضوء اللامع ٧/ ١٦٢ –الشوكاني، البدر الطالع ٢/ ١٤٦– الزركلي، الأعلام ٦/ ٥٨) وفي مصادر تشير إلى الأخذ من والده، ويستحال ذلك لوفاته سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٤م.

(٣) قلادة النحر ٣/ ٣٦٠٧ رقم (٤٣٣٢).

(٤) الغرر ٢١٨.

(٥) المشرع الروي ٢/ ٢١٥.

(٦) تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ٨٥.

النهضة الفكرية في أيامه، ومحي شعور القومية والنافح في صورها".

تلاميذه:

١. أولاده: عمر (ت٨٩٩هـ) ومحمد وعبد الرحمن وعلوي وعبد الله.

٢. عمر بن عبد الرحمن صاحب الحمراء (ت ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م) (١).

٣. ابن أخيه أبوبكر العدني بن عبدالله العيدروس (ت٩١٤هـ/ ١٥٠٨م)، قرأ عليه "الإحياء".

٤. محمد بن أحمد بافضل.

٥. قاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد اللطيف العراقي (٢).

٦. محمد بن سهل باقشير.

٧. محمد بن عبد الرحمن باصهي.

مؤلفاته: له مؤلفات نافعة جامعة، في علوم الفقه والتصوف والتاريخ والتراجم والمناقب والفلك على النحو الآتي:

أولًا: في علم الفقه

١. مؤلف في تكبيرة الإحرام.

٢. مؤلف في دعاء الاستفتاح.

٣. مؤلف في التعوذ.

٤. مؤلف في البسملة.

٥. مؤلف في النكاح.

---

(١) السخاوي، الضوء اللامع ٦/ ٩١ - بامخرمة، قلادة النحر ٣/ ٣٦٤٠ رقم (٤٣٦٧). - خرد، الغرر ٢٥٢ - الشلي، المشرع الروي ٢/ ٢٤٠.

(٢) الولي الصالح، قرأ على القاضي محمد باحميش فيما أظن، وقرأ على شيخنا جمال الدين أبي الفضل كثيرًا، وصحبه صحبةً أكيدةً، وكذلك كان بينه وبين الشريف عمر بن عبد الرحمن باعلوي صاحب الحمراء صحبةً ومودةً أكيدةً، وله خط حسن ومشاركة جيدة في الفقه والنحو واستقامة على الكتاب والسنة في غالب أحواله، مع سكينة ووقار عليه سيما الصالحين، وكان أفقه وأصلح من أبيه وجده، توفي بعدن في جمادى الآخرة من سنة تسعمائة (بامخرمة، قلادة النحر ٣/ ٣٦٥١ رقم (٤٤٠٧).

ثانيًا: في علم التصوف

٦. البرقة المشيقة في ذكر لباس الخرقة الأنيقة.

٧. معارج الهداية إلى ذوق جني المعاملة في النهاية.

٨. رسالة في معرفة النفس والروح والقلب وعجائبها، وقد طبعت مع البرقة.

ثالثًا: في علم التاريخ والتراجم والمناقب

٩. الأنموذج اللطيف في مناقب الغوث الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم محمد بن علي علوي، طبع مع البرقة.

١٠. الدر المدهش البهي في مناقب الشيخ سعد بن علي.

رابعًا: في علوم اللغة

١١. مؤلف في قواعد النحو.

١٢. ديوان شعر، تتجلى فيه العواطف القومية ولا يتخطى الجو الصوفي.

خامسًا: في الفلك

١٣. مؤلف في الميقات.

وفاته: بعد حياة حافلة بالعلم والتعليم والتدريس، توفي الشيخ علي بتريم يوم الأحد اثني عشر من شهر المحرم سنة خمسة وتسعين وثمانمائة، ودفن بها بمقبرة زنبل [١]، وقبره معروف غربي (قبلي) قبر عمه الشيخ عمر المحضار [٢].

أولاده: خلَّف من الأولاد سبعة ذكور: عمر ومحمد وعبد الله وعلوي وحسن وأبي بكر وعبد الرحمن، وخمسة بنات: بهية وعلوية ورقية ومريم وعائشة.

مآثره: مسجداه: الأول الشرقي بمنطقة دمون، والآخر المعروف بمسجد الشيخ علي، ووقف عليه أوقافًا ومعمور بإقامة الصلوات الخمس، وقراءة الحزب[٣] بين العشائين

(١) مقبرة زنبل: إحدى مقابر تريم الثلاث، ومدفن السادة آل أبي علوي.

(٢) الجنيد، مرهم السقيم ٦٣.

(٣) يطلق الحضارم مصطلح الحزب ويعنون به الحلقة والدرس القرآني الذي يعقدونه لقراءة القرآن وتدبره الثاني تلو الأول على مقدار معين يطلقون عليه "المقرا".

-أي بين المغرب والعشاء- وبعد الفجر إلى طلوع الشمس، ومن المشهور أن من واظب على قراءة الحزب المذكور فيه أربعين يومًا حفظ القرآن عن ظهر قلب، وأعيدت عمارته سنة ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م [١]، وفيه زاويته العلمية التي يعقد بها درسان في الأسبوع يومي الاثنين والخميس قبل العصر.

ثانيًا: التعريف بالكتاب ومضامينه

١- **عنوان الكتاب**: سمى المؤلف كتابه كما جاء في عنوان نسخه الخطية والنسخة المطبوعة: "البرقة المشيقة في ذكر لباس (أو إلباس) الخرقة الأنيقة، وهو ثابت النسبة لمؤلفه سواء في فهارس المكتبات أم في ببليوغرافية الكتب [٢]، أم من ترجم له[٣]، كما أن المؤلف يشير في ثنايا كتابه وفصوله إلى ذات الشيء[٤].

٢- **تاريخ الكتاب**: لم يشر مؤلف الكتاب الشيخ علي إلى ابتداء تأليف كتابه، كما لم يشر إلى الانتهاء منه، بخلاف من يشير إلى ذلك في عصره، ولكننا ربما نهتدي إلى تخمين تاريخ الكتاب بالاستئناس بتواريخ إجازاته لأبنائه وتلاميذه، وتاريخ آخر إجازة فيه وهي سنة ٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م، أي أنه ألفه في هذا بعد هذا التاريخ.

٣- **طباعة الكتاب**: طبع الكتاب سنة ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م على نفقة الوجيه الكريم الموفق للخير السيد علي بن عبد الرحمن بن سهل جمل الليل عن نسخة خطها الشيخ محمد بن عوض بافضل عن نسخة الشيخ أحمد بن عبد الكريم الأحسائي تلميذ الإمام عبد الله بن علوي الحداد، وأتت الطبعة في (١٧٥) صفحة، ابتدأت بترجمة المؤلف من كتاب المشرع الروي، وألحقت بالطبع كذلك رسالة المؤلف في معرفة النفس والروح والقلب وعجائبها، وقصيدة للمؤلف وبعض من كتبه ورسائله إلى ابنه عبد الرحمن، وأخيرًا كتابه "الأنموذج اللطيف في مناقب الغوث الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي"، لينتهي الكتاب في (٢٣٠) صفحة مع الفهرس العام.

---

(١) الشلي، المشرع الروي ٢/ ٢١٨.

(٢) الكتاني، فهر س الفهارس ١/ ٢٤٩ـ البغدادي، إيضاح المكنون ٣/ ١٧٧ وهدية العارفين ١/ ٧٣٨.

(٣) الزركلي، الأعلام ٤/ ٢٦٧.

(٤) باعلوي، البرقة المشيقة ٢٦، ٣١، ٤٦، ٥٤، ٦٧، ٨٤.

إلا أن الطبعة قد اعتراها بعض الأخطاء المطبعية، فضلًا عن اختلاف بعض المصطلحات في نسخ الكتاب الخطية.

٤- **أهمية الكتاب**: تأتي أهمية الكتاب - البرقة المشيقة ـ للشيخ علي في أنه يعد من أقدم كتب التراجم والطبقات الحضرمية، وتزداد أهمية الكتاب إذا أعددناه ضمن كتب التراجم والطبقات في أنه قد حوى على عدد من تراجم أعلام حضرموت من المتصوفة أو الفقهاء أو القضاة أو غيرهم من القرن السادس الهجري حتى القرن التاسع الهجري، كما أنه يرسم لنا صورة من صور مظاهر الحياة العلمية والاجتماعية.

كما تبرز أهمية الكتاب في أنه يورد أخبارًا تاريخية وتراجم سابقة لعصر مؤلفه، ولاسيما التراجم المعاصرة له مما لا توجد عند غيره من المؤرخين إلا من أخذ عنه.

وتأتي أهمية الكتاب باعتباره المصدر الوحيد لكتب التراجم والطبقات الحضرمية الأخرى من بعده؛ وخاصة في التراجم التي انفرد بها في كتابه، ومن هؤلاء المؤرخين الذين جعلوا كتابه - البرقة المشيقة - مصدرًا من مصادر كتبهم سواء أشاوا إليه نصًّا أم ضمنًا:

١- الطيب بامخرمة (ت٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م) في كتابه "قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر"، حيث أشار في مقدمة كتابه بالاعتماد على مصادره ومنها "البرقة المشيقة" بقوله: وجل اعتمادي فيما فيه عمله.... وكتاب الشيخ الجليل علي بن أبي بكر الموسوم بـ"البرقة المشيقة" [1] ....، وذكر عددًا لا بأس به من تلك التراجم مشيرًا بمصدره من كتاب "البرقة المشيقة".

٢- المحدث محمد بن علي خرد (ت٩٦٠هـ/ ١٥٥٢م) في كتابه"الغرر" حيث أشار ذلك بقوله: واعتمدت في ذكرهم وتخريج الفقهاء والعلماء منهم على كتب التاريخ والطبقات والمعجمات خصوصًا كتاب "البرقة المشيقة" ....[2]

٣- العلامة محمد بن أبي بكر الشلي (ت ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م) في كتابه "المشرع الروي"، حيث أشار في مقدمة كتابه بالاعتماد عليه بقوله: واعتمدت في ذلك على النقل من

(١) بامخرمة، قلاة النحر ١/ ٦.

(٢) خرد، الغرر ٣٤.

كتب أهل السابقة كالجوهر...... والبرقة المشيقة في الخرقة الأنيقة للشيخ علي ابن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف أشار فيه إلى أنموذج مطرز؛ وطراز مبرز، و.....[1].

وربما اعتمد على الكتاب المؤرخُ أحمد بن عبد الله شنبل (ت ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م) في تاريخه "الأقدم الأكمل" وبالأخص في تحديد وفيات الأعلام الذين تعرض لذكرهم.

٥- **الأسباب والدوافع لتأليف الكتاب:** أشار باعلوي إلى الأسباب التي دفعته لكتابة هذا المؤلف، أنه سأله تلاميذه (أبناؤه وغيرهم) أن يلبسهم الخرقة فألبسهم، كما ألبسه مشايخه، فألف هذا ذاكرًا هذا الإلباس ونسبة الصحبة وما يتبعاه، ومفصلًا في أسانيده العلمية وأسانيد شيوخه، متطرقًا إلى موضوعات سنوضحها لاحقًا.

٦- **مضامين الكتاب:** قسم المؤلف كتابه إلى عدد من الفصول، تمحورت في الحديث عن الخرقة الصوفية والتأكيد على لبسها من قبل المريدين، وطرق أسانيدها سواء إلى الرسول ﷺ عن طريق جده عبد الرحمن السقاف، أو الطريقة الأخرى عن طريق الفقيه المقدم محمد ابن علي وهي الطريقة المدينية، ولا يكتفي المريد بهذا بل يجب أن يكون له من العلوم النافعة الأخرى.

٧- **مميزات الكتاب:**

١. استخدام المؤلف المحسنات البديعية من السجع والجناس، وهي ظاهرة تفشت في نتاج ذلك العصر.
٢. الاستشهاد بالشعر: وظَّف الشيخ علي قريحته الشعرية في كتابه سواء بذكر أبيات مدح في غالب من يترجم له، أو إيراد قصائد طنانة رنانة في بعض منهم أسماها بمسميات طوال، وقد بلغت تلك القصائد سبع قصائد، فضلًا عن الأبيات الأخرى في ذات المغزى، معبراً عن هذه الأبيات بقوله: قلت، وحينا أقول.

٨- **مصادره:** اعتمد على عدد من مصادر التاريخ والتراجم أشار بأسمائهن من مثل[2]:

- تاريخ ابن سمرة (ت٥٨٦هـ/ ١١٩٠م) لعمر بن علي ابن سمرة الجعدي، المعروف بطبقات فقهاء اليمن.

---

(١) الشلي، المشرع الروي ١/ ٣.

(٢) باعلوي، البرقة المشيقة ٨٣.

- تاريخ الجندي (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) لبهاء الدين محمد بن يوسف الجندي، والمعروف بالسلوك في طبقات العلماء والملوك.
- تاريخ حسين بن عبد الرحمن الأهدل (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) المسمَّى بتحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن.

كما يشير إلى تلخيص أبو القاسم العواجي، ولم نعثر لا على التلخيص ولا على ملخصه.

وطريقة النقل قوله: ذكر، وقال.

٩- أهم الموضوعات التاريخية المطروقة: رغم أن الكتاب يصنف من كتب التصوف - كما أوضحت - وأن مؤلفه قد وضعه لبيان الخرقة الصوفية وإلباسها وسنده الشخصي لها، وذكر بعض الإجازات بخصوص ذلك؛ التي تحصل عليها من شيوخه، أو التي منحها لأبنائه ومريديه وطلابه، إلا أن أهميته تكمن في احتوائه مادة تاريخية قيمة ونادرة ومفيدة؛ وربما تكون أول من ذكرها ودونها، ومن هذه المادة نذكر ما يلي:

١. رحلتي الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ عبدالله بن أسعد اليافعي (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م) إلى حضرموت، وإنشاده البيتين الشهيرين، اللذين يستشهد بهما إلى اليوم والدَّالين على نهضة حضرموت العلمية:

مررت بوادي حضرموت مسلمًا فألفيته بالبشر مبتسمًا رحبًا
وألفيت فيه من جهابذة العلا أكابر لا يلقون شرقًا ولا غربًا[١]

وهما البيتان اللذان دعيا المؤرخ عبدالله بن حسن بلفقيه (ت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) إلى البحث فيهما وتحليلهما في رسالته العلمية المسومة بـ"لمحة من زاوية التاريخ الحضرمي"[٢].

٢. تصوير الحياة العلمية في عصره، وربما في العصر السابق له، وذلك بذكر شيوخه وأخذه عليهم ومقروءاته عليهم، بل وإعطاء نبذة عن التحصيل العلمي لهؤلاء الشيوخ ونتاجهم العلمي[٣].

---

(١) باعلوي، البرقة المشيقة ٧.

(٢) وقد طبعت هذه الرسالة بتحقيق وتعليق الباحث، عن مركز النور للدراسات والأبحاث سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

(٣) باعلوي، البرقة المشيقة ٤٦ - ٨٩.

٣. الحديث عن الحياة العلمية في القرن السابع الهجري من خلال الحديث عن الجد الجامع لأغلب قبائل السادة المنتسبين له، وهو محمد بن علي (الفقيه المقدم) (ت٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م) وكيفية تصوفه وانتقاله من الطريقة السنية إلى الطريقة الصوفية، وعلاقته بالصوفي الآخر في ساحل حضرموت سعد بن علي الظفاري (ت٦٠٧هـ/ ١٢١٠م)[١].

٣. تعداد الكثير من العلماء والأسر العلمية من حضرموت على مستوى مراكزها العلمية في الداخل والساحل، ومن هذه الأسر في الداخل في تريم: آل أبي علوي، وآل أبي فضل، وآل أبي الحب، وآل أبي عيسى، وآل أبي ماجد، وبنو حاتم، وبنو حميد.

ومن خارج تريم: آل أبي مهرة، وآل أبي هرمز، وآل أبي عباد، وآل أبي ناجيه، وآل أبي حسن، وآل أبي حسين، وآل أبي عكابة، وبنو شراحيل، وبنو عقبة، وآل العمودي.

أما في الساحل فمن مراكزها العلمية: الشحر والغيل والمشقاص، فقد ذكر من هذه الأسر العلمية: آل أبي قحطان، وآل أبي هراوة، وآل أبي غشير، وبنو السبتي، وبنو شكيل، وبنو حسان[٢]، ولعله من اللافت أن نذكر أن بعضًا من الأسر قد انقرض، أو دخل مسماها في مسمى آخر.

وقد ذكر المؤلف تلك اللفتة العلمية رغم أن أهل حضرموت من حيث الجملة تغلب عليهم البداوة الشديدة وجهالة الجفاوة الذميمة، يسترسلون بحكم الطباع، ولا يتقيدون بحكم عقل ولا اتباع [٣]...

٤. الحديث عن هجرة الجد الجامع لآل أبي علوي أحمد بن عيسى (ت٣٤٥هـ/ ٩٥٦م) الذي عرف بالمهاجر لهجرته من البصرة العراقية إلى المدينة المنورة ثم إلى مكة المكرمة، ثم تنقله في البلدان من بلد إلى بلد، إلى أن استوطن حضرموت، ومن ثم استقرار أولاده وذريته في تريم [٤].

٥. التفصيل في أنساب السادة الصوفية، فمثلًا آل أبي علوي إلى علي العريضي

(١) المصدر نفسه ٩٦.

(٢) باعلوي، البرقة المشيقة ١١٦ – ١١٨.

(٣) المصدر نفسه ١٢١.

(٤) المصدر نفسه ١٣٣.

أصغـر أولاد جعفـر الصـادق.

الرفاعيون إلى السيد أحمد الرفاعي من ذرية إبراهيم بن محمد بن جعفر الصادق.

القناويون إلى السيد عبدالرحيم القناوي من ذرية محمد بن إسحاق بن جعفر الصادق [١].

٦. توضيح أسباب اندراس تاريخ حضرموت من عدم الحفظ بالتقيد والكتابة، ووضع التواريخ والاعتناء بها، لأنهم كانوا قديمًا يتناقلون الأخبار بالمذكرات ولم يقيدوها في الكتب، فأهملت بذلك أخبار ومآثر ومحاسن حميدة [٢]، إلا أن هذه العلة لم يرتضيها الحداد[٣]؛ إذ جعل السبب في ضياع تاريخ بلاد حضرموت هو البداوة لا عدم التدوين، فأين "تاريخ بازرعة" وأين "تاريخ حنبل"، وأين ما سوى ذلك؟ الكل قد ضاع والسبب في ضياعه الجهل والبداوة، فإذا مات العالم ترك ما عنده من كتب مضنونة لمن لا يعرفها ولا ينشرها فتأكلها الأرضة وتذهب ضياعًا، والسبب هو الجهل والبداوة والغفلة الشديدة، وهذا مصداقًا لما قاله الجندي: "إن حضرموت مخلاف يغلب على أهله الجهل والبداوة الشديدة"[٤]

الخاتمة:

نخلص من هذه الدراسة البحثية إلى أن النتاج العلمي في مجال علم التاريخ انحصر في طابعه الحضرمي البحت إلا فيما ندر، كان تأثير التصوف بيِّنًا فيه، حيث كثرت فيه الكرامات والمناقب لأولئك المؤرِّخ والمترجم لهم في ثنايا تلك المصنفات، ولم تتطرق وتعالج الأحداث السياسية آنذاك.

إن كتب التصوف تعد من مصادر التاريخ وخاصة التاريخ الحضرمي، لاحتوائها مادة تاريخية قد لا نجدها في أي مصدر آخر.

إن كتاب "البرقة المشيقة" للشيخ علي بن أبي بكر باعلوي (ت٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م) يعد النتاج العلمي التاريخي الثاني الموجود بعد كتاب "الجوهر الشفاف" للخطيب (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م).

(١) المصدر نفسه ١٢٥، ١٢٦.

(٢) المصدر نفسه ١٥٣.

(٣) الحداد، جني الشماريخ ٥٤، ٥٥.

(٤) باعلوي، البرقة المشيقة ١٠٦، الجندي، السلوك ٢/ ٤٦٢.

وتوصي الدراسة بالآتي:

- الاهتمام بكتب التراث بجميع تخصصاتها، واستخراج المادة التاريخية منها؛ علَّ ذلك يسهم في ردم الفراغ التاريخي عن حضرموت.
- على المؤرخ الانفتاح على كل كتب التراث بكل تنوعاته وأفكاره وعقائده دون تسفيه لأي شي منها أو دحره والتقليل من شأنه، لأن الغرض هو البحث واستلهام الماضي بكل ما فيه والاستفادة منه في الحاضر والمستقبل، وللأسف وقع في عصورنا التاريخية الكثير من هذا الطمس الذي أدى إلى ضياع كثير من حضارتنا وثقافتنا.

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر

◉ باعلوي، علي بن أبي بكر السكران (ت ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م)

١- البرقة المشيقة في ذكر لباس الخرقة الأنيقة، مصر، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م، بدون ناشر.

◉ بامخرمة، الطيب بن عبد الله بن أحمد (ت ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م)

٣- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، دراسة وتحقيق: عبد الغني الأهجري، عبد الرحمن جيلان، محمد يسلم عبد النور (على التوالي)، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، اليمن، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

◉ الجندي، أبو عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)

٤- السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: محمد علي الأكوع، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، مكتبة الإرشاد، صنعاء، اليمن.

◉ خرد، محمد بن علي (٩٦٠هـ/ ١٥٥٢م)

٥- غرر البهاء الضوي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، مطابع المكتب المصري الحديث.

٦- السخاوي، الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)

٧- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
الخطيب، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)

٨- الجوهر الشفاف في ذكر فضائل ومناقب وكرامات السادة الأشراف، نسخة حديثة مفهرسة متداولة، بقلم: علي بن سالم الخطيب، سنة ١٤١٠هـ.

◉ الخطيب، محمد بن عبد الله بن سليمان (ت بعد ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م)

٦- البرد النعيم في نسب الأنصار خطباء تريم، مكتبة الأحقاف للمخطوطات، تريم، حضرموت، رقم (١٢٠٠٦)، تاريخ وتراجم.

◉ الشلي، محمد بن أبي بكر بن عبد الله (ت ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م)

٧- المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي، الطبعة الأولى، ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م، المطبعة العامرة الشرفية، مصر.

ثانيًا: المراجع

◉ **بافضل، محمد بن عوض (ت١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م)**

٨- صلة الأهل بتدوين ما تفرق من مناقب بني فضل، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، بدون ناشر.

◉ **باوزير، سعيد عوض (ت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م)**

٩- الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، مصر، ١٩٦١م.

◉ **بروكلمان، كارل**

١٠- الأدبيات اليمنية في المكتبات والمراكز الثقافية العالمية، ترجمة: صالح بن الشيخ أبي بكر، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م، دار الحداثة، بيروت، لبنان.

◉ **البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد البابانى (ت ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م)**

١١- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م.

١٢- هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان

◉ **بلفقيه، عبد الله بن حسن (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)**

١٣- نحو المدخل إلى التاريخ الحضرمي، نسخة مخطوط مصور لدينا.

◉ **الجنيد، أحمد بن علي (ت ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م)**

١٤- مرهم السقيم في زيارة تربة تريم، دراسة وتحقيق: محمد يسلم عبد النور، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، مركز تحقيق التراث، تريم، حضرموت.

◉ **الحامد، صالح بن علي (ت ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)**

١٥- تاريخ حضرموت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م، مكتبة الإرشاد، صنعاء، اليمن.

◉ **الحبشي، عبد الله محمد**

١٦- مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، مركز الدراسات اليمنية، صنعاء، اليمن، بدون تاريخ.

◉ **الحبشي، عيدروس بن عمر (ت ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م)**

١٧- عقد اليواقيت الجوهرية وسمط العين الذهبية بذكر طريق السادات العلوية، الطبعة

الأولى، ١٣١٧هـ، المطبعة العامرية الشرفية - مصر.

◉ **الحداد، علوي بن طاهر بن عبد الله (ت١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م)**

١٨- جني الشماريخ جواب أسئلة في التاريخ، دراسة وتحقيق: د. محمد يسلم عبد النور، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، دار تريم للدراسات والنشر، حضرموت.

١٩- عقود الألماس، الطبعة الثانية، ١٩٦٨م، مطبعة المدني، مصر.

◉ **الزركلي، خير الدين (ت ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)**

٢٠- الأعلام، الطبعة الثالثة عشرة، ١٩٩٨م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

◉ **السقاف، عبد الله بن محمد (ت١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)**

٢١- تاريخ الشعراء الحضرميين، مطبعة حجازي، القاهرة، مصر، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م.

◉ **شافعي، حسين عبد العزيز (الدكتور)**

٢٢- الأربطة في مكة المكرمة منذ البدايات حتى نهاية العصر المملوكي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، مكة.

◉ **الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م)**

٢٣- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة - بيروت لبنان (بدون تاريخ).

◉ **عبد النور، محمد يسلم (الدكتور)**

٢٤- الحياة العلمية في حضرموت في القرنين السابع والثامن للهجرة، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م، وزارة الثقافة، صنعاء، اليمن.

◉ **الكتاني، محمد عَبْد الحَيّ بن (ت ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م)**

٢٥- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م، دار الغرب الإسلامي - بيروت.

ديوان أبي إسحاق الهمداني
مصدرًا تاريخيًا

د. أحمد هادي باحارثة
جامعة الأندلس/ صنعاء

مدخل

اختلف المؤرخون الحضارمة في حقيقة وجود شخصية الشاعر أبي إسحاق إبراهيم بن قيس الهمداني، وفي نشأة دولته الإباضية بحضرموت في القرن الخامس الهجري، فتشكك بعضهم في وجودها[١]، إلا أن أكثرهم على إثباتها ومن بينهم عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، وسعيد عوض باوزير، ومحمد بن أحمد الشاطري [٢] ومحمد عبدالقادر بامطرف[٣]، أما المؤرخ عبد القادر محمد الصبَّان في ذكر كتاب له أنه سعى في التثبت من حقيقة الشاعر، حتى استيقن منها باطلاعه على مخطوطة لكتاب آخر غير الديوان من تأليف أبي إسحاق الهمداني، هو كتاب (مختصر الخصال) في فقه الإباضية بحضرموت[٤].

وقد وقف أحد الباحثين العمانيين هو بدر بن هلال اليحمدي عند شخصية الشاعر، وناقش ما دار حوله، وحول ديوانه من شكوك، ومن ذلك جوابه عن ما ورد عن المؤرخ الحضرمي علوي بن طاهر الحداد من أن الشاعر "لا حقيقة له، وأن حكايته مفتعلة كحكايات السينما، وألف ليلة وليلة، وأشعاره قد نظمها شعراء الإباضية بزنجبار وعمان، والشيخ سليمان الباروني نفسه"[٥]، فقال اليحمدي: "هو يقصد فيما يبدو بإباضية زنجبار

(١) انظر تاريخ حضرموت، صالح بن علي الحامد، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٣، ١/ ٢٤٧.
(٢) انظر أدوار التاريخ الحضرمي، محمد أحمد الشاطرى، دار المهاجر للنشر والتوزيع، تريم، ط٣، ١٩٩٤، ١٢٥.
(٣) انظر الجامع، محمد عبد القادر بامطرف، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، ١٩٩٨.
(٤) عبد الصمد باكثير شاعر حضرموت في القرن العاشر، عبد القادر محمد الصبان، المركز اليمني للأبحاث الثقافية، المكلا، ١٩٧٩، ٣٣.
(٥) تاريخ حضرموت ٢٦٧.

الشيخ سالم الرواحي، وبإباضية عمان الشيخ نور الدين السالمي"[1] ؛ لأن هذين الرجلين مع الباروني هم من يعود لهم الفضل في إبراز الديوان المطبوع، والتعريف بالشاعر، فكأن الحداد يتهمهم باختلاقه.

لكن اليحمدي يخبرنا أنه عثر على مخطوط للديوان يعود تاريخه إلى ما قبل ١٣٠ عامًا، أي قبل ميلاد هؤلاء المذكورين، منوهًا أنهم "لم يلتقوا في حياتهم"[2]، وإنما استفاد الباروني من ترجمة وضعها الرجلان للشاعر فلخصها، وأضافها للديوان الذي جمعه بنفسه من نسخ متعددة، مبينًا ما قد يكون بينها من فروق، وقال اليحمدي: "إن هذا الديوان كبير جدًا يصل عدد أبياته إلى نحو ثلاثة آلاف بيت، وعدد قصائده إلى ستين قصيدة، كما أن أسلوبه متميز جدًا دال على أنه نابع من شاعر قديم، له قضية معينة يصطبغ بها كل ديوانه"[3].

وقد ترجم له ودرس شعره الدكتور المصري شوقي ضيف، ضمن شعراء حضرموت المنتمين إلى طائفة الخوارج، فأشاد بشاعريته وقال: "يبدو أن الشعر سال على لسانه مبكرًا، مما جعله يخلِّف ديوانًا، وهو يصور فيه حياته وأحداثها تصويرًا تامًا"[4]، كما أثنى الشاطري على شاعرية الهمداني وقال بأن "له قصائد بليغة طنانة، امتازت بالرصانة والجزالة"[5].

---

(١) ديوان الإمام الحضرمي، إبراهيم بن قيس الهمداني، تحقيق: بدر بن هلال اليحمدي، شركة المعالم للإعلام والنشر، مسقط، ٢٠٠٢، ٢٣.

(٢) نفسه ٢٤.

أقدم مخطوطة متكاملة معروفة لهذا الديوان هي نسخة مغاربية يعود تاريخها إلى سنة ١١٤٧ هـ/ ١٧٢٦ م، وناسخها هو أحد إباضية ليبيا، وهي موجودة حاليًا في عمان، وهذه المخطوطة وغيرها لا تطلق على الديوان تسمية (السيف النقاد) ما عدا طبعة الباروني، مما يرجح أن العنوان كان من وضعه، ويقول محققه اليحمدي في دفاعه عن أصالة الديوان: "إن هذا الديوان كبير جدًا يصل عدد أبياته إلى نحو ثلاثة آلاف بيت، وعدد قصائده إلى ستين قصيدة، كما أن أسلوبه متميز جدًا دال على أنه نابع من شاعر قديم له قضية معينة يصطبغ بها كل ديوانه، وكل من له ذائقة أدبية يدرك ذلك بشكل واضح، كما أن هناك بعض المفردات مثل كلمة (عاد) وكلمة (بافلان) دالة على أنها من بيئة يمنية ". ص٢٤.

(٣) نفسه.

(٤) عصر الدول والإمارات (٥)، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٣م، ١٧٤.

(٥) أدوار التاريخ الحضرمي ١٢٦.

وكان الشاعر قد أكثر في شعره من ذكر البلدات الحضرمية، وقد وقف محقق الديوان عند كثير منها، فلم يتعرف عليها، فأخطأ في تفسيرها أو في روايتها، ومن ذلك قول الشاعر:

وذو صبح فيها لعمرك عصبة يطيب الثنا في مردها والأشائب

فقال المحقق: "ذو صبح لعله اسم قبيلة من القبائل، غير أني لم أجده في كتب الأنساب، كالأنساب للسمعاني، أو جمهرة أنساب العرب لابن حزم"[1]، والصحيح أن (ذو صبح) منطقة حضرمية معروفة بواديها، و"كان بها كثير من الإباضية" كما يقول ابن عبيد الله السقاف [2].

وفي القصيدة نفسها يقول الشاعر:

وكم في مدود أو تريس وأختها حبوض وبور من أباضي راغب

وما من شك أن المقصود بمدود قرية (مدودة) المعروفة، فاختار المحقق روايته بتغيير مدود إلى مديد، وتريس إلى نرس، فالأولى موضع بالحجاز والأخرى بالعراق، بينما السياق يدل على أن المذكورات كلها بلدات حضرمية متجاورة، تؤيده روايات النسخ التي عرضها المحقق نفسه [3]، لكنه لم يتعرف عليها، فأخطأ في اثنتين، وسكت عن الثالثة وهي (بور)، فلم يعلق عليها، بل لم يوردها في فهرس الأماكن، وكأنه ظن أنها صفة لما ذكر من قرى بالبوار.

وفي الصفحات الآتية نرى كيف تعامل ثلاثة من مؤرخي حضرموت مع ديوان الهمداني في اتخاذه مرجعًا لكتبهم التاريخية؛ ولبعض ما جاء فيها من أخبار وأعلام، وهم: عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف في كتابه (إدام القوت بذكر بلدان حضرموت)، وسعيد عوض باوزير في كتابه (صفحات من التاريخ الحضرمي)، وعلي بن صالح الحامد في كتابه (تاريخ حضرموت).

---

(١) ديوان الإمام الحضرمي ٩٦، وانظر ٢٨٣.

(٢) إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، دار المنهاج، بيروت، ٢٠٠٥، ٥٨٧.

(٣) ديوان الإمام الحضرمي ٩٧.

ديوان أبي إسحاق الهمداني مصدرًا تاريخيًا لدى ابن عبيد الله السقاف

عرفنا أن المؤرخ عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (ت ١٩٥٧) يقر بوجود شخصية أبي إسحاق الهمداني بوصفه شاعرًا، وإمامًا للإباضية والإباضيين في حضرموت[١]، وأنه عاش في القرن الخامس الهجري[٢].

ولأن "الشعر السياسي يمثل حضورًا واسعًا في ديوانه"[٣] فقد اتخذ ابن عبيد الله شعر أبي إسحاق مرجعًا له في موسوعته التاريخية والجغرافية (إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت)؛ فرأيناه قد استشهد بكثير من أشعاره على ما شهده عصر الشاعر من دول وأعلام وأحداث، ومن بين ذلك استشهاده عند الحديث عن منطقة حجر التي تعرف بحجر بن دغار بقول أبي إسحاق [٤]:

سيعلم دغار بن أحمد والفتى ... سلالة مهدي وكل مخالف

إذا نزل المستنصرون بجحفل ... يهزون بيضًا كالبروق الخواطف

فقال ابن عبيد الله: "الظاهر أنه أبو حجر الذي ينسب إليه هذا الوادي"[٥]، أي وادي حجر.

وأشار إلى شخصية تدعى (سويد بن يمين)، ملاحظًا كثرة ذكرها في شعر أبي إسحاق، فقال: "لسويد بن يمين ذكر كثير في شعر إمام الإباضية إبراهيم ابن قيس"[٦]، ولكنه لم يأتِ بمثال من شعره، وهو يشير إلى مثل قوله [٧]:

---

(١) إدام القوت ٥٢٦ و٨٦٢.

(٢) نفسه ٩٥.

(٣) شعر الإمام أبي إسحاق الحضرمي.. دراسة فنية، خالد حيدرة محمد الوحيشي، رسالة ماجستير، جامعة عدن، كلية التربية، ٢٠٠٧.

(٤) ديوان الإمام الحضرمي إبراهيم بن قيس الهمداني، تحقيق بدر بن هلال اليحمدي، شركة المعالم للإعلام والنشر، مسقط، ٢٠٠٢، ٢٨٧.

(٥) إدام القوت ٩٥.

(٦) نفسه ١٠٣٥.

(٧) ديوان الإمام الحضرمي ٢٦٦.

سـويـد الــذي أيــام كـنـت بـدوعـنٍ سقى السـيف حتـى مجدتـه المجالـس
فكـيـف يغـيـب الـيـوم عـنـي انـتـصـاره وهــأنــذا فِــي دَارِه الــيــومَ جَــالــسُ
فـيــا ابــن يـمــيـن زادك الله رفــعــةً أيغشى الـكـرى عينيك والـحـق طامسُ

وأورد أبياتًا من شعره دلَّل بها على مناطق وجود الإباضية وانتشارها بحضرموت(١)، وبأبيات أخرى على كثرة علمائهم في عهد الشاعر، ولاسيما في مدينة شبام(٢)، تلك الأبيات هي قوله(٣):

فقلتُ وَمَـا يُبْكِيـكَ يـا خـود؟ لَا بكت لـك الـعـيـن مـا هـبـت ريــاحٌ زعــازعُ
فقـالـت بكيـت الـدِّيـنَ إذ رثَّ حبله ولـلـعـلـمـا لـمـا حـوتـهـم بـلاقـعُ
فـأيـن الألـى إن خـوطـبـوا عـن دقـائـق مـن الـعـلـم أنـبـوا سائليهم وسـارعـوا
فـقـلـت لـهـا هــم في شـبـام، ومـنـهـم بـمـيـفـعـة قــوم حـوتـهـم مـيـافـعُ
وفي هـيـنـن مـنـهـم أنـــاس، ومـنـهـم بـذي أصبـح حيث الـرضـا والـصـمـادعُ
ومـنـهـم بَــوادِي حـضـرموتَ جـماعـة وأرض عــمــانَ سـيـلـهـم ثــم دافــعُ

كما استشهد ببعض شعره على محطات مختلفة من حياته، ومن بينها لجوء أبي إسحاق إلى قبيلة بني سهل في منطقة هينن(٤)، حيث يقول(٥):

فـيـا لـبـني سـهـل أضـفـتـم جـمـاعـتي وآويـتــمــوني يــوم خــرب مــوطـني
وصـــرت مـلـيـكًـا فـيـكـم مـتـمـكـنًـا كـنـيـنًـا حـصـيـنًـا مـكـرمًـا غـيـر هين
سـوى أنـنـي يـا قـوم لـم أقـضِ حاجة لـديـكـم ولا عـايـنـت أمــرًا يسـرني
فــإن تـنـصـروني فـالـرجـيـة مـنـكـم وإن تـعـجـزوا قـابـلـتُ أرضًـا تـعـزنِي

(١) انظر إدام القوت ٨٢ و٥٨٧ وغيرها
(٢) نفسه ٥٢٦
(٣) الديوان الإمام الحضرمي ٢٨٢
(٤) إدام القوت ٤٥٧
(٥) الديوان الإمام الحضرمي ٤٥٩

ولم يكن ابن عبيد الله يقبل بكل ما يورده الشاعر في ديوانه على علاته، بل وجدناه يسلط حسَّه النقدي التاريخي لبعض ما يذكره أبو إسحاق في ديوانه؛ فلم يكن يسلم لكل ما يورده من أخبار عن بطولاته في معاركه مع خصومه، بل لا يراه صادقًا في ما يذكره في شعره عن خضوع حضرموت لسلطته، وانتصاراته على الصليحي، ويرى أنه كان يحتال بذلك الاختلاق لأخبار انتصاراته على أئمة عمان الإباضيين؛ ليستدر مساعدتهم له، وقال في هذا الصدد: إن إمام الإباضية إبراهيم بن قيس كان يراوغ أئمة عمان، ويستدر منهم المعونة والمئونة بزعم أنه يزاحف الصليحي، وهو غير بار في قوله:

وأما نَواحِي حضرموت فإنَّها ... بحولِ إلَهِي طوعُ أمري كخَاتَمِي
ولم يبقَ لي إلا الصليحي قائمًا ... وها هو أيضًا سعده غير قائم
وقد نزعت عنه القبائل قصدنا ... لمَّا نظرت من رغمها في المآثم

وإنما كان الأمر بالعكس، وما نجاه من براثن الصليحي إلا هربه ولياذه بـ(تجيب)، وخضوعه لهم، وتملقه إليهم... فلقد جاءهم بجريعة الذقن فأجاروه، وأجاز الصليحي جوارهم إياه"[1]، ويستدل على هذا بأشعار أبي إسحاق السابقة التي يتحدث فيها عن لجوئه لبني سهل.

وقد توسع الناقد المؤرخ سعيد عوض باوزير بعد ابن عبيد الله السقاف، في الاستعانة بشعر إبراهيم بن قيس، بوصفه الشاهد الوحيد على حياة الشاعر وعصره، في كتابه (صفحات من التاريخ الحضرمي)[2].

---

(١) إدام القوت ٥٣٧، وانظر الأبيات في ديوان الإمام الحضرمي ٣٩٩

(٢) انظر الكتاب في الصفحات ٦٦ - ٧٩

ديوان أبي إسحاق الهمداني مصدرًا تاريخيًا لدى سعيد عوض باوزير

تناول باوزير تاريخ حياة أبي إسحاق الهمداني وعصره، الذي هو من أشد فترات التاريخ الحضرمي حلاكة، وأشدها جهالة، وشحة فى المصادر والمعلومات، فكان ديوان هذا الشاعر هو السراج الوحيد الذي حاول به باوزير إضاءة جوانب من حياته وصورة عن مجتمعه، وفي هذا يقول باوزير: "الديوان هو المرجع الصحيح لتاريخ الرجل؛ ففيه يتحدث عن مبدأ أمره ومنتهاه، وعمَّا جرى له بين ذلك من أسفار، وحروب، وضعف، وقوة، وما يتصل بذلك كله من وصف للبلاد والناس والحوادث"[(١)]، وقال: "سنحاول أن نمضي في عرض تاريخ الرجل قدر الإمكان، مستندين إلى شعره الذي ليس في أيدينا من تاريخ غيره"[(٢)].

لقد عاش هذا الشاعر في القرن الخامس الهجري، وأمثال هؤلاء الشعراء الموغلين في القدم مهما بذل من يصورهم من جهد فإن صورهم تظل ناقصة، ومن ثم كان لابد لمن يحاول إعطاء صورة عن حياتهم "أن يستعين بخياله في تصويرهم؛ ليستكمل به ما محاه الزمن من حياتهم، فإن حياتهم تبدو كتماثيل مهمشة، ولابد من يد صناع كي تعيد تكوينها"[(٣)]، وهو خيال مقيد بواقع النص الصادر عن الأديب قد يستخدمه المؤرخ في شرح العلاقات الغامضة بين الجمل والفقرات، والإشارات التاريخية للنص، ثم الإشارات المتعلقة بحياة الكاتب نفسه، حالة كون النص مرتبطًا بحياته "[(٤)] كما هو حال ديوان الهمداني.

شرع باوزير يصوب نظراته لديوان الهمداني يتتبع قصائده ويستخلص من بين أبياتها مراحل من حياة الشاعر، وعلاقته بعصره، راضيًا في بعض الوقائع والأحداث بالوضوح في تناول الشاعر لها في شعره، فها هو الهمداني مثلًا يتحدث في مواضع من شعره عن نسبه

(١) صفحات من التاريخ الحضرمي، سعيد عوض باوزير، مكتبة الثقافة، عدن، د ت، ٧٠.
(٢) نفسه ٧٣.
(٣) في النقد الأدبي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٣، دت، ٦٣.
(٤) اللانسونية وأثرها في رواد النقد العربي الحديث، د عبد المجيد حنون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦، ٧٣.

وموطنه ومذهبه، حيث يقول [1]:

فَإن تَسْأَلَا عَنِّي وَعن أَهْل مَذْهَبِي وَعَنْ أَينَ دَارِي أَنتِ يَا أَمَ حَازِمِ
فَإنِّي مِن هَمَدانَ أَصْلِي وَقُدْوَتِي فَمِردَاس والأوطان أرض الحَضارمِ
أَنا الرجلُ الدَّاعِي إلى الحق والذي أبت نفسه شتمَ الطُّغاةِ الأَشَائِم
أَنا الرجلُ الشَّارِي الذي باعَ نَفْسُه وَأصْبَح يَرجُو الموتَ عند التَّصَادمِ

والعجيب أن باوزير لم يقف على إشارة الهمداني لنوع مذهبه الخارجي الذي تعددت فرقه، مع أن هذا يعد من صميم ما كان ينبغي له عمله في الاستفادة من شعر الهمداني، في وصف معتقده الذي هو جزء مهم من شخصيته، ويظهر ذلك بالمقارنة مع الدكتور شوقي ضيف الذي وقف عند تلك الأبيات فقال: "هو في الأبيات يصرح بأنه حَضرمي، من همدان، وأنه أخلص نفسه للدعوة الإباضية، ويصف نفسه بأنه من الشُّراة، وقد سمى الخوارج أنفسهم بهذا الاسم إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾، وهو يعلن أنه باع نفسه لربه والدعوة لنحلته، وأصبح يطلب الموت والاستشهاد في سبيلها حتى يفوز برضوان الله"[2].

ومن ذلك حديثه عن تثبيت ملكه بحضرموت ضد خصومه المحليين، بمساعدة من سلطان عمان، فيقول ممتنًا لتلك المعونة العسكرية ومع حققه بواسطته من نصر[3]:

وَسَاروا بِحمد الله حَولي كَأَنَّهم بدورٌ ولكن في الوغى كالضراغم
فما كان إلا جمعة بعد جمعة وأدَّت إلي العُشْرِ أهل الحَضَارِم
سَل الخُطَبَا لما دَعَوا لك جَهْرةً عَلى رُغم أَهلِ الجور بعد التَّصادمِ

(١) ديوان الإمام الحضرمي ٤٥٠.

(٢) عصر الدول والإمارات (٥) ١٧٤، ومرداس المذكور هو أبو بلال مرداس بن حدير أحد أعلام الإباضية، قتل سنة ٦١ على يد الأمويين، انظر الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢، ٧/ ٢٠٢، ويقصد الشاعر هنا أنه اتخذه قدوة له، انظر الديوان بتحقيق اليحمدي ٤٥٠.

(٣) ديوان الإمام الحضرمي ٣٩٨.

وسَـلْ عـربَ البـيـداءِ هـلَّا أذقْـتَـهُـم عَـشِـيَـةَ خَـانُـوا العـهـدَ سـم الأَراقِـم

وأمـا نَـواحـي حـضـرمـوت فإنـهـا بـحـول إلـهـي طـوع أمـري كـخَـاتَـمِـي

كما أشار إلى حديثه عن حروبه مع جاره المنافس علي بن محمد الصليحي، حيث يقول متحدثًا عن استقواء الصليحي ضده بحلفائه الفاطميين في مصر:(١)

يـخـوفـنـي أن الـمَـعَـدَّ مـلاذه بـمـصـر ومـا خـوفي لأهـل الـمظـالـم

إذا وفـده ولَّـى إلـى مـصـر رائـدًا مـضـى وفـدُنـا لـخـيـر الـمَـعَـالِـم

وقد روى باوزير البيت الأول بكلمة (المعز) بدلًا من المعد، ومن ثم ظن أن الشاعر سمى الخليفة الفاطمي المستنصر (المعز)(٢) ربما على سبيل الغلط أو ما شابه، بينما المقصود هو المعد، وهو اسم هذا الخليفة أي مَعَدّ بن علي، والعجيب أن الدكتور شوقي ضيف أورد الرواية نفسها وعلق عليها بقوله: "واضح أنه سمى المستنصر خليفة مصر حينئذ المعز، كأنه لا يعرف لقبه الحقيقي"(٣)، فيبدو أن كليهما أخذ من طبعة ورد فيها ذلك الخطأ الطباعي، وقد روى مصححًا في النسخة المحققة(٤)، إلا أن المحقق أخطأ في ضبط الكلمة من حيث الحركات فجعلها على زنة المعز (المُعِد)، والصواب ما أثبته.

والمقصود بخير المعالم في البيت الثاني الإمام العماني الخليل بن شاذان، وهنا يأتي إشكال تاريخي وقف باوزير إزاءه، ليقارن بين ما ورد في ديوان الشاعر الحضرمي، وما سطرته كتب تاريخية عمانية؛ وهو كما يقول: "إن المعروف في التاريخ أن الخليل بن شاذان إمام عمان الذي استنجد به أبو إسحق على الصليحي توفي سنة ٤٢٥هـ، وأن حركة الصليحي إنما بدأت في اليمن سنة ٤٢٩ هـ، يعني أنه يجب أن يكون الخليل على قيد الحياة إلى ما بعد هذا التاريخ؛ ليصح استنجاد الهمداني به على الصليحي.

---

(١) نفسه ٤٠٠.

(٢) صفحات من التاريخ الحضرمي ٦٩.

(٣) عصر الدول والإمارات (٥) ١٧٥.

(٤) ديوان الإمام الحضرمي بتحقيق اليحمدي ٤٠٠.

وقد رجعت إلى كتاب (تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان) لأبي محمد السالمي، فوجدت المؤلف لا يقطع بأن وفاة الخليل كانت سنة ٤٢٥ هـ بالضبط، وإنما كان يحكي على سبيل الترجيح فقط، ولذلك يبقى هناك أمل في حل هذا الإشكال بأن يقال مثلًا بأن ترجيح صاحب تحفة الأعيان يحتاج إلى إعادة نظر، وأن من المحتمل أن يكون الخليل قد عاش إلى ما بعد ذلك التاريخ لينتفي التعارض"[١]، وهذا الإشكال واحتمال حله الذي أورده باوزير أكدَّه المحقق العماني بدر اليحمدي، ونوه به قائلًا: "هذا هو الأسلوب الأمثل في حل الإشكاليات التاريخية، وليس التشكيك والرفض، ومن هنا استجاب المؤرخون العمانيون للدعوة المنطقية لإعادة النظر في تاريخ وفاة الخليل"[٢]، فعثر بعضهم على وثيقة تؤكد تأخر فترة الخليل إلى زمن الشاعر "وحلت الإشكال الذي كان مخيمًا على المؤرخين"[٣].

لكننا نجد باوزير يقف في أحايين كثيرة وقفة الحيران من اقتضاب كثير من أبيات قصائد ديوان أبي إسحاق الهمداني، أو غموض إشاراتها إلى أحداث أخرى في حياة قائلها، أو إلى أشخاص ذوي نفوذ عاصرهم، مثل حديثه عن رجل من سادة كندة أعانه في تثبيت سلطانه بحضرموت، وذكر عنه قوله[٤]:

فَفِي الشرق قد أضحى الهدى بعد ذلة ... عزيزًا بملك راجحِ الحلمِ حَازِمِ
حميٍّ حمي الأنف شهمٌ غَشَمْشَم ... أخي نجدة صعب صليب الشَّكَائِم
تردى ردًا عزٍّ وجود فكفه ... محل المنايا والعطايا الجسَائِم
أبي الفضل عباس بن معن بن حوشب ... ذرا المجد كندة العليا الملوك القماقم

هو عبد الله بن حميد بن سلوم السالمي، مولده ووفاته في عمان، مؤرخ وفقيه، من كتبه (تحفة الأعيان في تاريخ عمان)، توفي سنة ١٩١٤، أعلام الزركلي ٤/ ٨٤.

(١) صفحات من التاريخ الحضرمي ٧٠.

(٢) الديوان بتحقيق اليحمدي ٣٠.

(٣) نفسه ٣١.

(٤) ديوان الإمام الحضرمي ٤٥٦.

أقــمــت سنـيـنًـا قـبـل ألـقـــاه لاهـيًـا   أقــاســي عُـــداةَ الــحـق مــر الـعـلاقـم
فـلـمَّـا الــتَـوَتْ كـفـي بـيـمـنـاه أخـمـدت   عــســاكـره بـالـرغـم نـــار الـمـخـاصـم

فقال باوزير: "لا نعرف عن هذا الملك الكندي أكثر مما ذكره أبو إسحاق"(١)، وليس هذا أمرًا غريبًا على الشعر الذي غالبًا ما يميل إلى الإيجاز، ويكتفي "بالمقدمات دون النتائج، وعكس ذلك أيضًا، مائلًا بذلك إلى الرمز والإشارة واللمحة دون التصريح والتفسير"(٢) خلافًا للأسلوب النثري، ولم يكن هذا الأمر عازبًا عن فكر باوزير؛ فنجده يطيب خاطر حس المؤرخ في نفسه حيث يقول: "إن ديوان أبي إسحاق حافل بتاريخ حياته، ولا ينقصه سوى الشرح والإيضاح لبعض الحوادث، حيث يضيق الشعر عادة بهذه المهمة، ويتكفل بهذا النثر وحده"(٣).

وباوزير بطبيعة الحال لا يكتفي في تتبع سيرة الهمداني على ديوانه فحسب، بل نراه يعود لمراجع تاريخية مساندة، سواء ما كان منها لمؤلفين حضارمة أو عمانيين (٤)، ولربما قارن بينها وبين الديوان في بعض المعلومات، ومن ذلك ما أشرنا إليه سلفًا من أن الشاعر قد استعان بالسلطان العماني الخليل بن شاذان في حروبه ضد خصمه الصليحي الذي بدأ نفوذه بالصعود في اليمن سنة ٤٢٩، بينما لاحظ باوزير أن بعض المصادر العمانية (تحفة السالمي) تفيد بوفاة الخليل قبل ذلك بسنوات وبالتحديد سنة ٤٢٥، لكن باوزير رجح تأخر وفاته عن هذا التاريخ استنادًا إلى شعر الهمداني، وعدم قطعية التحديد لسنة الوفاة في المرجع العماني التاريخي(٥).

---

(١) صفحات من التاريخ الحضرمي ٧٦، ويرجح ناشر الديوان الباروني ومحققه اليحمدي أن يكون أحد قواد الهمداني أو معاونيه في حروبه لاستتباب الأمر له. انظر تحقيق اليحمدي ٨٥.

(٢) الأسلوب، أحمد الشايب، المطبعة الفاروقية، الإسكندرية، ١٩٣٩، ٦٥.

(٣) صفحات من التاريخ الحضرمي ٧٣.

(٤) فمن المراجع الحضرمية كتاب بضائع التابوت لابن عبيد الله السقاف وهو مخطوط، وكتاب جني الشماريخ لعلوي بن طاهر الحداد، ومن المراجع العمانية كتاب تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان لأبي محمد السالمي، كما استفاد من مقدمة سليمان عبد الله الباروني (١٨٧٠-١٩٣٨) للديوان.

(٥) انظر ص٧٠، ونوه بملاحظته اليحمدي في تحقيقه للديوان ٣٠.

لقد كان سعيد عوض باوزير يتتبع ديوان الهمداني بذهنية المؤرخ، وليس بذائقة الناقد الأدبي؛ لذا لم يقف على أي نواح جمالية فيما أورده من نصوص استنطقها أخبارًا تاريخية محضة، ولا يضيره ذلك في شيء في وقت لم يعد فيه بوسع المؤرخين أن يتجاهلوا النتاج الأدبي على شتى مستوياته إذا أرادوا استرداد صورة عصر ما أو مجتمع ما من ذمة الماضي"[١].

ديوان أبي إسحاق الهمداني مصدرًا تاريخيًا لدى صالح بن علي الحامد

أفرد صالح بن علي الحامد الشاعر الهمداني بترجمة في تاريخه عن حضرموت، مع أنه من المتشككين في حقيقة وجود شخصيته في القرن الخامس؛ وأرجع ذلك إلى "عدم ذكر التاريخ الحضرمي لها، وعدم إشارته إليها، بل تواريخ اليمن أيضًا"[٢]، ومستأنسًا برأي المؤرخ علوي بن طاهر الحداد في رسالة بعثها له [٣] ؛ لذا رأيناه يغفل ذكر شعره في تناوله لأدب القرنين الخامس والسادس الهجريين، ولم يتمثل به بوصفه نموذجًا لحال الأدب والشعر في الأدب الحضرمي فيهما، لكنه مع ذلك أورد نماذج شعرية متفرقة من ديوان الهمداني بوصفه مصدرًا يستشهد به في ترجمة شخصيته، وفي ذكر بعض حوادث عصرها، حيث قال: "إن ما استقينا ما نرويه ورويناه عنها بواسطة تاريخ عمان، وبواسطة ما نشره الشيخ سليمان الباروني من شعر هذا الرجل، وهو ديوان السيف النقاد" [٤].

وقد عاد الحامد لديوان الهمداني في موضعين من تاريخه؛ عند عموم حديثه عن نشاط الإباضية في القرنين الرابع والخامس الهجريين في خضم الحضور العلوي بحضرموت منذ وصول جدهم أحمد بن عيسى المهاجر إليها في القرن الرابع الهجري، وقد لاحظ أن الديوان قد خلا من "ما يشير إلى العلويين إشارة تخصهم غير الإشارة إلى مناوئيه وأعدائه

(١) بين الأدب والتاريخ، د قاسم عبده قاسم، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦، ٦

(٢) تاريخ حضرموت ١/ ٣٧٩.

(٣) نفسه ٢٦٧، وانظر تعليق عبد الرحمن جعفر بن عقيل حول استدلال الحامد برسالة الحداد، صفحات من تاريخ إباضية عمان وحضرموت، دار حضرموت للدراسات والنشر، ٢٠٠٦، ٢٥١.

(٤) نفسه ٣٨٢.

بالتعميم"[١]، ومع ذلك جعل نهوض هذا الشاعر من آثار النهضة التي رأى أن جده أحمد بن عيسى المهاجر قد بعثها بحضرموت آنذاك، فقال: "الظاهر أن أدبه وثقافته كانت بعد نتائج النهضة العلمية بحضرموت التي بعثها العلويون، وغذوها بكل ما أوتوا من قوة، فانتشرت وشملت بخيرها الموالي والمخالف" [٢].

والموضع الآخر عندما أفرده بالترجمة مع عدد من أعلام حضرموت في القرون الهجرية الثالث والرابع والخامس، موردًا مقتطفات من أشعاره عن تأصيل نسبه وحضرميته وعن استعانته بأئمة عمان ورحلاته إليها، وعن معاركه بوادي حضرموت ومن ذكره خلالها من أنصاره وخصومه، كل ذلك بإيجاز واقتضاب شديد، يلفه حذر التشكيك الذي يملأ نفس الحامد في شخصية الشاعر التي نعتها بالمستغربة لسكوت التواريخ الحضرمية السابقة عنها[٣].

وقد تولى الأستاذ كرامة بامؤمن مناقشة الحامد في تشككه بشخصية أبي إسحاق، فقال: "كي لا ينقض هذا الغزل والحبك التاريخي لحالة حضرموت من جمود إلى نهضة، ومن شوكة للإباضية، ثم تلاش وانقراض؛ فقد شكك الأستاذ صالح علي الحامد صاحب هذا الحبك في حقيقة ظهور دولة للإباضية في شبام، بإمارة الشاعر إبراهيم بن قيس الحضرمي الإباضي"[٤]، لكننا رأينا الحامد وإن تشكك في الهمداني إلا أنه لم يغفل ذكره، بل وضع حياته وإمارته في الاعتبار، فلم يسقطه من سياق عرضه للحوادث أو التراجم، وكان يعود في ذلك لديوان الشاعر، وللمصادر المعروفة التي تناولت حياته وإمارته.

لكن بامؤمن في الوقت الذي أخذ فيه على الحامد تشككه في الهمداني وإمارته، نجده هو نفسه يقع في التشكيك، وذلك حينما لم يساعده السياق التاريخي الذي أراد

---

(١) نفسه ٢٥٠، وقد لاحظ أحد الباحثين ذلك الإغفال، وعلق عليه بقوله: "هل معنى ذلك ضعف العلويين في أحداث التاريخ الحضرمي آنذاك، أم أن هجرة جدهم الأول لم تتحقق في القرن الرابع الهجري كما يذهب البعض؟"، انظر إباضية حضرموت من القرن الثاني إلى القرن السابع للهجرة، عبد الكريم محروس سعيد ميزان، رسالة ماجستير، جامعة حضرموت، كلية الآداب، قسم التاريخ، المكلا، ٢٠١٥.

(٢) تاريخ حضرموت ٢٥٠.

(٣) نفسه ٣٧٩.

(٤) الفكر والمجتمع في حضرموت، كرامة مبارك بامؤمن، دار التيسير، صنعاء، ١٤٨.

أن يصور به حضرموت في حديثه عن الدور التاريخي الذي أطلق عليه صفة السني، فنجده تارة يقول: "أما ما قيل عن عودة الروح للنفوذ والفكر الإباضي في حضرموت ممثلًا في إمارة الشاعر الحضرمي إبراهيم بن قيس الكندي الإباضي فلا يعدو أن يكون تطلعًا للحكم والإمارة حققه هذا الأمير، وهذه الروح التواقة للحكم تجري في دماء أصحاب الرئاسات القبلية، خاصة الكندية منها"[١] ونلاحظ هنا خلطًا لدى بامؤمن؛ لأن الشاعر ينتسب لهمدان وليس لكندة، وهما قبيلان مختلفان وإن اتفقا في الجد الأعلى زيد بن كهلان[٢]، وتارة أخرى يقول: "هذه الإمارة إن وجدت فعلًا فهي لا تملك إمكانية استمرارها في محيط سني بحضرموت، وقد قيل إنها استعانت بدعم من حكام عمان الإباضيين خلال فترة حكمها التي لم تحدد بالضبط"[٣]، فالتعبير بفعل التمريض (قيل)، وبالجملة الاعتراضية الشرطية (إن وجدت فعلًا)، والإشارة إلى عدم تحديد فترة وجودها، والقول بعدم مناسبة وجودها في محيط سني لا يساعد على استمرارها، كل ذلك يعد تشكيكًا لا يقل عن تشكيك الحامد، وزاد عليه بعدم عودته لديوانه، ولا ذكر أي أثر ثقافي أو فكري له كشاعر أو فقيه، ولا أثر سياسي لإمارته في ذلك الدور السني لدى تأريخه للحياة العقلية والحراك الفكري الذي اعتمل فيه.

---

(١) الفكر والمجتمع في حضرموت ١٦٩.

(٢) انظر الجامع لبامطرف ٤٦٣ و٦٣١.

(٣) الفكر والمجتمع في حضرموت ١٦٩.

قائمة المصادر والمراجع

- إباضية حضرموت من القرن الثاني إلى القرن السابع للهجرة، عبد الكريم محروس سعيد ميزان، رسالة ماجستير، جامعة حضرموت، كلية الآداب، قسم التاريخ، المكلا، ٢٠١٥
- إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، دار المنهاج، بيروت، ٢٠٠٥
- أدوار التاريخ الحضرمي، محمد أحمد الشاطرى، دار المهاجر للنشر والتوزيع، تريم، ط٣، ١٩٩٤
- الأسلوب، أحمد الشايب، المطبعة الفاروقية، الإسكندرية، ١٩٣٩
- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢
- بين الأدب والتاريخ، د قاسم عبده قاسم، دار الفكر للدارسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦
- تاريخ حضرموت، صالح بن علي الحامد، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٣
- الجامع، محمد عبد القادر بامطرف، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، ١٩٩٨
- ديوان الإمام الحضرمي، إبراهيم بن قيس الهمداني، تحقيق: بدر بن هلال اليحمدي، شركة المعالم للإعلام والنشر، مسقط، ٢٠٠٢
- شعر الإمام أبي إسحاق الحضرمي.. دراسة فنية، خالد حيدرة محمد الوحيشي، رسالة ماجستير، جامعة عدن، كلية التربية، ٢٠٠٧
- صفحات من تاريخ إباضية عمان وحضرموت، عبد الرحمن جعفر بن عقيل، دار حضرموت للدراسات والنشر، ٢٠٠٦
- صفحات من التاريخ الحضرمي، سعيد عوض باوزير، مكتبة الثقافة، عدن
- عبد الصمد باكثير شاعر حضرموت في القرن العاشر، عبد القادر محمد الصبان، المركز اليمني للأبحاث الثقافية، المكلا، ١٩٧٩
- عصر الدول والإمارات (٥)، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٣

- الفكـر والمجتمـع في حضرمـوت، كرامـة مبـارك بامؤمـن، دار التيسـير، صنعـاء، ط٣، ٢٠٠٦
- في النقد الأدبي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٣، د. ت
- اللانسـونية وأثرهـا في رواد النقـد العربـي الحديـث، د. عبـد المجيـد حنـون، الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب، ١٩٩٦

المحور الثاني

التطورات السياسية في حضرموت

حضرموت في ظل الوجود الأيوبي

٥٧٥ - ٦٢١هـ/ ١١٧٩ - ١٢٢٤م

د. طه حسين عوض هُـديل

كلية التربية - جامعة عدن

الملخص:

شكلت حضرموت بمساحتها الجغرافية الواسعة واحدة من بين أهم المناطق اليمنية التي عرفت بأهميتها عبر مراحل التاريخ المختلفة، وقد كان للتنوع الطبيعي في تركيبتها الجغرافية التي جمعت بين السهل والجبل والصحراء، وموقعها البحري على طريق التجارة الدولية بين الهند والجزيرة العربية وقارات العالم المختلفة أثره في زيادة أهميتها الاستراتيجية والتاريخية، وزيادة أطماع القوى المحلية المجاورة لها، أو الدولية المحيطة ببلاد اليمن وغيرها.

وعلى الرغم من طبيعة حضرموت السكانية القائمة على النظام القبلي الرافض لوجود أي قوى دخيلة على المنطقة، ورغبة أكثر قبائلها حكم نفسها بنفسها إلا أن ذلك لم يمنع من خضوعها لحكم بعض القوى من خارج زعامات تلك القبائل، بل ومن خارج حضرموت نفسها بعد أن أصبحت هذه المنطقة هدفًا لبعض القوى الدخيلة على اليمن مثل القوى الأيوبية التي منذ دخولها اليمن صارت حضرموت ضمن مخططها التوسعي الذي رسمه سلاطينها وقادتهم كجانب مهم من جوانب تأمين السواحل اليمنية التي كان جزء كبير منها خاضع لمناطق حضرموت على الشريط الساحلي المطل على المحيط الهندي.

لقد كان من أكثر الأسباب التي دفعتني للكتابة في هذا الموضوع رغبتي في التعرف على حال حضرموت في ظل الوجود الأيوبي، ومدى قابلية أهالي حضرموت لحكم هذه الدولة وموقفهم منها، وما ترتب على ذلك من متغيرات أثرت على التاريخ السياسي والحضاري لهذا القطر المهم، ومن هنا جاءت فكرة كتابة هذا البحث ليكون إضافة لما كتب عن تاريخ حضرموت في العصر الإسلامي ولسد فجوة مهمة منه، ولتحقيق الهدف المنشود قمت بتقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة وأربعة مباحث رئيسة، تناولت في المبحث الأول: وضع حضرموت قبل دخول بني أيوب إليها، ودرست في المبحث الثاني الوجود الأيوبي في حضرموت، ودوافع الأيوبيين من غزوها، وسير حملتهم إلى هناك، وخصصت المبحث الثالث لمعرفة

موقف الحضارم من سيطرة الأيوبيين لمنطقتهم، ومقاومتهم لهم، وأسباب نقمتهم عليهم، وموقفهم من وجودهم في حضرموت، ومدى التعزيزات التي قدمتها الدولة لهم، وتناولت في المبحث الرابع كيفية تخلص أهالي حضرموت من الوجود الأيوبي في أراضيهم. وأنهيت هذه الدراسة بخاتمة لخصت من خلالها أهم النتائج والاستنتاجات التي توصلت إليها.

المبحث الأول

وضع حضرموت قبل دخول بني أيوب إليها

إن الدارس لأوضاع حضرموت السياسية قبل دخول القوات الأيوبية إليها في سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م يجد أن حضرموت كانت تعيش حالة من الفوضى وعدم الاستقرار السياسي والاجتماعي، بسبب تعدد حكامها، وكثرة الصراعات والفتن بين قبائلها، ومن الملاحظ أن ما أجج من نار هذه الفتن محاولات بعض زعامات الأسر الحضرمية فرض سيطرتهم على المدن الكبرى هناك، مثل تريم[١] وشبام[٢] والشحر[٣]، علمًا بأن تلك الخلافات لم تكن تنشب بين أفراد الأسر مختلفة النسب، بل بين أبناء الأسرة الواحدة، لهذا يجد الباحث في تاريخ حضرموت -لاسيما في الفترة منذ بداية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي إلى دخول بني أيوب إليها - نفسه في حيرة لما قد يقرأه

---

(١) تريم: مدينة عامرة بالعلم والعلماء والتجار، تقع في وادي حضرموت الذي يمتد من الغرب إلى الشرق على الضفة اليسرى من المجرى الرئيس. الصبان، عبد القادر محمد، تعريفات تاريخية عن وادي حضرموت، مكتب الأمين، ط٥، سيئون، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص١٣ - ١٧؛ شهاب، أحمد بن عبدالله، تريم الماضي والحاضر، تريم للدراسات والنشر، حضرموت، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٩ وما بعدها

(٢) شبام: من مدن حضرموت العامرة، تمتاز بمنازلها المرتفعة ارتفاعًا عاليًا. الصبان، تعريفات تاريخية، ص١٨ - ٢١؛ الأكوع، إسماعيل بن علي، البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص١٦١.

(٣) الشِحْر: الشط الضيق، وهو صقع على ساحل بحر العرب ممتد من شرق حضرموت إلى مهرة، ومدينة الشحر الآن تسمى الأسعاء. انظر: الأكوع، البلدان اليمانية، ص١٦٣؛ الناخبي، عبدالله بن أحمد، حضرموت فصول في الدول والأعلام والقبائل والأنساب أو شذور من مناجم الأحقاف، دار الأندلس الخضراء، جدة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص٥٩ - ٦٢؛ الهندي، خالد يوسف، الشحر حضارة وتاريخ ومعلم، مطابع حضرموت الحديثة للأوفست، ط٢، الشحر، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ص١٠ - ١٣.

في المصادر[1] من معلومات لا تدور أخبارها إلا حول الغزو والقتل والمعارك والتهجير لبعض القبائل والأسرة الحضرمية من المنطقة.

وعلى الرغم من كثرة القبائل التي وجدت في حضرموت في الفترة موضوع الدراسة إلَّا أنه لم يكن هناك ذكر في المصادر إلَّا لبعضها، وكانت قبيلة كندة[2] بفروعها المختلفة وأسرها المعروفة هي المتصدرة لمعظم الأحداث التي شهدتها حضرموت قبل دخول بني أيوب إليها، فقد دخلت هذه القبيلة بفروعها وأسرها الشهيرة في صراعات دامية ومعارك شديدة مع

(١) من المؤسف أن تاريخ حضرموت لم يدون في كتب مستقلة متخصصة إلَّا مع بداية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي فقط، وما قبل ذلك قد نجده بصورة معلومات متفرقة بين سطور كتب التاريخ العام وكتب التراجم والسير والجغرافيا، ويعد المؤرخ الحضرمي أحمد بن عبد الله شنبل من أوائل المؤرخين الذين كتبوا عن هذه الحقبة الزمنية، على الرغم من شحة المعلومات التي دونها لنا، ومن المسلم به أن شنبل استقى معلوماته من مصادر أُلفت في فترة سابقة لفترته، ومن المؤسف أنه لم يأخذ من تلك المصادر التي لم تصلنا حتى اليوم إلَّا قليلاً، آملين في اكتشاف وجود مثل هذه المصادر لتأخذ طريقها إلى النور لما قد تظهره من معلومات تسد النقص الذي نجده في تاريخ حضرموت.

(٢) وهي من أشهر قبائل اليمن التي سكنت حضرموت، وتنسب إلى كندة وهو ثور بن مرتع بن عفير بن عدي ابن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن مهسع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. انظر: الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، الإكليل، ج١، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، مطبعة: السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٣٥٨؛ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله، الأنباه على قبائل الرواة، حققه وقدم له ووضع فهارسه: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص١١١ - ١١٢. وتعد قبائل كندة من أقدم القبائل التي سكنت حضرموت، وتنسب إليها العديد من القبائل والأسر الحضرمية التي كان لها دور بارز وفعال في تاريخ حضرموت خلال الفترة المذكورة، ومنها: قبائل الصدف التي سكنت الهجرين وما جاورها، وتجيب، وآل فارس، وآل إقبال، وآل دغار، وآل راشد بن شجنعة أو شجعنة، وبني عبيدة، وبني حارثة من تجيب، ومرة، وبنو معاوية، وبنو سعد، وظبيان، وبنو ظنة وغيرهم، وقد تفرقت معظم هذه القبائل بين وادي العبر، ووادي دوعن، واستقرت في مدنه وقراه المختلفة. انظر: الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد ابن علي الأكوع، ط١، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص١٦٨ - ١٦٩؛ شنبل، أحمد بن عبدالله، تاريخ حضرموت المعروف بـ: تاريخ شنبل، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، ط٢، مكتبة صنعاء الأثرية، صنعاء، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٦٦، ٧٧، ٨٣، ٨٤؛ باحنان، محمد بن علي بن عوض، جواهر تاريخ الأحقاف، دار المنهاج، بيروت، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م، ص٤٠٩.

غيرها من القبائل والأسر الحضرمية الأخرى مثل قبائل نهد[1] وآل فهد الحميرية[2] وغيرها؛ وذلك حول فرض السيادة على بعض مدن حضرموت الكبرى والمناطق القريبة منها، وحول بعض الأودية الشهيرة مثل وادي دوعن[3]، وعرفت المعارك التي قامت بين هذه القبائل بأسماء مختلفة اشتهرت بين سكان حضرموت بالوقعات، وكان معظمها بين كندة وآل فهد، أو بين أفراد القبيلة الواحدة[4]، وقد أدت تلك القبائل - على الرغم مما كان بينها من خلافات وحروب - دورًا مهمًا في مقاومة الوجود الأيوبي على أراضيها، وذلك بعد أن انظمت إليها قبائل أخرى كان لها الفضل في التخلص من الأيوبيين فيما بعد، علمًا بأن تلك المقاومة لم تنحصر على رجال القبائل فقط بل شاركت فيها -وبقدر بسيط- فئات أخرى، منها: العلماء والفقهاء وغيرهم.

---

(١) يعود نسب قبائل نهد إلى بنو عمران من قضاعة بن مالك بن حمير. الملك الأشرف، عمر بن يوسف ابن عمر بن رسول، طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، تحقيق: ك. د. ستر ستين، دار التنوير، ط٢، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ص٥١، ٧٨. وهي من أقدم القبائل التي جاءت إلى حضرموت، ويقال أنها نزحت من اليمن بمفازة الصحراء وبلاد الواحدي، وقد سكنت في مناطق وأودية حضرموت المختلفة، وأشهرها في حضرموت آل عجاج، وآل بدرة، وآل ضيف، والمرابشة، والحتارشة، والخريبات، وآل حميطان، وآل عومان، واليمنة، وآل باذياب، والمقاصفة، وآل سعود، وآل جبل يزيد، وآل بشير. الناخبي، حضرموت فصول في الدول والأعلام والقبائل والأنساب أو شذور من مناجم الأحقاف، ص٢٠١ - ٢٠٥؛ الحجري، محمد بن أحمد، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق وتصحيح ومراجعة: إسماعيل بن علي الأكوع، مج١، دار الحكمة اليمانية، ط٢، صنعاء، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص٧٤٥.

(٢) وهي من القبائل المعروفة في حضرموت، وقد سكنت منطقة شبام، ويعود نسبها إلى حمير، وعرف أفرادها بالمشايخ في حضرموت، وتقسم إلى قبيلتان: بنو حرام، وبنو خثيمة. ويتفرق بنو حرام إلى: بنو ظنة الرأس، ومنهم برزت عدد من الشخصيات التي كان لها دور بارز في تلك الفترة، وينسب إلى بني ظنة: آل كثير، وآل شماخ، والصَّبَرات وآل جميل ويقال لهم بنو سعد ومنهم آل حسن، وهم ليسوا من بني ظنة. أما خثيمة فقد قسموا إلى آل شماخ، وآل فضالة. انظر: الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص١٦٩؛ الملك الأشرف، طرفة الأصحاب، ص١٣٥، ١٣٦.

(٣) دوعن: من أودية حضرموت الرئيسية، به عدة قرى ومدن. شنبل، تاريخ شنبل، ص٣١٨، للمحقق.

(٤) انظر: شنبل، تاريخ شنبل، ص٢٩، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٧، ٤٢، ٤٤، ٤٨، ٥١، ٥٢، ٥٩، ٦١، ٦٣، ٦٤.

المبحث الثاني

الوجود الأيوبي في حضرموت

من الطبيعي جدًا أن ما شهدته حضرموت من صراعات داخلية قبل دخول بني أيوب إليها دليل واضح على أن تلك القبائل لن تقبل بأن يحكم أراضيها دخيل عليها، لاسيما أنها لم تكن راضية عن حكم بعضها لبعض، أو حكم أسرة على حساب أسرة أخرى في داخل القبيلة الواحدة، لذلك لم يكن من السهل على بني أيوب أن ينعموا بالهدوء والسكينة في المنطقة في ظل وضع قبلي كالوضع الذي كانت تعيشه قبائل حضرموت، على الرغم من الوحشية التي تعامل بها الأيوبيون مع الأهالي منذ دخولهم إلى أراضيهم، التي تنوعت دوافعهم من وراء غزوها.

١- دوافع بني أيوب من غزو حضرموت

من المعروف أن هناك دوافع سياسية واقتصادية ودينية جعلت بني أيوب يفكرون في غزو بلاد اليمن عامة، إلَّا أن الهدف السامي من وراء هذا الغزو لليمن هو حاجتهم إلى إعادة توحيد صفوف الأمة العربية والإسلامية، ولم شملها لمواجهة خطر الغزو الصليبي الذي أصبح يهدد ممتلكات المسلمين وأراضيهم المقدسة، وليس من المعقول أن تتكلف الدولة الأيوبية الأموال - لتدريب الرجال، وشراء المراكيب من الخيول والجمال والسفن المخصصة لحملها، وإعداد المؤن والسلاح - لغزو إقليم مضطرب يمتاز بمساحته الواسعة، وقبائله المتناحرة دون أن يكون لها هدف معين من وراء هذا الغزو، ومن خلال دراستنا لواقع منطقة حضرموت، وموقعها وطبيعتها تبين لنا أن هناك دوافع مختلفة ومهمة هي التي جعلت بني أيوب يفكرون في السيطرة عليها، ويمكن أن نحصر هذه الدوافع في الآتي:

أ- الرغبة في ضم هذا الإقليم المهم إلى كيان الدولة الأيوبية التي كانت قد سيطرت على معظم الأراضي اليمنية باستثناء حضرموت التي كانت تُعد جزءًا مهمًا من اليمن، ولا يمكن فصلها عنه.

ب- موقع حضرموت الحساس على ساحل بحر العرب، المعروف بأهميته بالنسبة للدول الكبرى، مثل الدولة الأيوبية التي أرادت بسيطرتها على حضرموت التحكم بخطوط التجارة البحرية القادمة من الهند أو المغادرة إليها، وحماية سفنهم من

لصوص البحر أو القراصنة الذين كانوا ينتشرون هناك.

ج- حاجة بني أيوب إلى إيجاد مصادر دخل جديدة وموارد، تغطي تكاليف حروبهم التي كانوا يخوضونها مع القوى الصليبية الكبرى في الشام ومصر وغيرها، ويبدو أن اليمن عامة وحضرموت خاصة من البلدان التي رأى الأيوبيون في احتلالها مصدر خير بالنسبة لهم، وداعمًا مهمًا لدولتهم ماديًا، حتى أن ملوكها كانوا يشترطون على نوابهم الذين يتم توليتهم على حضرموت نصف خراجها سنويًا(١).

د- الأطماع الخاصة لبعض سلاطين بني أيوب وقادتهم وولاتهم في جمع ما يمكن جمعه من ثروات هذه المنطقة وضرائبها ورسومها التي كانت تفرض على أصحاب الأراضي الزراعية، وسكان المدن وأمرائها مقابل حمايتهم، ومما يؤكد ما ذهبنا إليه الإشارة التي ذكرها ابن حاتم(٢) عندما تحدث عن الهدية الغالية التي تقدم بها الأمير عمر بن مهدي والي حضرموت للملك المسعود يوسف بن الكامل الأيوبي، عند قدومه إليه من حضرموت، والمكونة من مائة حصان مجللة بمائة مطرف(٣) يقودها مائة عبد، فضلًا عمَّا التزم بتقديمه ابن مهدي للملك المسعود من الأموال النقد والمقدرة بأربع مائة ألف دينار، وغيرها من الهدايا الأخرى المصنوعة من الذهب والفضة كالخواتم والأخراص والأساور الغالية، وهو ما يدلل لنا أن أمراء بني أيوب استغلوا وجودهم في حضرموت لجمع ثرواتها لحسابهم الخاص.

٢- سير الحملة الأيوبية إلى حضرموت

في سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م أرسل صلاح الدين الأيوبي حملة عسكرية من مصر للاستيلاء على اليمن بقيادة أخيه الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب، وقد تمكن هذا القائد من بسط نفوذه على جميع مناطق اليمن(٤)، باستثناء

---

(١) ابن حاتم، بدر الدين محمد بن حاتم اليامي الهمداني، السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، تحقيق: ركس سميث، لندن، ١٩٧٤م، ص١٩٠.

(٢) السمط الغالي الثمن، ص١٩٠ - ١٩١.

(٣) يبدو أنها نوع من الثياب التي تلبس بها الخيول في المناسبات والاحتفالات.

(٤) ابن حاتم، السمط الغالي الثمن، ص١٥ - ١٦.

منطقة حضرموت التي كانت تحكم من قبل أمراء قبيلة كندة[١]، وقد بقي الملك المعظم في اليمن حتى دخلت سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٥م فطلب العودة إلى مصر، وقبل خروجه أوكل شؤون المناطق التي خضعت لحكمه لعدد من النواب الأيوبيين، أشهرهم الأمير عز الدين أبو عمر عثمان بن علي الزنجيلي[٢] الذي ولي على عدن وأعمالها[٣]، ثم أخذ بالتوسع خارجها وغزا الجبال والتهائم بعد أن قطع الإتاوة التي كان يرسلها سنويًا إلى مصر، وضرب السكة باسمه، وأمر بذكر اسمه على المنابر بعد أن وصله خبر وفاة الملك المعظم توران شاه بن أيوب في الشام[٤]، وقد كان من بين المناطق التي أراد عثمان الزنجيلي التوسع فيها وضمها إلى حكمه منطقة حضرموت التي سار إليها سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م على رأس جيش ضم عددًا كبيرًا من العسكر اليمنيين والغز[٥] الأيوبيين، وعلى ما يبدو أن الزنجيلي قد قسم جيشه إلى قسمين: بري وبحري، وقد سارت القوات البرية من عدن في محاذاة الساحل، وأخذت في السيطرة على المناطق والمدن التي تمر بها، وكانت منطقة أحور[٦] من بين المناطق التي سيطر عليها[٧].

---

(١) شنبل، تاريخ شنبل، ص٦٥ – ٦٦.

(٢) ينسب عثمان الزنجيلي أو الزنجبيلي إلى زنجيلة، قرية من قرى دمشق، وقد قدم اليمن مع الملك المعظم توران شاه بن أيوب، وكان من بين النواب الأيوبيين الذين أوكل إليهم حكم بعض مناطق اليمن، ثم أعلن استقلاله بها، وبقي في اليمن حتى قدم إليها سيف الإسلام طغتكين بن أيوب فهرب خوفًا منه إلى دمشق وبقي فيها حتى توفي سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م. انظر: الجندي، أبو عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج١، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص٤٦٢ - ٤٦٣؛ بامخرمة، عفيف الدين أبو محمد الطيب بن عبدالله، تاريخ ثغر عدن، مطبعة: بريل، ليدن، ١٩٣٦م، ص١٣١ – ١٣٢.

(٣) ابن حاتم، السمط الغالي الثمن، ص٢٠.

(٤) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ص١٣١.

(٥) الغز: جنس من الترك. ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، ج١٠، اعتنى بتصحيحه: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصاوي العبيدي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ص٦٥. وقد تكون منهم معظم الجيش الأيوبي، لهذا عرف الناس في اليمن بني أيوب بالغز.

(٦) أحور: منطقة تقع إلى الشرق من أبين. الأكوع، البلدان اليمانية، ص٢١.

(٧) ابن حاتم، السمط الغالي الثمن، ص٢٣.

أمـا القـوات البحريـة فقـد تكونـت مـن سـبع سـفن حربيـة مليئـة بالعسـكر، وقـد تمكنـت مـن الوصـول إلـى سـواحل الشـحر والسـيطرة عليهـا، ثـم التوسـع في بقيـة أراضي حضرموت[1].

المبحث الثالث

موقف الحضارم من التدخل الأيوبي في أراضيهم

كانت مناطق حضرموت عند زحف القوات الأيوبية إليها خاضعة لحكم قبيلة كندة، فالشحر تحكم من قبل آل فارس وآل إقبال الكنديين، وقد تمكن الزنجيلي من انتزاعها منهم بكل سهولة[2]، لعدم إشارة المصادر إلى أي مقاومة من قبل قبائلها، أما شبام فقد خرج أميرها أبو الرشيد أحمد الدغاري مع من معه من رجال قبيلة كندة لملاقاة السلطان شجعنة أو شجنعة ابن راشد بن فهد الكندي أمير تريم مع من معه من قوات قبلية، وساروا جميعًا إلى قرية غيل باوزير[3] لمقاومة القوات الأيوبية، وبعد مناوشات بينهما في الغيل، وفي عدد من المناطق القريبة من تريم تمكن الزنجيلي من الاستيلاء على الجانب الجنوبي منها، ثم دخل بقواته تريم بعد أن أسر الأميرين شجعنة بن راشد ابن فهد الكندي وأبو الرشيد أحمد الدغاري في غيل باوزير[4]، وقد نتعجب من موقف بعض

(١) باحنان، جواهر تاريخ الأحقاف، ص٣٩٢.

(٢) شنبل، تاريخ شنبل، ص٦٥.

(٣) غيل باوزير: مدينة واقعة شمالي شحير، وتبعد عن مدينة المكلا بـ (٥٠ كم)، وهي أرض واسعة بها عيون ماء غزيرة وتنسب إلى الوزير العباسي علي بن طراد الذي كان وزيرًا لبعض الخلفاء العباسيين، وهو ينتمي إليهم نسبًا. انظر: شنبل، تاريخ شنبل، ص٣٢٠؛ القعيطي، السلطان غالب بن عوض، تأملات تاريخ حضرموت قبل الإسلام وفجره، ط١، جدة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص٥١؛ بن شيخان، سامي محمد، نفحات وعبير من تاريخ غيل باوزير، دار التيسير، صنعاء، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص١٣ - ٢٢؛ جروان، عدنان أحمد سالم، مدينة غيل باوزير دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية (١٣٥٥ - ١٣٨٧هـ/ ١٩٣٦ - ١٩٦٧م، دار الفالحين، ط١، الرياض، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ص٢٥ – ٣٣.

(٤) باحنان، جواهر تاريخ الأحقاف، ص٣٩٢؛ العطاس، مصطفى بن عبد الرحمن بن عبد الله، صفحات مجهولة من تاريخ حضرموت، تريم للدراسات والبحوث، ط١، تريم، ٢٠٠٥م، ص٤٧.

القبائل مثل آل كثير بن ظنة في تريم الذين لم يكن لهم موقف معلن من الغزو، ويبرر بعض المؤرخين موقفهم هذا بسبب حياتهم التي كانت تقوم على عدم الاستقرار، والعيش على شكل جماعات خاملة لا دور لها(١).

ومن الملاحظ أن المقاومة في منطقة الشحر اختلفت عنها في بقية مناطق حضرموت الداخلية، التي لم تخضع بسهولة لزحف القوات الأيوبية، إلَّا بعد أن قُبض على قادتها في غيل باوزير، وقد يعتقد بعضهم أن رجال قبائل كندة أو غيرهم من رجال قبائل حضرموت هم فقط من خرجوا ورفعوا السلاح في وجه القوات الأيوبية، ولكن على العكس من ذلك، فهناك معلومات تشير إلى أن الزنجيلي عند احتلاله لحضرموت ارتكب مذبحة شنيعة ضد علمائها وفقهائها وقرائها وصلحائها(٢)، ومن المسلم به أن هذه الجرائم لم تأتِ اعتباطًا ودون سبب يجعله يقوم بما قام به، ومن وجهة نظري الخاصة أن هؤلاء العلماء إما أنهم:

أ- شاركوا القبائل في مقاومتهم للأيوبيين وحملوا السلاح في وجههم كغيرهم.

ب- أو أخذوا في إثارة حماسة أهالي حضرموت، رافعين أصواتهم في المساجد ومن على المنابر، حاثين الجميع على الخروج لمقاومة المحتل وطرده.

ت- أو أنهم رفضوا التفاوض أو الاعتراف بشرعية الوجود الأيوبي في حضرموت.

وعلى أية حال، فقد كان لتصرفات بني أيوب التي قاموا بها بمجرد دخول قواتهم إلى حضرموت دور في اشتداد المقاومة القبلية وتواصلها ضدهم، لاسيما بعدما اقترفته هذه القوات من أعمال أثارت نقمة المنطقة بسكانها الذين أعلنوا مقاومتهم للغزاة في أراضيهم، وقد يتساءل المرء عن أسباب تشدد الناس، ونقمتهم ضد الوجود الأيوبي، وعدم خضوعهم له؟ ويمكن أن نحصر هذه الأسباب في الآتي:

أ- إن هذه القوات تعاملت بشكل سيء ومهين مع رموز وزعامات المناطق التي دخلوها، لاسيما وأن هؤلاء كانوا يمثلون قبائلهم، ومعنى الاعتداء عليهم اعتداء على كافة أفراد القبيلة،

---

(١) انظر: محمد بن هاشم، حضرموت تاريخ الدولة الكثيرية، تريم للدراسات والنشر، حضرموت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٥م، ص٢١- ٢٣.

(٢) الجعدي، عمر بن علي بن الحسن بن سمرة، طبقات فقهاء اليمن، تحقيق: فواد سيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص٢٢٠ - ٢٢١.

إلَّا أن ما زاد من حنق الناس وثورتهم قيام بني أيوب بإدخال بعض هذه الزعامات إلى منطقة تريم أمام الناس – بصورة مذلة على ما يبدو– ليكونوا عبرة لغيرهم بعد القبض عليهم، وعزل بعضهم، ثم إرسالهم إلى مدينة عدن لسجنهم هناك بعيدًا عن أهلهم.

ب- إن بني أيوب في أثناء وجودهم في حضرموت لم يميزوا بين البريء والمذنب، خاصة في تعاملهم مع الأهالي الذين أصبحوا عرضة لقتل وتنكيل عسكرهم، وتذكر المصادر أنهم قتلوا عالمًا عظيمًا من العلماء والفقهاء والقراء، وكان المؤرخ ابن سمرة الجعدي[١] قد شهد هذه الأحداث وعاصر بعض رجالها، وقد لقي موقف الزنجيلي هذا بحق علماء وفقهاء حضرموت استنكار بعض المؤرخين أمثال المؤرخ الجندي[٢] الذي قال عنه: "ولقد كنت لما قدمت عدن ورأيت ما وقفه هذا الأمير الزنجيلي على الحرم والمسجد الذي بناه على الخان استعظمت قدره، واستكثرت خيره حتى رأيت ما ذكره ابن سمرة من قتله للفقهاء والقراء فصغر وحقر ما فعله من خير في جنب ما عمله من شر".

كما وصف بعض الباحثين[٣] عملية القتل لعلماء حضرموت: "بأبشع عملية قتل جماعي للعلماء والفقهاء والقراء لم يشهد لها التاريخ الإسلامي مثيلًا". مما جعل هناك تناقضًا كليًا بين تلك المذابح والهدف المعلن للحملة على اليمن عمومًا؛ وهو إعادة وحدة المسلمين ورص صفوفهم في وجه القوات الصليبية التي أرادت السيطرة على البلاد العربية والإسلامية الممزقة في ذلك الحين[٤]، ومن هنا يمكن أن نستنتج أن ما قام به أهالي حضرموت وقبائلها من أعمال تمرد وعنف ضد بني أيوب هو نتاج طبيعي لسياستهم التعسفية.

ت- إن النظرة التي نظر بها أهالي حضرموت وغيرهم من سكان اليمن إلى بني أيوب باعتبار أنهم ليسوا عربًا بل غُز- مثلما تصفهم المصادر التي أرخت لحضرموت خاصة

---

(١) طبقات فقهاء اليمن، ص٢٢٠ - ٢٢١. وانظر: الملك الأفضل، العباس بن علي بن رسول، العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية، دراسة وتحقيق: عبد الواحد عبد الله الخامري، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، ص١٨٨.

(٢) السلوك، ج١، ص٤٦٢.

(٣) مفلح، سالم فرج، حضرموت بين القرنين الرابع والحادي عشر للهجرة/ العاشر والسابع عشر للميلاد الإباضية والمعتزلة مشروع رؤية، دار حضرموت، حضرموت، ٢٠٠٦م، ص٨٥.

(٤) المرجع نفسه، ص٨٦.

واليمن عامة-[1] جعلتهم يعدونهم محتلين ومغتصبين لهم ولأراضيهم ولخيراتهم، وهو ما لم يقبل به عامة الناس هناك.

ث- كان للسياسة المالية التي فرضها بنو أيوب على أهالي المناطق التي دخلتها قواتهم في حضرموت، أكبر الأثر في نفوس الناس هناك، لما شكلته من عبء ثقيل عليهم، خاصة وأنهم كانوا كلما زحفوا على منطقة حاصروها، وإذا تمكنوا من دخولها عاثوا فيها فسادًا، ولا يخرجون منها إلَّا بعد أن يدفع لهم أهلها الأموال الطائلة التي عجز الكثير منهم عن دفعها، في حين سعى بعضهم إلى دفعها مرغمين[2].

ج- إن بني أيوب منذ دخولهم إلى حضرموت لم يحاولوا كسب رضاء وود أهلها، بالأعمال والمشروعات النافعة التي ممكن أن تشعر الناس بحسن نوايا قادة الحملة، لاسيما وأننا لا نجد أي نصيب للأعمال الخيرية التي اشتهر بها عثمان الزنجيلي[3] في حضرموت التي كان نصيبها القسوة والشدة والقمع والإرهاب الذي طال كل فئات المجتمع الحضرمي[4].

لهذا، لم تنعم قوات بني أيوب بالطمأنينة والأمان في حضرموت منذ دخولها إليها، لما كان لأفعالها المشينة التي ارتكبتها من أثر سيء في نفوس سكانها، وقد شهدت المنطقة في سنة ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م ثورة عارمة عمت المدن والقرى الحضرميَّة كافة ضد بني أيوب، وهددت وجودهم فيها، مما دفع عثمان الزنجيلي الذي كان قد عاد إلى عدن إلى إرسال تعزيزات عسكرية جديدة إلى هناك، وعلى ما يبدو أن الزنجيلي أدرك الخطأ الذي ارتكبه بحق أمراء حضرموت وقبائلها، بعد إرساله لهؤلاء الأمراء إلى عدن لسجنهم هناك، فعدل في سياسته معهم وأرضاهم بما تطيب به أنفسهم، لما تورده المصادر من أنهم كانوا على رأس التعزيزات التي أرسلها إلى حضرموت بقيادة أخيه سويد بن علي الزنجيلي، وقد تكون تلك المراضاة فقط للاستفادة منهم في امتصاص ثورة القبائل والتهدئة من روعها، فضلًا عن

(١) ابن حاتم، السمط الغالي الثمن، ص١٠؛ شنبل، تاريخ شنبل، ص٦٥.

(٢) الكندي، سالم بن محمد بن سالم بن حميد، تاريخ حضرموت المسمى بالعُدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة، تحقيق: عبدالله الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤١١هـ/ ١٩٩٩م، ص٧٩، ٨٠.

(٣) الجندي، السلوك، ج١، ص٤٦٢.

(٤) مفلح، حضرموت بين القرنين الرابع والحادي عشر للهجرة، ص٨٧.

استقلالهم في مساندة أخيه ودعمه وإرشاده، والدليل على ذلك أنه بمجرد إقرارهم للأوضاع هناك بعد سيطرتهم على تريم أمر سويد بإعادة القبض على هؤلاء الأمراء وغيرهم من رجال المعارضة في حضرموت وأرسلهم تحت الاعتقال مرة أخرى إلى عدن[١].

وعلى الرغم مما حققته حملة سويد الزنجيلي من انتصارات إلَّا أنها زادت من ثورة وحقد قبائل حضرموت ضد بني أيوب، خاصة بعد أن كرر سويد سياسة أخيه عثمان، فراح يسرف في القتل لبعض الشخصيات الاجتماعية والدينية من علماء وفقهاء مدينة تريم أمثال: الفقيه أبو العتيق أبو بكر أبو أكدر حاكم تريم[٢]، الذي قد يكون هو نفسه من ذكره المؤرخ شنبل[٣] باسم يحيى بن سالم بلج أكدر وأخيه أحمد بن سالم، والفقيه علي بن أحمد بن بكير، والفقيه المقري أبو بكر بن بكير الذي ذكر لنا ابن سمرة الجعدي[٤] أنه التقى به في مدينة عدن وقرأ عليه بعض كتب التفسير.

ونتيجة لذلك، حتَّمت الأحداث الجديدة التي شهدتها حضرموت على قبائلها ضرورة وضع حد لتصرفات الغز الأيوبيين، فلمت هذه القبائل شملها في تجمع قبلي قاده رجل منهم يعرف باسم عبد الباقي بن أحمد، وقد تمكن بمن معه من رجال القبائل من مهاجمة القوات الأيوبية وهزيمتها، ثم السير إلى مدينة تريم لقتال من تبقى منها هناك، فحاصرها فترة من الزمن دون أن تحدد المصادر نهاية لهذا الحصار[٥].

ومهما يكن الأمر، فقد اختلفت سياسة بني أيوب التي اتبعوها مع أهالي وأمراء وزعماء القبائل فيما بعد بين الشدة واللين، واضطروا بعد أن تعرضت تريم للحصار إلى الإفراج في سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م عن المعتقلين من قبيلة كندة في عدن مثل راشد ابن شجعنة وأخيه عبد الله اللذين دخلا تريم بعد فك الحصار عنها وأعلنا نفسيهما ملكين

---

(١) الكندي، العُدة المفيدة، ص٧١؛ الحامد، صالح، تاريخ حضرموت، ج٢، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ص٤٥٠.

(٢) الجعدي، طبقات فقهاء اليمن، ص٢٢٠ - ٢٢١. وانظر، الملك الأفضل، العطايا السنية، ص١٨٨.

(٣) تاريخ شنبل، ص٦٦ – ٦٧.

(٤) طبقات فقهاء اليمن، ص٢٢٠ - ٢٢١.

(٥) الكندي، العُدة المفيدة، ص٧١.

عليها، لصالح الأيوبيين، بعد أن أفرجوا عنهم وعن غيرهم من المعتقلين في عدن مثل أبي أحمد بن شجعنة الذي لحق بهم إلى تريم[1].

ظلت حضرموت خاضعة للحكم الأيوبي حتى بعد خروج عثمان الزنجيلي عن اليمن، وقد رأى من جاء بعده من ملوك الأسرة الأيوبية مثل الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين بن أيوب أن عليه السير إلى حضرموت بين الفينة والأخرى لتفقد أحوالها وإقرار الأوضاع فيها، ومحاربة كل من تسول له نفسه المساس بأمنها، لفرض السيادة الأيوبية على أراضيها كافة، فدخلها سنة ٥٩٠هـ/ ١١٩٣م، وأعاد سيطرته على بعض المناطق التي خرجت عن سيطرة قواته منها تريم[2]، ثم سار إلى بيت غراب[3] بعد أن وصله خبر تمرد أهلها، فحاربهم وقتل الكثير منهم، ثم اتجه إلى شبام وأخذها عنوة، وأقر الأمور فيها، وعاد بعدها مرة أخرى إلى اليمن[4].

ومنذ خروج سيف الإسلام عن حضرموت تغفل المصادر عن ذكر أي معلومات عن الوجود الأيوبي هناك، ومن الملاحظ أن ما شهدته حضرموت من صراعات قبلية شديدة، جعلت ما تبقى من عسكر الأيوبيين ينكمشون على أنفسهم في مواقعهم، في محاولة لتجنب الدخول في مناوشات خاسرة مع قبائل المنطقة التي اشتدت شوكتها في الفترة من سنة ٥٩٢ - ٦٠٤هـ/ ١١٩٥ - ١٢٠٧م وما بعدها، وكانت قبائل نهد وكندة بفروعهما المختلفة من أكثر القبائل المتصارعة، ومن الملاحظ أن أكثر خلاف هذه القبائل كان حول قسمة أراضي بعض مدن حضرموت وقراها وأوديتها التي كانت تجمع بينهم في السكن، مما جعلها تتناحر مع بعضها وتتحالف ضد بعضها[5].

ولا يعني هذا، أنه لم يعد لبني أيوب أي وجود في حضرموت بل على العكس، فقد استمر تواصل سلاطين الأسرة الأيوبية مع من تبقى من قواتهم الموجودة هناك، والدليل

---

(١) باحنان، جواهر تاريخ الأحقاف، ص٣٩٥.

(٢) ابن حاتم، السمط الغالي الثمن، ص٣٩.

(٣) لم نتمكن من تحديد موقع بيت غراب، لعدم ذكر المصادر لها، ولكن يبدو أنها منطقة تقع بين تريم وشبام.

(٤) شنبل، تاريخ شنبل، ص٧٥.

(٥) الكندي، العُدة المفيدة، ص٧٣ - ٧٧؛ الحامد، تاريخ حضرموت، ٤٥٢ - ٤٥٤.

على ذلك الحملة التي أُرسلت إلى بعض المناطق الواقعة في شرق اليمن سنة ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م بما فيها حضرموت بقيادة الأمير ورد شار، الذي تعثر عليه دخولها لأسباب ذكرها ابن حاتم[١] منها: عدم حصوله على تصريح بالتعمق في أراضيها من قبل الأتابك سنقر[٢] الذي كلفه بهذه المهمة، ومن المسلم به أن هذه الحملة وإن لم تدخل حضرموت إلَّا أنها أعادت الثقة إلى نفوس من تبقى من عسكر بني أيوب هناك، وشجعتهم على المواجهة والسير إلى بعض المناطق التي تعاني الاضطرابات، لهذا خرجوا في سنة ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م إلى منطقة حَجْر[٣]، واقتتلوا مع أهلها، وقضوا على العديد منهم، وقد أثار عودة نشاط القوات الأيوبية في حضرموت بعض القبائل منها آل جعفر من الصدف التي أشعلت نار الحرب ضدهم في سنة ٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م في منطقة الهجرين[٤]، وقتل بسببها الكثير من الأهالي[٥]، وقد تكون هذه الحادثة قد نبهت بني أيوب في اليمن وأشعرتهم أن قواتهم الموجودة في حضرموت معرضة للخطر، وفي حاجة إلى تعزيزات تشد من أزرهم لمواجهة خطر القبائل.

وكيفما كان الحال، فقد دفع هذا الخطر الذي تعرضت له القوات الأيوبية من قبل قبائل الصدف سلاطين بني أيوب إلى سرعة إرسال قوة عسكرية من الغزّ تحت قيادة أمير يسمى ابن أبي العرب، وقد تعرض هذا القائد وقواته للهجوم المباشر من قبل قبيلة كندة بمجرد دخوله إلى حضرموت، علمًا بأن قبيلة كندة بقيادة فارس بن راشد بن عبد الباقي بن فارس ابن راشد بن إقبال الكندي كانت قد أعدت عدتها ونظمت صفوفها لهذه اللحظة الحاسمة

---

(١) السمط الغالي الثمن، ص١٣٢.

(٢) وهو سيف الدين سنقر بن عبد الله المعزي الأتابك أحد الأتراك المملوكين للملك العزيز سيف الإسلام طغتكين بن أيوب أخو صلاح الدين الأيوبي، وكان الأتابك سنقر شهمًا شجاعًا اختلف مع الملك المعز إسماعيل بن طغتكين فهرب منه، ودارت بينهم العديد من المعارك، وقد توفي سنة ٦٠٨هـ/ ١٢١١م. انظر: ابن حاتم، السمط الغالي الثمن، ص٧٩ - ١٣٤.

(٣) حَجْر: وادٍ عظيم في ساحل حضرموت، على بعد (٥٠ كيلو مترًا) غرب المكلا، وتوجد على امتداده قرى بها مساحات واسعة من الأراضي الزراعية، ويعد من أخصب المناطق في حضرموت وأكثرها ماءً، وأغلب سكانه من نوّح وحضرموت القبيلة، وحالكة ومراشدة وخامعة، وجماعة من العلويين. السقاف، إدام القوت، ص٩٢، وحاشية رقم (١).

(٤) الهجرين: أو الهجران مدينة في وادي دوعن بالقرب من دمون. الأكوع، البلدان اليمانية، ص٢١.

(٥) انظر: باحنان، جواهر تاريخ الأحقاف، ص٤٠٩؛ الكندي، العُدة المفيدة، ص٧٧.

فهاجمت قوات الأمير ابن أبي العرب، وأخذت من خيلهم اثنين وعشرين فرسًا[١]، ومع ذلك بقي هذا الأمير في حضرموت حتى سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م، وقد كان لسياسته التحالفية مع بعض الزعامات القبلية المهمة في المنطقة دور في بقائه هناك، وكان أبرز حلفائه عبد الباقي بن فارس الكندي الذي قدم له الكثير من الخدمات والتسهيلات التي ساعدته على تثبيت وجوده في المنطقة والتوسع فيها، وهي سياسة لم يتبعها أحدٌ ممن تولوا حضرموت قبل ذلك، وقد مكنه ذلك التحالف من الخروج بتأييد قبلي إلى منطقة الشحر في العام المذكور، ودخولها بعد أن طرد أهلها عنها[٢].

ولم يكتفِ بنو أيوب بما حققه هذا الأمير الأيوبي من انتصارات مكنتهم من التوسع إلى أبعد مما كانوا يتصورون، فأرسلوا إلى حضرموت قواتٍ أخرى مساعدة تزعمها الأتابك سيف الدين سنقر في سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م، فبلغت بلاد المشرق وسيطرت على حضرموت بعد أن وصلت إلى موضعٍ يقال له حصن الزنبيل[٣] في أقصاه[٤].

ومن الملاحظ أن ما حققه الأتابك سيف الدين سنقر شجع بني أيوب على مواصلة التوسع هناك، فخرجوا مرة أخرى في السنة المذكورة إلى حضرموت مرورًا بشبوة التي سيطروا عليها بعد أن اقتتلوا مع أهلها وقتلوا الكثير منهم، وواصلوا سيرهم إلى جُردان[٥] وغيرها بمساعدة بعض الشخصيات القبلية الحضرمية منها على سبيل المثال: عبد الباقي بن راشد بن إقبال الكندي، وتمكنوا من فرض سيطرتهم على قرن المحاصر وقرن الملل ومصنعة عَمِد[٦] إلى أن وصلوا إلى عندل[٧]

(١) شنبل، تاريخ شنبل، ص٨٩.
(٢) باحنان، جواهر تاريخ الأحقاف، ص٤١١.
(٣) حصن الزنبيل: لم نستطع تحديد موقعه، ويبدو أنه في أقصى حضرموت مثلما تشير المصادر.
(٤) انظر: ابن حاتم، السمط الغالي الثمن، ص١٤٧.
(٥) جُردان: وادٍ لجعف عامر بالقرى في شبوة شرقي وادي عمقين، اشتهر بحسن عسله. انظر: السقاف، إدام القوت، ص٢٤٦ - ٢٤٧.
(٦) عَمِد: وادٍ بينه وبين وادي جردان مسيرة ثلاثة أيام وبه المدينة المنسوبة إليه. شنبل، تاريخ شنبل، ص٣٢٠، للمحقق. وعلى ما يبدو أن المناطق المذكورة قرن المحاصر وقرن الملل ومصنعة عَمِد كلها في وادي عَمِد.
(٧) عندل: قرية عامرة في وادي عَمِد من حضرموت، سكانها من الصدف. الأكوع، البلدان اليمانية، ص٢١٣.

والهجرين، وطلعوا عقبة الغبر(١)، ودخلوا حجرًا وميفع(٢)، وهناك التقوا بالأمير الأيوبي ابن أبي العرب الذي ما زال مرابطًا بقواته في حضرموت، وعلى ما يبدو أنه اختلف معهم، لما تذكره المصادر من قبضهم عليه، ونهبهم لماله وخيله، ثم واصلوا مسيرهم حتى استقروا في الشحر(٣).

وقد فرضت هذه القوات في أثناء سيرها على حكام المناطق التي دخلوها دفع مبالغ مالية لبني أيوب مقابل إبقائهم على ما هم عليه من حكم لمناطقهم، وهي سياسة أراد بها سلاطين بني أيوب فرض سيادتهم على هذه المناطق وحكامها، وبالمقابل فإن أي تخلف عن دفع ما على هؤلاء الحكام من أموال يعني العصيان والخروج عن الطاعة، وكان عبد الباقي بن فارس حاكم تريم ممن فرض عليه ذلك والتزم به، بعد أن وقع معهم اتفاقًا يقضي بتسليمهم خمسة آلاف ريال مقابل إبقائه حاكمًا على تريم، وقد سارع إلى دفعها لهم بمجرد سماعه بوصولهم إلى الشحر(٤).

وعلى الرغم مما حققه بنو أيوب من انتصارات في حضرموت إلَّا أن الأمور لم تستقر بها، مما دفعهم إلى الاستمرار في مواصلة إرسال حملاتهم العسكرية، فكان أشهرها الحملة التي أرسلها الملك المسعود يوسف بن الكامل الأيوبي سنة ٦١٢هـ/ ١٢١٥م إلى الشحر بقيادة الأمير عمر بن مهدي، وقد تمكنت هذه الحملة من دخول الشحر، وتولية ابن راشد ابن إقبال، ومع ذلك لم تستقر الأمور هناك، لاسيما بعد أن ثارت المنطقة بقبائلها ضد

---

(١) وردت لدى شنبل الغبر وقد يكون المقصود بها العبر. تاريخ شنبل، ص٩٥. والعبر: منطقة في الشمال الغربي من شبوة على بعد نحو (٨٠ كيلو مترًا) منها، وتعد المنفذ الطبيعي إلى حضرموت، وهي منطقة جبلية وسط رمال واسعة، محيط بها من الغرب رملة السبعتين ومن الشمال رمال الربع الخالي، وتشكل اليوم من مديريات محافظة حضرموت. انظر: السقاف، عبدالرحمن بن عبيد الله، إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، دار المناهج، بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، ص٤٥٣، وانظر: الحاشية رقم (١) من الصفحة نفسها؛ المقحفي، إبراهيم بن أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج٢، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ٢٠٠٢م، ص١٠٠٨.

(٢) ميفع: ساحل يبعد عن البحر نحو ساعة ونصف، في شرقي بير علي وغربي بروم، عليه أراضٍ واسعة، وفيه مياه غزيرة تدفع إليه من حجر. السقاف، إدام القوت، ص٨٩.

(٣) شنبل، تاريخ شنبل، ص٩٥.

(٤) الكندي، العُدة المفيدة، ص٧٩؛ الحامد، تاريخ حضرموت، ٤٥٦ - ٤٥٧.

الوجود الأيوبي فيها، مما اضطر الأمير عمر بن مهدي إلى الخروج مرة أخرى إلى الشحر سنة ٦١٦هـ/ ١٢١٩م لمعاقبة آل إقبال بعد فشلهم - على ما يبدو - في إقرار الأوضاع في المناطق الخاضعة لهم، وهناك قاتل قبائل عرف(١) ومن ساندهم من آل إقبال وقتل جماعة منهم، وطرد آل إقبال من الشحر، ثم سار إلى الغيل الأسفل بعد أن أعلنت قبائله تمردها، فقاتلهم حتى فشل في إخضاعهم، فحاصرهم إلى أن خضعوا له، ودفعوا ما اشترطه عليهم من أموال كدليل على طاعتهم، وواصل مسيرته للتصدي لبقية المتمردين من أهالي حضرموت حتى وصل إلى تريم وحاصرها بعد أن خرج عنها سلطانها عبد الله بن راشد أبو قحطان في جماعة من أعوانه، منهم: ابن سار وجمعان بن بحرق، ورجال من قبيلة بني ظبيان، ومن أهل مأرب، وظل محاصرًا لتريم حتى أعلنت قبائلها الاستسلام، مقابل دفع مبلغ من المال لفك الحصار(٢).

لم تأتِ سياسة العنف والإرهاب والحصار، وتغريم القبائل الأموال بالقوة إلَّا بمزيد من التمرد والعصيان والخروج عن الطاعة، وهو ما عبرت عنه قبائل بنو حارثة وبنو سعد في شبام، الذين أثارهم - على ما يبدو- حصار بني أيوب لإخوانهم في تريم، فأعلنوا الثورة في شبام، وجمعوا رجالهم ورتبوا صفوفهم استعدادًا لملاقاة الأيوبيين الذين ساروا إليهم بعد إخضاعهم لقبائل تريم، فدخلوا معهم في قتال عنيف استمر ليومين متتالين، وانتهى بهزيمة القبائل المقاومة وانسحابها بعد قتل عدد كبير من خيرة رجالها، وقد كان لهذه الهزيمة أثرها في نفوس رجال القبائل الأخرى، فسعى بعضهم إلى مصالحة بني أيوب مثل أهل المعلاة، وامتنع بعضهم عن المصالحة مثل أهل معقل عنق القريبة من شبام، مما اضطر بني أيوب إلى مهاجمتهم وأسرهم، وأخذ أموالهم، وقد دفعت هذه الهزيمة بني حارثة إلى التفاوض مع بني أيوب حول شبام، واتفقوا معهم على بيعها لابن مهدي الذي اشتراها منهم(٣).

ومع هذا وذاك، فشل ابن مهدي - بعض الشيء - في ضبط الأمور في جميع مناطق حضرموت، لاسيَّما أنه بمجرد إخضاعه لمنطقة ما، ثم خروجه منها إلى أخرى، يعود سكان

(١) عرف: قرية بالقرب من الشحر فيها مزارع. شنبل، تاريخ شنبل، ص٣٢٠، للمحقق.
(٢) شنبل، تاريخ شنبل، ص١٠١.
(٣) شنبل، تاريخ شنبل، ص١٠١.

المنطقة المخضعة للتمرد مرةً ثانية، مما أرهقه لتباعد مدن حضرموت ومناطقها، وكلفه الكثير، وقد اتبعت قبائل تريم هذه السياسة معه، وبمجرد علمها بوصوله إلى شبام تمردت، فاضطر إلى العودة مرة أخرى إليها لمحاصرة المناطق المخالفة القريبة منها، مثل: المصنعة، التي أجبر أهلها إلى التودد إليه، ومصالحته لفك الحصار عنها. ومع ذلك لم تهدأ الأوضاع على الرغم مما تذكره المصادر من أنه بقدوم سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م خضعت حضرموت جميعها للأيوبيين، ولكن التطورات التي شهدتها هذه المنطقة تؤكد لنا أن الأمور لم تزد إلَّا سوءًا، للحقد الدفين الذي كان يكنه الأهالي لبني أيوب وأمرائهم وجرائمهم التي ارتكبوها بحقهم، فكان أهالي وادي دوعن ممن أعلنوا حقدهم وخلافهم ضد بني أيوب في السنة المذكورة، فخرج ابن مهدي لمحاربتهم في هدون[١] التي أخربها بنو أيوب عقابًا لهم بعد هزيمة أهلها[٢].

لقد دفع استمرار المقاومة للوجود الأيوبي والهجمات المتكررة من قبائلها لبعض المدن الرئيسة الأمير عمر بن مهدي إلى التفكير في تحصين هذه المدن، منها: مدينة شبام، فحفر حولها خندقًا في سنة ٦١٨هـ/ ١٢٢١م وحصنها[٣]، في محاولة لمنع القبائل من الوصول إليها، وهو ما لم يمنع هذه القبائل من ترقب الفرصة المناسبة لمهاجمة الأيوبيين حيثما وجدوا.

المبحث الرابع
نهاية الوجود الأيوبي في حضرموت

لقد عانى أهالي حضرموت كثيرًا من سياسة الأمير علي بن مهدي التعسفية معهم، وأخذوا يترقبون فرص خروجه من حضرموت للانتقام منه، ومهاجمة قواته، حتى أنهم في سنة ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م ثاروا ضده في عدد من المناطق بعد أن استغلوا فرصة خروجه إلى أحور لمباشرة بعض أعماله هناك، وقد كانت قبائل تريس[٤] من بني حارثة بقيادة جميل بن فاضل من أشهر

(١) هَدُون: قرية كبيرة في وادي دوعن لها جامع كبير، في شرقيه قبر طويل، يقال إنه قبر هادون ابن هود عليه السلام. انظر: السقاف، إدام القوت، ص٣٦١.
(٢) الكندي، العُدة المفيدة، ص٨٠ - ٨١.
(٣) الكندي، العُدة المفيدة، ص٨١.
(٤) تريس: قرية تقع على طريق المار إلى سيئون، وهي من أقدم مدن حضرموت، وتسكنها قبائل الصدف. شنبل، تاريخ شنبل، ص٣١٧؛ السقاف، إدام القوت، ص٦٥٠ - ٦٥٥.

من ثار ضد القوات الأيوبية في ذلك العام، ثم ثار في أثرهم أهالي حَيْريج[1] على الحامية الأيوبية المقيمة في بلادهم، وقد دفع هذا الأمر المفاجئ ابن مهدي إلى العودة مسرعًا إلى حضرموت لمعاقبتهم، فهاجم تريس وهدمها وطرد عددًا من بني حارثة منها، وطارد من تبقى منهم هناك، حتى أخرجهم من حضرموت، وعاقب من بقي منهم بالقتل، وقد دفعت هذه الوحشية والقسوة أهالي حيريج إلى مصالحة ابن مهدي بعد أن رأوا منه ما رأوا[2].

وعلى الرغم من ذلك، لم تمنع سياسة البطش والإرهاب من تبقى من قبائل حضرموت ولم تخفهم، ولكن زادتهم عنادًا وإصرارًا وكرهًا لبني أيوب، الذين أصبحوا هدفًا لكل أهالي المنطقة، كأهالي حجر الذين بلغ بهم الحقد لبني أيوب إلى درجة مهاجمتهم، وقتل عدد كبير من عسكرهم سنة ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م، بعد أن وصلهم خبر سفر الأمير علي بن مهدي إلى اليمن لمقابلة الملك المسعود الأيوبي بتعز[3]. وأهالي وادي دوعن، وعمد، وأهالي عرف، وقبائل بني ظنة وبني سعد من نهد في شبام، وقد كان لهذا العصيان المفاجئ دوره في عودة ابن مهدي مرة أخرى إلى حضرموت لتأديب المعتدين والمتمردين بتكليف رسمي وفوري من الملك المسعود، فكان عقابه معهم شديدًا، بعد أن سار أولًا إلى منطقة حجر وهاجم أهلها، وقتل عددًا كبيرًا منهم، ثم واصل سيره إلى وادي دوعن ووداي عمد لمعاقبة قبائلها الذين تعرضوا لهجوم قواته، فأسرفت في قتلهم، كما قام بمحاسبة أهالي عرف على عصيانهم وإقلاقهم للأمن في مناطقهم، وأذية جيرانهم، بأن قطع نخيلهم، تأديبًا لهم، ثم عاد بمن معه من قوات إلى شبام وعاقب قبائل نهد من بني ظنة وبني سعد[4].

---

(١) حَيْريج: موضع في غربي وادي المسيلة، ما بين الشحر وسيحوت من بلاد المهرة. السقاف، إدام القوت، ص٢٣١.

(٢) شنبل، تاريخ شنبل، ص١٠٣.

(٣) يذكر ابن حاتم أن سبب سفر ابن مهدي إلى اليمن يعود إلى موقف السلطان المسعود الأيوبي منه، بعد أن دخله الطمع وأوقف الأموال التي كان مشروطًا عليه دفعها للمسعود مقابل غزوه حضرموت وبقائه نائبًا عليها، إضافة إلى نيابته لأبين وأحور وغيرها من المناطق، وقد حاول ابن مهدي استرضاء الملك المسعود وقدم له الهدايا والأموال مقابل العفو عنه، والتزامه بتسديد ما عليه. للمزيد انظر: السمط الغالي الثمن، ص١٩٠ - ١٩١.

(٤) شنبل، تاريخ شنبل، ص١٠٣.

لهذا، لم يكن من السهل على قبائل حضرموت التغاضي عن الأعمال الإجرامية التي ارتكبها ابن مهدي بحق عامة الناس هناك، فدفعهم هذا الأمر إلى تشكيل تحالف قبلي سنة ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م تزعمته قبائل نهد، وأخذت بالترصد للأمير عمر بن مهدي حتى ظفرت به في شحوح[١] فقتلته هو وعدد كبير من أعوانه وأصحابه[٢]، ويذكر ابن حاتم[٣] أن سبب مقتل ابن مهدي، هو خلافه مع نائبه ابن اليماني حول بعض الأمور المالية التي تصرف فيها ابن اليماني في أثناء وجوده عند الملك المسعود في تعز، وقد دفع هذا الموقف ابن مهدي إلى الاستغناء عن خدمات ابن اليماني بدلًا من معاقبته، فخرج بدوره إلى قبائل نهد وزين لها الخلاف على ابن مهدي، فأعلنوا الحرب عليه، وتمكنوا في الأخير من قتله هو وجماعة من أصحابه، ثم هجموا على ما كان له من أموال وذخائر وامتلكوها، ولم يدعوا منها شيئًا، وبذلك سيطرت قبائل نهد على تريم وشبام وسائر بلاد حضرموت بعد أن خرجت من أيدي الأيوبيين، وبقيت الشحر بيد السلطان عبدالرحمن بن راشد بن إقبال، ويذكر باحنان[٤] أنه بقتل الأمير عمر بن مهدي انتهت دولة بني أيوب في حضرموت.

خلاصة القول، أن نضال أهالي وقبائل حضرموت الذي استمر من سنة ٥٧٥ - ٦٢١هـ/ ١١٧٩ - ١٢٢٤م ضد الوجود الأيوبي، وإن طال إلَّا أنه جاء بنتائج تمكنت من خلالها قبائل المنطقة من حكم نفسها، وهو ما كانت تسعى إليه منذ دخول بني أيوب إلى أراضيها، وقاتلت لأجله.

---

(١) شحوح: وادٍ واسع عن يسار الذاهب من سيئون غربًا إلى تريس. السقاف، إدام القوت، ص٦٦٧ - ٦٦٨.
(٢) باحنان، جواهر تاريخ الأحقاف، ص٤٢٠.
(٣) السمط الغالي الثمن، ص١٩١ - ١٩٢.
(٤) جواهر تاريخ الأحقاف، ص٤٢٠.

الخاتمـة

لقد توصلنا في بحثنا هذا حول حضرموت في ظل الوجود الأيوبي، إلى عدد من النتائج والاستنتاجات التي يمكن حصرها في الآتي:

١- إن حضرموت بمساحتها الجغرافية الواسعة احتلت أهمية كبيرة بحكم موقعها الاستراتيجي المهم، وما تميزت به من تنوع في طبيعتها الاقتصادية والاجتماعية التي جعلتها هدفًا لحكام بعض الدول التي تعاقبت على حكم اليمن عبر التاريخ.

٢- إن الأوضاع الداخلية لحضرموت، والصراع الدامي الذي كان دائرًا بين قبائلها المختلفة، وعدم وحدة كلمتهم، واختلافهم في أمور الحكم والنفوذ كانت من الأسباب الرئيسة التي سهلت دخول القوات الأيوبية إلى هذه المنطقة وإخضاعها بكل سهولة ويسر.

٣- إن بني أيوب عندما دخلوا حضرموت لم تكن لديهم رؤية واضحة لتطوير المنطقة، وعمل المشروعات الخيرية والاجتماعية والتعليمية فيها، بدليل عدم ذكر المصادر ولو لمشروع واحد قام به أي من النواب الأيوبيين، ممكن أن يستفيد منه الناس هناك، وهو -على ما يبدو- ما أثار أهالي حضرموت، وجعلهم في ثورة دائمة، خلال حكم الأيوبيين لهذه المنطقة، في حين قد يكون ماعرقل القيام بهذه المشروعات اضطراب المنطقة وكثرة تمرد أهلها، وفي اعتقادي الخاص أن الرأي الأول هو الصحيح.

٤- إن سلاطين بني أيوب ونوابهم حطوا الجانب المالي أمام أعينهم منذ دخلت قواتهم إلى حضرموت، فأخذوا يجبون سكانها، ويفرضون عليهم الضرائب المختلفة، ويهددونهم بالحصار والطرد والتشريد والقتل إذ ما رفضوا الخضوع لشروطهم المالية المجحفة، التي كانوا يفرضونها عليهم، كلما ثاروا أو طالبوا بحق من حقوقهم.

٥- إن جميع من حكموا حضرموت من نواب بني أيوب وعلى رأسهم الأمير عثمان الزنجيلي، والأمير ابن أبي العرب، وأخيرًا الأمير عمر بن مهدي تميزوا بالدموية مع أهالي المنطقة، وهو ما عكس نفسه على العلاقة التي ربطت قبائل حضرموت ببقية بني أيوب، وجعلتها علاقة عدائية.

٦- إن القضاء على الحكم الأيوبي في حضرموت لم يتم فقط بمقتل آخر نوابهم هناك، ولكن تم بسبب ضعف الدولة الأيوبية نفسها، وعجزها عن إرسال تعزيزات عسكرية لاستعادة

حضرموت، لانشغالها بما هي فيه من مشكلات تعاظمت في فترة حكم السلطان المسعود، آخر سلاطين بني أيوب في اليمن، حتى أنه بعد مرور أربع سنوات من انتهاء الحكم الأيوبي لحضرموت، انتهى الحكم الأيوبي في اليمن كافة.

٧- إن قبائل حضرموت وسكانها تميزوا بالعشوائية، وعدم التنظيم في ثوراتها وتمرداتها ضد الوجود الأيوبي، الأمر الذي جعلهم يتأخرون في تحقيق النجاح المرجو من وراء هذه الثورات، الذي كان من الممكن أن يتحقق في وقت مبكر إذا ما كانوا نظموا أنفسهم، وتحالفوا فيما بينهم لتحقيق هدفهم الأساسي وهو التخلص من الوجود الأيوبي في أراضيهم.

المصادر والمراجع

◉ **الأكوع، إسماعيل بن علي**

١- البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

◉ **باحنان، محمد بن علي بن عوض**

٢- جواهر تاريخ الأحقاف، دار المناهج، بيروت، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م.

◉ **بامخرمة، عفيف الدين أبو محمد الطيب بن عبدالله**

٣- تاريخ ثغر عدن، مطبعة: بريل، ليدن، ١٩٣٦م.

◉ **الحجري، محمد بن أحمد**

٤- مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق وتصحيح ومراجعة: إسماعيل بن علي الأكوع، مج١، دار الحكمة اليمانية، ط٢، صنعاء، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

◉ **جروان، عدنان أحمد سالم**

٥- مدينة غيل باوزير دراسة ساسية واقتصادية واجتماعية وثقافية (١٣٥٥ - ١٣٨٧هـ/ ١٩٣٦ - ١٩٦٧م، دار الفالحين، ط١، الرياض، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

◉ **الجعدي، عمر بن علي بن الحسن بن سمرة**

٦- طبقات فقهاء اليمن: تحقيق: فواد سيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

◉ **الجندي، أبو عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب**

٧- السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج١، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

◉ **ابن حاتم، بدر الدين محمد بن حاتم اليامي الهمداني**

٨- السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، تحقيق: ركس سميث، لندن، ١٩٧٤م.

◉ **ابن رسول، الملك الأفضل العباس بن علي**

٩- العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية، دراسة وتحقيق: عبد الواحد عبد الله الخامري، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

◉ **ابن رسول، الملك الأشرف السلطان عمر بن يوسف**

١٠- طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، تحقيق: ك. د. ستر ستين، دار التنوير، ط٢، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

◉ **السقاف، عبدالرحمن بن عبيد الله**

١١- إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، دار المناهج، بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

◉ **شنبل، أحمد بن عبدالله**

١٢- تاريخ حضرموت المعروف بـ: تاريخ شنبل، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، ط٢، مكتبة صنعاء الأثرية، صنعاء، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

◉ **ابن شيخان، سامي محمد**

١٣- نفحات وعبير من تاريخ غيل با وزير، دار التيسير، صنعاء، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

◉ **شهاب، أحمد بن عبدالله**

١٤- تريم الماضي والحاضر، تريم للدراسات والنشر، حضرموت، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

◉ **الصبان، عبد القادر محمد**

١٥- تعريفات تاريخية عن وادي حضرموت، مكتب الأمين، ط٥، سيؤن، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

◉ **العطاس، مصطفى بن عبد الرحمن بن عبد الله**

١٦- صفحات مجهولة من تاريخ حضرموت، تريم للدراسات والبحوث، ط١، تريم، ٢٠٠٥م.

◉ **القعيطي، السلطان غالب بن عوض**

١٧- تأملات تاريخ حضرموت قبل الإسلام وفجره، ط١، جدة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م

◉ **الكندي، سالم بن محمد بن سالم بن حميد**

١٨- تاريخ حضرموت المسمى بالعُدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة، تحقيق: عبدالله الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤١١هـ/ ١٩٩٩م، ص٧٩، ٨٠.

◉ **مفلح، سالم فرج**

١٩- حضرموت بين القرنين الرابع والحادي عشر للهجرة/ العاشر والسابع عشر للميلاد بين الأباضية والمعتزلة مشروع رؤية، دار حضرموت، حضرموت، ٢٠٠٦م.

◉ **ابن هاشم، محمد**

٢٠- حضرموت تاريخ الدولة الكثيرية، تريم للدراسات والنشر، حضرموت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٥م.

◉ **الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب**

٢١- الإكليل، ج١، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، مطبعة: السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٦٣م.

٢٢- صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، ط١، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

◉ **الهندي، خالد يوسف**

٢٣- الشحر حضارة وتاريخ ومعلم، مطابع حضرموت الحديثة للأوفست، ط٢، الشحر، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

◉ **ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله**

٢٤- الأنباه على قبائل الرواة، حققه وقدم له ووضع فهارسه: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

◈ ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم

٢٥- لسان العرب، ج١٠، اعتنى بتصحيحه: أمين محمد عبد الوهـاب ومحمد الصاوي العبيـدي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧م

موجز عن أحوال حضرموت
في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي

أ. فائز محمد باعباد
باحث في مركز حضرموت للدراسات
التاريخية والتوثيق والنشر

المقدمة

لم تتوسع المدونات والدراسات التاريخية في الحديث عن القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي مثله من مثل قرون تاريخ حضرموت الوسيط فقد دون هذا التاريخ بكلمات مقتضبة وإشارات عابرة فكان نتيجة ذلك عصر يكتنفه الغموض والثغرات لقلة المكتوب حوله، ورغم ذلك فقد اجتهد مؤرخو حضرموت وباحثوها المعاصرين في إعطاء صورة لا بأس بها عن هذا القرن ربما أفضل من القرون التي سبقته؛ في هذه الدراسة الموجزة حاولنا أن ندلوا بدلونا في إعطاء صورة عن هذا القرن ربما لأنه قرن متميز عن غيره في تاريخ حضرموت الوسيط معتمدين على جمع ما تفرق من المصادر المخطوطة والمطبوعة، أما تميز هذا القرن فيكمن في أنه كان قرن التصوف في حضرموت بامتياز ففيه ظهر كبار متصوفة حضرموت ومؤسسو التصوف والطرق الصوفية الحضرمية.

حضرموت لم تشهد في هذا استقرارًا سياسيًا لتنازع قوى سياسية متعددة من داخل حضرموت وخارجها مراكز النفوذ السياسي، وعانت من التجزء وكانت في كثير من المراحل مقسمة على أكثر من كيان سياسي، وكان ساحل حضرموت منفصلًا عن واديه تقريبًا، وكان الوضع الاقتصادي صعبًا بسبب عدم الاستقرار السياسي وبسبب الطبيعة الصحراوية وقلة الموارد لذلك شهد هذا القرن عدة مجاعات.

كان الوضع الاجتماعي أكثر تماسكًا رغم الهزات السياسية والاقتصادية، فقد أثر دخول التصوف إلى حضرموت على الجانب الاجتماعي وحوَّل المجتمع الحضرمي إلى مجتمع صوفي تحكم عاداته وتقاليده كثير من المنطلقات الصوفية.

ورغم أن موقع حضرموت البعيد نسبيًا لم يمكن من إقامة اتصالات واضحة ودائمة

مع مراكز الحضارة العربية والإسلامية إلا في حدود نادرة وضيقة، فقد شهدت أهم مدن حضرموت وقراها في هذه الفترة كتريم وشبام والشحر والقرى التابعة لها وقرى وادي دوعن والمشقاص وغيرها شهدت نشاطًا علميًا وصوفيًا لابأس به رغم عدم وجود الاستقرار السياسي، وكانت هذه المناطق في الغالب تسيطر عليها أسر علمية كما أن الوضع العلمي شهد نشاطًا ونهضة لابأس بها فظهر العلماء وظهرت مراكزهم ومؤسساتهم العلمية، وكان أكثر إتصال حضرموت في هذه الفترة باليمن وعمان ـ ظفار بحكم القرب الجغرافي.

كان الوضع المذهبي في هذه الفترة قد استقر عند اعتماد مذهب الأشاعرة أهل السنة في الأصول والعقائد، واعتماد المذهب الشافعي في الفروع الفقهية بعد أن أخذت الخلافات المذهبية التي كانت سائدة في السنين السابقة تضعف وتتلاشى.

لذلك أسمينا هذه الدراسة (موجز عن أحوال حضرموت في القرن السابع) ومن الله نسأل التوفيق والسداد.

المبحث الأول

الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية

شهدت حضرموت في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي حالة من عدم الاستقرار السياسي فقد دانت في هذا العهد بالتبعية لدول إسلامية أو يمنية أو حكمت من دويلات حضرمية محلية كانت تتبع تارة لهذه الدول، وتارة تحاول الاستقلال عنها، فمن الدول التي امتد نفوذها إلى حضرموت:

١) الدولة الأيوبية على مرحلتين من سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م إلى سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م، ومن سنة ٦١٦هـ/ ١٢١٩م إلى سنة ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م.
٢) الدولة الرسولية من سنة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م إلى سنة ٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م.
٣) الدولة الحبوضية من سنة ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م إلى سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م.

أما الدويلات الحضرمية التي شهدها هذا القرن فهي:

١) دويلة آل راشد (آل قحطان) ومقرها تريم.
٢) دويلة آل الدغار ومقرها شبام.
٣) دويلة آل فارس بن إقبال ومقرها الشحر.
٤) دويلة آل يماني ومقرها تريم.
٥) دويلة بني الأعلم ومقرها شبام.
٦) دويلة بني سعد ومقرها شبام.

٧) دويلة الأسداس ومقرها شبام.

بالإضافة إلى بعض الإمارات القبلية التي نشأت هنا وهناك وسيطرت على بعض المناطق الجغرافية التي لم يصل إليها نفوذ تلك الدول ومن أشهر تلك القبائل قبيلة نهد، وكانت الجهة الغربية من حضرموت يغلب عليها طابع البداوة وعدم الانقياد للولاة والسلاطين وكان يسكنها بعض قبائل كندة وتجيب ونهد.

وشهد هذا القرن بداية بروز قبيلة آل كثير كانت ديارها امتدت من صلالة بظفار إلى شرقي حضرموت[١]، وفي سنة ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م اختطوا بلدة عينات في وادي بوحة[٢] ليتخذوها معقلًا لتأسيس دولة عم نفوذها فيما بعد أرجاء حضرموت.

ويطول الحديث ويتشعب عن الخوض في التفاصيل عن وضع حضرموت السياسي في هذه الفترة، لكن في ذكر كل تلك القوى التي كانت تتصارع على النفوذ السياسي ما يغني عن شرح تفاصيل الصراع إذ نحن بصدد لمحة ودراسة موجزة.

أضافت الفوضى السياسية أعباء ثقيلة على الجلنب الاقتصادي ولم تكن حضرموت أصلا منطقة غنية بسبب طبيعتها الصحراوية وقلة المياه فيها، فاشتهرت بقلة الموارد وبصعوبة العيش، ومن أطرف ما يمكن أن يستدل به في هذا الجانب زعم البعض أن تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾[٣] يستثني أهل حضرموت من الورود

---

(١) الجعيدي، عبدالله سعيد: السلطنة الكثيرية الأولى، ص٣٠ ؛ اليزيدي:، ثابت صالح: الدولة الكثيرية الثانية، ص٣١.

(٢) شنبل، أحمد بن عبدالله: تاريخ حضرموت، المعروف بتاريخ شنبل ص ١١٠؛ بن حميد، سالم بن محمد بن سالم: تاريخ حضرموت، المسمى العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة، ج١/ ص، ٨٢ ؛ باحنان، محمد بن علي بن عوض بن سعيد بن زاكن: جواهر تاريخ الأحقاف، ج٢/ ص ١٢٦ ؛ الحامد، صالح بن علي بن صالح: تاريخ حضرموت، ج٢/ ص ٦٥٨.

(٣) القرآن الكريم: سورة مريم، الآية ٧١، والورود في الآية: قيل الدخول على النار، وقال آخرون: بلّ هو المرّ عليها، وقيل: هو الدخول، ولكنه يعنى الكفار دون المؤمنين. وقال آخرون: بل الورود عام لكلّ مؤمن وكافر، غير أن ورود المؤمن المرور، وورود الكافر الدخول. الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان في تأويل القرآن، ج ١٨/ ص ٢٣٢.

على النار لأنهم أهل ضنك في المعيشة[1]، كان الساحل منفصلا عن الداخل، وكانت معظم الموارد في الساحل تذهب إتاوات للسلطات التي هي غالبا سلطات من خارج حضرموت، فكانت موارد الشحر مثلا في بعض المراحل تذهب كلها إلى قبضة الرسوليين بعد أن سيطروا على حكم الشحر بشكل مباشر، أما حكام الداخل فقد أنهكهم التنافس فيما بينهم واستنزف قوتهم ومواردهم، فكانت حالة سكان حضرموت غاية في التقشف والفقر.

كان أهم موارد الثروة في حضرموت هو التمر لقلة المياه فالنخيل لا يحتاج إلى الماء الكثير مقارنة بالمزروعات الأخرى فكان الحضارمة يقضون أيامهم طوال السنة في اقتصاد وتقتير حتى إذا حل أوان الرطب تنفسوا الصعداء وانتعشوا فيدخرون عند جذاذه ما يرونه لازما للاقتناء لسنتهم ويبيعون ما بقي[2].

وعن الحال المعيشية لأهل حضرموت في ذلك الزمن يقول الخطيب في ترجمة الشيخ محمد بن علي باعلوي الفقيه المقدم المتوفى سنة ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م: (كان أهل حضرموت أهل ضنك في المعاش وأهل نخيل كثيرة، فلا يأتي أوان حملها بالرطب إلا وقد اشتدت حاجتهم إليه، لأنه ينال من ثمرها القوي والضعيف والغني والفقير وأهلها وغير أهلها والكثير منهم ليس له حيلة ولا حرفة ولا مكتسب غير ثمرتها يجمع منه ما جمع فيبيع بعضه ويأخذ بثمنه طعاما أو كساءا أو ما يحتاج إليه ويأكل بعضه تمرا) [3]، ولذلك إذا وجد بعض المال لدى الحضرمي في ذلك الوقت فإنه يفضل شراء النخل للفائدة الاقتصادية التي تجنى من ورائها، يذكر صاحب مخطوط المنهج القويم أنه اجتمع لدى بعض الفقراء من مريدي الشيخ عبدالله بن محمد القديم باعباد ت: ٦٨٧هـ/ ١٢٨٩م شيء من المال فاستشاروا الشيخ القديم فيه، فأذن لهم الشيخ بشراء شيء من النخل لكون حضرموت ضيقة العيش والنخل أنفع وأعود ما يكون فيها[4].

---

(١) الزبيدي، محمد بن محمد الملقب بمرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، ج١١/ ص ٤٥؛ العيدروس، عبدالقادر بن شيخ: النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ج ١/ ص ٤١.

(٢) الحامد: تاريخ حضرموت، ج٢/ ص ٦٤٣.

(٣) الخطيب، عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن: الجوهر الشفاف في ذكر فضائل ومناقب وكرامات السادة الأشراف، ج١/ ص٢٤١، مخطوط، ج١/ ص ٩٥، ٩٦.

(٤) باعباد، محمد بن أبي بكر: المنهج القويم والشفاء للسقيم في مناقب الشيخ عبدالله القديم، ص١٣٣، مخطوط، ص١٦.

أما زراعة الحبوب في تلك الفترة فكانت خاضعة لكثرة الأمطار أو قلتها حيث لا توجد بحضرموت انهارا ولا عيونا جارية، وان كان الساحل يوجد به شيء قليل من هذه العيون، وكان مقدار الحبوب التي تزرع لا يغطي حاجة الناس، وكان هذا من أسباب الفقر والشدة التي عانى منها الحضارمة، وتزداد الأمور سوءا في حضرموت في ذلك الزمن في فترات الحروب التي لم تنقطع، وفي فترات الجفاف واحتباس الأمطار ونتيجة لذلك حدثت في هذا القرن بعض المجاعات، التي منها:

١) مجاعة سنة ٦٢٥هـ/ ١٢٢٨م حين استولت خيثمة ونهد على بني حرام فأخذوا الخريف (ثمر النخل) والذرة أيضا ووقع في هذه السنة مجاعة عظيمة بسبب هذا الحادث[١].

٢) مجاعة سنة ٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م حيث احترق أيضا في هذه السنة الزرع حضرموت وحدثت مجاعة أخرى[٢] لا تقل عن سابقتها.

٣) أما في سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م فحدثت المجاعة التي جعلت أهل حضرموت يستنجدون بالحبوظي كما يذكر بعض المؤرخين، فجاء إلى حضرموت وحكم ثم غادرها وكان من آثاره في حضرموت الصدقة التي أوقفها للفقراء والمساكين والغرباء المنقطعين وأبناء السبيل وكانت حضرموت في حاجة إليها وقتذاك، وكانت هذه الصدقة هي عبارة عن أراض ونخيل[٣] وقد نفعت هذه الصدقات في وقتها واستفاد منها كثير من الفقراء والمعوزين، وكانت الزراعة هي الحرفة الرئيسية لسكان المناطق الداخلية، في حين كان أهل الساحل يعتمدون على صيد الأسماك.

وكان غالب طعام الحضارمة في ذلك الوقت بالإضافة إلى التمر الخبز الذي يصنع من القمح والذرة الرفيعة ويأتدمونه أحيانا باللبن، ومما قيل كان الشيخ عبدالله القديم باعباد -للتدليل على حالهم في ذلك الوقت- كان يأتدم الخبز بالملح[٤]، ومن طعامهم

(١) شنبل: التاريخ، ص ١٠٨؛ ابن حميد: العدة المفيدة، ج١/ ص، ٨٢؛ باحنان: جواهر تاريخ الأحقاف، ج٢/ ص ١٢٥؛ الحامد: تاريخ حضرموت، ج٢/ ص ٦٥٧.

(٢) شنبل: التاريخ، ص ١٢٨؛ الحامد: تاريخ حضرموت، ج٢/ ص ٦٦٥.

(٣) الشاطري، محمد أحمد: أدوار التاريخ الحضرمي، ج١/ ص ١٨٢؛ بامطرف، محمد عبدالقادر: المختصر في تاريخ حضرموت، ص ٧٨.

(٤) باعباد: المنهج القويم، ص ٢٧.

الأسماك[1] طازجة في الساحل، ومجففة في الوادي[2]، والعملة المستعملة كانت الدينار والدرهم والدانق[3]، وهي عملات عباسية، وتتم بعض المبايعات خصوصا بين الطبقات الفقيرة بالمقايضة فيما يتضح من قصصهم وأحوالهم.

وبرزت في هذا العصر ظاهرة (الحوط) التي أوجدتها حالة الانفلات السياسي والأمني في حضرموت، ومفردها الحوطة وهو الموقع الذي يختطه الشيخ الصوفي ويحوطه ويعلن انه أصبح حرما آمنا على الدوام لا يمكن فيه القتل أو النهب فمن لاذ به سلم من أعدائه، وبالتالي فالمدلول الحسي للكلمة هو المكان يحوطه حائط ومن ثم دل على المكان يحميه ولي[4]، وجل المراكز العلمية في حضرموت توجد داخل أماكن الحوط وهي مواقع مقدسة تحظى باحترام القبائل وتتمتع بمزايا عديدة لا تتوفر لمناطق أخرى[5]، وغالبا ما يقع موقع الحوط[6] على طرق القوافل.

وبرزت أيضًا في هذا الزمن ظاهرة الشفاعات (الخفارات) التي أوجدتها أيضا حالة الانفلات السياسي والأمني، وكانت عبارة عن أسلوب حماية أمني يأتي من أصحاب الوجاهات المعروفين بالصلاح من السادة والمشايخ لدى السلاطين والأمراء ورؤساء

(١) الخطيب: الجوهر الشفاف، ج١/ ص ١٠٥؛ بامخرمة، جمال الدين عبدلله بن أحمد: قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ج ٣/ ص ٢٨٨٢.

(٢) الخطيب، عبدالرحمن بن محمد: عقد البراهين المشرقة، مخطوط، ص ٤١.

(٣) باعباد: المنهج القويم، ص١٤، ١٦؛ الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج١/ ص ١٨٤.

(٤) شليفر: دائرة المعارف الإسلامية، ج٨/ ص١٥١، مادة حوطة.

(٥) شلحود: دائرة المعارف الإسلامية، ج١٦/ ص١٨٩، ١٩١؛ وأيضا رنتز: دائرة المعارف الإسلامية، نفس المجلد/ ص١٩١، ١٩٢، مادة حوطة.

(٦) من أشهر الحوط في حضرموت حوطة أحمد بن زين وحوطة الشيخة سلطانة وفي تريم حوطة الحاوي، وحوطة باعلوي وحوطة سحيل تريم المنسوبة للسيد علوي بن عبدالله العيدروس، وحوطة الريضة المنسوبة للسيد حسن بن علوي العيدروس، وحوطة عينات المنسوبة للسيد أبي بكر بن سالم باعلوي، وحوطة النويدرة بتريم المنسوبة للسيد شهاب الدين بن عبدالرحمن، وفي الشحر حوطة آل البيض، وحوطة معبر بمديرية الريدة وقصيعر التي يعتقد بأن لها صلة بالشيخ عبدالله القديم باعباد، وغيرها، أما أشهر الحوط خارج حضرموت فهي حوطة لحج الشهيرة، المنسوبة للصوفي الكبير سفيان بن عبدالله الأبيني اليمني.

العشائر، إذ يقوم بعض أولئك بخفارة القوافل في الطرق بأن يعطيهم شيئًا من أثره كمسبحة أو رسالة أو نحوهما، فلا يعترضها أحد وتمر في طريقها بأمان، وقد عرفت الخفارة عند العرب من عهود الجاهلية واستمرت في حضرموت إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية[1].

وممن اشتهر بخفارة القوافل في حضرموت محمد بن علي باعلوي المعروف بصاحب مرباط ت٥٥١هـ/ ١١٥٦م[2]، وأوقف الشيخ عبدالله القديم باعباد ت: ٦٨٧هـ/ ١٢٨٩م طريقًا من شبام إلى شعب هود بعرض إحدى عشر ذراعًا ليمر عبرها أهل حضرموت دون أن يستطيع أحد اعتراضهم[3].

أما الأزياء والملابس وأدوات الزينة والأسلحة في ذلك الوقت فقد كانوا يستعملون (العمائم والقمصان والبرود المنوعة وغيرها، ويتمنطقون بالخناجر والجنابي وتعليق السيوف على أكتافهم بواسطة حمائلها ويضعونها قريبًا منهم، أو على أفخاذهم في مجالسهم ومنهم من يحليها ويزين أغمادها كما يزينون أثوابهم بالسجاف والتطريز ويستعملون في حروبهم السيوف والرماح والأقواس والمجانيق)[4]، وكان يغلب على لبس العلماء اللون الأبيض امتثالًا للسنة النبوية[5]، ويلبسون الكوافي والعمائم[6]، والثياب الحسينية التي تصنع في أبيات حسين من اليمن[7]، وتصنع هذه هذه الثياب من الكتان والقطن وبعضها تحيكها النساء في المنازل[8]، واس تخدم الناس في ذلك

(١) الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج١/ ص ١٨٣.
(٢) الخطيب: الجوهر الشفاف، ج ١/ ص ٥٧.
(٣) العبادي، عبدالله بن أحمد المسدس باعباد: مشكاة التنوير شرح المختصر الصغير، حققه وعلق عليه: عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد باعباد، ص٢٧ مقدمة المحقق.
(٤) الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج١/ ص ١٨٥.
(٥) باعباد: المنهج القويم، ص١٩؛ فقد ذكر على سبيل المثال أن الشيخ عبدالله القديم خرج إلى شعب يرقق أعلى مدينة الغرفة بقميص أبيض كتان.
(٦) الخطيب: عقد البراهين المشرقة، ص ٤١.
(٧) الخطيب: الجوهر الشفاف، ج١، ص ٩٧.
(٨) الخطيب: المصدر نفسه، ج١/ ص٦٨؛ بامخرمة: قلادة النحر، ج ٣/ ص ٢٦٥٧.

الزمن المكحلة والطيب[1] (العطر) والبخور الذي يطيب المكان[2]، وتستخرج بعض العطور من العنبر المنسوب للشحر لتوفره في سواحلها والذي اشتهر بالعنبر الشحري[3]، أما السيدات فيرتدين الفساتين الطويلة والأكمام والأذيال ويتقنعن بالأقنعة ويختمرن بالخمر ويستعملن الأحزمة والحلي ويخضبن بالحناء[4] ويصبغن ثيابهن بالورس[5]، وكان الزواج في حضرموت كان غالبًا محصورًا في الأسرة الواحدة، ويشترطون في الزواج الكفاءة في النسب، وقد يتزوج بعض السادة والمشايخ من الأسر الأخرى دون العكس، والعلويون أكثر تشددًا في هذه المسألة.

المبحث الثاني

الوضع المذهبي

في هذا القرن أخذت الخلافات المذهبية التي كانت سائدة في حضرموت تضعف وتتلاشى، وحل محلها إجماع شامل في طول البلاد وعرضها على اعتماد مذهب الأشاعرة أهل السنة في الأصول والعقائد واعتماد المذهب الشافعي في الفروع الفقهية[6]، ورغم أن المذهب الإ باضي الذي ظهر في النصف الأول من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي كان هو الأبرز في التاريخ المذهبي الحضرمي قبل انتشار المذهب السني الشافعي فإن ذلك لم يمنع من وجود مذاهب أخرى من سنة وشيعة وإمامية وزيدية معتزلة وقرامطة[7].

ولا يعرف بالضبط متى وكيف دخلت بعض هذه المذاهب إلى حضرموت حيث لا توجد دراسات مستفيضة، لكن الإباضية كانت الأهم والأشهر في التاريخ المذهبي الحضرمي قبل انتشار الشافعية، وهي الفرقة المنسوبة إلى عبدالله بن إباض المري أول

(١) باعباد: المنهج القويم، ص ٢٤.
(٢) الشلي، محمد بن أبي بكر: المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل باعلوي، ج٢/ ص ١٤٤، ١٩١.
(٣) الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج ٣/ ص ٣٢٧؛ السقاف، عبدالرحمن بن عبيدالله: إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، ص ٧٣.
(٤) الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج١/ ص ١٨٥.
(٥) باعباد: المنهج القويم، ص ١٩.
(٦) باوزير: سعيد عوض، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، ص٨٩.
(٧) باوزير: المصدر نفسه، ص٧٣.

أئمتها، ولها مذهب خاص فيه بعض أصول المذهب الخارجي[1]، لكن من كتبوا من الإباضية ينفون صلة مذهبهم بالخوارج[2]، كان من أهم شخصيات حضرموت التاريخية في هذا المذهب عبدالله بن يحيى الكندي الملقب (طالب الحق) الذي التقى بدعاة المذهب ومنهم أبوحمزة المختار في مكة في موسم الحج سنة ١٢٨هـ/ ٧٤٥م فاقتنع بدعوتهم وعاد إلى حضرموت فدعا أهلها فاعتنق الحضارمة العقيدة الإباضية اختيارًا ولم يكرهوا على اعتناقها[3].

وكان من حملة لواء الإباضية السياسيين آل النعمان من بني الدغار حكام شبام، لكن الهزائم المتلاحقة التي مني بها آل الدغار من قبل أتباع المذهب السني وهم سلاطين تريم من آل راشد أضعفت الإباضيين بشكل كبير[4]، وبقيت الإباضية في حضرموت رغم الإرهاصات التي واجهتها حتى قدوم الأيوبيين وضمهم حضرموت، فانتقل إمامهم من دوعن إلى شبام ولم ينتهوا إلا سنة ٥٩١هـ/ ١١٩٥م وذلك بتغيير إمامهم الإباضي بآخر سني في مسجد الخوقة بشبام[5]، كان ذلك إيذانا بانتهاء الإباضية سياسيًا لكن يصعب تحديد تاريخ انتهائها من ذاكرة الناس الذين اعتنقوها واعتقدوها عصورًا من الزمن فليس من السهل نسيانها بتغيير إمام إباضي بآخر سني ولا بد أنها استمرت بعد هذا التاريخ لسنين قبل أن تتلاشى تدريجيًا، ومن خلال المصادر التي بين أيدينا فإن الفكر الإباضي في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي لا يكاد يذكر، ويبدو لنا أنه إن كان موجودًا فهو على الأكثر كان في مرحلة التلاشي الشعبي بعد أن تلاشى سياسيًا.

---

(١) الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص ج١/ ص١٩٤؛ البغدادي، عبدالقادر: الفرق بين الفرق وأصول الفرقة الناجية، ص٨٢؛ ابن حزم، علي بن أحمد الظاهري: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٥/ ١٨٨.

(٢) معمر، علي بن يحيى: الإباضية مذهب إسلامي معتدل، ص ١١؛ السمائلي، سالم بن حمود بن شامس السيابي: أصدق المناهج في تمييز الإباضية من الخوارج، ص ٢٩.

(٣) الحداد، علوي بن طاهر: جني الشماريخ جواب أسئلة في التاريخ، ص١٣.

(٤) فرانتسوزوف، سرجيس: تاريخ حضرموت الاجتماعي، ص ١٩٥.

(٥) شنبل: التاريخ، ص ٧٥؛ ابن حميد: العدة المفيدة، ج ١/ ص ٧٢؛ باحنان: جواهر تاريخ الأحقاف، ج ٢/ ص ١٠٤؛ الحامد: تاريخ حضرموت، ج٢/ ص ٤٥٢.

أما المذهب الشيعي فمما يذكر عنه في حضرموت أن قرية الجبيل في دوعن كان أهلها من الشيعة وأنهم اتصلوا بأحمد بن عيسى المهاجر ـ جد السادة العلويين الحضارمة ـ عندما كان بالمدينة المنورة سنة ٣١٨هـ/ ٩٣٠م، وحسنوا له الإقامة في حضرموت، ودعوه إلى الهجرة لبلدهم[١] واختلف مؤرخو حضرموت وباحثوها في مذهب المهاجر وأهله عند قدومهم من العراق، فمن قال: إنهم كانوا على المذهب الشيعي الإمامي[٢]، ومن ذكر أنهم كانوا على المذهب السني[٣]، في ذلك الوقت كان ملك الصليحيين قد شمل حضرموت ساحلها وواديها، وبوصفهم شيعة إسماعيلية ساعدوا على تعزيز مركز العلويين، يذكر الحامد أن من جملة نتائج استيلاء الصليحي على حضرموت القضاء على شوكة فرقة الإباضية وعلو كلمة متبعي السنة والنازعين لنصرة أهل البيت[٤]، ولم تذكر المصادر شيعة من الحضارمة غير ماقيل عن العلويين، وفي زمن الدراسة يظهر أن التشيع في حضرموت لم يتعد احترام الناس ومحبتهم لأسرة آل باعلوي السادة الأشراف آل البيت.

أما المذهب السني بمذاهبه (الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي) فقد ذكر وجودًا للمذهب الحنفي ثم المذهب الشافعي الذي عم وانتشر، أما المذهب المالكي والمذهب الحنبلي فليس لهما الذكر الكثير في حضرموت لا في زمن الدراسة ولا في غيرها، لكن هناك من يرى أن عدم ذكرهما قد لا ينفي وصولهما لحضرموت فربما وصلا ولم يعط لهما اهتمام[٥]، فتلك المدة الزمنية كانت تعد من مجاهل التاريخ الحضرمي لقلة المصادر التاريخية التي تتحدث عنها.

أما المذهب الحنفي فقد قيل إنه كان بدوعن قاضيان ومفتيان حنفي والآخر شافعي[٦]، فإن صح فهذا يعني أن المذهبين تعايشا فترة في حضرموت، ويحتمل أن يكون المذهب

(١) باوزير: الفكر والثقافة، ص٧٤.
(٢) السقاف، عبدالرحمن بن عبيدالله: نسيم حاجر في تأييد قولي عن مذهب المهاجر، ص٨ ؛ والحامد: تاريخ حضرموت، ج ١/ ص ٣٢٣.
(٣) الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج١/ ص ١٦٠، ١٦١.
(٤) الحامد: تاريخ حضرموت، ج ٢/ ص ٤٠٤.
(٥) عبدالنور، محمد يسلم عبدالنور: المذاهب والفرق الإسلامية في حضرموت، ص ٢٨، ٢٩.
(٦) الحداد: جني الشماريخ، ص٥؛ باحنان: جواهر تاريخ الأحقاف، ج ٢/ ص ٩٩.

الحنفي قد استمر من ذلك العهد، أو أحيي بعد انضمام حضرموت للدولة الأيوبية في عهد عثمان الزنجيلي في أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي لأن الزنجيلي كان حنفيًا[1]، ولعل وجود العلماء والمدارس الحنفية في زبيد وعدن قد ألقى بظلاله وتأثيره على بعض العلماء الحضارمة الذين كانوا يترددون على تلك المناطق، فتمذهب بعضهم بالمذهب الحنفي في فترات لاحقة، وقد ذكر السقاف أن الشيخ محمد بن عبد الله ابن عمر باعباد الذي عاش مابين شبام والغرفة يسمى صاحب الجابية لأنه بنى جابية للواردين عليه من الحنفية[2] ولا يذكر أحد أسماء لعلماء أحناف في حضرموت لعدم وجود ما يشير إلى ذلك في المصادر الحضرمية.

كانت السلطة الإباضية من العوائق التي حدَّت من الانتشار الواسع للمذهب الشافعي في البداية لكن لما جاءت الدولة الرسولية السنية الشافعية لحضرموت وظهرت بعض الدويلات المستقلة بعد ضعف الإباضية التي تبنت المذهب كسلطنة آل راشد[3] أخذ المذهب ينتشر على حساب الإباضية التي تلاشت رويدًا.

ويعود الفضل أيضًا في انتشار المذهب السني الشافعي إلى وفود بعض علماء السنة إلى حضرموت، ورحلات طلاب العلم إلى خارجها الذي أوجد مجموعة من العلماء الحضارمة ساعدوا على نشر المذهب، وبعد ظهور التصوف في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي لم تشذ حضرموت عن مذهبها السني الشافعي بل لقد تبنى المتصوفة المذهب رغم ما ظهر من بعضهم من شعائر التصوف وكراماته وشطحاته.

قرن التصوف

كان ظهور التصوف في حضرموت متأخرًا نسبيًا مقارنة بظهوره في بقية بلدان العالم الإسلامي، ربما بسبب بُعد حضرموت عن مراكز الحضارة الإسلامية ومراكز نشأة التصوف،

---

(١) عبدالنور: محمد يسلم عبدالنور: الحياة العلمية في حضرموت في القرنين السابع والثامن الهجريين، ص٢٢، والحياة العلمية، ص ٣٣٥ نقلًا عن عبدالرحمن الشجاع: أوقاف دمشق والمال في اليمن.

(٢) السقاف: إدام القوت، ص٣٢٣، ٣٢٤.

(٣) فرانتسوزوف: تاريخ حضرموت الاجتماعي، ص ١٩٦؛ عصبان، أكرم: الفرق والمذاهب في حضرموت ص١٠٩.

وبسبب الفتن والحروب، أضف إلى ذلك سيادة المذهب الإباضي الذي كان أيضًا يعيق انتشار التصوف في حضرموت، لكن عندما تهيأت لها الظروف بدت الدعوة الصوفية جاذبة للحضارمة إذ كان ظاهرها الدعوة إلى الزهد والتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل، وقد أظهر المتصوفة الاعتكاف على الأذكار والأوراد والخلوات والزهد ودعوا إلى ترك السلاح ونبذ السيف الذي كان يرمز للقتل والنهب والسلب، كان معظم الناس قد تعبوا من الفتن والحروب وعدم الاستقرار، وكان الوضع المعيشي الذي عاشته حضرموت في تلك العهود من الفقر والشدة والتقشف وهو من صفات الصوفي قد جعل التصوف مُعاشًا واقعًا ولم يبقَ إلا وجوده اسمًا.

ومن الأسباب المباشرة لانتشار التصوف هو اتصال بعض متصوفة العالم الإسلامي بحضرموت منهم الصوفي المغربي شعيب أبو مدين التلمساني شيخ الطريقة الصوفية الشعيبية الذي أرسل مندوبة إلى حضرموت، وممن ثبت زيارتهم لحضرموت الصوفي سفيان الأبيني اليمني ت: ٦١٠هـ/ ١٢١٣م الذي زار حضرموت والتقى بعلمائها وأخذ عنهم وأخذوا عنه[1]، ومعرفة أبناء حضرموت بكبار الصوفية والتقائهم ببعضهم مهد لاهتمام الحضارمة بالتصوف واقتنائهم للكتب الصوفية مثل كتب الغزالي ككتاب (إحياء علوم الدين) وغيره، فقد استطاع أبو حامد الغزالي ت: ٥٠٥هـ/ ١١١١م أن يمزج بين علوم الشريعة والتصوف مما خفف حدة الخلاف بين الفقهاء والصوفية[2] وهو ما قرب فكر التصوف عند الحضارمة الذين كانوا أصلًا مهتمين بالعلوم الفقهية وجمع الأحاديث النبوية[3].

يكاد المؤرخون والباحثون يجمعون على أن محمد بن علي باعلوي المعروف بالفقيه المقدم ت: ٦٥٣هـ/ ١٢٢٥م هو أول من أظهر أفكار التصوف في حضرموت[4].

(١) باعلوي، علي بن أبي بكر السكران: البرقة المشيقة في ذكر لباس الخرقة الأنيقة، ص١١١؛ الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج١/ ص٣٠٢.

(٢) ابن عقيل، عبدالرحمن بن جعفر: عمر بامخرمة السيباني حياته وتصوفه وشعره، ص ٣٥

(٣) الشلي: المشرع الروي، ج ٢/ ص ٥.

(٤) السقاف: إدام القوت، ص١٨٧؛ الحامد: تاريخ حضرموت، ج٢/ ص٦٣٨؛ الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج٢/ ص٢٦٣؛ بامؤمن، كرامة مبارك سالمين: الفكر والمجتمع في حضرموت، ص٢٥٣، ٢٥٤؛ المعلم، أحمد حسن: القبورية في اليمن، نشأتها، تأثيرها، موقف العلماء منها، ص ١٩٧؛

وقد بدأت علاقة الحضارمة بالطرق الصوفية بالطريقة المغربية الشعيبية بعد أن أرسل الشيخ أبو مدين شعيب بن الحسن المغربي ت: ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م مؤسس الطريقة تلميذيه الشيخ عبدالرحمن المقعد والشيخ عبدالله الصالح المغربيين إلى حضرموت فمات المقعد في مكة قبل أن يقوم بالمهمة، لكنه قبل أن يموت أسند إيصال الرسالة إلى الشيخ عبدالله الصالح الذي وصل إلى تريم، فدخل على الفقيه المقدم أولًا وهو في حلقة شيخه الفقيه علي بن أحمد بامروان ت: ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م فغمزه وأخذه من بين يدي شيخه فأبلغه الرسالة وحكَّمه وألبسه لباس الصوفية ثم ذهب إلى قيدون فلقي الشيخ سعيد ابن عيسى العمودي فحكَّمه كذلك وأدخله في عداد الصوفية، وذهب دوعن كذلك ليلقى باعمر صاحب عُورَة ويلحقه بالجماعة، ثم يتوجه إلى ميفعة ويلقى الشيخ عبدالله باحمران فيحكِّمه كذلك ويلحقه بهم، ليستقر الشيخ عبدالله المغربي في ميفعة ويتزوج وينجب بنتين ثم يتوفاه الأجل، ويدفن بمكان بميفعة يقال له أصبعون، حسبما تذكر القصة(١)، وفي مرض وفاته جاءه المشايخ الذين حكمهم يزورونه، وهم الفقيه المقدم والشيخ سعيد العمودي وباعمر وباحمران. وقالوا أتشير إلى أحد بعدك؟ فسكت ساعة ثم قال يا أولادي ما استقل منكم إلا صاحب السبحة وأنتم مشايخ، وميراثي أرباع من بينكم، والبنتان على يديك يا شيخ سعيد فلما مات قسموا ميراثه بالقرعة، فخرج المشعل والقدر للشيخ سعيد، والسبحة والعكاز للفقيه المقدم فكان

= عبدالنور: المذاهب والفرق الإسلامية في حضرموت، ص٦٠؛ فقد ذكر السقاف أن الفقيه المقدم أول من سلك طريق التصوف في حضرموت، وقال الحامد: إن التصوف طرأ على حضرموت في القرن السابع الهجري، وبيَّن الشاطري أن التصوف تغلغل في الأوساط الحضرمية بواسطة شيوخ حضرموت وعلمائها وفي مقدمتهم الفقيه المقدم، وأشار بامؤمن: إن الفقيه المقدم كان له الدور الأكبر في تجذير التصوف في حضرموت، وأكد المعلم: إن كلمة مؤرخي حضرموت اتفقت على أن الذي أدخل التصوف إلى حضرموت هو شعيب أبو مدين حينما بعث رسوله عبدالرحمن المقعد وأمره أن يذهب إلى حضرموت ويحكم أربعة من أهلها اختارهم وسماهم له، وخلص عبدالنور إلى أن الباحثين يكادون يجمعون على ارتباط ظهور التصوف في حضرموت بالشيخ محمد ابن علي الفقيه المقدم.

(١) الجندي، محمد بن يوسف بن يعقوب، السلوك في طبقات العلماء والملوك ج٢/ ص٤٦٣؛ الأهدل، الحسين بن عبدالله الأهدل اليمني: تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، ج٢/ ص٤٢٨؛ الخطيب: الجوهر الشفاف، ج١/ ص٨١؛ بامخرمة: قلادة النحر، ج٣/ ص ٢٨٨٠؛ الشلي: المشرع الروي، ج٢/ ص٥.

هو المشار إليه بالاستقلال، والدلق لباعمر صاحب عورة، والحبوة والبسطة لباحمران[١]، وهكذا كانت القيادة للفقيه المقدم.

كانت الطرق الصوفية المحلية التي اشتهرت في حضرموت أربع[٢]، (ولم يشتهر بحضرموت سوى هذه الطرق الأربع)[٣]، ثلاث منها ظهرت في هذا القرن وهي الطريقة العلوية: ومؤسسها الفقيه المقدم وهي صاحبة الشهرة والريادة، والطريقة العمودية: التي تنسب إلى الشيخ سعيد بن عيسى العمودي ت: ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م والطريقة الثالثة: هي الطريقة العبادية المنسوبة إلى الشيخ عبدالله بن محمد باعباد المشهور بالقديم ت: ٦٨٧هـ/ ١٢٨٩م وهو من أهم تلاميذ الفقيه المقدم.

وللطريقة العبادية مظهر خاص[٤]، فإسنادها يختلف عن الطريقة العلوية والعمودية فقد أخذها الشيخ عبدالله القديم عن شيخه أحمد بن الجعد الأبيني[٥] بسنده إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني[٦] أما الطريقة الرابعة: فهي طريقة الشيخ معروف بن عبدالله باجمال ت: ٩٦٩هـ/ ١٥٦١م وهي خارج نطاق هذا القرن.

كان من أهم قرارات الفقيه المقدم الرائدة وعميقة الدلالة -بعد أن لبس ثوب الصوفية- أن أعلن دعوته للسلام في هذا القرن العاصف بالقلاقل والفتن والصراعات، كانت الخطوة الرمزية كسر السيف الذي يرمز للعنف وكان الناس بحاجة ماسة للسلام حين دعاهم الفقيه المقدم إليه، هناك من يرى أن الفقيه اتخذ هذه الخطوة بعد تبعية حضرموت للدولة الرسولية وعناية واهتمام آل رسول بالتصوف، فلم يجد حاجة لحمل السيف مادامت الدولة الرسولية ستوفر له ولغيره الأمن والرعاية[٧]، ويذهب البعض إلى

---

(١) السقاف: إدام القوت، ص٣٦، ٣٧.

(٢) باجمال، محمد بن عبدالرحمن بن سراج: مواهب الرب الرؤوف في مناقب الشيخ معروف مخطوط، ص٥٥؛ السقاف: إدام القوت، ص ٣٢٦؛ العطاس، عبدالله بن علوي: ظهور الحقائق في بيان الطرائق، ص٩٠؛ المشهور، أبوبكر بن علي، الشيخ معروف باجمال سلسلة أعلام حضرموت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص٤٤.

(٣) العطاس: ظهور الحقائق، ٩٠؛ المشهور: الشيخ معروف باجمال، ص٤٤.

(٤) الحامد: تاريخ حضرموت، ج٢/ ص٧٨٤

(٥) باوزير: الفكر والثقافة، ص١٢٩

(٦) العطاس: ظهور الحقائق، ص١٠١؛ المشهور، الشيخ معروف باجمال، ص٤٣

(٧) عبدالنور: المذاهب والفرق الإسلامية في حضرموت، ص ٦٩.

القول بأن الفقيه أراد أن يطمئن الحكام السياسيين في حضرموت الذين كانوا يخشون من شعبية ومكانة العلويين فترك السلاح كي يوحي لهم بأن لا خطر على ملكهم من جانبه(١).

والحق والصواب أن السلام ديدن المتصوفة ودينهم في كل عصر ومصر، فالمبادئ العامة للتصوف هي التقشف والزهد في الدنيا وليس في السلطة فحسب إلا ما شذ وليس للشاذ حكم، لذلك اختار الفقيه المقدم حمل العكاز الذي يرمز إلى التصوف بدلًا من السيف الذي يرمز إلى النهب والسلب وطلب الحكم والثأر، تجنب الفقيه السياسية وهادن الساسة. هذه مسالك المتصوفة لا توجد لديهم رؤية سياسية ولا تطلع للكراسي، فما دام هذا حالهم فلماذا يحملون السلاح إذن؟

ترك كثير من الناس السلاح استجابة لدعوة الفقيه المقدم وزهدًا في الشر وأسبابه مثل آل باجمال وآل باعباد وآل إسحاق وغيرهم(٢).

وكانت خطوة كسر السيف على كل حال خطوة رمزية لم تنه صولات السيف وجولاته في حضرموت، ولكنها أظهرت تميُّز دعوة الصوفية ونهجها السلمي الذي كان من أهم أسباب وأسرار نجاحها وبقائها كل هذه السنوات الطوال.

يستغرب وربما يثير الإعجاب لدى البعض أن يوصي الفقيه المقدم برئاسة مشيخة التصوف بعد وفاته لزوجته زينب أم الفقراء(٣) دون أولاده وتلاميذه وهم مشايخ كبار، يبدو هذا الاختيار مستغربًا لأن أهل حضرموت لم يعتادوا على تولي امرأة لمنصب ديني ولا حتى منصب سياسي، فضلًا عن أن المشيخات الصوفية في العالم الإسلامي كله لم تشهد تولي النساء لها إلَّا في حالات شاذة ونادرة في تاريخ الصوفية(٤).

احتار المؤرخون في سبب اختيار الفقيه المقدم لزوجته دون أبنائه وتلاميذه الكبار للتربع

(١) المشهور، أبوبكر بن علي العدني: الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم، ص ٥١.
(٢) العطاس: أنساب الأسر الحضرمية، ص١١.
(٣) الخطيب: الجوهر الشفاف، ج١/ ص١٣٠؛ الشلي: المشرع الروي، ج٢/ ص١٠؛ الحامد: ج ٢/ ص٧٢٧؛ الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج٢/ ص ٣٠٧.
(٤) العيدروس، حسن بن أحمد: تجريد التحقيق حول الفقيه المقدم وسند الخرقة والطريق، ص ٣٢.

على مشيخة التصوف العلوية، ذكروا أن السبب يكمن في شخصية الفقيه المقدم وتواضعه[١]، وأن هذا الاختيار ناشئ عن قوة شخصية أم الفقراء واستعدادها لتحمل المسئولية[٢]، لكن في مجتمع ذكوري كالمجتمع الحضرمي فإن ذلك القرار كان شجاعًا جدًا، ما يدعو للإعجاب هذا التقدير العظيم لدور المرأة ومكانتها عند هذا الشيخ الصوفي الكبير، وبعد هذا القرن ظهرت مجموعة من النساء الحضرميات ممن كنَّ لهنَّ دور قيادي في الدعوة كالشيخة سلطانة بنت علي الزبيدية ت: ٨٤٧هـ/ ١٤٤٣م التي تعد من أشهر نساء حضرموت في التصوف والصلاح، حتى لقبت (رابعة حضرموت) تشبيها بالمتصوفة الشهيرة رابعة العدوية.

كان من أشهر متصوفة هذا العصر أيضًا:

سالم بن بصري العلوي ت ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م، عرف بعلو الإسناد وقيل: انتهت إليه الرئاسة في علم التصوف[٣]، وسعد الدين بن علي الظفاري الشحري الملقب بتاج العارفين ت: ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م: الذي استوطن الشحر واتخذ فيها دارًا وتوفي فيها، هناك من يرى بأسبقيته في ريادة التصوف بحضرموت على الفقيه المقدم[٤]، وعلي بن محمد بن جديد العلوي[٥] ت٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م الذي رحل في طلب العلم لبلدان كثيرة وقيل: كانت لعلاقته بمتصوفة زبيد دور في تهيئة حضرموت ولانتشار التصوف فيها، ومن متصوفة ذلك العصر أحمد بن علوي بن محمد صاحب مرباط ت: ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م، الذي اعتنى بالتصوف قراءة وتدريسًا ومطالعة[٦] وقيل: كان أول من تصوف من آل باعلوي أي قبل الفقيه المقدم[٧]

---

(١) الحامد: ج ٢/ ص ٧٢٧.
(٢) الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج٢/ ص ٣٠٨.
(٣) خرد: الغرر، ص ١١٩.
(٤) عصبان: الفرق والمذاهب في حضرموت، ص ١٥٣.
(٥) الخطيب: الجوهر الشفاف، ج١/ ص٧٨، ٧٩؛ الشلي: المشرع الروي، ج٢/ ص٣، ٤؛ باحسن: عبدالله ابن محمد جمل الليل: نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحميّة، ج٢/ ص١٤٠؛ الحامد: تاريخ حضرموت، ج٢/ ص٧٠٩؛ عبدالنور: لحياة العلمية، ص ٤٤٥، ٤٤٦؛ عصبان: الفرق والمذاهب في حضرموت، ص١٥٨.
(٦) الشلي: المشرع الروي، ج٢ ص ٧٣.
(٧) خرد، محمد بن علي بن علوي: غرر البهاء الضوي ودرر الجمال البديع البهي، ص١٣٣؛ الشلي: المشرع، ج٢/ ص٧٣؛ الحامد: تاريخ حضرموت، ج ٢/ ص ٧١٥.

لكن الغريب أن مؤلف الجوهر الشفاف لم يتطرق لذكره، وسعيد بن عيسى العمودي ت: ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م الذي يعد من أكابر رجال التصوف في حضرموت[١] ومن ناشريه إلى جانب الفقيه المقدم والشيخ عبدالله بن محمد عبدالرحمن باعباد الشهير بالقديم ت: ٦٨٧هـ/ ١٢٨٩م، وعبدالله بن إبراهيم باقشير ت: ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م وهو والشيخ القديم من تلاميذ الفقيه المقدم، وصفه الحامد: بالشيخ الكبير والعلم الشهير[٢]، ونُقِل عن عبدالرحمن بن حسان قصيدة في الفقيه المقدم منها قوله:

بصحبته سر السرايا قد سرى ... بعبّادهم بحر المكارم زاخر

وقامع نفس بالرياضة حبذا ... قشيريّهم قل في لحاف فظافر

ويعني بقشيرهم كما يقول الناقل الشيخ عبدالله المذكور، وبعبَّادهم الشيخ عبدالله القديم بن محمد باعباد[٣]، ومن متصوفة ذلك العصر علوي بن الفقيه المقدم الملقب بالغيور ت: ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م[٤] وعبدالله بن علوي بن الفقيه المقدم ت: ٧٣١هـ/ ١٣٣١م الذي أخذ علوم الحقيقة (التصوف) عن جده وأبيه وكبار مشايخ عصره، وعُد من أولي التصريف والشهود والتمكين[٥].

ومن متصوفة ذلك العصر علي بن محمد الخطيب[٦] ت: ٦٤١هـ/ ١٢٤٣م: عرف بمولى الوعل، ومحمد بن سالم باوزير(مولى عرف) ت في ق ٧ هـ/ ١٣م كان هؤلاء أشهر رجال

---

(١) الشرجي، أبو العباس أحمد بن عبداللطيف: طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، ص ١٤٥.

(٢) الحامد: تاريخ حضرموت، ج٢/ ص٧٢١.

(٣) الخطيب: الجوهر الشفاف، ج١/ ص٩٤؛ وعبدالرحمن بن علي بن حسان قاضي وإمام وفقيه ومؤرخ حضرمي من المشقاص له كثير من المؤلفات المفقودة أهمها تاريخه المسمى البهاء الذي نقل عنه كثير من المؤرخين. الخطيب: الجوهر الشفاف، ج١/ ص٢٤١؛ باعلوي: البرقة المشيقة، ص ١١٨؛ الحامد: تاريخ حضرموت، ج٢/ ص٦٨٦.

(٤) خرد: غرر البهاء، ص ١٥٩، ٣٧٣؛؛ المشهور، عبدالرحمن بن محمد، شمس الظهيرة في نسب أهل البيت من بني علوي فروع فاطمة الزهراء وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ج١/ ص ٨١.

(٥) الشلي: المشرع، ج٢/ ص ١٨٥؛ باوزير: الفكر والثقافة، ص ١٣٢.

(٦) الخطيب: الجوهر، ج١/ ١٣٠؛ بامخرمة: قلادة النحر، ج٣/ ص٢٨٤٢؛ الخطيب، محمد بن عبدالله ابن سليمان: البرد النعيم في نسب الأنصار خطباء تريم، ص٤٢.

التصوف في حضرموت في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وهو القرن الذي ازدهر فيه التصوف وظهرت فيه طرقه ومدارسه في حضرموت، ومنذ ذلك العهد تغلغل التصوف في حضرموت، وظهر بعد هؤلاء رجال وأعلام آخرون في التصوف الحضرمي، لكن ظل رجال القرن السابع هم الأشهر تاريخيًا والأكثر حضورًا في ميادين ومرجعيات التصوف الحضرمي.

المبحث الثالث

الوضع العلمي

شهدت حضرموت في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي نشاطا علميا لا بأس به مدفوعا بنهوض المذهب السني الشافعي على أنقاض المذهب الأباضي امتد هذا التأثير إلى القرون اللاحقة كان من أهم أسباب هذا النشاط في تلك الفترة تشجيع سلاطين حضرموت للعلم والعلماء، حتى إن نشوان الحميري لما زار تريم سنة٥٧١هـ/ ١١٧٥م في حكم السلطان راشد بن شجنعة أشار إلى دور السلطان راشد في رعاية العلم وأهله فقال بعد أن ذكر بعض العلماء:

أولـئـك أهــل الـفـضـل في ظـل فـاضـل عظيم مـن الأمــلاك عـالـي الـدعـائـم[(١)]

وكان من بين سلاطين دويلة آل راشد الفقهاء والمحدثين كالسلطان عبدالله ابن راشد ت ٦١٦هـ/ ١٢١٩م الذي قرأ البخاري وأخذ عن ابن عساكر والمقدسي[(٢)] وكان كثير من سلاطين آل راشد من المحبين للعلم والعلماء، وممن يذكر منهم أيضا السلطان الفقيه محمد بن السلطان عبدالله بن راشد الذي كانت تدور بينه وبين الشيخ الصوفي عبدالله بن محمد القديم باعباد ت: ٦٨٧هـ/ ١٢٢٩م بعض المناقشات العلمية[(٣)] وهذا يؤكد أنه لم يكن هناك صدام كبير بين الصوفية والفقهاء وأن المناقشات كانت جارية بينهم حتى في

(١) الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج١/ ص١٨٨.

(٢) باوزير: الفكر والثقافة، ص١٢٤.

(٣) باعباد: المنهج القويم، ص ٣١؛ السقاف، عبدالرحمن بن عبيدالله: بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت، مخطوط، ج ٣/ ص٣٢٤ ؛ باوزير: صفحات من تاريخ حضرموت ص ٨٧.

عصر الشيخ القديم وهو العصر الذي اشتد فيه التصوف وازدهر، وكان هناك حكّام من أسر حضرمية حاكمة أخرى ظهر منها أيضا اهتمام بالعلم والعلماء كأسرة آل يماني وغيرهم.

وكان من أسباب هذه النشاط العلمي الزيارات العلمية التي قام بها علماء حضرموت فبلغوا العراق وخراسان عبر بوابة ظفار وغربا إلى زبيد ومكة ومصر يجالسون العلماء وينهلون من العلم ومنهم الشيخ سالم بن فضل بن محمد بن عبد الكريم بافضل (ت: ٥٨١هـ/ ١١٨٥م) الذي قيل: إنه ذهب لطلب العلم في العراق فمكث هناك أربعين سنة يطلب العلم ثم عاد إلى حضرموت بأحمال الإبل من الكتب فأحيا العلم بحضرموت بعد أن كاد أن يندرس[١]، وفي المقابل قام بعض العلماء المسلمين بزيارات إلى حضرموت، لعل أشهرهم محمد بن علي القلعي الذي انتقل من الشام إلى اليمن ثم ألقى رحله بمرباط ظفار، وتوفي بها سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م[٢] والذي يذكر بفضله في نشر المذهب الشافعي في ظفار ثم في حضرموت[٣].

وتميز ذلك الوقت بكثرة العلماء في حضرموت حتى قيل: إنه كان في تريم وحدها ثلاثمائة مفتي[٤] وقيل: إن الصف الأول من جامعها كان كله فقهاء مجتهدين، وقريب من ذلك في شبام والهجرين، وإن مسجد عاشق في تريم كان يجلس على دكته من أهل العلم والفتوى خمسة وأربعون رجلا وغيرها من الأخبار التي تحدثت عن كثرة العلماء في حضرموت في ذلك العصر[٥] حتى وصف نشوان الحميري حالة تريم في زيارته لها سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٥م، فقال:

رعى الله إخواني الذين عهدتهم ... ببطن تريم كالنجوم العوائم
عليا حليف النجدة ابن محمد ... وابنا أخيه الغر أبناء حاتم

---

(١) الخطيب: الجوهر الشفاف: ج١/ ص٦٣.
(٢) الحبشي، عبدالله بن محمد: مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، ص١٧٧.
(٣) عصبان: الفرق والمذاهب في حضرموت ص١٢٥؛ ولأكرم عصبان كتاب عن الموضوع أسماه (جهود الإمام القلعي العلمية) طبع دار الصديق.
(٤) الخطيب: الجوهر الشفاف، ج١/ ص ٦٣.
(٥) بامخرمة: قلادة النحر، ج ٢/ ص ٢٣٥٢؛ الشلي: المشرع الروي، ج ١/ ص ٢٥٢؛ السقاف: إدام القوت، ص٤٣١-٤٣٢.

ومـن في تـريـم مـن فقيه مهـذب وسيد أهـل العلم يحيى بـن سـالـم[1]

وفي بداية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي زار حضرموت الشيخ عبد الرحمن بن عبدالله بن أسعد من علماء ومشايخ اليمن فقال أبياته الشهيرة:

مـررت بـوادي حضرموت مسلمًا فألفيتهُ بالبِشر مبتسمًا رحبا

وألفيت فيه من جهابذة العُلَى أكابرَ لا يُلْفَون شرقًا ولا غربا[2]

هؤلاء العلماء على كثرتهم فيما يظهر لم يهتموا بالتدوين إلا قليلا، أو أن أكثر مدوناتهم ضاعت لسبب أو لآخر فرغم هذه الحركة العلمية لم يؤلفوا الكتب الكثيرة مع ما يبدو من سعة علومهم ومقدرتهم على الكتابة ولو فعلوا لكان فضلهم عظيمًا ومعروفهم جسيمًا[3].

ويشكك البعض في عدد هؤلاء العلماء الكبير مقارنة بأعداد سكان حضرموت في ذلك الوقت[4]، ومهما يكن، فذلك لا ينفي إن حضرموت شهدت في ذلك الوقت نشاطا علميا أقل ما يقال عنه بأنه حركة علمية لا بأس به.

---

(١) باوزير: الفكر والثقافة، ص١٢٣؛ الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج١/ ص١٨٨، وهو يعني بيحيى بن سالم: يحيى بن سالم أكدر الذي سيأتي ذكره.

(٢) الخطيب: الجوهر الشفاف، ج٣/ ١٠٦؛ باعلوي: البرقة المشيقة، ص٧؛ شنبل: التاريخ: ص، ١٩٢؛ بامخرمة: النسبة إلى المواضع والبلدان، ص ١٥٦؛ السقاف: إدام القوت، ص٥٠٦؛ وتنسب هذه الأبيات للشيخ عبد الرحمن بن عبدالله بن أسعد اليافعي الذي لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدي من المصادر، لكن ما يعلم عنه أنه ابن العلامة الصوفي الشهير عبدالله بن أسعد اليافعي ت: ٧٦٧هـ/ ١٣٦٦م الذي من كتبه الشهيرة: مرآة الجنان، وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، وكتاب نشر المحاسن الغالية في فضل مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية وغيرها، قيل زار عبدالرحمن بن عبدالله بن أسعد حضرموت بناء على طلب أبيه وعن زيارته تلك قال هذين البيتين الشهيرين، وعلاقة الأب عبدالله بن أسعد بحضرموت لا تخفى فمع ذكره لصالحي حضرموت وأصحاب الفضل والعلم فيها في مؤلفاته نظم فيهم قصيدته الغوثية أو المنظومة التوسلية وذكرها في كتابه مرآة الجنان ج٤/ ص٢٦٩؛ وهي (٧٧ بيتا) ومنها:

وحضرموت بها قوم بفضلهم يستمطر الواكف الهامي من الديم

بنو أبا علوي والكرام بنو عباد السادة الحامون للحرم

(٣) البكري، صلاح عبدالقادر: تاريخ حضرموت السياسي، ج١/ ص٧٦.

(٤) عبدالنور: الحياة العلمية في حضرموت، ص ١٢٢.

من أبرز المدن والقرى التي احتضنت مراكز العلم والعلماء ومؤسساتهم العلمية في حضرموت في في ذلك الزمن تريم: وهي من أشهر المدن وأنشطها من الناحية العلمية اشتهرت بكثرة مساجدها[1] وتخرج منها علماء وفقهاء ومشايخ من أشهرهم فقهاء آل بافضل ومنهم: سالم بن بافضل المفسر الفقيه الذي له ذيل على تفسير القشيري وقصيدة تسمى القصيدة الفكرية وقصيدة في الحج وبعض الوصايا، مدحه الشيخ محمد ابن علي القلعي ت: ٥٧٧هـ/ ١١٨١م بقصيدة منها:

جرت تريم على المجرة ذيلها ... عجبا وحق لها الفخار الأكبر

نال ابن فضل في الفضائل رتبة ... م يستطعها منجد ومغور

ومن علماء آل فضل يحيى بن سالم بن فضل بافضل ت: ٦٤٠هـ/ ١٢٤١م، وهو عالم ومحقق وزاهد[2]، ومن أسر تريم العلمية بنو حاتم ومنهم: يحيى بن عبد العظيم الحاتمي ت: ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م وعلي بن محمد بن حاتم ت: ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م. الفقيه واللغوي، وهو ممن امتدحهم نشوان الحميري من آل حاتم في الأبيات سابقة الذكر، ومن علماء تريم آل أبي الحب، ومنهم: محمد بن أحمد بن أبي الحب ت: ٦١١هـ/ ١٢١٤م الفقيه الزاهد والعالم والشاعر، كان من طليعة العلماء والأدباء في ذلك العصر، وكان له صلة صداقة بالعلامة السلطان عبدالله بن راشد، وإنما أصله من ظفار وتوفي بتريم[3]. ومن الأسر العلمية في تريم آل باعيسى، ومنهم: محمد بن إبراهيم بن محمد باعيسى ت: ٥٥٣هـ/ ١١٥٨م المعروف بأبي جحوش، الذي كان مبرزا في علوم الشريعة وعلما من أعلام الدعوة[4]، وأحمد بن محمد بن إبراهيم باعيسى ت: ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م القاضي والفقيه[5].

---

(١) بالغ بعضهم في عدد مساجد تريم فأوصلوها إلى (٣٦٠) على عدد أيام السنة، أما العدد الحقيقي للمساجد في الوقت الحاضر فهو (١٢٠)، عبدالنور: الحياة العلمية ص ١٤١.

(٢) الخطيب: الجوهر الشفاف، ج١/ ص ٦٤؛ باوزير: الفكر والثقافة، ص ١٢٤.

(٣) ابن سمرة، عمر بن علي الجعدي: طبقات فقهاء اليمن، ص٢٢٢؛ الجندي: السلوك، ج ٢/ ٤٧٤؛ باوزير: الفكر والثقافة، ص١٢٤؛ الحامد: تاريخ حضرموت ج ٢/ ص٤٧٩.

(٤) ابن سمرة: المصدر نفسه؛ شنبل: التاريخ، ص٥٤؛ باوزير: الفكر والثقافة، ص١٢١.

(٥) الخطيب: الجوهر، ج١/ ص١٣٩؛ باعلوي: البرقة، ص ١١٧؛ الحبشي: مصادر الفكر، ص ٤١٠.

ومن أسر تريم العلمية أيضا: آل الخطيب ومنهم علي بن محمد الخطيب مولى الوعل ت: ٦٤١هـ/ ١٢٤٢م وهو من المشايخ المعروفين بالزهد والتقوى[١]، وآل أبي ماجد وآل بني حميد وغيرهم[٢].

واشتهرت تريم بأنها موطن آل باعلوي انتقلوا إليها من منطقة بيت جبير سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٧م، ومن أبرز علماء العلويين في هذه الفترة محمد بن علي بن علوي صاحب مرباط ت: ٥٥٦هـ/ ١١٦١م وسالم بن بصري بن عبدالله ت: ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م، ومحمد بن علي باعلوي الفقيه المقدم ت: ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م، وغيرهم.

ومن علماء تريم: يحيى بن سالم أكدر ت: ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م وهو شيخ الفقه والقراءات وقد كان يدرس بمسجد بني حاتم بتريم الذي يسمى اليوم مسجد عاشق احتجب عن الحضور للمسجد ذات مرة لمرض ألم به فقال تلميذه علي بن محمد بن حاتم ت: ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م:

فاليوم شهر يوم غبت وشهرنا ... من طول مدته علينا عام
قد حن مسجدنا لفقدك واشتكى ... حالا وإن كثرت به الأقوام
فاسلم لنا يحيى ليحيا ذكرنا ... وعليك منا في الزمان سلام

وهو المراد بقول نشوان الحميري ت: ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م:

ومن في تريم من فقيه مهذب ... وسيد أهل العلم يحيى بن سالم

ومن علماء ذلك العصرعلي بن أحمد بامروان ت: ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م الفقيه الأصولي المحقق صاحب الفتاوى والمصنفات[٣]، وعبدالله بن عبدالرحمن بن أبي عبيد ت: ٦١٣هـ/ ١٢١٦م صاحب كتاب الإكمال لما وقع في التنبيه من الإشكال وكان إمامًا من أئمة العلم، وصل بسعة علومه إلى إمام الحرمين[٤].

---

(١) الخطيب: الجوهر الشفاف، ج١/ ص ١٣٠؛ بامخرمة: قلادة النحر، ج٣/ ص ٢٨٤٢؛ الخطيب: البرد النعيم، ص٤٢.

(٢) باعلوي: البرقة المشيقة، ص١١٤، والصفحات التي تليها؛ عبدالنور: الحياة العلمية، ص ١٢١.

(٣) الجندي: السلوك، ج٢/ ص٤٦٣؛ باعلوي: البرقة المشيقة، ص٩٧، ١٠٤، ١١٧؛ بامخرمة: قلادة النحر، ج٣/ ٤١؛ خرد: غرر البهاء الضوي، ص٦١.

(٤) الخطيب: الجوهر الشفاف، ج١/ ص ٦٦؛ شنبل: التاريخ: ص٩٧؛ بامخرمة قلادة النحر، ج ٣/ ص ٢٦٦٩؛ باوزير: الفكر والثقافة، ص١٢٤؛ الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج١/ ص١٨٩.

وكان من مراكز العلم في تريم في ذلك الوقت المساجد: وهي تعد أفضل أماكن التدريس وكذلك المعاهد العلمية والبيوت هذا بالإضافة إلى الكتاتيب المنتشرة في معظم مدن حضرموت وقراها التي كانت تهتم بتعليم الأطفال القراءة والكتابة وتدربهم على تلاوة القرآن الكريم، ومن أشهر مساجد تريم في ذلك الزمن مسجد بني أحمد والمعروف اليوم بمسجد باعلوي بناه علي بن علوي (خالع قسم) ت٥٢٧هـ/ ١١٣٢م سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٧م[١]، ومسجد أبي مروان الذي ينسب إلى الفقيه علي بن أحمد بن مروان ت: ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م، ومسجد عاشق وكان يعرف قديما بمسجد بني حاتم الذي قيل: كان يجلس على دكته من أهل العلم خمسة وأربعون رجلًا وصفّه الأول كله علماء أو مفتين[٢].

أما مواد الدراسة التي تدرس في هذه المعاهد والحلقات فهي في الغالب التفسير والحديث والأصول والفقه والتصوف والمنطق والفرائض والحساب والفلك والميقات والعروض وعلم النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع وغيرها[٣].

وتأتي بعد تريم شبام وكان أشهر أسر شبام العلمية أسرة آل باعباد وباشراحيل وباذئب وبامهرة وغيرهم[٤]، ومن علمائها في مدة الدراسة: أبو نزار ربيعة بن الحسن ابن علي عبد الله، الحضرمي، الشبامي ت: ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م بمصر[٥]، وعبدالرحمن ابن محمد بن عبدالرحمن بن محمد أبا حسان الحضرمي الشبامي ت: ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م[٦].

ومن المشايخ المنتمين لشبام أبو الخير بن منصور بن أبي الخير الشماخي السعدي الحضرمي ت: ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م[٧]، والشيخ عبدالله بن محمد الشهير بالقديم، وأخوه الشيخ

---

(١) الشلي: المشرع الروي، ج١/ ص ١٣٦؛ عبدالنور: الحياة العلمية، ص ١٤١.
(٢) الشلي: المشرع الروي، ج ١/ ص ٢٥٢؛ بامخرمة: قلادة النحر، ج ٢/ ص ٢٣٥٢؛ السقاف: إدام القوت، ص٤٣١-٤٣٢.
(٣) باوزير: الفكر والثقافة، ص ٨٩.
(٤) باعلوي: البرقة المشيقة، ص ١١٨؛ بامخرمة: قلادة النحر، ج ٢/ ص ٢٦٠١.
(٥) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، ج ٢٢/ ص ١٤، وتذكرة الحفاظ، ج٤/ ص١٢٤؛ عصبان: الفرق والمذاهب في حضرموت، ص١٢٠.
(٦) الجندي: السلوك، ج ٢/ ص ٣٢؛ بامخرمة: قلادة النحر، ج٣/ ص ٣٣٣٥.
(٧) الجندي: السلوك، ج ٢/ ص ٣٢؛ بامخرمة: قلادة النحر، ج٣/ ص ٣٣٣٥.

عبدالرحمن بن محمد ت: ٧١١هـ/ ١٣١٢م[١].

ومن أشهر مساجد شبام مسجد الخوقة في وسط المدينة الذي قيل إن الشيخ عبدالله القديم باعباد اعتكف فيه ثلاث عشرة سنة على الذكر وقراءة القرآن الكريم والمطالعة لا يغادره إلا لصلاة الجمعة في الجامع أو لحاجة ماسة إلى البيت[٢]، وكان مسجد الخوقة هو مسجد الأباضية إلى أن أزيلوا عنه في سنة٥٩١ هـ/ ١١٩٥م[٣] ثم تسلمه آل باعباد، وهناك من يؤكد إن مسجد الخوقة هو مسجد آل باعباد في شبام[٤]، وذكر شنبل: أن الشيخ محمد بن عمر باعباد ت: ٧٢١هـ/ ١٢٣١م ابن أخ الشيخ القديم الذي استخلفه الشيخ على مشيخة التصوف بعده ابتدأ في سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م بناء مسجد الخوقة بشبام[٥]، ولعله جدد بناءه، ومن المساجد التي كانت تقام فيها الدروس في شبام أيضا جامع شبام المعروف بجامع هارون الرشيد[٦]، ومسجد المقدشي الذي تم بناؤه في سنة ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م[٧]، وكذلك مسجد الطيب[٨]، وكان بعض علماء شبام يعقدون دروسهم في بيوتهم ومنهم الشيخ محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن باذئب، المتوفى أواخر القرن السابع[٩].

كانت شبام مركزًا علميًا يرتحل إليه العلماء وطلاب العلم من حضرموت وخارجها فمما ذُكر أنه رحل إلى الشيخ القديم في شبام جماعة من صلحاء وأولياء حضرموت واليمن والعراق والموصل وديار بكر وغيرهم[١٠].

(١) باوزير: الفكر والثقافة، ص ١٣٠.

(٢) الحامد: تاريخ حضرموت، ج ٢/ ص ٧٨٦؛ باوزير: المصدر نفسه، ص ١٢٩.

(٣) شنبل: التاريخ، ص ٧٥؛ السقاف: إدام القوت، ص ٢٦٣.

(٤) بامزروع، محمد بن عبدالله بامزروع الشبامي: الإكليل في مناقب الشيخ محمد بن أحمد باعباد المكنى عقيل، مؤسس جامع الغرفة، ومسجد باجريدان، مخطوط، ص ٢٢٨.

(٥) شنبل: التاريخ، ص ١٤٠.

(٦) السقاف: إدام القوت، ص ٢٧١، ٢٧٢.

(٧) السقاف: المصدر السابق، ص ٢٦١.ج

(٨) السقاف: المصدر السابق، ص ٢٦٣.

(٩) بامخرمة: قلادة النحر، ج٣/ ٣١٥٦؛ عبدالنور: الحياة العلمية في حضرموت، ص ١٥٢.

(١٠) باعباد: المنهج القويم، ص ٥؛ باوزير: الفكر والثقافة، ص ١٢٩.

ومن المراكز العلمية الشحر ومن علمائها في وقت الدراسة أو قريبا منه علماء من أسر حضرمية مشهورة كبني السبتي وبني شكيل وبني حسان وآل قحطان[١]، ويذكر السقاف: أنه لا يحصى كثرة من أنجبته الشحر من رجالات الفضل والعلم[٢].

وكان من علماء مدينة الشحر الفقيه أحمد بن محمد بن يحيى السبتي الذي اشتغل بوظيفة القضاء حتى توفي لبضع وسبعين وستمائة هجرية، فخلفه في ذلك ابنه عبدالرحمن[٣]، ومن علماء الشحر إبراهيم بن علي بن أبي شكيل ت: ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م الذي كان يعقد درسه في بيته لانشغاله بالقضاء[٤].

ومن علماء الشحر محمد بن سالم بن عبدالله باوزير (مولى عرف) ت: في ق٧هـ/ ق١٣م الذي أخذ عنه سعد الدين بن علي الظفاري، ومحمد بن علي باعلوي الفقيه المقدم، وسعيد بن عيسى العمودي وسعيد بن عمر بلحاف، وعبدالله القديم باعباد وعلي بن سالم الحضرمي[٥] ؛ وسعد الدين بن علي الظفاري ت: ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م يعد من علماء الشحر في ذلك الزمن هو وتلميذه الشيخ محمد بن علي باطحن الظفاري الذي كتب ترجمة لشيخه سعد أورد فيها بعض فضائله وأحواله، وكان من أهم مساجد الشحر وقتها: مسجد أبي هراوة (باقرين)، ومسجد بلحاف، ومسجد بافضل[٦].

هناك أيضًا مراكز علمية أخرى لم تكن بمستوى تريم وشبام والشحر لكنها كانت موجودة ولها تأثيرها في ذلك الزمن ومنها دوعن التي كانت مركزًا علميًا[٧] انتمت إليها

---

(١) باعلوي: البرقة المشيقة، ص١١٨؛ عبدالنور: الحياة العلمية، ص١٣٣؛ وقد ذكر باحسن في كتابه نشر النفحات المسكية جملة من علماء الشحر بعضهم لا يعرف تاريخ وفاتهم.

(٢) السقاف: إدام القوت، ص ٩٠.

(٣) الجندي: السلوك، ج ١/ ص ٤٥٥؛ بامخرمة: قلادة النحر، ج ٣/ ص ٣٠٠٩؛ عبدالنور: الحياة العلمية، ص ١٥٣.

(٤) الجندي: المصدر نفسه، ج ٢/ ص ٤٦٤؛ باعلوي: البرقة المشيقة، ص ١١٧؛ بامخرمة: المصدر نفسه، ج٣/ ص ٢٩١٠؛ عبدالنور: المصدر نفسه، ص ١٥٤.

(٥) باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ١٠٠؛ عبدالنور: الحياة العلمية، ص ١٥٤.

(٦) عبدالنور: الحياة العلمية في حضرموت، ص ١٣٣.

(٧) عبدالنور: المصدر نفسه، ص ١٢٦.

بعض الأسر العلمية مثل بني عقبة وبني عفيف ومن أشهر علمائها أحمد بن سعيد ابن علي بن عفيف بالوعار ت٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م الذي أسس في الهجرين زاوية كانت بالمسجد الجامع وخصصت لتلاوة القرآن والذكر والدروس[١] ومن علمائها أيضا علي ابن محمد بن حمزة الهجراني ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م[٢] وعلي بن عقبة بن أحمد الزيادي ت٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م[٣]، وفي قيدون أحد قرى دوعن عاش الشيخ سعيد بن عيسى العمودي ت٦٧١هـ/ ١٢٧٢م وكانت توجد فيها زاوية العمودي التي أسسها وأشرف عليها الشيخ سعيد ثم ذريته من بعده، وممن درس فيها أبو معبد ومحمد وعيسى ابنا سلمة بن عيسى باكثير[٤] وفي قرية الرشيد في وادي دوعن الأيمن ظهر عدد من العلماء منهم أبوبكر بازرعة ت ٥٨١هـ/ ١١٨٥م[٥].

ومن المناطق التي شهدت نشاط علمي في ذلك الزمن بلحاف وهي مرسى في غربي ساحل حضرموت وقد وصل إليها نفوذ العلويين العلمي ومن أشهر علمائها سعيد بن عمر بلحاف أحد تلاميذ محمد بن علي باعلوي الفقيه المقدم[٦]، وعين بامعبد ومن علمائها محمد بن محمد بن أبي معبد وأبنه عبدالله ت: ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م[٧].

ومن هذه المناطق سيحوت التي وصل إليها نفوذ آل باعباد العلمي[٨]، ومن علمائها الشيخ محمدبن عبدالله باكريت وأبوه عبدالله بن أحمد باكريت ت٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م وهما من مريدي وتلاميذ الشيخ عبدالله القديم باعباد[٩].

---

(١) العطاس، أحمد بن عمر: قرة العين في جمع ما يتعلق بأعيان ومآثر بلد الهجرين، ص١١٤.
(٢) الجندي: السلوك، ج ٢/ ص ٤٢٢ ؛ بامخرمة: قلادة النحر، ج ٣/ ص ٣٠٦٣.
(٣) باوزير: الفكر والثقافة، ص ١٢٧.
(٤) باكثير، محمد بن محمد: البنان المشير إلى علماء وفضلاء آل أبي كثير، ص ١٤، ١٧
(٥) السقاف: إدام القوت، ص ١٥٤.
(٦) عبدالنور: الحياة العلمية، ص١٣٦.
(٧) عبدالنور: المصدر نفسه، ص١٣٦.
(٨) عبدالنور: المصدر نفسه، ص١٣٦
(٩) السقاف: إدام القوت، ص ١٠٦.

المصادر والمراجع

أولًا: المخطوطات:

◉ **باجمال: محمد بن عبدالرحمن بن سراج، (ت: ق١١هـ/ ق١٧م)**

١) مواهب الرب الرؤوف في مناقب الشيخ معروف. مكتبة الأحقاف للمخطوطات، تريم، حضرموت، رقم (٢١٨٩)، مجاميع.

◉ **باعباد: محمد بن أبي بكر بن عمر، (ت: ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م)**

٢) المنهج القويم والشفاء للسقيم في مناقب الشيخ عبدالله القديم.
مخطوط بحوزة أسرة المرحوم أحمد محمد بن عقيل باعباد بقصيعر. النسخة التي إعتمدنا عليها ـ ويوجد منه نسخة مختلفة في ترقيم الصفحات في مركز النور للدراسات والأبحاث، تريم، حضرموت، رقم (٤٧) مكتبة مشهور بن حفيظ.

◉ **بامزروع (محمد بن عبدالله بامزروع الشبامي، (ت: بعد ٨٣٠هـ/ ١٤٢٧م)**

٣) الإكليل في مناقب الشيخ محمد بن أحمد باعباد المكنى عقيل، مؤسس جامع الغرفة، ومسجد باجريدان. مخطوط موجود لدى الشيخ الباحث عوض سالم حمدين، الريدة الشرقية.

◉ **الخطيب: عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن، (ت: ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)**

٤) الجوهر الشفاف في ذكر فضائل ومناقب وكرامات السادة الأشراف. مكتبة الأحقاف للمخطوطات، تريم، حضرموت، رقم (٢٤٩٠)، تاريخ وتراجم.

٦) عقد البراهين المشرقة. نسخة مصورة، مركز النور للدراسات والأبحاث، تريم، حضرموت، رقم (١٦٨)، تصوف.

◉ **الخطيب: محمد بن عبدالله بن سليمان (ت: بعد ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م)**

٧) البرد النعيم في نسب الأنصار خطباء تريم. مركز النور للدراسات والأبحاث، تريم، حضرموت، رقم(١٢٠٠٦)، تاريخ وتراجم.

◉ **السقاف (عبدالرحمن بن عبيدالله، ت: ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م)**

٨) بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت، مخطوط، مكتبة ورثة المؤلف، ومنها نسخة مصورة لدى الدكتور عبدالله سعيد الجعيدي النسخة التي اعتمدنا عليها.

ثانيا: المصادر المطبوعة:

* **الأهدل (الحسين بن عبد الله الأهدل اليمني، ت: ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)**

٩) تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، تحقيق: عبدالله بن محمد الحبشي، طبعة المجمع الثقافي، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٤م.

* **باعلوي: علي بن أبي بكر السكران، (ت: ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م)**

١٠) البرقة المشيقة في ذكر لباس الخرقة الأنيقة، طبع في مصر ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م، بدون ناشر.

* **بامخرمة: جمال الدين الطيب بن عبدالله بن أحمد، (ت: ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م)**

١١) قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر (الجزء الثاني) تحقيق: عبدالرحمن جيلان، (الجزء الثالث)، تحقيق: محمد يسلم عبدالنور، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، اليمن، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

* **البغدادي: عبدالقادر بن طاهر، (ت: ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)**

١٢) الفرق بين الفرق وأصول الفرقة الناجية. منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م

* **الجندي: محمد بن يوسف بن يعقوب، (ت: ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)**

١٣) السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: محمد علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، اليمن، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م،

* **ابن حجر: أحمد بن محمد بن علي ابن حجر الهيتمي، (ت ٩٣٧هـ/ ١٥٦٥م):**

٤٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل. دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

* **الحموي: ياقوت بن عبد الله، (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م):**

١٤) معجم البلدان. دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

* **خرد: محمد بن علي بن علوي، (ت: ٩٦٠هـ/ ١٥٥٢م)**

١٥) غرر البهاء الضوي ودرر الجمال البديع البهي، مطابع المكتب المصري الحديث، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

◉ **الذهبي: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)**

١٦) تذكرة الحفاظ. دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٧) سير أعلام النبلاء. أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه، شعيب الارنؤوط وحسين الأسد، مؤسسة الرسالة بيروت، شارع سوريا، الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

◉ **ابن سمرة: علي بن عمر بن سمرة الجعدي، (ت: ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م)**

١٨) طبقات فقهاء اليمن. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

◉ **الشرجي: أحمد بن أحمد بن عبداللطيف الشرجي الزبيدي، (ت: ٨٩٣هـ/ ١٤٩٠م)**

١٩) طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص. الدار اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

◉ **الشلي: محمد بن أبي بكر بن عبدالله، (ت: ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م)**

٢٠) المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل باعلوي. المطبعة العامرة الشرفية، مصر، الطبعة الأولى، ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م.

◉ **شنبل: أحمد بن عبدالله، (ت: ٩٢٠هـ/ ١٥٤١م)**

٢١) تاريخ حضرموت، المعروف بتاريخ شنبل. تحقيق: عبدالله بن محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، اليمن، ٢٠٠٧م.

◉ **الطبري: محمد بن جرير، (ت: ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)**

٢٢) جامع البيان في تفسير القرآن. دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

◉ **العيدروس: عبدالقادر بن شيخ، (ت: ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٧م)**

٢٣) النور السافر عن أخبار القرن العاشر. دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ١٩٨٥م.

ثالثا: المراجع العربية والمعربة:

◉ **العبادي: عبدالله بن أحمد المسدس باعباد الشهير بالعبادي، (ت١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م)**

٢٤) مشكاة التنوير شرح المختصر الصغير، حققه وعلق عليه: عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد باعباد، دار الفتح للدراسات والنشر عمان الأردن/ دار الوسط للدراسات

والنشر الغرفة حضرموت الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

◉ **باحسن: عبدالله بن محمد جمل الليل، (ت: ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م)**

٢٥) نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحميّة. دراسة وتحقيق: محمد يسلم عبدالنور، تريم للدراسات والنشر، حضرموت، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

◉ **باحنان: محمد بن علي بن عوض بن سعيد بن زاكن، (ت: ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م)**

٢٦) جواهر تاريخ الإحقاف، راجعه وقدم له ووضع فهارسه حسن جاد حسن، وصححه وأشرف على طبعه محمد عبدالله البدوي، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة، مصر، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.

◉ **باكثير: محمد بن محمد بن أحمد، (ت: ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م)**

٢٧) البنان المشير إلى علماء وفضلاء آل أبي كثير، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، مطابع الأوفست، صنعاء، اليمن، بدون تاريخ.

◉ **بامطرف: محمد عبدالقادر، (ت: ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م)**

٢٨) المختصر في تاريخ حضرموت العام. دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، حضرموت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠١م.

◉ **بامومن: كرامة مبارك سليمان**

٢٩) الفكر والمجتمع في حضرموت، الطبعة الأولى، الجمهورية اليمنية، بدون ناشر وبدون تاريخ.

◉ **باوزير: سعيد عوض، (ت: ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م)**

٣٠) صفحات من التاريخ الحضرمي، مكتبة الثقافة، عدن، اليمن.

٣١) الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي. دار الطباعة الحديثة، القاهرة، مصر، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

◉ **البكري (صلاح عبدالقادر، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)**

٣٢) تاريخ حضرموت السياسي. مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى، مصر ١٩٣٦م.

◉ **الحامد: صالح بن علي بن صالح، (ت: ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)**

٣٣) تاريخ حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

◉ **الحبشي: عبدالله محمد**

٣٣) مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، مركز الدراسات اليمنية صنعاء.

◉ **الحداد: علوي بن طاهر بن عبدالله، (ت: ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م)**

٣٤) جني الشماريخ جواب أسئلة في التاريخ. عدن، ١٣٠٩هـ/ ١٩٧٠م، بدون ناشر.

◉ **ابن حميد: سالم بن محمد بن سالم بن حميد الكندي، (ت: ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م)**

٣٥) تاريخ حضرموت، المسمى العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة. تحقيق: عبدالله بن محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

◉ **الزبيدي: محمد بن محمد، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، (ت: ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)**

٣٦) تاج العروس من جواهر القاموس. مجموعة من المحققين، دار الهداية، القاهرة.

◉ **السقاف: عبدالرحمن بن عبيدالله، (ت: ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م)**

٣٧) معجم بلدان حضرموت المسمى إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت. تحقيق: إبراهيم أحمد المقحفي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، اليمن، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٣٨) نسيم حاجر في تأييد قولي عن مذهب المهاجر. مطبعة النهضة اليمانية، عدن، ١٣٦٨هـ.

◉ **السمائلي: سالم بن حمود بن شامس السيابي**

٣٩) أصدق المناهج في تمييز الأباضية من الخوارج. تحقيق وشرح سيدة إسماعيل كاشف، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٩٧٩م.

◉ **الشاطري: محمد بن أحمد بن عمر، (ت: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)**

٤٠) أدوار التاريخ الحضرمي. عالم المعرفة، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

◉ **عبدالنور (محمد يسلم)**

٤١) الحياة العلمية في حضرموت في القرن السابع والثامن الهجري (الثالث عشر ـ والرابع عشر الميلادي) الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، وزارة الثقافة، الجمهورية اليمنية.

٤٢) المذاهب والفرق الإسلامية في حضرموت في القرنين السابع والثامن للهجرة ـ دراسة مذهبية تاريخية ـ دار حضرموت للدراسات والنشر، حضرموت، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

◉ **عصبان: أكرم مبارك**

٤٣) الفرق والمذاهب في حضرموت. مطبعة وحدين الحديثة للأوفست، توزيع دار حضرموت للطباعة والنشر، المكلا، حضرموت، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

◉ **العطاس: عبدالله بن علوي بن حسن، (ت: ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م)**

٤٤) ظهور الحقائف في بيان الطرائق، دار الأصول للنشر والتوزيع، تريم، حضرموت.

◉ **بن عقيل: عبدالرحمن بن جعفر**

٤٤) عمر بامخرمة السيباني حياته وتصوفه وشعره، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

◉ **العيدروس: حسن بن أحمد بن محمد بن أحمد العيدروس باعلوي**

٤٦) تجريد التحقيق حول الفقيه المقدم وسند الخرقة والطريق، تريم، حضرموت، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، بدون ناشر.

◉ **فرنتسوزوف: سرجيس**

٤٧) تاريخ حضرموت الإجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده، العصور الوسيطة المبكرة (القرن الرابع ـ الثاتي عشر الميلادي). تقديم وتعريب: عبدالعزيز جعفر بن عقيل، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الإجتماعية بصنعاء، الآفاق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

◉ **المشهور: أبوبكر بن علي العدني**

٤٨) الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم ـ سلسلة أعلام حضرموت ـ فرع الدراسات وخدمة التراث، أربطة التربية الإسلامية، عدن، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٤٩) الشيخ معروف باجمال ـ سلسلة أعلام حضرموت ـ فرع الدراسات وخدمة التراث، عدن، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

◉ **المشهور: عبدالرحمن بن محمد بن حسين، ت: ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م**

٥٠) شمس الظهيرة في نسب أهل البيت من بني علوي فروع فاطمة الزهراء وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب. حققه وعلق عليه تعليقات إضافية: محمد ضياء شهاب، عالم المعرفة، جدة، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

◉ **المعلم: احمد بن حسن**

٥١) القبورية في اليمن نشأتها.. آثارها.. موقف العلماء منها

الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م مركز الكلمة الطيبة للبحوث والدراسات العلمية صنعاء.

◉ **معمر: علي بن يحيى**

٥٢) الأباضية مذهب إسلامي معتدل. مطبعة العقيدة، عمان، ١٩٩٥م.

◉ **اليزيدي: ثابت صالح**

٥٣) الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت ١٨٤٥-١٩١٩م، الطبعة الأولى، دار الثقافة العربية، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، رسالة ماجستير.

رابعًا: الموسوعات:

٥٤) دائرة المعارف الإسلامية

نقلها إلى العربية أحمد الشنتاوي، محمد ثابت أفندي، إبراهيم زكي خورشيد، عبدالحميد يونس، وزارة المعارف العمومية، بدون تاريخ، طبعة القاهرة، مصر.

خامسا: البحوث والدراسات الجامعية غير المنشورة

◉ **الجعيدي: عبالله سعيد**

٥٥) السلطنة الكثيرية الأولى، أطروحة دكتوراة، جامعة بغداد، ٢٠٠٣م.

إمارة آل يماني الأولى (تريم)
٦٢١هـ - ٨٧٢هـ

أ. أحمد صالح الرباكي
مدير مركز الرناد للتراث والآثار والعمارة بتريم

يتساءل المؤرخ بامطرف عن حلقة مهمة من حلقات تاريخ حضرموت اصطبغت بلون الدم فيقول: (أنه لمن المثير للاهتمام أن يشهد الإقليم الحضرمي على ما فيه من جفاف وفقر وقلة سكان، ذلك الاختصام الذي تميز بالحروب الطاحنة التي دارت في كافة أدوار التاريخ في مختلف أرجائه الصحراوية المقفرة الموحشة، في أوقات لم يدر بخلد الحكام الذين تعاقبوا على حكمه وأسالوا الدماء البشرية أنهارًا على تربته... امتلاك ما فيه أو استغلال ما يحتمل أن تكون لجغرافيته من قيمة في إطار الاستراتيجية العالمية، كما أن أولئك الحكام لم يفكروا في استخدام السلطة التي كانوا يسعون إلى حيازتها في النهوض بالشعب أو بتطوير حياته إلى الأفضل؛ وهل يقتتل البشر على وجه البسيطة لمجرد نزوة الاقتتال؟ وهل الاستيلاء على السلطة يدفع إلى المغامرات الدموية...) [1] إن التجول بين سطور التاريخ يقدم لنا نماذج من تلك الحلقات المخضبة باللون الأحمر وأخرى باللون الأبيض أو الأخضر، وأخرى واقعة بالمنطقة الرمادية، ولأن التاريخ ذو قيمة ومكانة عظيمة فهو خلاصة تجربة وعصارة مجهود قدَّمه الأجداد ليكون دليلًا ومرشدًا للأحفاد ومنه نستلهم دروسًا لأخذ العبرة ممن سبقونا فنتبع خطاهم ونرى كيف كانت إبداعاتهم حلولًا لكثير من المشاكل والعقبات التي واجهتهم في حياتهم اليومية.

صبغت سنوات القرون الهجرية السادس والسابع والثامن وما تلاها باللون الأحمر المخلوط بنسب قليلة من اللَّون الأبيض والأخضر، وكان لابد من قراءة لتلك الأحداث حتى نأخذ العبر ونستلهم الدروس، ففيها أيضا لآبائنا الحضارم في هذه الرقعة القصية تاريخ مشرف وخالد، تاريخ جمع بين حاجة الإنسان الاجتماعية والنفسية، وبين هويته التي طعمها بإبداعاته التي تلائم معتقداته الدينية وقيم المجتمع.

(١) بامطرف: محمد عبدالقادر، في سبيل الحكم، دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن، ط٢، ص ١٥.

دويلات المدن

من المصطلحات السياسية التي عرفتها أنظمة الحكم في العالم القديم ما يعرف بدويلات المدن أو حكومات المدن، وهو نظام مصغر للحكومات المركزية نشأ منذ القدم في المدن والواحات لإدارة شؤون الجماعات العشائرية القبلية، ففي جنوب الجزيرة العربية ومنذ وقت مبكر احتضنت الأراضي الزراعية أو المحطات التجارية تجمعات سكانية تربطها علاقات ومصالح متباينة أو مشتركة تحولت مع الزمن إلى ممالك مدن، مثل نشق ويثل ونجران منذ حلول نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، ومن نماذج ممالك المدن في حضرموت القديمة مدينة ريبون كنموذج للتجمع التجاري الزراعي المستقل ذو النظام الإداري، وتوصف عشائرها وحكامها بالملوك على غرار الممالك الكبيرة، مثل سبأ وحمير وهي أقرب إلى المدن القوية وإلى السلطات المحلية المستقلة[1].

وبين التمدد والانكماش والتحالف تتغير تلك الدويلات فتتحد عدة مدن في مملكة واحدة، وقد تنقسم المدينة الواحدة إلى عدة سلطات تتصارع على السلطة، وتتحكم في تكوين دويلات المدن عدة أسباب في الغالب يكون غياب الدولة المركزية وحضور قيادات قبلية أو مدنية تجمعت لديها المؤهلات لتكوين إمارة أو شبه سلطة في أماكنها.

الوضع العام في القرن السابع الهجري

لم تغب شمس القرن السادس الهجري عن حضرموت إلا وقد غاب معها الاستقرار السياسي فكانت حضرموت مسرحًا ومرتعًا للصراعات السياسية بين القبائل المحلية وجنود الغزاة الأجنبية، فقد دخلت القبائل القوية في وادي حضرموت في صدامات عسكرية بينها البين، كآل راشد وآل يماني تبعتها هجمات خارجية كجنود الغز وجيوش ابن مهدي والرسوليين والحبوظي.

وفي أوائل القرن السابع الهجري (٦٠١هـ) اقتسمت نهد السرير (السليل) فأخذ بنو معروف ومرة شبام والجول (الغرفة حاليًا) وتريس واختص بنو سعد وظبيان بحبوظة وسيئون وانفرد بنو ظنة ببور ومسيب ومريمة [2].

---

(١) الكثيري: ناجي جعفر، نظام الحكم في اليمن في عصر ما قبل الإسلام، دار الثقافة العربية للنشر والترجمة والتوزيع، الشارقة؛ جامعة عدن، عدن، ط١، ٢٠٠١م، ص ١٠٩– ١٣٠.

(٢) ابن هاشم: محمد، تاريخ الدولة الكثيرية مكتبة تريم الحديثة، تريم، ط١، ٢٠٠٢م، ص ٢٣.

ففي تريم قامت إمارة آل راشد القحطانية في القرن الخامس الهجري، وشهدت أحداثًا عظيمة كاستيلاء ابن منجوه الظفاري على حضرموت سنة ٤٨٠هـ ومجيء الأيوبيين سنة ٥٧٥هـ، وأشهر سلاطينهم عبدالله بن راشد وإليه ينسب تسمية وادي حضرموت باسم وادي بن راشد واشتهر بالعدل والزهد، وفي عهده استقرت الأوضاع واستتب الأمن وطبقت أحكام الشريعة فكان عصره من أفضل عصور الألف الأول الهجري كيف لا وهو الفقيه الأديب حتى قال السلطان عبدالله (أفتخر على الملوك والسلاطين بثلاث: لا يوجد في بلدي ومملكتي تريم: سارق؛ ولا حرامي؛ ولامحتاج)(١) حتى اعتزل الحكم بعد اضطراب الأمور وانبعاث الفتن حتى قتل سنة ٦١٦هـ وهي سنة دخول الأيوبيين حضرموت.

وقامت على أنقاضها إمارة آل يماني من بني حرام بعد تخلص حضرموت من الأيوبيين سنة ٦٢١هـ (وهي موضوع البحث).

وفي غرب حضرموت في شبام تأسست ثلاث إمارات هي إمارة آل الدغار وهي نسبة إلى الدغار بن أحمد الذي حكم شبام سنة ٤٦٠هـ وانتهت بمقتل راشد بن عبدالباقي سنة ٦٠٥هـ لتؤسس على أنقاضها إمارة بني الأعلم الحارثيين بقيادة راشد بن الأعلم حتى أخضعت لتبعية سلطة الأيوبيين كبقية مناطق حضرموت.(٢) وبها -أي شبام- تأسست أيضًا إمارة بني سعد عقب مقتل ابن مهدي التي أصبحت مسرحًا لنزاعات قبائل بني سعد الذين ظلوا في نزاع دائم بين جزر ومد حتى هجم علي بن عمر الكثيري على شبام وامتداد دولته الفتية إليها سنة ٨٢٤هـ.

وهكذا شهدت القرون السادس والسابع والثامن صراعات سياسية ونزاعات قبلية ساهمت في عدم استقرار الأوضاع السياسية والاقتصادية والعلمية، فتكون لدينا ما

(١) السقاف: بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت، مخطوط، ج١، ص ٣١٦ والحامد: صالح بن علي، تاريخ حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٣م، ج٢، ص ٤١١.

(٢) عبدالنور: محمد يسلم، الحياة العلمية في حضرموت في القرن السابع والثامن للهجرة، وزارة الثقافة، صنعاء، ط١، ٢٠١٠م، ص ٨٦.

يعرف بدويلات المدن أو حكومات المدن وتقوقعت تلك القوى في البلدات والمراكز الهامة، وكان توسعها بين جذر ومد مرتبط بضعف الأطراف الأخرى وقوتها أو التحالفات والنزاعات التي تحكمها، وميز صراعات هذه الفترة دخول قوى خارجية في معتركها كالرسوليين والأيوبيين الذين أرسلوا جيوشًا لإخضاع هؤلاء الأمراء وملوك المدن الحضرمية، الأمر الذي أدى إلى تطلع القيادات العشائرية في حضرموت للحكم والاستقلال أكثر من ذي قبل عقب ضعف سيطرة الدولة الرسولية والأيوبية، فنشأت في المدن الرئيسة الثلاث تريم وشبام والشحر إمارات وصفت بأنها أشبه بكنتونات المدن في أوروبا في حين ظلت خارج أسوار تلك المدن وبقية مناطق حضرموت تحكمها رئاسات قبلية منطقية[١] ورغم ذلك قامت بين أولئك الرؤساء وبين حكام المدن علاقات تبادل منافع تقوى حينًا وتضعف ثم تتدهور حينًا آخر ويزول حكام المدن ويأتي حكام من نفس الأسرة أو آخرين الذين يؤسسون دويلات وإمارات لهم بتأييد من عشائرهم وأشياعهم الحضر ومخالفيهم من القبائل خارج أسوار مدنهم[٢].

(١) بامؤمن: كرامه مبارك، الفكر والمجتمع في حضرموت، دار التيسير، صنعاء؛ مكتبة الثقافة، عدن، ط٣، ٢٠٠٦م، ص ١٦٣- ١٦٤.

(٢) بامطرف: في سبيل..، مصدر سابق، ص ١١.

إمارة آل يماني الأولى

آل يماني

لا يسأل اليوم اسم آل يماني إلا وتذهب الإجابة نحو قسم (٢٢ كم شرق تريم) [١] حيث الحصن الطيني الضخم حيث مقر مقدم[٢] آل يماني وقبيلة آل تميم وطائلة بني ظنة عامة، والذي سمي الحصن باسم بانيه ومالكه عائلة بن يماني إحدى فروع قبيلة آل تميم بوادي حضرموت. لكن تاريخ هذا الحصن عائد إلى عهد إمارة آل يماني الثانية حيث سبقتها إمارة أولى كانت مقرها تريم وهي محل بحثنا.

قبيلة بني ظنة

القبيلة مؤسسة اجتماعية وسياسية واقتصادية لها تقاليدها وأعرافها التي وجدت قبل ظهور

---

(١) منطقة قسم تقع على الجانب الغربي لمجرى وادي حضرموت المعروف بوادي المسيلة، وتبعد عن مدينة تريم بحوالي ٢٢كم شرقًا وتقع منطقة عينات إلى الجنوب منها ومنطقة الواسطة إلى الشمال وإلى الغرب منطقة العجز.

(٢) القدمة والمقدم: القدمة صفة بمعنى الزعامة يسمى صاحبها بالمقدم وجمعها مقادمة، وقد تسمى بمسميات أخرى شيخ أو حكم والمنصب والشيخ والمقدم كل هذه الألقاب معناها واحد، وتعني سيد القوم أو كبيرهم لكنها تختلف في من يتسمون بها فالمنصب والشيخ عادة يكون للمشائخ والسادة، أما المقدم والحكم فيكون للقبائل. وتكون التقدمة إما بالتوريث أو بالترشيح ثم التعيين في مجلس رسمي يعقد لذلك يتفق عقلاء القبيلة وأعيانها على شخص يولونه، وقد تختص أحيانًا ببيت من بيوتات القبيلة أو أفضلية بالسن وغير ذلك. وترجع القبائل في نزاعاتها إلى المقدم أو الحكم وبالحكم في الدعاوى على أساس التشريعات والمصطلحات القبلية والسوارح فهو المرجع في الأمور الهامة والمشاكل الاجتماعية والنزاعات القبلية فمهمتهم إصلاح ذات البين وعقد الأحلاف بين القبائل وكثيرا ما يخاطرون بأنفسهم ويزجون بها في المعارك لإيقاف القتال واسترجاع الأموال المنهوبة في غاراتها، فالجميع تحت طوعهم ورهن إشارتهم ومن أبرزهم بحضرموت الحكم النهدي بقعوضة والمقدم بن يماني بقسم، ولهذا الأخير رئاسة عصبة بني ظنة وإذا تم الحكم والفصل بين المتنازعين فإن الجميع ملتزمون بالحكم الذي يصدره ولكن بعض القضايا قد تحول من مقدم إلى آخر وتصل إلى عند الحكم، وقد يحول الحكم قضية المتنازعين إلى آخر خارج القبيلة ويسمى التحويل هذا بالتنهاة وتسمى الحجة التي يكتبها الحاكم بين الأطراف بالوثر، ويكتب في مجلس المتنازعين (الشاطري: محمد أحمد، أدوار التاريخ الحضرمي، ط٢، عالم المعرفة، جدة، ١٩٨٣م، ج٢، ص ٣٤٦- ٣٤٧).

الإسلام وتماسك القبيلة ووحدتها ضرورية للدفاع عن موارد رزقها المحدودة والحفاظ عليها، وجاء تعريف القبيلة بأنها شكل من أشكال النظام الاجتماعي ويتميز المجتمع القبلي بأن أعضاءه يرتبطون فيما بينهم برابطة القرابة وبعلاقات النسب، كما أنهم يعيشون في منطقة جغرافية ذات حدود واضحة ويمارسون داخلها في الغالب سلطاتهم باستقلالية عن أي سلطة خارجية[١] تنتمي أسرة آل يماني إلى قبيلة بني تميم من بني ظنة بن حرام بن ملكان الكنانية نسبًا، وطائلة بني ظنة من العصب القديمة الموجودة بحضرموت وهي تضم قبائل (آل تميم، المعارة، السماح، ثعين، المناهيل، الشحابلة) وتسكن حاليًا بأسفل حضرموت ورئاسة القبيلة التميمية والطائلة الظنية بالوراثة لفرع بن يماني التميمي بمنطقة قسم شرق مدينة تريم[٢].

إمارة آل يماني الأولى بتريم

في العام ٥٦٩هـ استولى الأيويبون على اليمن بقيادة توران شاه شقيق القائد الشهير السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي بدوره أرسل القائد عثمان الزنجيلي لإخضاع حضرموت سنة ٥٧٥هـ وكان بها آل راشد سلاطين عليها حتى العام ٦٢١هـ عندما قامت القبائل النهدية بإخراجهم وقتل قائدهم ابن مهدي، وكان في هذه الأحداث حاضرًا مسعود بن يماني الذي بقي يتجاذب حبل السلطة مع الغز ومع البقية الباقية من آل راشد والحبوظي وبقية القبائل وبقي هؤلاء منذ هذا التاريخ أي ٦٢١هـ حتى منتصف هذا القرن هم الزعماء المتنافسون يتقاسمون السلطة بحضرموت ويتداولون مناطقها، فقد أخذ الحبوظي بشراء المدن الحضرمية بدءًا بشبام سنة ٦٧٣هـ وهاجم منها المدن والقرى واستصعبت عليه تريم فلم يفز منها بطائل؛ لهذا أخذ مسعود بقوته الصاعدة في الاستيلاء على الكثير من مدن وقرى وادي حضرموت بعد طرد حكامها الصغار.

وطوال عقدين ونصف تقريبًا وهي الفترة التي حكمت فيها أسرة آل يماني (٦٢١هـ -٨٧٢هـ) والتي امتدت من مركزهم الرئيس تريم لتشمل أجزاء من وادي حضرموت حيث تركز

---

(١) القعيطي: عبدالعزيز بن علي بن صلاح، إحلال السلام في حضرموت، Arabian publishing Ltd London، ط١، ٢٠٠٩م، ص ٢٤.

(٢) الشاطري: محمد أحمد، أدوار التاريخ الحضرمي، دار المهاجر، المدينة المنورة، ط٢، ١٩٩٤م، ج٢، ص ٣٥٢.

حكمهم في شرقي الوادي في بداية الأمر، وما لبث أن امتد إلى غربيه ويوصف عهد السلطان عبد الله بن عمر بن يماني (٧١٤هـ) بأنه أزهى العصور فقد اتسم بالقوة والهمة والعزيمة، حتى أنه استطاع أن يتحرر من سلطة الرسوليين، وذلك في سنة (٧٣٤هـ) وقد كان سلطان بن دويس بن راصع أشهر سلاطينها الذي لقب بالسلطان العادل[١].

وأول والي منهم أو سلطان هو:

١) مسعود بن يماني بن لبيد الظني (٦٢١هـ- ٦٤٨هـ)

وهو مؤسس إمارة آل يماني، ومقر إمارته تريم غالبًا وكان شجاعًا مقدامًا وصفه الخطيب في البرد النعيم بأنه ملك حضرموت بأسرها ووصل غزوه إلى شبوة[٢] وإلى الجوف ومأرب سير جيشًا سنة ٦٣٠هـ [٣].

وكان مسعود بن يماني محمود السيرة له رحمة بالرعية[٤] بينما وصفه ابن هاشم بأنه كثير اللهو والملذات ثم تاب وتفقر على يد الشيخ علي بن محمد الخطيب الملقب بصاحب الوعل المتوفى بتريم سنة ٦٤١هـ [٥]، ورغم العراقيل التي واجهت مسعود إلا أن همته لم تنكسر وعزيمته لم تفل فكان في سنة ٦٢١ هـ يتجه صوب الشحر ويحصرها ويصالحه صاحبها ابن إقبال، بعد أن أخضعه استولى على شبام التي ما لبثت أن خرجت عن طاعته سنة ٦٢٢هـ وأعادها إلى حكمه وسلمها إلى بني سعد واتجه نحو هينن والهجرين سنة ٦٢٥هـ ثم سنة ٦٢٨هـ اشترى شبام من صاحبها إذ ذاك عيسى بن فاضل السعدي وأخذ عمدًا.

كانت سنوات ثلاثينيات القرن السابع الهجري صعبة على مسعود بن يماني بعد أن أنهكته الحروب المتواصلة، فهجم أمير الشحر ابن إقبال على ابن يماني واشترى منه تريم وشبام وجميع حضرموت سنة ٦٣٣هـ، وسلم تريم لفهد بن السلطان عبدالله بن

(١) العيدروس: حسين أبوبكر، اختيار مواضع إنشاء المستوطنات في عهد إمارة آل يماني بحضرموت وأبرز العوامل المؤثرة عليها خلال القرنيين الثامن والتاسع الهجريين، بحث مقدم للندوة العالمية السابعة لتاريخ الجزيرة العربية، الرياض، ٢٠١٠م، ص ٧-٨.

(٢) الشاطري: أدوار..، مصدر سابق، ص ٢٢٨.

(٣) الحامد: تاريخ..، مصدر سابق، ج٢، ص٥٠٠.

(٤) الحامد: تاريخ..، مصدر سابق، ج٢، ص٤٩٩.

(٥) بن هاشم: تاريخ الدولة..، مصدر سابق، ص ٢٩.

راشد وعصفت الفوضى بعموم الوادي حتى تمكن مسعود بن يماني من استعادة تريم سنة ٦٣٦هـ [١] إلا أنها عادت لتخرج عن يده عندما قدم الجيش الرسولي في نفس السنة وفي خضم هذه الاضطرابات اعتزل مسعود بن يماني الحكم ثم تاب وتفقر على يد الشيخ علي بن محمد الخطيب الملقب بصاحب الوعل المتوفى بتريم سنة ٦٤١هـ [٢].

توفي السلطان مسعود بن يماني في ربيع الثاني سنة ٦٤٨هـ [٣] وشيدت عليه أول قبة بنيت على قبر بتريم بناها ابنه السلطان عمر.

٢) عمر بن مسعود بن يماني

خلف والده مسعود واستمر لسنة حتى حصل بينه وبين ابن عم له هو محمد بن كليب بن جعفر بن لبيد ما عكر الجو ونشبت الحرب بينهما، وانقسم الناس إلى قسمين وتبعه في الخروج عليه أحمد بن لبيد سنة ٦٥٣هـ وسنة ٦٥٥هـ وهزمه في المرتين، إلا أن الأحوال قد صفت له وتوثقت عرى الود بينه وبين المظفر الرسولي باليمن إذ كانت حضرموت تابعة للرسوليين من عهد المنصور [٤] ثم إنه حاول أن يجند جيشًا من الغز الموجودين بالساحل ليضرب بهم القبائل المناوية له وبقي هكذا في إشغال العشائر المعادية له بعضها ببعض ليسلم من أذاها، وفي عهده حاصر سالم بن إدريس الحبوظي تريم لعدة أشهر فأصيب أهلها بأزمات شديدة ولم تقم بها جمعة، ولكنها استعصت على ابن إدريس وارتد إلى قاعدته مدينة شبام.

وفي خضم صراعه مع الحبوظي توفي السلطان عمر في محرم سنة ٦٧٥هـ وقيل إنه تنازل عن الإمارة لابنه يماني.

٣) يماني (الأول) بن عمر بن يماني

استمرت ولايته ٣٩ سنة إلا أنها لم تصف له فقد ملئت باضطرابات وتمردات القبائل وإن امتاز عصره بالهدوء نسبيًا فلم يقم بأية حركات توسعية، وفي أيامه اشتدت قبضة الرسوليين

(١) الحامد: تاريخ..، ج٢ ص ٥٠١، السقاف: بضائع، مصدر سابق، ج١، ص ٣٢١.

(٢) بن هاشم: تاريخ الدولة..، مصدر سابق، ص ٢٩.

(٣) الشاطري: أدوار..، مصدر سابق، ج٢.

(٤) الحامد: مصدر سابق، ص ٥٠٦.

على سواحل حضرموت وبقي في مدينة تريم مكتفيًا بها وتوفي سنة ٧١٤هـ[١].

٤) عبد الله (الأول) بن يماني

يوصف بالسلطان العادل وبعلو الهمة وصرامة العزيمة[٢] وخاض غمار السلطة في نفس الظروف السابقة ليحافظ على البقاء، وقضى تلك السنين في حروب وفتن مع بقية القبائل المتطلعة إلى الإمارة[٣] ولهذا السلطان أثر باق إلى اليوم بتريم وهو أحد المساجد التي تنسب إليه، ففي الجوهر الشفاف للخطيب ذكر هذا المسجد ضمن حكاية عن الشيخ عبد الرحمن السقاف: (قال الشيخ محمد بن علي كنا مع الشيخ عبد الرحمن لزيارة مقابر تريم، فلما جاوزنا مسجد عبد الله بن يماني ووصلوا أدنى القبور التي اندرست وهي من قبل ذلك تحرث، خلع الشيخ نعله وسار حافيًا وقلنا له: مالك خلعت نعلك فقال: ما نحن إلا نسير في قبور صالحين)[٤] وهذا المسجد يسمى اليوم بمسجد (الحصاة) بوسط تريم، وهو الذي قيل إن دولته عمرت تريم ما لم تعمر قبلها منذ أيام عبد الله بن راشد وكان من عزيمة هذا السلطان الكبيرة أن يحدث نفسه بإجلاء الغز (جنود الرسوليين وأعوانهم) بعد سنيين من ولايته وذلك عام ٧٢٣هـ وانتهاء دولة الغز بحضرموت [٥].

توفي السلطان عبد الله بن يماني سنة ٧٤٥هـ.

٥) أحمد بن يماني

قام بالأمر بعد وفاة أخيه السلطان عبد الله بن يماني، وعلى نفس المنوال سار وفي ذات الظروف عاش في دائرة المناوشات والاصطدامات مع أعدائه، ونهض بأعباء السلطة بعزيمة ونشاط وقد تنازل السلطان أحمد في الأخير بالإمارة لابنه محمد سنة ٧٥٧هـ.

---

(١) عبدالنور: الحياة..، مصدر سابق، ص ٧٩.

(٢) الحامد: تاريخ..، مصدر سابق، ج٢، ص ٥١٠.

(٣) الشاطري: أدوار..، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٢٩.

(٤) الخطيب: عبدالرحمن بن محمد، الجوهر الشفاف في فضائل ومناقب السادة الأشراف، مخطوط. ج٣، ص ٨٨-٨٩.

(٥) الحامد: تاريخ..، مصدر سابق، ص ٥١٠-٥١١.

٦) محمد بن أحمد بن يماني

واستلم الإمارة بعد تنازل أبيه وكان ينافسه ابن عمه راصع بن دويس بن يماني الأول، ولكن السلطان محمد كان له بالمرصاد وفي عهده حصل تحالف بينه وبين الملك المظفر بن المجاهد الرسولي أدى به إلى أن يصحب المظفر لقتال أمير الشحر غير عابئ بأن ذلك سوف يؤدي إلى إغضاب سلطان اليمن يومئذ الأفضل بن المجاهد الرسولي، توفي السلطان محمد في رجب سنة ٧٧٠هـ فتنازع الولاية بعده ابنه عبد الله وابن أخيه راصع بن دويس ثم ولي راصع بعد أيام [١].

٧) السلطان عبد الله بن محمد بن يماني

مازال راصع بن دويس مطالبًا بالإمارة خاصة بعد وفاة السلطان محمد بن أحمد إلا أن السلطان عبد الله بن محمد كان يرى أنه الأحق بها بعد أبيه، وثارت الحرب مرارًا بين ابني العم ولكل منهما مؤيدوه وأنصاره وهو الأمر الذي أدى إلى إضعاف السلطنة وزالت هيبتها إلا أنهما في كثير من الأحيان ما يتهادنان مؤقتًا ويشتركان معًا في الدفاع عن سلطنة آل يماني الكبرى ضد بقية القبائل التي تتطلع لإسقاطها، ثم يعودان إلى الاشتباك بتأثير بعض القبائل المعادية لهم، فقد أخذ راصع بالتوسع نحو الغيل سنة ٧٧٧هـ وإلى الشحر سنة ٧٧٨هـ واشتبك راصع مع عبدالله بالحسيسة سنة ٧٩٠هـ وهزمه واتجه للشحر مرة أخرى سنة ٨٠٦هـ واشتبكا مرات أخرى كثيرة بعد انتقال عبدالله بن محمد إلى نواحي عمد لينتهي الأمر بتنازل راصع بن دويس عن مطالبته بالإمارة لعبد الله بن محمد ليكون هذا آخر سلطان لهذا الفرع من أسرة آل يماني [٢].

٨) دويس بن راصع بن دويس بن يماني الأول

أشهر أبناء راصع بن دويس وهو أول سلطان لهذا الفرع من أسرة آل يماني والسلطان السابع أو الثامن لسلاطين آل يماني بناء على عد راصع بن دويس سلطانًا وعدمه.

(١) نفسه، ص ٥١٤ -٥١٥.

(٢) عبد النور: الحياة..، مصدر سابق، ص ٨١-٨٢.

وكان هذا السلطان أي دويس بن راصع (توفي سنة ٨١٣هـ) معاصرًا للسلطان عبد الله بن علي الكثيري السلطان الثاني لبني كثير وخصمًا ندًّا له خاضا معًا وقائع مشهورة وطبيعي أن تستمر تلك الاشتباكات والمعارك بين السلطنة الكثيرية الفتية والسلطنة اليمانية العجوز، ولعل من أهم تلك الوقائع ما كان في سنة ٨٣٥هـ عندما هاجم عبد الله بن علي الكثيري ومعه مائتي فارس وخمسمائة راجل السلطان دويس في عقر داره مدينة تريم، واستحر القتل بينهم في قلب البلد وفي ساحة الجامع وفي الشوارع والأزقة ويظهر أن آل يماني دافعوا دفاع المستميت وقتلوا جماعة من أعيان الكثيريين منهم بدر بن علي أخو السلطان، ولم تخضع لهم المدينة لتعود بينهم الحرب في سنة ٨٤٢هـ إذ أعلن السلطان دويس الحرب على خصمه الكثيري الذي خرج بنفسه من ظفار وحاول حصر تريم وتضييق الخناق عليها ببناء المعاقل، ومنها حصن العز ولكنها لم تستسلم فاضطر آل كثير إلى القفول والتخلي عنها[1].

في سنة ٨٤٥هـ هاجم آل يماني يتقدمهم أبناء السلطان دويس بن راصع ومعهم آل أحمد والصبرات وآل ثعلب وبعض من آل كثير السلطان محمد بن عبد الله الكثيري توج بهدنة لمدة شهرين على إثر انتهائها حاصر السلطان الكثيري تريم ليخرج منها أبناء دويس بن راصع لتهدأ الأوضاع لعقد من السنين حتى العام ٨٥٤هـ لتبدأ المناوشات من جديد بين الطرفين، وبقيا هذا العداء بين الأسرتين الحاكمتين حتى العام ٩٢٧هـ عندما قضى السلطان بدر أبوطويرق بن عبد الله الكثيري على سلطنة آل يماني واحتل عاصمة حكمهم تريم، وآخر سلطان منهم عبد الله (الرابع) بن محمد بن أحمد بن سلطان، وتقوضت دولتهم بعد أكثر من ثلاثمائة سنة ما بين قوة وضعف ومد وجزر.

(١) الشاطري: أدوار..، مصدر سابق، ج٢، ص٢٤٧-٢٤٨.

إمارة آل يماني الثانية

استطاع بعض البقية الباقية من آل يماني أن يحتفظ لنفسه بشخصية ومركز بين القبائل القاطنة بالمنطقة، فأسسوا لهم سلطة بمنطقة قسم بحكم ما لآبائهم من سلطة سابقة وهي في شرق العجز وهي أرض واسعة اشتراها السيد علي بن علوي بن عبيد الله بن المهاجر أحمد بن عيسى المتوفى بتريم سنة ٥٢٧هـ بعشرين ألف دينار، وسماها بقسم على اسم أرض كانت لأهله بالبصرة وغرسها نخيلًا وبنى بها دارًا ينزل به أيام الرطب ثم بنى جماعة بيوتًا عند داره حتى صارت قرية وسميت بخالع قسم، وبقيت إلى حوالي سنة ٧٨٦هـ قرية صغيرة لم تقم بها جمعة وكان أمر قسم للمنصب بن الشيخ أبوبكر بن سالم صاحب عينات حتى أوائل القرن الثالث عشر الهجري عندما آل أمرها إلى آل يماني التميميين"(١).

وامتدت سلطة هذه الإمارة حتى حدود المهرة ودعي أميرهم بلقب مقدم، وأول من برز منهم في القرن الثالث عشر الهجري المقدم عبد الله بن أحمد بن يماني الذي يتصل نسبه بآخر سلطان من الإمارة الأولى بتريم، وهو المقدم عبد الله بن أحمد بن يماني.

وكان سبب قيام دولته بقسم أن أهل قسم تضرروا من كثرة ما يأخذه منهم المنصب أحمد بن سالم بن الشيخ أبوبكر بن سالم مولى عينات المتوفى سنة ١٢٣٦هـ من الرسوم وكان للمنصب نائب في قسم فحصلت المفاوضة بين أهل قسم وبين عبدالله بن أحمد ابن يماني فتمهل حتى سافر نائب المنصب وكان من آل الحامد، فهجم عبدالله بن أحمد عليها واحتلها وحصلت بعدها مناوشات بينه وبين المنصب ومعه يافع إلا أن المقام بقسم طاب لابن يماني فضبطها وأحسن سياستها.

وفي عهده كان وصول الوهابيين إلى حضرموت بقيادة علي بن قملا سنة ١٢٢٤هـ فهدم القباب وسوى القبور ومنع الذكر والتذكير، وفي تلك الأثناء عاهده المقدم عبد الله بن أحمد بن يماني والأمير عبدالله بن عوض غرامه البعسي اليافعي أمير تريم على أن يكف الأذى عن أهل تريم وأهل قسم وما نزل عناه على أن يقوموا عنه بنشر

(١) السقاف: عبدالرحمن بن عبيد اللاه، إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، تحقيق إبراهيم المقحفي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ٢٠٠٢م. ص ٤٥٨.

الدعاية إلى ما يدعو له من تجريد التوحيد ونشر كتبهم وما إلى ذلك[1] وتوفي في حوالي سنة ١٢٦٢هـ.

ويشير الشاعر الكبير المعلم عبد الحق[2] إلى المقدم عبد الله بن أحمد ودولته بقسم حيث يقول:

وبعد يا معتني من فوق فلو أحمر ... محجل أربع سير القلب في الميدان
اسرح من الشعب واحدر سعف من حدر ... واقصد بلد في جهتنا مثلها بالشان
العدل فيها وعادة من عدل يظهر ... سلطانها بن حمد يا محسنه سلطان
القاضي العادل الناهي عن المنكر ... طوبى لمن في بلد أبو احمد حلان
والقبولة في قسم عمال تنتشر ... لأهل القوالات خلوها على العدان
سلام مني عليهم عد ما كبر ... ذاك المنادي وما قاري قرا سبحان[3]

ويقول في أخرى:

اسرح طلوع الفجر من دمون واعزم في اعتجال ... واقصد قسم لي غدروها بالقوالات الدوال
بسعد عبد الله عسى لا زال من بقعته حال ... قومه بني عمه هو القاسم وهم مثل القبال
القبولة ما جاتهم سهلة ولا طاب الحلال ... الا بكم رأس يستخطف ومن بقعته مال
أيضا ولا شفته سرح على الجهة قوت العيال ... يخلع لهم في كل بقعة واقيه كسبا حلال[4]

أولًا: مرحلة ما قبل قسم

كان أول مقادمة آل يماني هو عبدالشيخ بن يماني ولم يكن مقره بقسم وإنما كان في حصون الصفيرة في الشمال الشرقي من قسم في مدخل منطقة الواسطة، ثم انتقل حفيده عبد الله بن

---

(١) السقاف: بضائع..، مصدر سابق، ج١، ص ٣٨٢-٣٨٣.

(٢) عاصر الشاعر (١٢١٣هـ-١٢٨٩هـ) عبد الله بن أحمد ثم ابنه أحمد بن عبد الله وكان يخاطبهم بلفظة اللابو أي الأب الأكبر.

(٣) عبد الحق: سعيد، ديوان الوقائع فيما جرى بين آل تميم ويافع، جمع علي بن شهاب، المطبعة الحجرية، الهند، ص١٠٩ أو ٢٦.

(٤) عبد الحق: الوقائع..، مصدر سابق، ص ١١٦ أو ٢٨.

أحمد بن عبد الشيخ بن يماني إلى منطقة حصن حمشة، والذي يقع في الناحية الشرقية من مجرى وادي حضرموت (المعروف بوادي المسيلة)، ينتصب حصن الحمشة السكني الدفاعي بحافة الجبل، حيث يحده من الشرق الجبل، ومن الغرب مجرى المسيلة ومن ثم حصن العر الشهير بجانب الفضاء الواسع مابين منطقتي الخون والسوم على خط طول (٤٩درجة و١٤دقيقة شرقًا) وخط عرض (١٦درجة و٧دقائق شمالًا) ويبعد حوالي ٣٧ كم عن مدينة تريم[١].

ثانيًا: مرحلة قسم

وكان سبب انتقال عبد الله بن أحمد إلى قسم مثلما مر أن أهل قسم تضرروا من كثرة ما يأخذه منهم المنصب أحمد بن سالم بن الشيخ أبوبكر بن سالم مولى عينات المتوفى سنة ١٢٣٦هـ من الرسوم، وكان للمنصب نائب في قسم من آل حامد فحصلت المفاوضة بين أهل قسم وبين عبد الله بن أحمد بن يماني، فتمهل حتى سافر نائب المنصب فهجم عبد الله بن أحمد عليها واحتلها وحصل بعدها مناوشات بينه وبين المنصب ومعه يافع إلا أن المقام بقسم طاب لابن يماني فضبطها وأحسن سياستها وأول مقامه كان في بيت النائب السابق، وتسمى بغرفة آل حامد بعد أن اشتراها منهم بعد زوالهم من قسم ثم بدأ التفكير في بناء بيت له ولأسرته وحصن يضمه ويحميه من غدر الأيام، وحتى لا يكون عرضة لما حصل للنائب الحامد فاختار هذا الموقع القصي من قسم بجوار مسجد باقشير، وكانت أرضًا رحبة تقع على أطراف البلدة الصغيرة، وبدأ بحفر بئر لتكون نواة للحصن ولتغطية احتياجات بناء الحصن من المياه ولتكون بئرا خاصة لساكني الحصن فيما بعد تلبي احتياجاتهم في أوقات السلم والحرب على السواء[٢].

علاقة إمارة آل يماني بالإمارات والدول الأخرى

يصف الشاطري العلاقات التي كانت تتحكم في سياسة الإمارات والدويلات بوادي حضرموت بـ(أن دولة كل من هؤلاء الأسر التي توارثت السلطنة على حضرموت لها مد

---

(١) التميمي: نجمي، وآخرون، حصن المقدم بن يماني دراسة تاريخية أثرية ١٢٣٠-١٤٣٠هـ، بحث غير منشور، ص ١٥.

(٢) نفسه ص ١٦.

وجزر وانبساط وانكماش، وقد يعتريها الضعف حتى يكاد يقضي عليها ثم تنبعث مرة أخرى من جديد ويتجدد شبابها، كما أن نهاية زمن السابقة يكون بداية زمن اللاحقة، وقد يطول هذا الزمن المشترك بينهما يتنازعان فيه البقاء حتى تتغلب القوية على الضعيفة كما يقع هذا كثير في التاريخ) [١].

كانت شبام تحت حكم إمارة آل الدغار الهزيلي عقب زوال الإباضية منها، ومؤسسها الدغار بن أحمد الهزيلي وآخر سلاطينها راشد بن أحمد بن النعمان والذي في عهده استولى آل يماني على شبام وكانت نهاية إمارة بني الدغار وذلك سنة ٦٠٥هـ [٢].

وحاول مسعود بن يماني الاستيلاء على الشحر لكن آل اقبال حكامها استعصوا عليه فصالحهم على الصداقة المتبادلة وعاد أدراجه إلى الداخل [٣].

ووجد آل يماني في نهد عنصرًا مساعدًا لهم في توطيد دعائم دولتهم جناحًا متحالفًا أو على الأقل طرفًا قويًا مسالمًا لم يعرقلهم في نمو توسعاتهم حيث الاثنين يرجع نسبهم إلى رابطة واحدة هي عشيرة بني حرام بن ملكان [٤]، ونتيجة لوقوف قبيلة بني سعد إلى جانب مسعود بن يماني وضد جميل وخيثمة قام مسعود بتسليم شبام إلى بني سعد فملكوها وحكموها وأنشأوا بها إمارة عرفت باسمهم [٥].

وبما أن مسعود بن يماني هو المؤسس لهذه الإمارة فقد صادف صعوبات جمة في سبيل توطيد إمارته وإرساء قواعدها، ووجد في الرسوليين غايته فاستعان بالملك المنصور الرسولي الذي قدم له المساعدات العسكرية إلا أنها لم تكن بما فيها الكفاية لتحقيق أهدافه ورغم وفاة مسعود بن يماني في سنة ٦٤٨هـ إلا أن ابنه عمر بن مسعود الذي خلفه ظلت صلاته ببني رسول مستمرة [٦].

---

(١) الشاطري: أدوار..، مصدر سابق، ج١ ص ١٦٥.

(٢) بامطرف: المختصر في تاريخ حضرموت العام، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، ط١، ٢٠٠١م، ص ٧٢.

(٣) نفسه، ص ٧٦.

(٤) نفسه، ص ٧٦.

(٥) عبد النور: الحياة..، مصدر سابق، ص ٧٣.

(٦) بامطرف: المختصر..، مصدر سابق، ص ٧٧.

وكان لآل كثير أحلاما بإقامة دولة لهم بحضرموت فشرعوا منذ انطلاقهم من عينات في التحالفات والصراعات مع القوى المحيطة، ولما تولوا أعمال السلطان الحبوظي ثم استولوا عليها في الربع الأخير من القرن السابع الهجري وأخذوا يسقطون القرى والبلدات الحضرمية الواحدة تلو الأخرى، واستطاعوا معها من تقليص حدود إمارة آل يماني حتى حصروها في مدينة تريم وكان حاكمها محمد بن أحمد بن سلطان آخر أمراء آل يماني ليستولي عليها السلطان بدر أبوطويرق سنة ٩٢٦هـ لتخلص لهم حضرموت ساحلها وواديها، وتقوضت دعائم دولة آل يماني بعد أن دامت أكثر من ثلاثمائة سنة بين قوة وضعف ومد وجزر حتى خارت قواها وآلت إلى ما آلت إليه بعد أن كان قد سرى فيها سوس الانشقاق والتناحر الداخلي(١).

على صعيد الدول الخارجية فقد ارتبطت حضرموت سياسيًا بالدولة الإسلامية ومنها الدولة الأيوبية والتي تمكنت من ضم اليمن إليها سنة ٥٦٩هـ بقيادة توران شاه شقيق القائد صلاح الدين الأيوبي، والذي بدوره عين القائد عثمان الزنجيلي واليًا على عدن وما والاها ووصل الشحر سنة ٥٧٥هـ واحتلها واتجه نحو وادي حضرموت ودخل تريم في رابع القعدة سنة ٥٧٥هـ، وكانت تحت ولاية راشد بن شجعنه القحطاني، ورغم ذلك لم تستقر لهم الأوضاع بحضرموت فخرجت من أيديهم مرارًا نتيجة لتعاون دويلات المدن في حضرموت متمثلة في إمارة آل الدغار في شبام وآل قحطان بتريم تغذيها العصبية القبلية والقرابة والمصاهرة والمصير المشترك، وتمكنوا من استعادة ملكهم حتى بعد وصول الأمير سيف الإسلام طغتكين إلى حضرموت ودخوله تريم عاشر شهر رجب سنة ٥٩٠هـ حيث أنه ترك أمراءها هؤلاء على ما تحت أيديهم واكتفى بتبعيتهم له اسميًا حتى أتت حملات عمر بن مهدي المرسل من قبل الملك المسعود بن الكامل فلم تأتِ سنة ٦١٧هـ إلا وجميع حضرموت تحت يده إلا أنه قتل سنة ٦٢١هـ بعد أن ثارت عليه قبيلة نهد وأحلافها وعشائرها، واستولت على مدن الوادي ومنها تريم التي ظهر بها مسعود بن يماني وتمكن من الاستيلاء عليها مؤسسًا بها إمارته فكانت نهاية الوجود الأيوبي بحضرموت فرصة مواتية لبروز إمارة آل يماني(٢).

---

(١) بامطرف: المختصر..، مصدر سابق، ص ٧٩-٨٠.

(٢) عبد النور: الحياة..، مصدر سابق، ص ٩٤-١٠٤.

وفي نفس الفترة التي ظهرت فيها إمارة آل يماني بحضرموت كان قد سطع نجم الدولة الرسولية باليمن (٦٢٦هـ - ٨٥٨هـ) والتي حكمت أجزاء كبيرة من بلاد اليمن ووصلت إلى بلاد الحجاز وبعثت حملاتها تباعًا نحو حضرموت وعينوا نوابًا وقادة عسكريين من قبلهم، ومنهم المظفر يحيى بن المجاهد الذي وصل إلى وادي حضرموت سنة ٧٦٨هـ، واتجه بصحبة محمد بن أحمد بن يماني إلى الشحر التي ظلت ولاية يتناوب أمرها الرسوليون حتى سنة ٨٣٦هـ، ولكنهم لم يحرصوا على مد نفوذهم إلى وادي حضرموت واكتفوا بالتبعية الاسمية في ظل إمارة آل يماني التريمية التي طلب أميرها مسعود بن يماني سنة ٦٧٣هـ مساعدتها عندما أرسل ابنه إلى الملك المظفر يوسف الرسولي طالبًا نجدته لطرد السلطان سالم بن إدريس الحبوظي الذي حاصر تريم ثلاثة أشهر واضطروا إلى تسليمها، وأقام بها تسعة أشهر في خلالها تم طلب النجدة إلا أن المظفر الرسولي لم ينجده بشيء، واستمرت تبعية إمارة آل يماني للرسولي ومهدوا له المرور بوادي حضرموت عندما أراد مهاجمة الحبوظي في قعر داره ظفار سنة ٦٧٨هـ[1].

(١) عبدالنور: الحياة..، مصدر سابق، ص ١٠٥ -١١١.

المراجع

١. الخطيب: عبد الرحمن بن محمد، الجوهر الشفاف في فضائل ومناقب السادة الأشراف، مخطوط. (بحوزة الباحث)

٢. السقاف: بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت، مخطوط، ٣ أجزاء. (بحوزة الباحث)

٣. بامطرف: محمد عبد القادر، في سبيل الحكم، دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن، ط٢.

٤. بامطرف: المختصر في تاريخ حضرموت العام، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، ط١، ٢٠٠١م.

٥. بامؤمن: كرامه مبارك، الفكر والمجتمع في حضرموت، دار التيسير، صنعاء؛ مكتبة الثقافة، عدن، ط٣، ٢٠٠٦م.

٦. بن هاشم: محمد، تاريخ الدولة الكثيرية مكتبة تريم الحديثة، تريم، ط١، ٢٠٠٢م.

٧. التميمي: نجمي، بن قفلة: أحمد، الرباكي: أحمد، حصن المقدم بن يماني دراسة تاريخية أثرية ١٢٣٠-١٤٣٠هـ، بحث غير منشور.

٨. الحامد: صالح بن علي، تاريخ حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٣م.

٩. السقاف: عبدالرحمن بن عبيد اللاه، إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، تحقيق إبراهيم المقحفي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ٢٠٠٢م.

١٠. الشاطري: محمد أحمد، أدوار التاريخ الحضرمي، دار المهاجر، المدينة المنورة، ط٢، ١٩٩٤م.

١١. عبد الحق: سعيد، ديوان الوقائع فيما جرى بين آل تميم ويافع، جمع علي بن شهاب، المطبعة الحجرية، الهند.

١٢. عبد النور: محمد يسلم، الحياة العلمية في حضرموت في القرن السابع والثامن للهجرة، وزارة الثقافة، صنعاء، ط١، ٢٠١٠م.

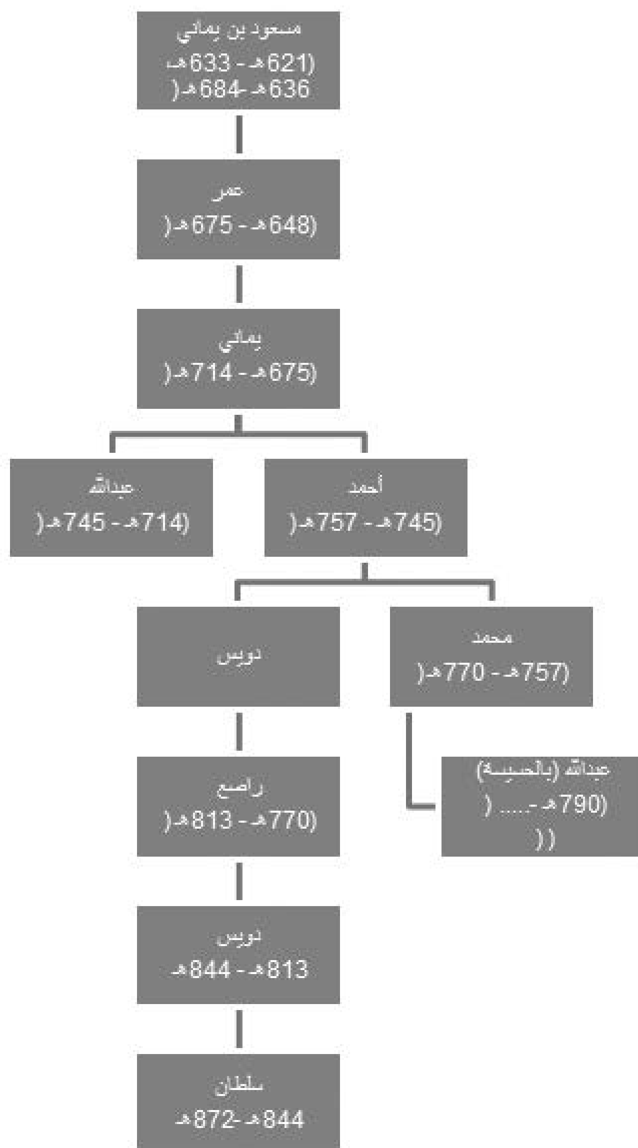
١٣. العيدروس: حسين أبو بكر، اختيار مواضع إنشاء المستوطنات في عهد إمارة آل يماني بحضرموت وأبرز العوامل المؤثرة عليها خلال القرنيين الثامن

والتاسع الهجريين، بحث مقدم للندوة العالمية السابعة لتاريخ الجزيرة العربية، الرياض، ٢٠١٠م.

١٤. القعيطي: عبد العزيز بن علي بن صلاح، إحلال السلام في حضرموت، Arabian publishing Ltd London، ط١، ٢٠٠٩م.

١٥. الكثيري: ناجي جعفر، نظام الحكم في اليمن في عصر ما قبل الإسلام، دار الثقافة العربية للنشر والترجمة والتوزيع، الشارقة؛ جامعة عدن، عدن، ط١، ٢٠٠١م.

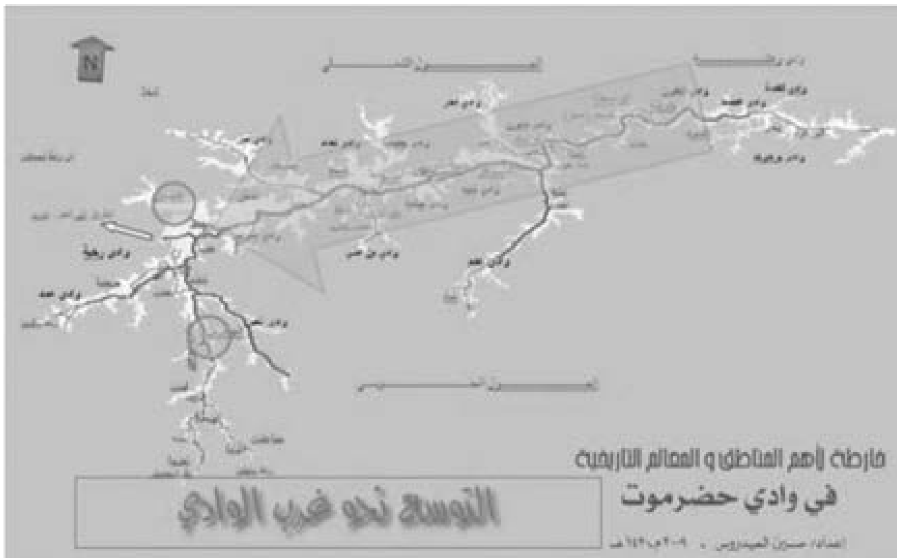
سلاطين إمارة آل يماني بتريم[١]



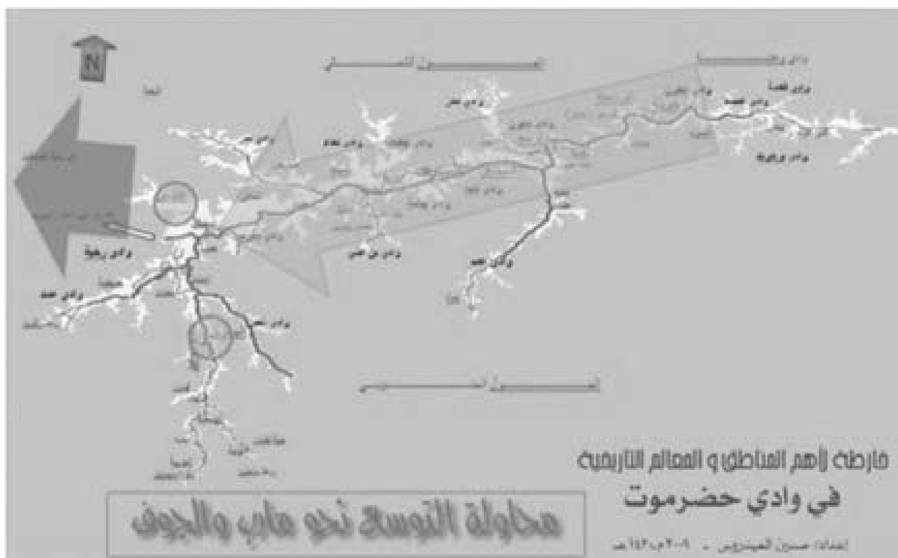
(١) عبدالنور: الحياة..، مرجع سابق، ص ٤٧٤



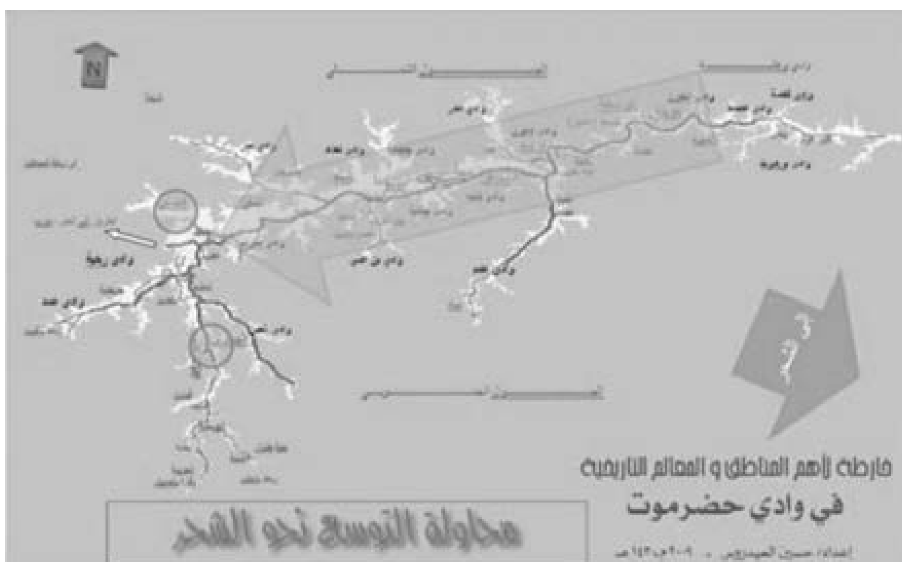
لوحة ١ مركز سلطة آل يماني (عن العيدروس ص ٤٠)



لوحة ٢ توسع إمارة آل يماني نحو غرب وادي حضرموت (عن العيدروس ص٤٠)



لوحة ٣ محاولة توسع آل يماني نحو مأرب والجوف عن (العيدروس ص٤١)



لوحة ٤ محاولة آل يماني التوسع نحو الشحر عن (العيدروس ص٤١)

العلاقات الصينية - الظفارية
في عهد الدولة الكثيرية الأولى

أ. سالم أحمد سالم الكثيري
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة السلطان قابوس

المقدمة

كان لموقع ظفار الاستراتيجي المطل على بحر العرب والمحيط الهندي، إضافة إلى ما تميزت به من موارد طبيعية كاللبان والمر والعنبر وغيرها، دورًا كبيرًا في أن تحظى بعلاقات ومكانة تجارية واقتصادية مرموقة، خاصة مع بلدان جنوب وشرق آسيا، ومن ضمنها بلاد الصين على مر أعوام وأزمنة طويلة.

ولهذا فقد أتى هذا البحث لكي يسلط بعض الضوء على زاوية محددة من زوايا تلك العلاقة التاريخية التي ربطت بين ظفار والصين، وهي الفترة التي شهدت تواصلًا دبلوماسيًا وسياسيًا عالي المستوى في النصف الأول من القرن التاسع الهجري- الخامس عشر الميلادي بين المنطقتين، مع ما رافق ذلك التواصل من تدوين تاريخي يصف ويظهر لنا بعض ملامح وجوانب الحياة في تلك الفترة.

وقد تناولت في هذا البحث الموضوع أعلاه في ثلاثة محاور رئيسة، وهي:

- **التمهيد:** وهو عبارة عن توطئة تاريخية مختصرة، تصور لنا العلاقات بين الصين والعرب على مر التاريخ، بحيث تتكون لدى القارئ خلفية جيدة عن تلك العلاقات وبداياتها ومراحلها التي مرت بها.

- **المحور الثاني** وهو مخصص للحديث عن العلاقات التاريخية بين الصين ومنطقة جنوب الجزيرة العربية بشكل خاص حتى القرن الـ١٥م، حيث كان للمنطقتين تواصل وارتباط تاريخي قديم، أتى هذا المحور لتناوله وتوضيحه بصورة أكبر، كون ظفار تأتي ضمن هذه الإطار الجغرافي الذي كان على علاقة تجارية مع الصين في تلك الفترة، وهو ما شكل امتدادًا لتطور تلك العلاقة ووصولها إلى مرحلتها المتطورة في القرن ١٥م.

- **أما المحور الثالث** فقد خصصته للحديث عن موضوع البحث وهو العلاقات بين ظفار والصين في عهد الدولة الكثيرية الأولى في بدايات عهدها، حيث أعطيت نبذة مختصرة عن الأحوال السياسية لكل من الصين وظفار خلال تلك الفترة، تطرقت بعدها لتناول البعثات الدبلوماسية والرحلات البحرية الصينية إلى ظفار، أسبابها ومراحلها وما تمخض عنها، وأخيرًا استعرضت ما كُتب عن ظفار وأهلها ومواردها في الكتابات والمدونات التاريخية التي كتبها مجموعة من المؤلفين الصينيين.

توطئة

فرض الواقع الجغرافي والاقتصادي على الصين والجزيرة العربية ضرورة التبادل والتلاقي من أجل المنفعة المشتركة(١) ؛ ولذا نجد أن بدايات التواصل بين الصين وبلاد العرب بشبه الجزيرة العربية ومنطقة غرب آسيا عامة وسواحل عمان خاصة تعود إلى فترة ما قبل الميلاد(٢)، فتشير الكتابات الصينية مثلًا إلى أن العمانيين وصلوا إلى شواطئ الصين الجنوبية ما بين عامي ٢٠٣ ق.م - ٩٧م(٣)، كما تم العثور على أحجار عليها خط المسند الحميري في جزر الهند الشرقية والفلبين(٤)، وهو دلالة على وجود تواصل قديم بين عرب الجزيرة العربية وبلدان جنوب شرق آسيا والشرق الأقصى من خلال الملاحة.

أما في جانب التواصل عن طريق الخطوط البرية، فمع فتح طريق الحرير القديم حوالي القرن الثاني قبل الميلاد بدأت مرحلة جديدة في العلاقات بين الصين وبلدان وسط وغرب آسيا بما فيها شبه الجزيرة العربية، حيث تشير المصادر الصينية مثلًا إلى رحلة قام بها الرحالة

---

(١) أحمد، جعفر كرار، العلاقات التاريخية بين شبه الجزيرة العربية والصين منذ ظهور الإسلام حتى أوائل القرن ٢٠م. بحث منشور ضمن مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٩٢، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الكويت: ١٩٩٩م، ص١٢٧.

(٢) الهادي، حبيب بن مرهون. الطرق التجارية بين عمان والصين: طريق البخور أنموذجًا. بحث منشور ضمن ندوة العلاقات العمانية بجنوب شرق آسيا والصين واليابان، مجموعة من الباحثين، ذاكرة عمان، ط١، مسقط: ٢٠١٦م، ص١١٨.

(٣) السعدي، مهنا بن راشد بن حمد. الطرق والمسالك البحرية بين عمان ودول جنوب شرق آسيا والصين: طريق التوابل أنموذجًا. بحث منشور ضمن ندوة العلاقات العمانية بجنوب شرق آسيا والصين واليابان. مجموعة من الباحثين، ذاكرة عمان، ط١، مسقط: ٢٠١٦م، ص١٥٦.

(٤) أحمد، جعفر كرار، مرجع سابق، ص١٢٩.

الصيني زانج-كيان نهاية القرن الثاني قبل الميلاد، والتي وصل فيها إلى بلاد العراق والمناطق التي حولها[١]، وقد وصل ذلك المبعوث أو الرحالة الصيني إلى غرب آسيا بالطريق البرية إلى بلاد فارس، وأشار إلى البلاد العربية باسم تياو-زي[٢] أو تا -تشي وهي في أصلها تازك بالفارسية وتعني: رجل من قبيلة طيء[٣]، وكان مصطلح تياو-شي أو تاشي يطلق على الحيرة في العراق كونها أولى طلائع البلاد العربية وأقربها اتصالًا بفارس، ومن ثمَّ عم الاسم على العرب عامة بلادًا وشعبًا[٤].

وفي منتصف القرن الرابع الميلادي كانت توجد سوق سنوية تقام بمنطقة الخليج، وكانت تُعرض فيها السلع والبضائع الصينية[٥]، وهذا شيء طبيعي ووارد خاصة إذا ما علمنا أن المصادر الصينية أشارت إلى أن السفن الشراعية للصينيين وصلت إلى رأس الخليج العربي في فترة حكم أسرة ليو-تسون (٤٢٠-٤٧٩م) [٦]، وبهذا نجد أن الطريق البحري الذي يربط بين الخليج العربي من ناحية والشرق الأقصى من الناحية الأخرى أصبح معروفًا ومطروقًا للتجار العرب، وفي مقدمتهم تجار عمان واليمن منذ القرن الخامس الميلادي[٧]، حيث كان لتجار عمان واليمن دور محوري في مجال الملاحة في الطريق البحري الرابط بين بلاد العرب والهند والشرق الأقصى في تلك الفترة[٨].

---

(١) أحمد، جعفر كرار. مرجع سابق. ص١٣٠.

(٢) يان، تشانغ زون. الاتصالات الودية بين الصين وعمان عبر التاريخ. ط٣، وزارة التراث والثقافة، مسقط: ٢٠٠٢م، ص٤.

(٣) الحربي، شيخة عبيد. الأبعاد التاريخية والعلاقات التجارية البحرية بين عمان والصين قبل الإسلام. بحث منشور ضمن ندوة العلاقات العمانية بجنوب شرق آسيا والصين واليابان. مجموعة من الباحثين، ذاكرة عمان، ط١، مسقط: ٢٠١٦م، ص٣١٧.

(٤) محيرز، عبدالله أحمد. رحلات الصينيين الكبرى إلى البحر العربي. دار جامعة عدن للنشر والطباعة، عدن: ٢٠٠٠م، ص٢٥.

(٥) يان، تشانغ زون. مرجع سابق. ص٥

(٦) يان. نفسه. ص٦

(٧) أحمد، جعفر كرار. مرجع سابق. ص١٣٣.

(٨) الشبلي، أحمد بن خلفان بن علي. علاقات عمان التجارية مع الصين من القرن ٧-١٦م. بحث منشور ضمن ندوة العلاقات العمانية بجنوب شرق آسيا والصين واليابان. مجموعة من الباحثين، ذاكرة عمان، ط١، مسقط: ٢٠١٦م، ص٤٣٨.

وكانت الفترة الممتدة من ٦١٨-١٢٧٩م والتي تشمل فترة حكم أسرتي تانغ وسونغ الصينيتين تعتبر من أزهى وأخصب فترات ازدهار للطرق التجارية البرية والبحرية التي تربط بين الصين وبلاد العرب[١] ففي الوقت الذي تحققت فيه وحدة العرب في ظل الإسلام في عهد الخلافة الراشدة ظهرت إمبراطورية صينية موحدة وقوية تحت حكم أسرة تانغ (٦١٨-٩٠٧م) مما ساهم في إتاحة مناخ صالح لمزيد من التواصل البحري والتجاري بين العرب والصين[٢].

وقد كان إرسال المبعوثين رسميًا لأول مرة من بلاد العرب إلى الصين خلال هذه الفترة، وبالتحديد في سنة ٦٥١م في عهد الخليفة عثمان بن عفان[٣]، ومنذ ذلك الوقت دخلت الاتصالات الرسمية بين الصينيين والعرب عهدًا جديدًا فوصلت الزيارات والبعثات الرسمية بين الطرفين حسب ما ورد في السجلات الرسمية لسلالة تانغ إلى حوالي ٣٩ بعثة خلال ١٤٨ عام في الفترة من ٦٥١-٧٩٨م[٤]، ومما ساعد على قيام مثل هكذا علاقات بين المنطقتين أن الصين خلال عهد أسرة تانغ كانت تسيطر سيطرة شبه تامة على الطرق البرية التي تصلها بالمشرق الإسلامي عبر أواسط آسيا[٥] كما أن العرب في الجانب الآخر كانوا يسيطرون على الطرق والممرات المائية في البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي[٦].

وشهدت التبادلات التجارية بين العرب والصين تدهورًا وتراجعًا منذ منتصف القرن التاسع الميلادي، عندما بدأ عهد من الاضطرابات وعدم الاستقرار في الصين[٧]،

(١) أحمد، جعفر كرار. العلاقات العمانية الصينية: ٦١٨-١٢٧٩م شركاء في الحزام والطريق القديم. بحث منشور ضمن ندوة العلاقات العمانية بجنوب شرق آسيا والصين واليابان. مجموعة من الباحثين، ذاكرة عمان، ط١، مسقط: ٢٠١٦م، ص١٨.

(٢) يان، تشانغ زون. مرجع سابق. ص٧-٨.

(٣) يان. نفسه. ص٨.

(٤) يان. نفسه. ص٨.

(٥) زيادة، نقولا. الجزيرة العربية في أخبار المؤلفين الصينيين. بحث منشور ضمن الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية. مج١، ج٢، مطبوعات جامعة الرياض، ب-م، ب-ت، ص١٢٨.

(٦) أحمد، جعفر كرار. العلاقات العمانية الصينية. ص٢١.

(٧) أحمد، جعفر كرار. العلاقات التاريخية بين شبه الجزيرة العربية والصين. ص١٤٧.

لكن سرعان ما عادت بعدها تلك العلاقات التجارية إلى نشاطها في عهد أسرة سونغ (٩٦٠-١٢٧٩م)[١].

حيث شهد عهد أسرة سونغ تطورًا ملحوظًا في مجال صناعة السفن، وأخذت سفنها تجوب المحيط الهندي، مستفيدين في ذلك بالبوصلة التي اكتشفت في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي[٢] وكان ذلك الاهتمام بالتجارة البحرية في فترة أسرة سونغ بسبب إفلات التجارة البرية من الصين لتعوضها بالتوسع التجاري البحري، فتم بناء أول أسطول بحري في هذه الفترة، وارتفعت عدد سفن الأسطول الصيني كما ازداد عدد البحارة الصينيين العاملين في الأسطول[٣]، وقد أشارت وثائق وسجلات أسرة سونغ إلى أن ما يزيد عن ٢٠ سفارة قدمت إلى الصين من بلاد العرب، وهي في معظمها سفارات لبحارة وتجار[٤].

وإذا أتينا على ذكر الطرق والمسالك البحرية التي كانت السفن تقطعها في ذلك الزمن بين الخليج العربي والصين، فإننا نجد أن السفن كانت تسير من البصرة وسيراف والبحرين إلى موانئ عمان للتزود بالمياه وشحن البضائع[٥]، حيث كان البحارة العمانيون يجلبون الكثير من السلع الأفريقية من سواحلها الشرقية إلى موانئ عمان للاستهلاك المحلي، وما فاض منها تتم إعادة شحنه وتصديره إلى الخارج[٦]، ومن عمان تسير هذه السفن في طريقين[٧]:

الأول: كانت السفن تسير عليه مباشرة عبر المحيط الهندي إلى الهند، ومنها تقصد الصين مرورًا ببلدان وموانئ جنوب شرق آسيا.

---

(١) أحمد، جعفر كرار. نفسه.ص١٤٩.

(٢) الشبلي، أحمد. مرجع سابق. ص٤٤٢.

(٣) زيادة، نقولا. مرجع سابق. ص١٢٨.

(٤) محيرز، عبدالله أحمد. مرجع سابق. ص٢٨.

(٥) أحمد، جعفر كرار. العلاقات التاريخية بين شبه الجزيرة العربية والصين. ص١٤٣.

(٦) شعبان، علاء محمد عبدالغني حسين. رحلة التجار العمانيين إلى الصين من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين في القرنين ٣و٤ الهجريين. بحث منشور ضمن ندوة العلاقات العمانية بجنوب شرق آسيا والصين واليابان. مجموعة من الباحثين، ذاكرة عمان، ط١، مسقط: ٢٠١٦م، ص٩٥.

(٧) أحمد، جعفر كرار. العلاقات التاريخية بين شبه الجزيرة العربية والصين. ص١٤٣-١٤٤.

والثاني: كان ينطلق من مسقط وصحار بحذاء الساحل بحيث تمر السفن بالمراكز التجارية على سواحل بلاد السند حتى تصل بعد ذلك إلى الهند ومنها إلى الصين.

وكانت السفن التي تنطلق من الموانئ الجنوبية للصين إلى منطقة الخليج والجزيرة العربية وبالعكس تحتاج لـ ١٠٠ يوم تقريبًا لسفرة فردية واحدة بلا عودة، ونظرًا لضرورة الانتظار للرياح الموسمية كانت الملاحة تحتاج إلى ما يزيد على ١٨ شهرًا ذهابًا وإيابًا(١)، بما في ذلك زمن الإبحار والانتظار في الموانئ(٢).

ومن البضائع الأخرى التي كان تستوردها الصين من المنطقة إضافة إلى اللبان: دم الأخوين(٣)، والمر(٤)، والعنبر، والمنسوجات، في حين كان العرب يستوردون من الصين: الحرير، والخزف الصيني، والمسك، والعود، والسروج وغيرها(٥)، وكان يتواجد في الموانئ الصينية الرئيسة مراقبون للتجارة والتاجر، وكان هؤلاء يدونون ما يصل إلى الصين من البضائع والموانئ والبلدان التي قدمت منها، وأنواعها ووجوه استعمالها(٦).

وقد كان لكثرة التجار الوافدين إلى الصين من فارس وبلاد العرب دور في إثارة نفوس الصينيين في اتجاه زيادة اهتمامهم بالتعرف على تلك البلدان الأجنبية(٧)، وهو ما كان له

(١) يان، تشانغ زون. مرجع سابق. ص١٣.

(٢) أحمد، جعفر كرار. العلاقات العمانية الصينية. ص٢٥.

(٣) دم الأخوين: هو نبات أو قشر نبات يستخدم في الصباغة، ويستعمل كدواء للجروح، ويلون به الأواني الفخارية، كما يستخدم أيضًا كمطهر للفم والأسنان، ومن أهم مناطق نموه جزيرة سقطرى اليمنية. انظر: شهاب، حسن صالح. أضواء على تاريخ اليمن البحري. ب-ط، دار الفارابي، بيروت: ١٩٧٧م، ص٢٢٢.

(٤) المر: من النباتات التي تنمو بشكل طبيعي كاللبان، وطريقة استخراجه تكون بإحداث شقوق في جذع الشجرة لتسيل منه مادة صمغية كالحبوب، هو المر، ويستخدم المر في أشياء كثيرة كصناعة الأدوية والعطور وغيرها. انظر: الجرو، أسمهان سعيد. دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم. ب-ط، دار الكتاب الحديث، ب-م: ٢٠٠٣م، ص ٣٤-٣٥.

(٥) أحمد، جعفر كرار. الدور الحضاري للعمانيين في الصين منذ ظهور الإسلام حتى أوائل القرن ١٩م. ط١، وزارة التربية والتعليم، مسقط: ٢٠٠٧م، ص٣٦-٣٧.

(٦) زيادة، نقولا. مرجع سابق. ص١٢٩.

(٧) زيادة، نقولا. نفسه. ص١٢٨.

دور في دفع تلك العلاقات والتبادلات بين الصين وبلاد العرب وبالأخص جنوب الجزيرة العربية نحو مزيد من التطور مع قادم الأيام.

العلاقات بين الصين وجنوب الجزيرة العربية حتى القرن ١٥م

رأينا فيما سبق كيف أن العلاقات والتبادلات التجارية بين الصين من جهة وبلاد العرب من جهة أخرى قد شهدت نموًا وتطورًا كبيرًا مع مرور الزمن بدءًا من عصر ما قبل الميلاد حتى العصر الإسلامي، وقد كان لمنطقة جنوب الجزيرة العربية نصيبها من تلك العلاقات التجارية إن لم يكن لها النصيب الأكبر، وذلك لما تميزت به من موارد اقتصادية وبضائع كان لها سوق رائجة وإقبال عند الصينيين، ونحاول هنا تسليط الضوء على بعض ملامح تلك العلاقة والارتباط بين المنطقتين.

وكان لعرب جنوب الجزيرة العربية دورًا مهمًا في التجارة والتواصل مع الصين، وإن كانت التجارة على رأس اهتماماتهم إلا أننا نجد لهم أنشطة أخرى، فمثلًا ورد في أحد المصادر العربية أن راهبًا عربيًا حضرميًا جاء إلى الصين في الفترة من ٩٧٨-٩٨٨م ومعه ٥ مبشرين مسيحيين للتبشير بالدين المسيحي، وعادوا إلى بلادهم بعد ١٠ سنوات قضوها في التبشير الديني في الصين[١].

ومما ساهم في تقوية العلاقة بين الصين ومنطقة جنوب الجزيرة العربية أنه في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين قامت السفن الصينية بفتح خط ملاحة جديد، بحيث كانت تقلع من سومطرة حتى تصل إلى بلاد المهرة مباشرة دون المرور بالهند[٢]، وأهم ما يميز خط الملاحة الجديد هو أن السفن عندما تبحر من الصين فهي تنتهز هبوب الرياح الموسمية الشمالية في الشتاء فتصل إلى بلاد ما-رو-با (المهرة) وتعود في السنة الثانية منتهزة فترة الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في الصيف[٣] وهو ما يعرف حاليًا في ظفار بموسم الخريف.

---

(١) أحمد، جعفر كرار. العلاقات التاريخية بين شبه الجزيرة العربية والصين. ص١٥٦.

(٢) يان، تشانغ زون. مرجع سابق. ص١٣.

(٣) يان، تشانغ زون. نفسه. ص١٣-١٤.

وكانت رحلة العودة للسفن من الصين تأخذ نفس طريق الذهاب حتى تصل إلى ميناء ريسوت بين مرباط والشحر على الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية، أو على أية نقطة أخرى ملائمة على ساحل الشحر أو المهرة، ثم تسير السفن شرقًا على طول الساحل حتى تصل إلى خليج عمان[(١)]، أو تسير غربًا إلى عدن ومنها نحو البحر الأحمر وشرق أفريقيا[(٢)].

وقد ازدادت معرفة الصينيين بأحوال منطقة جنوب الجزيرة العربية في عهد أسرة سونغ، وذلك كما سبق نتيجة لتنوع الطرق وسهولة المواصلات بين الصين والجزيرة العربية، ومن ذلك مثلًا الوصف الجغرافي الوارد في سجلات البلاد الأجنبية التي كتبها تشو-جو-كوا في كتابه "سجل الأمم الأجنبية" فقد ذكر أسماء مناطق مختلفة من جنوب شرق الجزيرة العربية، ومنها[(٣)]:

نو-فا (ظفار)

وو-با (مرباط)

نو-مان (عمان)

وشي-وان (صحار)

كما جاء فيه أيضًا: أنه "إذا ما سافرت برًّا من ما-لو- با (المهرة) باتجاه الشمال الشرقي مارًّا بمدينة نو-فا (ظفار) ومدينة مان-وانج (عمان) وقطعت ١٣٠ فرسخًا فإنك تصل إلى باي-دا (بغداد)"[(٤)]، كما أنه ذكر أن دولة وو-با (مرباط) تشبه في عاداتها وتقاليدها دولة ون-مان (عمان) حيث يأكل الشعب خبز التنور ولحوم الغنم ويشربون الحليب، ويأكلون السمك والخضروات[(٥)].

---

(١) أحمد، جعفر كرار. العلاقات التاريخية بين شبه الجزيرة العربية والصين. ص١٤٤.

(٢) أحمد، جعفر كرار. نفسه. ص١٥١.

(٣) يان، تشانغ زون. مرجع سابق. ص١٤.

(٤) أحمد، جعفر كرار. العلاقات التاريخية بين شبه الجزيرة العربية والصين. ص١٥٢.

(٥) يان، تشانغ زون. مرجع سابق. ص١٤.

ولهذا نجد أن ميناء مرباط بجنوب عمان قد أصبح معروفًا لدى الجغرافيين الصينيين منذ القرن ١١م في عهد أسرة سونغ وذلك لشهرته في مجال تصدير اللبان[١]، وورد ذكر مرباط في مدونة صينية تعود إلى القرن ١٢م، كتبها المدعو: تشو-كو-في، وقد ذكرها باسم: ما-لو-با، وذكر أن فيها بيوتًا تتكون من خمسة أدوار، وفي مينائها تتجمع السفن الكبيرة، ويلتقي التجار الأغنياء[٢]، كما أشارت حوليات أسرة سونغ إلى قدوم بعثات تجارية من مرباط إلى الصين في عام ١٠٦٤م و١٠٨٩م[٣].

وهذا يعطينا تصورًا عن مدى ما وصلت إليها مدينة مرباط بجنوب عمان من مكانة تجارية مرموقة، كما أنه من ناحية أخرى يوضح مدى اهتمام الصينيين بهذه المنطقة وكيف اتسعت معلوماتهم عنها.

وقد ازدادت أهمية منطقة جنوب الجزيرة بالنسبة للصين بسبب تجارة البخور واللبان حيث يعد القرنين الخامس والسادس الميلاديين أهم الفترات التاريخية التي شهدت فيها تجارة البخور رواجًا كبيرًا، وذلك بسبب تشجيع أباطرة الصين للتجارة[٤]. وفي عهد أسرتي تانغ وسونغ، ظهرت شهرة كبيرة للبخور وذلك بسبب كثرة استخدامه بين أفراد الطبقة الأرستقراطية في الصين[٥]، وكان اللبان يستخدم كعلك وكبخور وفي النواحي الطبية[٦] كما استخدم أيضًا لإبعاد الآفات عن محاصيل الأرز[٧].

ولذا كان يتم استيراد البخور من الخارج وبكميات كبيرة جدًا، وتم الحصول على أرباح هائلة منه، ولذلك نجده قد أصبح من المواد المحتكرة والمباعة من قبل أسرة سونغ[٨]،

(١) الشبلي. أحمد بن خلفان. مرجع سابق. ص٤٥٣.
(٢) زيادة، نقولا. مرجع سابق. ص١٣٨.
(٣) الشبلي، أحمد بن خلفان. مرجع سابق. ص٤٥٣.
(٤) الهادي، حبيب بن مرهون. مرجع سابق. ص١١٩.
(٥) يان، تشانغ زون. مرجع سابق. ص١٢.
(٦) السروري، محمد عبده. علاقة عمان التجارية بأهم الصادرات والواردات مع جنوب شرق آسيا والصين في العصر الإسلامي. بحث منشور ضمن ندوة العلاقات العمانية بجنوب شرق آسيا والصين واليابان. مجموعة من الباحثين، ذاكرة عمان، ط١، مسقط: ٢٠١٦م، ص٣٣٣.
(٧) الشبلي، أحمد بن خلفان. مرجع سابق. ص٤٤٢.
(٨) يان، تشانغ زون. مرجع سابق. ص١٢.

والتي أصدرت بيانًا ومرسومًا منعت فيه بيع البخور الذي يأتي به التجار العرب منعًا باتًا، وذلك ضمن قائمة من المواد والبضائع الممنوعة على المواطنين[1].

وكانت جودة اللبان تقاس بحسب لونه وهو الأبيض المشوب بصفرة والنقي من الشوائب، وأجوده اللبان الذكر وهو أبيض صلب مستدير لا ينكسر[2]، وقد ذكر تشو-جو-كوا في كتابه "سجل الأمم الأجنبية" أن اللبان يسمى ببخور العطر البري، وذكر أنه يأتي من المناطق الجبلية والأودية الضيقة لثلاث مناطق وهي: ما-رو-با (المهرة)، وشي-خا (الشحر)، ونو-فا (ظفار) [3]، وقد تطرق كذلك لأنواع اللبان، وأن منه ١٣ نوعًا مدرجة على أساس الجودة وقوة الرائحة، ثم أشار إلى هذه الأنواع كلها بإيجاز مركزًا على أجود ٣ منها[4].

ولكون المنطقة التي تضم ظفار والشحر والمهرة كانت المنطقة المشهورة بإنتاج البخور، فلقد عرف شاطئ تلك المنطقة في المصادر الصينية بشاطئ البخور[5]، بل إنه وبسبب نقل كميات كبيرة من البخور من هذه المنطقة إلى مدن والموانئ الصينية فقد سمي الطريق البحري الممتد من المنطقة العربية إلى جنوب الصين بطريق البخور[6]، وكان اللبان ينقل من موانئ حضرموت وجنوب الجزيرة العربية إلى جزيرة سومطرة بإندونيسيا ومنها إلى الصين[7].

ومما يظهر لنا شدة اهتمام الصينيين بتلك التجارة، أن أحد الموانئ الصينية قد استورد وحده خلال سنة واحدة فقط، ما يقارب ٣٤٨،٦٧٣ جين[8] من اللبان، وكان ذلك في سنة ٤٦٩هـ/ ١٠٧٧م[9]، كما أشارت مصادر صينية إلى أن البخور واللبان المستورد من البلاد العربية في عام ١٠٩٧م في ميناء مينغ-زهو الصيني بلغ حوالي ٤٧٣٩ جين[10].

(١) يان، تشانغ زون. نفسه. ص١٢.
(٢) السروري. محمد عبده. مرجع سابق. ص٣٣٣.
(٣) يان، تشانغ زون. مرجع سابق. ص١٤.
(٤) زيادة، نقولا. مرجع سابق. ص١٣٣.
(٥) يان، تشانغ زون. مرجع سابق. ص١٣.
(٦) يان، تشانغ زون. نفسه. ص١٣.
(٧) زيادة، نقولا. مرجع سابق. ص١٤٠.
(٨) الجين الصيني الواحد يساوي نصف كيلوجرام. انظر: يان. مرجع سابق. ص ١٢-١٣.
(٩) يان. نفسه. ص١٢.
(١٠) أحمد، جعفر كرار. العلاقات العمانية الصينية. ص٣٧.

كما أن بعض التجار العرب ممن كان لهم تأثير ودور مهم في الحياة الإدارية في الصين كانوا متخصصين في تجارة البخور واللبان، ومنهم التاجر العربي بو-شو-جينج (أبو شوقي) الذي كان يقوم بوظيفة مدير مكتب السفن التجارية في ميناء كوانج-زهو الصيني، وكان مختصًّا بتجارة البخور[١]، ونجد تاجرًا عربيًا آخر ممن حظي بمكانة مرموقة في البلاط الصيني يرسل للإمبراطور قائمة من الهدايا الثمينة كان على رأسها ٩٠٠ كيلوجرام من اللبان[٢].

كما ذكر الكاتب الصيني تشو-كو- في في عام ١١٧٨م أن من الصادرات العربية إلى الصين منتجات ما-لي-با (مرباط أو حضرموت) وهي: البخور، والعنبر، واللؤلؤ، والزجاج غير الشفاف، وقرن الكركدن، والعاج، والمرجان، والمر، ودم الأخوين وغيرها[٣]، وقد كان العنبر الشحري يعتبر من أجود أنواع العنبر[٤]، وكانت سواحل اليمن وعمان المطلة على بحر العرب المصدر الرئيس للعنبر، كما انتشرت مغاصات اللؤلؤ حول جزيرة سقطرى وعدن والشحر[٥]، في حين العاج وغيره من المنتجات الأفريقية تجمع من السواحل الشرقية لأفريقيا، ومن ثم تحمل وعلى رأسها العاج إلى مرباط ومنها إلى الهند والصين[٦]، كما اشتهرت ظفار أيضًا بتجارة الخيول العربية، وكانت موانئ عمان تعج بالكثير من الخيول العربية الأصيلة، والتي كان يتم تصديرها وتوريدها إلى الصين من ظفار ومرباط[٧].

كل هذه التبادلات والعلاقات والمصالح التجارية التي ربطت بين الصين من جانب وظفار ومنطقة جنوب الجزيرة العربية كانت تقتضي بطبيعة الحال ضرورة استمراريتها، وتطورها لمصلحة المنطقتين، وهو ما شهده القرن ١٥م من تتويج لهذه العلاقات التاريخية بتبادل البعثات والوفود الرسمية بين البلدين، باسم أباطرة أسرة المينغ الصينية وسلاطين آل كثير في ظفار، مع ما تمخضت عنه تلك الزيارات والبعثات من ملاحظات دونتها أيدي بعض أعضاء الوفود الصينية القادمة إلى ظفار وهو ما سنراه في المبحثين التاليين.

---

(١) أحمد، جعفر كرار. العلاقات التاريخية بين شبه الجزيرة العربية والصين. ص١٥٦.

(٢) أحمد، جعفر كرار. العلاقات العمانية الصينية. ص٤٠.

(٣) محيرز، عبدالله أحمد. مرجع سابق. ص٣١.

(٤) السروري، محمد عبده. مرجع سابق. ص٣٣٠.

(٥) الشبلي، أحمد بن خلفان. مرجع سابق. ص٤٥٤-٤٥٥.

(٦) زيادة، نقولا. مرجع سابق. ص١٤١.

(٧) شعبان، علاء محمد. مرجع سابق. ص٩٤.

العلاقات بين ظفار والصين في عهد الدولة الكثيرية الأولى

قبل أن نستعرض العلاقات والتواصل الدبلوماسي الذي حدث في القرن ١٥م بين الصين وظفار، يستحسن أن نعطي نبذة عن الأحوال السياسية التي كان يعيشها البلدين.

فأما الصين فقد شهد عصر أسرة يوان المغولية في الصين (١٢٠٦-١٣٦٨م) في نهاية القرن ١٤م اضطرابات سياسية كبيرة مما أدى إلى ضعفها، وكان أشدها الثورة التي قادها أحد الرهبان البوذيين ويدعى هونغ-دو وتمكن على إثرها من إسقاط حكم سلالة يوان، وأنشأ حكمًا وطنيًا مركزيا في الصين، حيث توج كأول أباطرة أسرة مينغ (١٣٦٨-١٦٤٤م) باسم الإمبراطور تاي-تسو[١].

وقد تميزت فترة حكم سلالة مينغ للصين بالنظام والاستقرار الكبير، واكبها نهضة ثقافية وعلمية وفنية وعلاقات تجارية ودبلوماسية على نطاق واسع[٢]، وكان لدى أول أباطرة أسرة مينغ في بدايات حكمه حالة من التوجس والحذر ضد المسلمين، وخاصة العرب منهم وذلك بسبب علاقاتهم القوية والجيدة مع أسرة يوان الحاكمة سابقًا[٣]، ولذا قام باتخاذ إجراءات ضدهم وضيق عليهم، كما أصدر قرارًا بتحريم التجارة مع البلدان الأجنبية، ولكنه سرعان ما تراجع عن هذا الموقف السلبي تجاه العرب، فقربهم منه، وخاصة بعد اعتراف بلاد الإسلام بحكمه وردهم على رسالته التي حملها دبلوماسيون صينيون[٤].

لتشهد بعد ذلك فترة عهد أسرة مينغ اتصالات مباشرة، وحراكًا دبلوماسيًا كثيفًا مع شبه الجزيرة العربية أكثر من أي فترة سابقة[٥]، ولعل من الأسباب التي دفعت الإمبراطور الأول للتراجع عن سياسته التعسفية ضد العرب والمسلمين هو ما شهده طريق الحرير البري من انتكاسات كبيرة، وذلك بعد الغزوات والحروب التي خاضها القائد المشهور تيمورلنك

---

(١) خليل، محمد محمود. الخليج العربي والجزيرة العربية في الوثائق والحوليات الصينية فترة العصور الوسطى. نسخة إلكترونية، ص١. وأيضًا: تابسيل، ر.ف. معجم الدول والأسر الحاكمة في العالم. ج٣، ط١، ترجمة: أحمد عبدالباسط حسن، المركز القومي للترجمة، القاهرة: ٢٠١١م، ص٣٦٧.

(٢) محيرز، عبدالله أحمد. مرجع سابق. ص٣٣.

(٣) خليل، محمد محمود. مرجع سابق. ص٨.

(٤) خليل، محمد محمود. مرجع سابق. ص٨.

(٥) أحمد، جعفر كرار. العلاقات التاريخية بين شبه الجزيرة العربية والصين. ص١٦٠.

(توفي ١٤٠٤م) في المنطقة الممتدة من أواسط آسيا إلى أقصى حدودها الغربية، ليعطل بذلك الطريق التاريخي الذي ربط الصين والشرق الأوسط[١]، وهو ما سبب بطبيعة الحال تراجعًا كبيرًا في الأرباح التجارية التي كان يجنيها الصينيون سابقًا من خلال هذا الطريق الحيوي، فلعل هذا العامل كان وراء تراجع الصين عن موقفها السلبي تجاه العلاقة والتواصل مع البلدان الأجنبية، كما كان سببًا في اتجاه أباطرة سلالة المينغ للاهتمام بالطريق التجاري البحري، كتعويض عن ما لحق بطريق الحرير البري الذي تضاءلت أهميته.

أما آل كثير ودولتهم في حضرموت وظفار فنجد أنه في بدايات النصف الثاني من القرن ٥ هـ/ ١١م كانت المنطقة مقسمة إلى عدة إمارات محلية تتصارع فيما بينها، مما جعل المنطقة في حالة من الفوضى والتطاحن، تعرضت خلالها بين الحين والآخر لانتفاضات الثائرين، وغارات القبائل وقد استمرت تلك الحالة حتى منتصف القرن ٦هـ/ ١٢م[٢]، وكان الموقف الذي اتخذه آل كثير في تلك الأثناء الابتعاد عن الدخول في أية صراعات، وشغلوا أنفسهم بالامتداد والانتشار في مناطق وأراض أوسع في وادي حضرموت والمناطق القريبة منه، كما اتجهوا نحو المناطق الساحلية، وأقاموا لهم فيها بلدات، جعلوها بمثابة قواعد تمركز لهم، ومنها مدينة الغيضة[٣][٤].

استمرت الأوضاع كذلك حتى بدايات القرن ٧هـ/ ١٣ م، وذلك حينما شهدت حضرموت حالة جديدة من الفوضى القبلية، ليبدأ آل كثير يتلمسون طريقهم ببطء، ويحاولون أن يكونوا لأنفسهم مكانًا بين المتنافسين المحليين[٥]، ليأتي بعد هذا الاتصال بين آل كثير والسلطان سالم بن إدريس الحبوضي سلطان ظفار، في النصف الأخير من القرن ٧هـ/ ١٣م، فحينما

---

(١) محيرز، عبدالله أحمد. مرجع سابق. ص٥.

(٢) بامطرف، محمد عبد القادر. المختصر في تاريخ حضرموت العام. ط٢، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، حضرموت: ٢٠٠٨ م، ص٨٤.

(٣) الغيضة: مدينة ساحلية كبيرة، تقع على وادي المسيلة، وهي عاصمة محافظة المهرة اليمنية حاليًا.

(٤) الكثيري، خالد بن حسين. آل كثير: أصولهم وفروعهم ورجال ودولة. ١مجلد، ٢ج، ط١، مطبعة الأحقاف الحديثة، سيئون: ٢٠٠٨م، ص٩٣.

(٥) ابن هاشم، محمد. حضرموت: تاريخ الدولة الكثيرية. ط١، تريم للدراسات والنشر، حضرموت: ٢٠٠٢م، ص٣.

دخل الحبوظي حضرموت وقف آل كثير إلى جانبه، وتولوا القيادة العسكرية في جيشه، كما لقي المساعدة منهم في تسهيل سيطرته على بقاع عدة من حضرموت[١]، ليكسب بهذا آل كثير ثقة الحبوضي، الذي أنابهم في حكم القرى التي استفتحها، عندما رجع إلى ظفار[٢].

بعد مقتل سالم بن إدريس الحبوضي، وضم ظفار إلى الدولة الرسولية، تشبث آل كثير بما في أيديهم من القرى والبلدان في حضرموت[٣]، وأسدل الستار على القرن ٨هـ/ ١٤م، وبداية القرن ٩هـ/ ١٥م وآل كثير تتجاذبهم الفوضى والصراعات مع القوى المحلية، كما اصطدمت محاولاتهم لتوسيع سيطرتهم ونفوذهم بأطماع المنافسين الآخرين، ولكن كل هذا لم يقف حائلًا أمامهم دون استمرارهم في سبيل تحقيق ما يصبون إليه، حيث تكلل نجاحهم بالسيطرة على ظفار مع بدايات القرن ٩هـ/ ١٥م[٤].

وكانت ظفار في تلك الفترة تعاني من الصراعات والنزاعات، مع حالة عدم الاستقرار، وهذا كله لم يكن يخفى عن آل كثير وتربصهم، حيث أنهم استغلوا تلك الأوضاع، فقاموا في سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م بشن هجوم عليها[٥]، وكان الهجوم بقيادة علي بن عمر بن جعفر الكثيري، تمكن على إثرها من الاستيلاء على ظفار، وطرد السلطان الرسولي[٦] منها، والذي

(١) الكثيري. خالد بن حسين. مرجع سابق. ج٢، ص١٠.

(٢) ابن حميد، سالم بن محمد بن سالم. تاريخ حضرموت: العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة. تحقيق عبدالله بن محمد الحبشي، مج١، ط١، مكتبة الإرشاد، صنعاء: ٢٠٠٣م، ص١٠١.

(٣) الشاطري، محمد بن أحمد. أدوار التاريخ الحضرمي. ١مج، دار المهاجر، المدينة المنورة: ١٩٩٤م، مرجع سابق، ج٢، ص٢٢٦.

(٤) الكثيري، سالم بن أحمد بن سالم. الأوضاع السياسية بظفار في عهد الدولة الكثيرية الأولى: ٨١٦-١١٣٠هـ/ ١٤١٣-١٧١٨م. رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة السلطان قابوس، مسقط: ٢٠١٤م، ص٣٦.

(٥) شنبل، أحمد بن عبدالله. تاريخ حضرموت المعروف بـ: تاريخ شنبل. تحقيق عبدالله بن محمد الحبشي، ط٢، مكتبة الإرشاد، صنعاء: ٢٠٠٧م، ص٢٠٠. شنبل.

(٦) الرسوليون أسرة حاكمة في اليمن امتد حكمها لأكثر من قرنين (٦٢٦-٨٥٨هـ/ ١٢٢٨-١٤٥٤م) وكان عهدها من أزهى عصور اليمن في النواحي السياسية والإدارية والاقتصادية والعلمية، وقد بسطت نفوذها على حضرموت وظفار عام ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م. انظر: الفيفي، محمد بن يحيى. الدولة الرسولية في اليمن: دراسة في أوضاعها السياسية والحضارية (٨٠٣-٨٢٧هـ/ ١٤٠٠-١٤٢٤م). ط١، الدار العربية للموسوعات، بيروت: ٢٠٠٥م، ص٥ وص٥٢-٥٣.

غادرها متوجهًا إلى اليمن[١]، بعد ذلك تمكن أحد القادة المحليين من انتزاع ظفار من آل كثير[٢]، ولكن السلطان علي بن عمر الكثيري لم يكن ليترك ظفار تخرج عن سيطرته ويتناساها بهذه السهولة، حيث قام بتوجيه حملة نحو ظفار في سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م، موقعًا الهزيمة بغرمائه، لتعود المنطقة تحت حكم وسيطرة آل كثير[٣].

هذه هي في لمحات بسيطة الأحوال السياسية التي مرت على الصين وظفار خلال فترة الدراسة، لنأتي الآن لتناول موضوع بدء السفارات الدبلوماسية والزيارات التي قامت بها الأساطيل الصينية إلى ظفار.

البعثات الدبلوماسية والرحلات البحرية الصينية إلى ظفار

في أوائل سنوات أسرة مينغ كان الإمبراطور مين-تاي-زون والإمبراطور مين-تشيغ-زو يهتمان بالمواصلات البحرية اهتمامًا كبيرًا، فقاما بتكليف القائد الخصي المسلم الصيني تشينغ-خه[٤] بالقيام برحلة بحرية إلى المحيط الغربي، وقد بدأت أولاها عام ١٤٠٥م في حين كانت آخرها عام ١٤٣٣م، بما مجموعه سبع رحلات بحرية، وقد قضى تشينغ-خه حوالي ٣٠ سنة من حياته في البحار والمحيطات[٥].

وزارت الأساطيل التي قادها ذلك القائد أكثر من ٣٠ دولة في جنوب شرق آسيا وشرق أفريقيا وجنوب آسيا ومنها ظفار وعمان والأحساء وعدن ومكة المكرمة وغيرها[٦]، وقد كان

---

(١) شنبل. مصدر سابق. ص٢٠٠.

(٢) شنبل. نفسه. ص٢٠١. الكثيري، وأيضًا: خالد بن حسين. مرجع سابق. ج٢، ص١٧.

(٣) شنبل. مصدر سابق. ص٢٠٥، وأيضًا: الكثيري، خالد بن حسين. مرجع سابق. ج٢، ص١٩.

(٤) ولد تشينغ-خه في مقاطعة يونان الصينية في أسرة مسلمة عام ١٣٧١م، والتحق وهو في سن ٢٠ بخدمة حاكم المقاطعات الشمالية الغربية للصين، وحين اعتلى هذا الأمير الحكم كرم تشينغ-خه وكلفه بالقيام برحلات بحرية إلى بلدان المحيط الغربي في الفترة من١٤٠٥-١٤٢١م، بما مجموعه ٦ رحلات، ثم أوقف الإمبراطور الجديد تلك الرحلات ليعود بعد ذلك في عهد خليفته وقام برحلته الـ ٧ في عام١٤٣٣م، وبعد انتهائها عين حاكمًا على مدينة نانكينج الصينية حتى وفاته عام ١٤٣٥م وعمره ٦٥عاما. انظر: محيرز، عبدالله أحمد. مرجع سابق. ص٤٧.

(٥) يان، تشانغ زون. مرجع سابق. ص١٧.

(٦) يان، تشانغ زون. نفسه. ص١٧.

لتلك الرحلات البحرية التي قام بها تشينغ-خه صيتًا بعيدًا في فترة حكم أسرة مينغ بحيث قيل إنها كانت مدار حديث لكل صيني[1].

وقد تعددت الآراء حول الأسباب التي دعت إلى قيام مثل هذه الرحلات بهذه الصورة الموسعة والمنظمة، فهناك من يقول بأن سببها اقتصادي، يتمثل في إيجاد أسواق، وطرق جديدة للتجارة الصينية التي شهدت انتكاسة شديدة، في حين يجعل البعض السبب الرئيس هو القيام بملاحقة أحد الأباطرة السابقين، حيث هرب واختفى في مكان ما من المحيط الهندي، في حين يرى قول ثالث بأن أهم سبب لقيام تلك الرحلات هو السيطرة، وبسط نفوذ الصين على مناطق المحيط الهندي[2].

حقيقة عند النظر في تلك التفسيرات الثلاثة، فإن الباحث يستبعد الرأيين الثاني والثالث، وذلك لعدم ورود أي دليل أو قرينة تاريخية تدل على ذلك فيما بين أيدينا من المراجع، كما أن القول الأخير الذي يقول بسعي الصين لفرض سيطرتها ونفوذها، قول تنقصه الدقة حيث إن النظر فيما ورد عن تلك الرحلات، وكيف كانت تزور المناطق المختلفة ولأكثر من مرة، فإننا لا نكاد نقف على ما يثبت وقوع أي عملية أو مواجهة عسكرية حدثت بين الأساطيل الصينية، والمناطق التي زارتها تلك الأساطيل، ولذا فإن الباحث يذهب إلى ترجيح التفسير الأول، القائل بأن السبب الرئيسي وراء القيام بتلك الرحلات كان سببًا اقتصاديًا بحتًا، ومما يقوي هذا ويرجحه التبادلات التجارية التي حصلت بين الأساطيل الصينية والشعوب والمناطق التي زارتها.

وقد تمت التجهيزات للقيام بالرحلات الاستكشافية كما أمر الإمبراطور على أتم تجهيز وإعداد، حيث أعدت لها ما يقارب ٣٠٠ سفينة بين الصغيرة والكبيرة، وما قوامه أكثر من ٣٧ ألف فرد [3]، يقومون على تشغيل وخدمة هذا الكم الهائل من السفن، مع ما تحتاج إليه من توفير للحماية عندما يتطلب الأمر ذلك، وقد بدأت أولى تلك الرحلات في سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م، وقد صحب خلالها القائد شينغ-خه مجموعةمن المترجمين، كان من بينهم

---

(١) يان. نفسه. ص١٨.

(٢) محيرز، عبدالله أحمد. مرجع سابق. ص٦.

(٣) محيرز، عبدالله أحمد. مرجع سابق. ص٦.

مترجمون مسلمون يتقنون العربية والفارسية(١)، حيث أن حكام أسرة مينغ قد عملوا على إنشاء مدرسة خاصة للترجمة(٢)، وذلك لتسهيل عملية التخاطب والتفاهم مع البلدان التي سيزورها الأسطول الصيني.

كانت ظفار من ضمن تلك المناطق، التي زارها القائد تشينغ -خه، حيث حظيت بزيارتين إحداهما كانت ضمن الرحلة السادسة التي كانت في الفترة من ذي القعدة سنة ٨٢٤هـ - رمضان ٨٢٥هـ/ نوفمبر ١٤٢١- ١٤٢٢م، بينما كانت الزيارة الثانية ضمن الرحلة السابعة والأخيرة للقائد تشينغ -خه، والتي كانت في الفترة من ربيع الثاني سنة ٨٣٤هـ - صفر ٨٣٧هـ/ يناير ١٤٣١- ١٤٣٣م (٣)، وقد كانت الزيارة الأولى عبارة عن زيارة جوابية، حيث أن السلطان علي بن عمر الكثيري (٨١٦-٨٣١هـ/ ١٤١٤-١٤٢٨م) أرسل في سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م مبعوثًا له إلى الصين، ومعه مبعوثين يمثلون حكام عدن والأحساء، وذلك لزيارة البلاط الإمبراطوري الصيني وتقديم الهدايا(٤)، وفي ٣مارس ١٤٢١م غادر مجموعة من السفراء القادمين من عدة دول الصين ومعهم مبعوث حاكم ظفار، ومعهم أموال نقدية ورقية كما قدم لهم الحرير الأصلي وحرير الشاش والحرير الرقيق لمنحها لملوكهم (٥)، وكانت مغادرتهم الصين برفقة أسطول القائد تشينغ -خه، وكان الإمبراطور الصيني قد أمر قائده بالقيام بزيارة ظفار، وذلك ردًا على زيارة مبعوث حاكمها(٦).

انطلق تشينغ-خه على رأس أسطول مكون من ٤١ سفينة، وعدد كبير من البحارة والجنود(٧)، وقد وصل الأسطول الصيني إلى ظفار، وقابل سلطانها علي بن عمر، الذي

(١) محيرز، نفسه. ص٥.

(٢) عثمان، محمد عبد الستار. مدينة ظفار بسلطنة عمان: دراسة تاريخية أثرية معمارية. ب-ط، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية: ١٩٩٩م، ص٣٦.

(٣) محيرز، عبدالله أحمد. مرجع سابق. ص٦٢. وأيضًا: يان، تشانغ زون. مرجع سابق. ص ١٧-١٩.

(٤) يان. مرجع سابق. ص١٨.

(٥) خليل، محمد محمود. مرجع سابق. ص ٤٠.

(٦) خليل. نفسه، ص١٨.

(٧) محيرز، عبدالله أحمد. مرجع سابق. ص٦٢.

قام بعد ذلك بإرسال مبعوث آخر إلى الصين، وذلك للقيام بزيارة جوابية، وقد وصل هذا المبعوث إلى بكين في سنة ٨٢٦هـ/ ١٤٢٣م[١].

وفي سنة ٨٣٤هـ/ ١٤٣١م قام تشينغ -خه برحلته السابعة، وزار خلالها بعض البلدان، وكان من بينها ظفار، لتكون تلك زيارته الثانية للإقليم، وقبل أن يعود الأسطول الصيني، قام سلطان ظفار وهو السلطان عبد الله بن علي (٨٣١-٨٥٠هـ/ ١٤٢٨-١٤٤٦م) الذي خلف أباه في الحكم، بإرسال مبعوث له إلى الصين مع الأسطول الصيني، وقد وصل المبعوث بكين في سنة ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م، وتشير المصادر الصينية لهذا المبعوث باسم هاي-زاي-هوتشان أي هادي حسين[٢]، وكان يحمل معه هدايا للإمبراطور من المنتجات المحلية، ومنها اللبان وطائر النعام[٣]، ومكث هذا المبعوث في بكين حتى عاد إلى ظفار في سنة ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م، محملًا بهدايا الإمبراطور للسلطان عبد الله[٤]، ومنها: الفضة والحرير الملون والحرير الرقيق والملابس القطنية وملابس من الحرير المتشابك بالخيوط الذهبية، وسترات مبطنة، وسراويل وأحذية وأغطية الرأس والأحزمة[٥].

وكانت تتم استضافة المبعوثين الأجانب في قصر بمدينة نانكينج الصينية، ويقوم على خدمتهم ٤٠٠ من الخدم بالإضافة إلى عدد من الأطباء والطهاة، وكان لكل مبعوث بطاقة خشبية تحمل اسمه، وكان يحظر عليهم الخروج إلى الشارع والاختلاط بالعامة أو التجار المحليين[٦]، في حين كان يسمح لهم بإقامة سوق مفتوحة للجمهور في دار الضيافة خلال مدة تتراوح بين٣-٥ أيام تحت رقابة من الحكومة الصينية[٧]، وكان يمنع منعًا باتًا أن يباع

(١) يان. مرجع سابق. ص١٩.
(٢) خليل، محمد محمود. مرجع سابق. ص٤١.
(٣) خليل. نفسه. ص ١٩ وص٢١.
(٤) أحمد، جعفر كرار. الدور الحضاري للعمانيين في الصين منذ ظهور الإسلام حتى أوائل القرن ١٩م. ط١، وزارة التربية والتعليم، مسقط: ٢٠٠٧م، ص٥٤.
(٥) خليل، محمد محمود. مرجع سابق. ص٤١.
(٦) خليل، محمد محمود. مرجع سابق.ص٦.
(٧) خليل. نفسه. ص٧.

للمبعوثين المدونات التاريخية والخرائط والأسلحة والأعشاب الطبية النادرة، وكانت مدة الإقامة تتجاوز بضعة أشهر مصحوبة بعدد من الولائم الإمبراطورية، وسباقات الخيل ورمي السهام من أجل التسلية والترفيه[١].

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن الاتصالات الودية الرسمية المتبادلة بين الصين وجنوب الجزيرة العربية قد بلغت في هذه الفترة التاريخية ذروتها[٢]، وقد ظلت ظفار تحتفظ بعلاقات تجارية مع الصين، تؤكدها العلاقات الشخصية التي قامت بين حكامها وأباطرة الصين، من خلال تبادلهم إرسال الوفود وتبادل الهدايا، كما يؤكدها من جانب آخر الأدلة الأثرية التي كشف عنها في مدينة البليد الأثرية بظفار، حيث تم العثور على قطع من المسكوكات الصينية، وقطع أساور زجاجية مزخرفة صنعت في الصين، وكذلك عثر على كميات من الخزف الصيني الذي يعود إلى فترة أسرة مينغ [٣].

تلك العلاقات والتبادلات بين الصين وظفار، سرعان ما شهدت اضطرابًا وتلاشيًا منذ أواسط القرن ٩هـ/ ١٥م وبدايات القرن ١٠هـ/ ١٦م، وذلك حينما بدأت الأساطيل الأوروبية تبسط سيطرتها على منافذ وطرق التجارة البحرية، ليتم بذلك عرقلة وإنهاء التبادل التجاري السلمي، الذي كان قائمًا بين المنطقتين[٤]، كما كان للسياسة التي اتبعها أباطرة أسرة مينغ بعد ذلك دورًا في عرقلة تطوير الملاحة الصينية والتجارة في الخارج، حيث اتبعوا سياسة قفل حدود البلاد، مما أدى إلى انغلاق الصين على نفسها، وقيامها بتبادل دولي محدود جدًا[٥]، مما كان له بطبيعة الحال تأثير سلبي على العلاقات التجارية بين الصين وظفار.

بل إن البحار تشينغ-خه نفسه قد راح ضحية للمؤامرات والمنافسات التي كانت بين رجال القصر والحكومة، فقام بعضهم بإغراء خليفة الإمبراطور يونج-لو بإيقاف هذه

(١) خليل. نفسه. ص٧.

(٢) يان، تشانغ زون. مرجع سابق. ص١٩.

(٣) عثمان، محمد عبدالستار. مرجع سابق. ص٣٧.

(٤) أحمد، جعفر كرار. الدور الحضاري للعمانيين في الصين. ص٥٥.

(٥) هو، زانج. المعاملات بين الصين والعرب في العصر الوسيط. بحث منشور ضمن بحوث حصاد ندوة الدراسات العمانية: المنعقدة في ذي الحجة ١٤٠٠هـ/ نوفمبر ١٩٨٠م. مج٦، ب-ط، مطابع سجل العرب، ب-م: ١٩٨٦م، ص٥٤.

الرحلات بعد الرحلة السادسة، بل تم أيضًا إخفاء وإتلاف الوثائق المتعلقة بهذه الرحلات حتى ينسى الناس أمرها[١]، وقيل أن إيقافها كان لأسباب تقشفية[٢] وهو ما دفع أحد رجال البلاط ليوجه الانتقاد إلى الإمبراطور مشيرًا إلى حالة الشعب القاسية بينما يقوم هو ببناء مراكب ضخمة ليعقد علاقات مع دول أجنبية[٣].

ولكن ورغم أن رحلات تشينغ-خه قد توقفت نهائيًا عام ١٤٣٣م إلا أن هناك إشارات تؤكد قدوم السفارات الصينية إلى المنطقة، كما شوهدت سفارات من شبه الجزيرة العربية في البلاط الصيني في الفترات اللاحقة، وقد احتفظت ظفار بعلاقاتها الدبلوماسية والتجارية مع الصين طوال القرن ١٦م[٤].

ظفار في كتابات الزوار الصينيين

أثناء الرحلات البحرية التي قام بها القائد تشينغ-خه سُجلت وقُيدت العديد من المعلومات حول البلدان والشعوب التي زارتها الأساطيل الصينية، وقد تم جمع السجلات المتعلقة بظفار في كتاب "تاريخ عهد أسرة مينغ" من المعلومات التي تم الحصول عليها خلال تلك الرحلات[٥]، وخلال الزيارتين التي قام بها تشينغ-خه إلى ظفار كان معه مجموعة من المترجمين والكُتاب، الذين كان لهم الفضل في تسجيل بعض الملاحظات المهمة التي تصور لنا بعض ما شاهدوه وعاينوه في ظفار[٦]، وهذه الملاحظات تعطينا تصورًا عن بعض ملامح المجتمع الظفاري في تلك الفترة، وما كانت تحظى به ظفار من الثروات الطبيعية.

ومن هؤلاء المترجمين والكتاب فايسين أو فاهسين[٧] وسجل ملاحظاته في كتابه أسماه

---

(١) محيرز، عبدالله أحمد. مرجع سابق. ص٣٥-٣٦.

(٢) محيرز. نفسه. ص٤٩.

(٣) نفسه. ص٥٢.

(٤) أحمد، جعفر كرار. العلاقات التاريخية بين شبه الجزيرة العربية والصين. ص١٦٣.

(٥) يان، تشانغ زون. مرجع سابق. ص١٩.

(٦) محيرز، عبدالله أحمد. مرجع سابق. ص ٤٨-٥٠.

(٧) ولد في أسرة مسلمة في مقاطعة كونشان عام ١٣٨٨م، ودخل السلك العسكري وهو في عمر١٣، رافق تشينغ-خه في رحلاته الـ٤ الأخيرة كمترجم، حيث كان يتقن اللغة العربية، وقد سجل ملاحظاته عن البلدان التي زارها في كتاب عام ١٤٣٦م. انظر: خليل. مرجع سابق. ص٦٣

"المسح الشامل للنجمة الطوافة" وكتبه في عام ١٤٣٦م[١]، وأيضًا: ماهوان[٢] وله كتاب بعنوان: "مشاهداتي في شواطئ المحيط الظافر"[٣]، وكاتب ثالث هو هوانج-اكسينج-زينج[٤]، وهو وإن لم يكن مرافقًا للرحلات البحرية إلا أنه استعان بما كتبه غيره وأضاف عليه بعض الإضافات التي استفادها سماعًا عن تلك البلدان، وكان تأليفه لكتابه في عام ١٥٢٠م[٥].

ومعظم المعلومات الواردة في المصادر الثلاثة عن ظفار متشابه بشكل كبير مما يؤكد استفادت مؤلفيها من كتابات بعضهم البعض، وقد يختلف مصدر عن آخر بإيراده معلومة مختلفة عن نفس الموضوع، أو يذكر معلومة لم يذكرها غيره، ولكن هذا قليل ونادر.

فمن المعلومات التي ذكروها عن موقع ظفار وأوصافها الجغرافية والتضاريسية أن السفن بإمكانها الوصول إلى ظفار عند إقلاعها من ميناء كاليكوت الهندي في مدة مقدارها ١٠ أيام بلياليها كما قال ماهوان[٦]، في حين يذكر فاهسين أن المسافة المقطوعة بين كاليكوت وظفار في حدود ٢٠ يومًا[٧]، ولعل الأصح هو ما ذكره فاهسين حيث نجد أن ابن بطوطة الرحالة المعروف يذكر وقتًا مقاربًا للمسافة بين كاليكوت وظفار، حيث ذكر أنه قطعها في ٢٨ يومًا[٨].

وذكر فاهسين أن ظفار هي إحدى المستوطنات الساحلية، وجدرانها مبينة من الحجارة، أما المنازل فهي مبينة من طبقات الأحجار المرجانية، وهي حوالي ٣ إلى ٥ طوابق، وتشبه

(١) خليل. نفسه. ص٦٤.

(٢) ولد في أسرة مسلمة أيضًا بمقاطعة تشجيانغ، وكان يتقن اللغة العربية ولذلك التحق بأسطول تشينغ-خه كمترجم، وذلك في رحلاته: الرابعة والسادسة والسابعة. خليل. مرجع سابق. ص٦٤

(٣) نفسه. ص٦٤.

(٤) من أصول بنجالية، ولد عام ١٤٩٠م، وعاش حياته في مدينة سوتشو الصينية، كتب كتابه عام ١٥٢٠م، متحدثًا عن عظمة الصين ورحلاتها التي قادها تشينغ-خه، توفي عام ١٥٤٠م. انظر: خليل. مرجع سابق. ص٧٦.

(٥) نفسه. ص٧٧.

(٦) خليل. محمد محمود. مرجع سابق. ص٧٥

(٧) محيرز. عبدالله أحمد. مرجع سابق. ص٨٩.

(٨) ابن بطوطة. تحفة النظار في غرائب الأمصار. تحقيق: طلال حرب، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت: ٢٠٠٧م، ص٢٧٥.

الأبراج[١]، وتقع المطابخ وغرف النوم في الطابق الأعلى من بيوت ظفار[٢].

وذكر ماهوان أن هذه البلاد تقع عند سفح سلسلة جبلية، وتحيطها الجبال من جهتها الشمالية، وهي مدينة غير مسورة، ولا ضواحي لها[٣]، ومناخها يشبه مناخ الشهرين الثامن والتاسع في الصين، فهو غير بارد أبدًا[٤]، كما ذكر فاهسين أن جبال ظفار يكسوها اللونين الأحمر والأصفر، وليس بها أي غطاء نباتي[٥][٦].

ومن الأشياء التي أشارت لها المصادر الصينية المؤرخة لتلك الزيارة إلى ظفار صفة لباس السلطان، فذكرت أنه يلبس على رأسه عمامة بيضاء نفيسة دقيقة الصنع، ويغطي جسمه ورأسه بعباءة مصنوعة من الحرير الناعم، المطرز بأشكال نباتية، وأزهار زرقاء، ويلبس أحيانًا عباءة مطرزة بالذهب، وينتعل حذاء عالي الساق، أو خفًّا مسطحًا"[٧].

وقد وصفت لنا كذلك المراسيم المهيبة المتبعة حينما يخرج السلطان في موكبه الرسمي، حيث يجلس السلطان على محفة أو يمتطي حصانًا إذا أراد التجول في المدينة، وتتقدمه وتتبعه صفوف من الفيلة والإبل وفرق الخيالة، وجنود مشاة يحملون سيوفهم ودروعهم، ويسير الجميع في حشد كثيف ينفخون في الصفارات والمزامير[٨].

---

(١) خليل، محمد محمود. مرجع سابق. ص٧٤.

(٢) محيرز، عبدالله أحمد. مرجع سابق. ص٨٩.

(٣) خليل، محمد محمود. مرجع سابق. ص٧٥.

(٤) خليل. نفسه. ص٧٥.

(٥) جبال ظفار ذات غطاء نباتي جيد إلى يومنا الحاضر، فلعل الزائر الصيني قارنها بغيرها من البلدان في جنوب شرق آسيا ذات الغطاء النباتي الكثيف فأصبحت ظفار لديه مقارنة بها بدون غطاء نباتي. (الباحث).

(٦) خليل، محمد محمود. مرجع سابق. ص٧٤.

(٧) محيرز، عبدالله أحمد. مرجع سابق. ص٨٧. وأيضًا: خليل، محمد محمود. مرجع سابق. ص٧٥.

(٨) محيرز، عبدالله أحمد. مرجع سابق. ص٨٧. وأيضًا: خليل، محمد محمود. مرجع سابق. ص٧٥. وهذه العادة تشبه إلى حد كبير ما ذكره ابن بطوطة عن المراسيم التي تحدث حين خروج السلطان من قصره. ابن بطوطة، أبوعبدالله محمد بن عبدالله. تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. أكاديمية المملكة المغربية، الرباط: ١٤٠٧هـ، مج٢، ص ١٢٩-١٣٠. وأيضًا: زيان، حامد زيان غانم. الحياة في الخليج في العصور الوسطى في ضوء مشاهدات الرحالة ابن بطوطة. ط١، دار القلم، دبي: ١٩٨٥م، ص ١٣-١٤.

كما أن أهل ظفار لم يغيبوا عن الكُتاب والمدونين الصينيين، حيث تعرضوا لذكر بعض صفاتهم وعاداتهم الحياتية، فمن ذلك وصفهم لبينة أجسامهم القوية، فهم ذوو قامات طويلة، وأجسام ضخمة وقوية[١]، وأوصال رجالهم طويلة وعريضة وقوامهم فارع وبدين، ويمتازون بصدق وعودهم، أمناء في معاملاتهم، ويتبعون النظام[٢].

ومما دونه وسجله الزوار الصينيون حول الحياة الدينية للمجتمع الظفاري في تلك الفترة أن ملك هذه الدولة ومواطنيه جميعهم يعتنقون الإسلام، ويمارسون شعائر الزواج ودفن الموتى حسب النظم والشريعة الإسلامية[٣]، والحكام والرعية يحترمون جميعهم تعاليم الدين الإسلامي ويحافظون عليها، كما تنتشر في أرجاء المدينة كثير من المساجد[٤].

ومن المظاهر التي لفتت الصينيين في أثناء زيارتهم لظفار يوم الجمعة، والعادات والطقوس التي تواكبها، فذكروا أن أبواب الحوانيت تغلق قبل الظهر، ويتوقف النشاط التجاري[٥]، ويقوم الناس كبارًا وصغارًا، رجالًا ونساء بالاستحمام، ويلبسون الثياب الجديدة، ويرشون وجوههم بماء الورد أو دهن العود، كما إنهم يحرقون خشب العود وخشب الصندل والعنبر في مباخر، ويقومون بتبخير ملابسهم[٦]، وبعد ذلك يتوجهون إلى المساجد للصلاة[٧]، وبعد انقضاء الصلاة يعودون إلى منازلهم مباشرة، فينتشر عبير عطرهم في أزقة الأسواق التي يمرون بها، ويبقى بعض الوقت[٨].

أما عن لباس أهل ظفار في تلك الفترة، فقد أوضحت المصادر الصينية أن الرجال يغطون رؤوسهم بالعمائم، ويرتدون ثيابًا طويلة بحيث تغطي الأرجل وتخفيها[٩]،

(١) يان، تشانغ زون. مرجع سابق. ص٢٠.
(٢) خليل، محمد محمود. مرجع سابق. ص٧٥.
(٣) يان، تشانغ زون. مرجع سابق. ص٢٠
(٤) خليل، محمد محمود. مرجع سابق. ص٧٧.
(٥) يان، تشانغ زون. مرجع سابق. ص٢٠.
(٦) معظم هذه العادات ما زالت تمارس إلى يومنا الحاضر. (الباحث)
(٧) يان، تشانغ زون. مرجع سابق. ص٢٠. وأيضًا: خليل، محمد محمود. مرجع سابق. ص٧٥
(٨) خليل، محمد محمود. مرجع سابق. ص٧٥.
(٩) خليل. نفسه. ص٧٥ وص٧٧.

كما أن النساء يربطن ويغطين شعورهن، وعندما يخرجن يغطين رؤوسهن بالنقاب حتى لا يستطيع أحد رؤيتهن[١].

كما إن الحياة الاقتصادية وبعض ملامحها في ظفار لم تغب عن اهتمام وتدوين الزوار الصينيين، فمن الأشياء المهمة التي ذكروها أنه في حين تذكر بعض المصادر بأن السلطان بدر أبو طويرق كان أول سلطان كثيري يقوم بسك عملة وذلك في سنة ٩٣٤هـ/ ١٥٢٨م[٢]، فإن تلك المصادر تفيدنا بأن سك العملة في الدولة الكثيرية كان قبل عهد أبو طويرق بكثير، حيث كان السلطان الكثيري في تلك الفترة يسك عملة ذهبية، اسمها "تانجاشيه"[٣]، على أحد وجهيها صورة إنسان وعلى الوجه الآخر كتابة[٤]، كما سك عملة أخرى من النحاس للتبادلات والمعاملات التجارية الصغيرة[٥].

ومن الملامح الاقتصادية الأخرى لظفار في تلك الفترة كما ورد في السجلات الصينية ذكر أهم الموارد والمنتجات المحلية للمنطقة، وعلى رأسها اللبان وكيف أنه يشبه صمغ شجر الدردار إلا أن ورقه شوكه طويل، وطريقة جمعه وهو أن أهل ظفار يقومون بكشط وجرح هذا الشجر ليخرج صمغ اللبان، وبعد جفافه يقيمون بجمعه ويبيعونه[٦]، كما تنتج ظفار عطرًا يؤخذ من شجرة محلية صمغها ذو طعم سكري يطلق عليه اسم "البنزوين" ويستخدم في علاج أمراض الاضطرابات النفسية[٧].

ومما يتوفر في ظفار من المحاصيل الزراعية: الأرز المقشور وغير المقشور، والقمح والقطن والذرة البيضاء وبذور القنب والقرع وجميع أنواع الخضار[٨]، كما أن من منتجاتها:

---

(١) نفسه. ص٧٥.

(٢) باسنجلة، عبدالله بن محمد بن أحمد. تاريخ الشحر المسمى: العقد الثمين الفاخر في تاريخ القرن ١٠هـ. تحقيق عبدالله بن محمد الحبشي، ط١، مكتبة الإرشاد، صنعاء: ٢٠٠٧م، ص٤٤.

(٣) تانجاشيه أو تنكه: هي عملة كانت تتداول في تلك الفترة. انظر: محيرز. مرجع سابق. ص١١٨.

(٤) خليل. مرجع سابق. ص٧٦.

(٥) محيرز. مرجع سابق. ص ٨٨-٨٩.

(٦) خليل. مرجع سابق. ص٧٥. وأيضًا: محيرز. مرجع سابق. ص٨٨.

(٧) خليل. مرجع سابق. ص٧٩.

(٨) نفسه. ص٧٥.

العسل والسمسم والمر والخردل والبطيخ[١] والعنبر[٢]، وإن أتينا إلى ثروة ظفار الحيوانية فمنها: الأبقار والماعز والخيول والدواجن والبط، كما يوجد بها الفهود والحمير والقطط والكلاب، ويأوي النعام إلى جبالهم، ويصطاده بعض السكان ويبيعونه، ويأكل النعام البازلاء الخضراء وما يشاكلها، ويسمى أحيانًا بالدجاجة الجمل وذلك لمشيته المشابهة لمشية الجمل[٣].

وفي ظفار كذلك الإبل وهي بسنام واحد، وعندهم أيضًا الإبل بسنامين، ويركب جميع الناس الإبل عندما يذهبون إلى الأسواق، وإذا أشرفت إبلهم على الهلاك ذبحوها وباعوا لحمها[٤]، ومن فصائل ذات شعر كثيف وطويل تميل إلى اللون الأصفر مع بقع سوداء[٥].

ويصطاد أهل ظفار الأسماك من البحر وبعد تجفيف جزء منه تؤكل الأسماك الكبار في حين يقدم صغارها علفًا للمواشي[٦]، حيث تتغذى عليه الأبقار والأغنام والإبل والخيول[٧].

كان ذلك أهم ما جاء ذكره في سجلات الزوار الصينيين الذين زاروا ظفار في النصف الأول من القرن ١٥م، وهي كما نرى تحمل إشارات ودلالات تحمل في طياتها كمًّا من المعلومات المهمة، بحيث تعطينا فكرة عامة عن بعض أهم ملامح الحياة الاجتماعية والاقتصادية لظفار خلال تلك الحقبة من الزمن.

وهنا أصل إلى ختام هذه الورقة البحثية، آملًا أن تكون قد أسهمت في وضع لبنة في الهيكل التاريخي لمنطقة جنوب الجزيرة العربية، بحيث تسد ثغرة مهمة، وتكون قاعدة لمزيد من الأبحاث التاريخية المستقبلية حول هذه العلاقة الصينية بالمنطقة.

المصادر والمراجع

---

(١) نفسه. ص٧٨.
(٢) نفسه. ص٧٥.
(٣) نفسه. ص٧٥-٧٦.
(٤) نفسه. ص٧٦.
(٥) نفسه. ص٧٨.
(٦) محيرز. مرجع سابق. ص٨٩.
(٧) خليل. مرجع سابق. ص٧٤.

١- ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد بن عبدالله. تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. أكاديمية المملكة المغربية، الرباط: ١٤٠٧هـ.

٢- ...، الكتاب نفسه. تحقيق طلال حرب، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت: ٢٠٠٧م.

٣- ابن حميد، سالم بن محمد بن سالم. تاريخ حضرموت المسمى: العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة. تحقيق عبدالله بن محمد الحبشي، ط١، مكتبة الإرشاد، صنعاء: ٢٠٠٣م.

٤- ابن هاشم، محمد. حضرموت: تاريخ الدولة الكثيرية. ط١، تريم للدراسات والنشر، حضرموت: ٢٠٠٢م.

٥- أحمد، جعفر كرار. العلاقات التاريخية بين شبه الجزيرة العربية والصين منذ ظهور الإسلام حتى أوائل القرن ٢٠م. مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد٩٢، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الكويت:١٩٩٩م.

٦- ...، الدور الحضاري للعمانيين في الصين منذ ظهور الإسلام حتى أوائل القرن ١٩م. ط١، وزارة التربية والتعليم، سلطنة عمان، مسقط:٢٠٠٧م.

٧- ...، العلاقات العمانية الصينية: ٦١٨-١٢٧٩م شركاء في الحزام والطريق القديم. بحث منشور ضمن ندوة العلاقات العمانية بجنوب شرق آسيا والصين واليابان. مجموعة من الباحثين، ذاكرة عمان، ط١، مسقط:٢٠١٦م.

٨- باسنجلة، عبدالله بن محمد بن أحمد. تاريخ الشحر المسمى: العقد الثمين الفاخر في تاريخ القرن ١٠هـ. تحقيق عبدالله محمد الحبشي، ط، مكتبة الإرشاد، صنعاء:٢٠٠٧م.

٩- بامطرف، محمد عبد القادر. المختصر في تاريخ حضرموت العام. ط٢، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا: ٢٠٠٨م.

١٠- مين في القرنين ٣و٤ هـ. بحث منشور ضمن ندوة العلاقات العمانية بجنوب شرق آسيا والصين واليابان. مجموعة من الباحثين، ذاكرة عمان، ط١، مسقط:٢٠١٦م.

١١- شنبل، أحمد بن عبدالله. تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل. تحقيق عبدالله محمد الحبشي، ط٢، مكتبة الإرشاد، صنعاء:٢٠٠٧م.

١٢- شهاب، حسن صالح. أضواء على تاريخ اليمن البحري. ب- ط، دار الفارابي، بيروت: ١٩٦٧م.

١٣- عثمان، محمد عبد الستار. مدينة ظفار بسلطنة عمان: دراسة تاريخية أثرية معمارية. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ب-ط، الإسكندرية:١٩٩٩م.

١٤- الكثيري، خالد بن حسين بن عمر. آل كثير: أصولهم وفروعهم ورجال ودولة. ١مج، ٢ج، ط١، مطبعة الأحقاف الحديثة، سيئون:٢٠٠٨م.

١٥- الكثيري، سالم بن أحمد بن سالم. الأوضاع السياسية بظفار في عهد الدولة الكثيرية الأولى: ٨١٦-١١٣٠هـ/ ١٤١٣م-١٧١٨م. أطروحة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة السلطان قابوس، مسقط: ٢٠١٤م.

١٦- محيرز، عبدالله أحمد. رحلات الصينيين الكبرى إلى البحر العربي: ٨٠٧-٨٣٥هـ/ ١٤٠٥-١٤٣٣م. دار جامعة عدن للنشر والطباعة، عدن: ٢٠٠٠م.

١٧- الهادي، حبيب بن مرهون. الطرق التجارية بين عمان والصين: طريق البخور أنموذجًا. بحث منشور ضمن ندوة العلاقات العمانية بجنوب شرق آسيا والصين واليابان. مجموعة من الباحثين، ذاكرة عمان، ط١، مسقط:٢٠١٦م.

١٨- هو، زانج. المعاملات بين الصين والعرب في العصر الوسيط. بحث منشور ضمن حصاد ندوة الدراسات العمانية، مج٦، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، مسقط:١٩٨٦م.

١٩- يان، تشانغ زون. الاتصالات الودية بين الصين وعمان عبر التاريخ. ط٣، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، مسقط: ٢٠٠٢م.

التطورات السياسية في حضرموت
من القرن السادس حتى القرن التاسع الهجريين

د. منى عبدالله الحداد
باحثة وأستاذة جامعية
(مقيمة في جمهورية السودان)

الملخص:

تناول البحث أهم التطورات السياسية في حضرموت خلال الفترة (من القرن السادس حتى القرن التاسع الهجريين).

وانطلاقًا من اعتبار تاريخ حضرموت جزء من تاريخ الجزيرة العربية الواحد، ولأهمية هذا التاريخ انطلاقًا من الأهمية الجغرافية والاقتصادية والسكانية لهذا الصقع، كان هدفي تقديم معلومة بسيطة منظمة عن تاريخ حضرموت السياسي لذا جاء عنوانًا مختصًا ب(التطورات السياسية في حضرموت).

وقد تناول البحث أهم دويلات المدن التي قامت في حضرموت خلال تلك الحقبة من الزمان، وعلاقات حضرموت بالدول المركزية الثلاث (الأيوبية، الرسولية، الطاهرية)، وما مرت به من أحداث سياسية، وحروب وفتن، وما تعاقب عليها من ملوك وسلاطين، وكذا بدايات تأسيس الدولة الكثيرية الأولى، وكيف حكمت حضرموت خلال تلك الفترة.

وتوصل البحث إلى عدة نتائج أهمها: قيام عدة دويلات ومدن نشأت فيها الحضارة والعمران والعلم والعلماء، ونظام حكم مستقل بكل منها، كما تأثر الوضع السياسي في حضرموت خلال هذه الفترة بالوضع في الخارج حيث الدول الأيوبية والرسولية والطاهرية في اليمن، حيث لم تكن حضرموت عرضة للأطماع الخارجية فحسب، بل كانت عرضة للأطماع الداخلية أيضًا، كما حكمت الدولة الكثيرية حضرموت مدة من الزمان، واتسمت الفترة بالصراعات والحروب، بالرغم من الجهود التي بذلها السلطان بدر الكثيري في سبيل إقامة دولة كثيرية قوية في حضرموت.

إضافة إلى التوصيات والمقترحات في خاتمة البحث.

مقدمة

الحمد لله حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، نثني عليه كما أثنى على نفسه، وفوق ما أثنى عليه خلقه، والصلاة والسلام على سيد الأنام، سيد الخلق، وحبيب الحق، محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فتاريخ حضرموت من التواريخ الهامة، لما مرت به من أحداث وخطوب، وقد تضمن هذا البحث (التطورات السياسية في حضرموت) تاريخ حضرموت السياسي في الفترة من(القرن السادس إلى القرن التاسع الهجريين) وما كان خلال هذه الفترة من أحداث سياسية وتطورات مرت بها حضرموت، وما تعاقب عليها من حكام، وما آلت إليه الأمور والأحداث خلال هذه الفترة، وقد اختلفت الأوضاع في حضرموت في عهد كل دولة من الدول المركزية الثلاث (الأيوبية، الرسولية، الطاهرية)، وطرأ تطور واضح المعالم نتيجة لذلك على الأوضاع الداخلية، كما كان له أعمق الأثر خاصة في مجال السياسة الداخلية.

وتتمثل أهمية الموضوع في جدته، فهو يمثل حلقة من سلسلة قليلة الحلقات في تاريخ منطقة هامة لم تحظ بنصيبها من الدراسة، وإذا كان البحث قد تناول بالدراسة الأحوال السياسية، والتطورات السياسية لبلاد حضرموت في الفترة (من القرن السادس إلى التاسع الهجريين)، فليس من شك في أن القصد من امتداد الفترة موضوع البحث إنما يهدف إلى تغطية فترة طويلة من تاريخ حضرموت، مرت خلالها بأحداث جسام، تعاقب عليها الملوك والحكام، وتعرضت لهجمات وغزوات عدة.

وكان طبيعيًا أن يتركز الاهتمام على الجانب السياسي باعتباره الركيزة الأساسية التي يتحتم استيفاؤها، وعدم توفر دراسات حديثة يمكن أن يعوّل عليها، خصوصًا في الجانب السياسي، ويمكن القول بأن دراسة قطاع طويل من الجانب السياسي لتاريخ حضرموت، من شأنه أن يوجه أنظار الباحثين إلى أهمية هذا الجانب، وسيساعد على فتح مجال هذه الدراسات على مصراعيه، ويتيح الفرص ـ من ناحية أخرى ـ لدراسة الجوانب المختلفة من تاريخ تلك البلاد، ويوضح التفسيرات المناسبة والصحيحة لمتغيرات الجوانب الأخرى.

وقد اتسمت الفترة موضوع البحث بكثرة الاضطرابات، وتنوّع الصراعات، وانتشار الفوضى، وافتقاد الاستقرار، فقد انشغل سلاطين الدول الثلاث (الأيوبية، الرسولية، الطاهرية)

في حروب تكاد توصف بالاستمرار والتواصل، ولهذا فلم يكن في الإمكان تجاهل تلك الأحداث، وكان من الضروري تسجيل تلك الحوادث المتعاقبة، لأهميتها في إيضاح الأحوال الداخلية لحضرموت، ومع ذلك فقد رُوعي عدم الخوض في التفصيلات الدقيقة، بهدف التركيز ما استطعت والاقتصار على الضروري بالقدر الذي يسمح بتصور الأوضاع الداخلية خلال تلك الفترة.

ويعد تاريخ حضرموت السياسي من أكثر التواريخ صعوبة، إذ يحتاج البحث إلى تكتيل الجهود وتضافرها لإبرازه، وذلك لقلة المصادر والمراجع، ومن كتب في الجانب التاريخي والسياسي قديمًا وحديثًا، فلا يوجد في الكتب العربية وغيرها كتاب وافٍ بتاريخ حضرموت، وليس من المؤرخين وأصحاب السير والأخبار واحدًا أفرد كتابًا خاصًا في هذا الموضوع الذي نحن بصدده، وإنما هي نتف متفرقة وشذرات مبعثرة في كتب كثيرة لمؤلفين كثيرين من العرب وغيرهم.

فحاولت أخذ الخلاصة مما تيسر لي من هذه المصادر والمراجع؛ لإبراز ذلك التاريخ، ليتيسّر للباحث الاطلاع على تاريخ حضرموت، وما جرى فيها من جلائل الحوادث وما قاسته من فجائع الأحوال، والوقوف على تاريخ الأسلاف وما قاموا به من الأعمال العظام، وما تكبَّدوه من الخطوب الجسام.

فهذا المؤتمر هو الأول من نوعه في تاريخ حضرموت، ونسأل الله العليّ القدير أن يكون هذا المؤتمر أول منارة أُقيمت لهداية أولئك السَّارين الذين يريدون أن يعرفوا الشيء الكثير عن تاريخ حضرموت وهو يُعَد خطوة في تقدم الحضرميين.

وقد تناول البحث: دويلات المدن التي نشأت في حضرموت في الفترة من القرن السادس إلى التاسع الهجريين، والتركيز على أهمها، وعلاقات حضرموت بالدول المركزية الثلاث (الأيوبية، الرسولية، الطاهرية)، وبدايات تأسيس السلطنة الكثيرية الأولى.

وفي الأخير خلص البحث إلى عدد من النتائج والتوصيات والمقترحات.

المبحث الأول

دويلات المدن

ليس للقبائل الحضرمية مناطق دائمة عبر التاريخ، بل هي تُغيّر أماكنها بفعل ظروف وحوادث تاريخية تدفعها إلى التَّقدم إلى إقليم معين، أو تدفعها إلى الهجرة أو التوسع أو الانكماش، وكان الوضع السياسي كثيرًا ما تأثر بالوضع في الخارج حيث الدولة الزيدية والرسولية ومن قبلهم الأيوبيين في اليمن[١].

"ولقد مرت حضرموت[٢]، خلال هذه الفترة (من القرن السادس إلى التاسع الهجريين) بحروب أهلية، سُفِكت فيها الدماء، وانتُهبت الأموال وسيطرت القبائل على العديد من المناطق وخاصة حضرموت"[٣].

وأهم المدن والدويلات التي كانت موجودة في حضرموت خلال هذه الفترة:

- **الشحر**: تقع بين عدن والمهرة على الخط الساحلي الممتد من ١٤ شمالًا و٤٨ – ٤٥ شرقًا[٤]، وقد أشار المقدسي في كتابه (أحسن التقاسيم) إلى أقسام اليمن، وذكر من ضمن ذلك ناحية مهرة ومدينتها الشحر[٥]، كذلك ذكر البكري بأن الشحر هي ساحل اليمن الممتد بينها وبين عمان[٦].

---

(١) إدراك الفوت في ذكر قبائل حضرموت، علي بن محمد عبد الله باخيل آل بابطين النَّوَّحي، ١٤١٥هـ، ص٢.

(٢) حضرموت هي جزء اليمن الأصغر، نسبت إلى حضرموت بن حمير الأصغر فغلب عليها اسم ساكنها، وحضرموت ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف، وبها قبر هود عليه السلام، ولها مدينتان يقال لأحدهما تريم وللأخرى شبام وعندها قلاع وقرى، واختلف في سبب تسميتها بهذا الاسم. (صفة جزيرة العرب، ابن الحائك أبو محمد بن أحمد بن يعقوب الشهير بالهمداني، ص ١٦٥، ١٦٦، ومعجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار الفكر، بيروت – لبنان، ٢/ ٢٧٠).

(٣) حضرموت عبر أربعة عشر قرنًا، سقاف علي الكاف، مكتبة أسامة، بيروت -لبنان، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ص ٥٥، ٥٦.

(٤) موانئ ساحل حضرموت، خالد سالم باوزير، مكتبة دار المعرفة، ط١، ١٩٩٦م، ص ٤٩.

(٥) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي، مكتبة خياط، بيروت ـ لبنان، ط ١٩٠٦م، ص ٦٩، ٧٠.

(٦) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري، تحقيق: مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة – مصر، ١٣٦٨هـ – ١٩٤٩م، ص ٧٨٣.

وتقع الشحر على منطقة سهلية واسعة بعيدة قليلًا عن المرتفعات الجبلية وعلى ساحل مفتوح لا توجد به رؤوس جبلية في مياه البحر، وتحيط بالمدينة السهول والكثبان الرملية[(١)].

وللشحر عدة إطلاقات، **الأول**: أنها اسم لكل ماشمله حدُّ حضرموت.

الثاني: أنها اسم لساحل المشقاص بأسره، فما كان منه لبني ظنّه فهو داخل في حد حضرموت.

الثالث: أنها اسم لجميع مابين عدن وعُمان، كما ذكره ياقوت عن الأصمعي[(٢)].

الرابع: اختصاص الاسم بالمدينة اليوم.

والذي يعنينا منه كون الشحر فيما سلف من الزمان تسعين مدينة، وكون هذه الأرض تسمى كلها أرض الأحقاف، وهو موافق لكثير مما سبق والله أعلم.

وكانت دولة الشحر لكندة إلى سنة (٥٧٥هـ)، حيث هجم عليها الزنجبيلي، ثم تولاها آل فارس[(٣)] المختلف في نسبهم، فقيل: إلى الأنصار، وهو أبعدها، وقيل: إلى كندة، ويؤيده أنه لا تزال في حَجْر[(٤)] طائفة من آل ابن دغَّار الكنديين، يقال لهم: آل فارس، وقيل نسبهم: إلى المهرة[(٥)].

وقد حكم آل فارس بن إقبال - وهم من كندة - الشحر، وآل فارس هم دولة آل إقبال.

في الشحر[(٦)]، "ففي سنة (٥١٥هـ) انفرد فارس بن راشد بن إقبال بولاية الأشحار"[(٧)].

(١) تاريخ حضرموت السياسي، صلاح البكري اليافعي، المطبعة السلفية، ط١، ١٣٤٥هـ، ٢/ ١٤١.

(٢) انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٣/ ٣٢٧.

(٣) آل فارس: قبيلة من كندة كانوا ولاة الشحر حوالي القرن السادس الهجري حتى سنة ٦٥٠هـ، حين طردهم منه ابن مهدي والي اليمن، وكان منهم ولاة دوعن، وأول حكامهم راشد بن محفوظ سنة ٥٠٩هـ. (انظر: جواهر تاريخ الأحقاف، محمد بن علي بن عوض، مراجعة وتقديم: حسن جاد حسن، تصحيح: محمد الدبوي، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة - مصر، ط ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م، ٢/ ٦٦).

(٤) على ماسيأتي الحديث عنها.

(٥) إدام القُوت في ذكر بلدان حضرموت (معجم جغرافي - تاريخي - أدبي - اجتماعي)، السيد عبد الرحمن ابن عبيد الله السقاف، دار المنهاج، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، ص ١٦٥، ١٦٦.

(٦) انظر: إدام القوت، السقاف، ص ١٦٥.

(٧) تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق: محمد عبدالله الحبشي، طبع على نفقة الشيخ الوجيه: محفوظ سالم شماخ، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ص ٢٦.

"وفي سنة (٥٧٥هـ) قُتل راشد بن عبد الباقي بن فارس بن إقبال"[١]، وفي هذه السنة كان قدوم الزنجبيلي عثمان الذي عاث في حضرموت الفساد، ولكنه هرب من عدن سنة (٥٧٩هـ) لما جاء طغتكين بن أيوب من مصر إلى اليمن، ثم عادت الشحر إلى حكم الأهالي حتى سنة (٦٠٩هـ)، فوصل عبد الباقي بن فارس بن راشد بن عبد الباقي بن فارس بن إقبال ومعه جماعة من الغز وأخرجوا الأهالي، وهرب واليها إلى تريم، وهو فارس بن راشد، وتوفي بها في سنة (٦٠٨هـ)، وبقيت الشحر تحت إمرتهم إلى سنة (٦١٦هـ)، وفيها خرج ابن مهدي[٢] وطرد آل إقبال[٣]، حيث انقض ابن مهدي – وهو من صنائع آل رسول اليمانيين – على آل فارس، وأخرجهم من الشحر[٤].

وفي سنة (٦٢١هـ) تولى عليها عبد الرحمن بن راشد[٥]، وكان يؤدي الخراج لملوك الغز، فعزله نور الدين الرسولي برجل من الغز، فقتل بن راشد الغزي واستولى على البلاد، وبقيت تحت حكمه إلى سنة (٦٧٨هـ) حيث دخلت الشحر وحضرموت تحت حكم المظفر الرسولي، ولكنه أبقى عبد الرحمن بن راشد عليها نائبًا عنه حتى توفي سنة (٦٦٤هـ)، وخلفه أخوه راشد بن شجعنة، فبقي عليها إلى سنة (٦٧٧هـ)، فتغير المظفر واعتقله بزبيد إلى أن مات[٦]، وبموت راشد انتهت فترة حكم آل إقبال الأخيرة على الشحر، وفي سنة (٧٦٧هـ)

(١) المصدر نفسه، ص ٤٨.
(٢) ابن مهدي واسمه: عمر بن مهدي الحميري اليمني، كان أميرًا على جنود الغز من قبل الأيوبيين. (انظر: إدام القوت، السقاف، ص ١٦٦).
(٣) انظر: إدام القوت، السقاف، ص ١٦٥، وجواهر الأحقاف، بن عوض، ٢/ ٦٦، ٦٧.
(٤) ولم تكن هذه هي المرة الوحيدة أو الأولى لابن مهدي في فتكه بآل فارس، بل إنه بدأ تحركاته الواسعة منذ عام (٦١٠هـ)، وله أخبار كثيرة وقد قتل بشبام سنة (٦٢١هـ). (انظر: إدام القوت، السقاف، ص ١٦٦).
(٥) هو عبد الرحمن بن راشد بن إقبال بن فارس الأصغر بن محفوظ بن راشد بن إقبال بن فارس الأكبر، وكان حكمه للشحر من سنة (٦٢١هـ) إلى سنة (٦٦٤هـ) حيث توفي فيها، وكان من أمره أنه اشترى حضرموت كلها سنة (٦٣٦هـ)، لكنها خرجت عن طاعته سنة (٦٣٦هـ) على يد ابن شماخ. (انظر: تاريخ حضرموت، الحامد، ٢/ ٥٣٨ – ٥٤٣).
(٦) انظر: تاريخ حضرموت، الحامد، ٢/ ٥٤٣.

وصل المظفر بنفسه إلى الشحر، فعمَّرها، ثم لم يزل حكامها من أسرته تحت أمر آل رسول حتى ضعف أمرهم، وصار النفوذ بحضرموت لآل يماني[1]، وفي سنة (٨١٢هـ) استولى دويس بن راصع على الشحر، ثم عادت لآل فارس[2]، حتى انتزعها منهم آل كثير في سنة (٨٦٧هـ)، وهي أول دولتهم بها[3]. ثم استردها آل فارس منهم في سنة (٨٩٤هـ) [4]، ثم استرجعها آل كثير في سنة (٩٠١هـ) [5].

– **شبام**: دُرَّة وادي حضرموت، وتاج سريره، ولم يزل يزهو بها وبرجالها، وكما قيل كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، فإن لشبام أسماء عديدة تعرف بها في الجهة، وبعضها قديم فمنها شبام العالية، الصفراء، أم الجهة، الزرافة – لعلوها –، بيحم، الدمنة. وهي الآن مصنفة ضمن أقدم بلدان العالم، وأكثر الناس على أن شبام لقب عبدالله بن أسعد بن جسم بن حاشد بن حيران، وبهذه القبيلة سميت المدينة اليمانية الواقعة في قضاء كوكبان[6].

وقد خضعت شبام ضمن سائر بلاد حضرموت لحكم بني أيوب، وخلال هذه الفترة كان آل يماني بن الأعلم وآل سعد يتناوبون على شبام وعلى غيرها من بلاد حضرموت، وفي سنة (٦٨٧هـ) توفي السلطان محمد بن السلطان عبدالله بن راشد، وكان مشهورًا بالفقه[7]، ثم آل

(١) انظر: تاريخ حضرموت، الحامد، ٢/ ٤٩٨، ٥٣٥، وإدام القوت، السقاف، ص ١٦٧.

(٢) والذي اتفقت عليه أغلب المصادر أن حكم آل فارس بن إقبال انتهى بموت راشد بن شجعنة والله أعلم. (انظر: إدام القوت، السقاف، ص ١٦٧، وتاريخ حضرموت، الحامد، ٢/ ٤٩٨ ومابعده، وتاريخ شنبل).

(٣) وظهر في تلك الأثناء آل طاهر (الدولة الطاهرية)، وتدخلوا في الأحداث السياسية أيضًا (على ما سيأتي ذكره في المبحث الثاني) حيث أصبحت الشحر في عهدهم ولاية تابعة لحكم بني طاهر منذ عام (٨٦٣هـ – ١٤٥٨م). (انظر: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي، تحقيق وتقديم: سعيد عبد الفتاح عاشور، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة – مصر، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م، ص ٥٩١).

(٤) وذلك على يد سعد بن مبارك بادجانة. (انظر: تاريخ شنبل، ص ٢٠٦، وتاريخ حضرموت، الحامد، ٢/ ٨٦).

(٥) دخلت الشحر تحت حكم آل كثير في ذلك التاريخ على يد السلطان بدر بن محمد بن عبد الله بن علي الكثيري، وبقيت في حكمهم حتى سنة (١٠٧٠هـ). (انظر: إدام القوت، السقاف، ص ١٦٨).

(٦) إدام القوت، السقاف، ص ٤٧٣، ٢٢٣، ٢٢٢، بتصرف.

(٧) انظر: تاريخ شنبل، ص ١٠٧.

الحكم إلى الرسوليين بحضرموت[1].

ومن أهم القبائل التي حكمت شبام آل بن دغَّار وهم قبيلة من كندة، كانوا يقطنون وادي حجر الذي كان يعرف حجر بن دغار، لهم بقية في وادي حجر، وبنو الدغار من آل الهزيل، كانوا ولاة شبام[2].

- **المكلا**: هي ميناء حضرموت الشهير، وكان يقال لها: بندر يعقوب نسبة للشيخ يعقوب المقبور بها، وتقع بين خليجين، وكانت المكلا خَيْصة[3] صغيرة لبني حسن والعكابرة، وملجأ تعوذ به سفائن أهل الشحر والواردين إليه من الآفاق، وقد شهدت المكلا اتساعًا عمرانيًا مذهلًا في السنوات الأخيرة[4].

- **حَجْر**: وادي عظيم في ساحل حضرموت، على بعد خمسين كيلو متر غرب المكلا، يمتد من يبْعِث وميفع شمالًا إلى الساحل جنوبًا، يعتبر من أخصب المناطق في حضرموت وأكثرها ماء، وهذا الاسم مشترك بين موضعين، أحدهما: حَجْر علوان، وهو وادٍ باليمن، فيه قرى وحصون، طيب الماء والهواء والتربة، والثاني: حَجْر ابن دغَّار الكندي، وهو كثير المياه والنخيل[5].

- **غيل باوزير**: يقع شمال شحير، وهو أرض واسعة، فيها عيون ماء غزيرة جارية، وهو منسوب إلى الشيخ عبد الرحيم باوزير -مولى الدعامة- ابن عمر، صاحب الغيل الأسفل، المسمى بغيل عمر، وغيل باسودان[6].

- **عين بامعبد**: قرية صغيرة، واقعة في حد حضرموت الجنوبي الغربي، فيها عيون ماء عليها نخل كثير، وتبعد عن الساحل بنحو أربع ساعات.

-**بالحاف**: ميناء يطل على البحر العربي، وهو من وراء عين بامعبد إلى جهة الشرق.

---

(١) إدام القوت، السقاف، ص ٨, ٥٣.

(٢) انظر: جواهر الأحقاف، بن عوض، ٢/ ١١، وإدراك الفوت، النوحي، ص ٢٠، وتاريخ حضرموت، الحامد، ٢/ ٤١٨.

(٣) الخَيْصة عند أهل الساحل الحضرمي هي الفُرْضة، أي: الميناء الصغير.

(٤) إدام القُوت، السقاف، ص ١٠٠.

(٥) انظر: المصدر نفسه، ص ٩٤، بتصرف.

(٦) المصدر نفسه، ص١٤٠.

- **ميفع**: ساحل يبعد عن البحر بنحو ساعة ونصف، في شرقي بير علي وغربي بروم، عليه أراض واسعة، وفيه مياه غزيرة تُرفع إليه من حجْر[1].

- **بُرُوم**: مرسى حصين من عواصف الرياح، أحصن من مرسى المكلا- على حصانته- فإليه تأوي السفن عند اضطراب الأمواج وهيجان البحر، وهو واقع بين ميفع والمكلا.

- **شُحير**: كانت بلدة لا بأس بها، ولكنها خربت من سابق الزمان، ولهذا قلّ ذكرها.

- **دوعن**: وادي واسع في أعلى حضرموت[2].

- **ساه**: مدينة في أعلى هضاب وادي عِدِم، تقع على يسار الذاهب إلى عقبة الغُز وعلى بعد(٧٥كم) من سيئون.

- **عَيْنَات**: من أشهر قرى حضرموت، وهي شرقي تريم، تبعد عنها مسافة ٨كم تقريبا، وأول من اختطها آل كثير في سنة(٦٢٩هـ) [3].

- **حَوْرة**: مدينة مشهورة بوادي العين، وهي منطقة زراعية تكثر حواليها النخل والسدر، وتشكل اليوم مركزًا إداريًا تابعًا لمديرية القطن.

- **الديس**: مدينة تقع شمال المكلا، وهي من وراء الحامي، بينهما نحو خمس ساعات بسير الأثقال.

- **الحامي**: بينه وبين العيص أربع ساعات وفيه شبه من الشحر من بعض النواحي، تتخلله أشجار النارجيل، وفيها مدرسة سلطانية، وبها عين ماء حارة[4].

- **الفُوّهة**: هضبة متسعة في الأطراف الغربية لحضرموت، كانت تمر بها القوافل الذاهبة إلى مأرب، يسكنها آل بدر من نهد.

- **هَيْنَن**: وادي يسكنه آل شرمان، كبيرهم فرج بن علي، وهي تقع غربي القَطْن، وتُعَد من أعمالها، وهي تنقسم إلى قسمين: أحدهما: الحثم، والثاني: الحزم[5].

---

(١) انظر: إدام القوت، السقاف، ص ٦٥، ٦٧، ٨٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٥، ٩٢، ٨٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٤٢.

(٤) انظر: إدام القوت، السقاف، ص ٤٧٣، ٢٢٣، ٢٢٢. بتصرف.

(٥) المصدر نفسه، ص ٤٥٦، ٥٠٥، ٤٥٤.

ويحكم آل عبدالله (الكثيري) مدينتي سيئون وتريم، وهما من أعظم مدن القطر الحضرمي ومن أكثرها عمرانًا وحضارة، وغيرها من المدن، وتتكون الحكومة الكثيرية من السلطان والوزير ومن القضاة، ونظام الحكم فيها هو نفس نظام الحكومة القعيطية اليافعية، فجميع الأحكام تصدر بحسب العرف[١].

وبالرغم من صغر مساحة القطر الحضرمي، وعن وجود حكومتين فيه، فإن هناك رئاسات قبلية في الحواضر والبوادي، كل منها مستقلة عن الأخرى في أمور معاشها وحكمها، وليس للحكومتين اليافعية والكثيرية سلطة قوية عليها[٢].

وأهم هذه الرئاسات والمدن:

- **تريم**: أشهر بلدان حضرموت الفائقة على غيرها من البلدان بالعلم والعلماء، وكثرة الصالحين والأولياء، وهي مسقط رأس السادة بني علوي، ومنها تفرقوا وهاجروا إلى سائر البلدان والأودية والأقطار، تقع في الشمال الشرقي من سيئون، وتبعد عنها نحو٣٢كم[٣]، وهي قاعدة حضرموت، وهي مدينة عظيمة[٤]، وتريم اسم لإحدى مدينتي حضرموت (تريم وشبام)، لأن حضرموت اسم للناحية بجملتها، سميت باسمها المدينتان[٥].

ومن أهم القبائل التي حكمت تريم: آل راشد، وهم بنو راشد بن شجعنة من آل قحطان من آل فهد من حضرموت، حكموا تريم سنة ٥٤٧هـ، حتى سقوطها على يد ابن مهدي سنة ٦١٥هـ[٦].

- **سيئون**: من البلدان القديمة وهي أكبر بلدان وادي حضرموت، تبعد عن شبام نحو ١٨كم وعن تريم غربًا نحو ٣٤كم، وقد خربت في سنة ٥٩٥هـ، وكانت مدينة عظيمة لبني معاوية من كندة، ثم خربت حتى لم تكن شيئًا مذكورًا، ثم عادت شيئًا مذكورًا حتى دخلت في قسمة نهد سنة ٦٠١هـ[٧].

---

(١) تاريخ حضرموت، البكري، ٢/ ٨٨.
(٢) المصدر نفسه، ص ٩٠.
(٣) انظر: إدام القوت، السقاف، ص ٨٧١.
(٤) صفة جزيرة العرب، الهمداني، ص١٧٠.
(٥) معجم البلدان، ياقوت، ٢/ ٢٨.
(٦) انظر: تاريخ حضرموت، الحامد، ٢/ ٤٠٨، وإدراك الفوت، النوحي، ص ٢٢.
(٧) انظر: إدام القوت، السقاف، ص ٦٧٤، ٦٧٥.

- **مرْيَمة:** تقع جنوب شرق سيئون وتبعد عنها ٨كم.

- **نهد:** ويحكمها البلاد الواقعة من لخماس شمالًا إلى أقصى العروض جنوبًا، والأحكام عُرفية إلَّا ماله علاقة بالأنكحة والمواريث، وبلادهم فقيرة لا تقوم بحاجة السكان لأنها لا تنبت رزقًا، وتكثر فيهم المنازعات[١].

- **سيْحَوت:** تقع على الساحل عند مصب وادي حضرموت، وأكثر بنياتها من الخشب وسكانها لا يزيدون على الخمسة آلاف أغلبهم من عَيْنَات وقَسَم، وحاصلاتها الأسماك، وليس بينها وبين غيرها من البلدان الحضرمية مواصلات، وميناؤها رديء، أغلب سكانها من قبائل المهرة، والأحكام فيها عُرفية[٢].

- **تميم:** تقع بين عينات شرقًا، وبين آل كثير غربًا ويحدها من الشمال نجد العوامر، ومن الجنوب الغُرف، ويتفرع آل تميم إلى أفخاذ وبطون، ولكل فخيذة من الأفخاذ رئيس ذو نفوذ ومقام محترم، وهم حلفاء يافع من عهد السلطان القعيطي[٣].

- **نوَّح:** تعد من كبريات قبائل البادية، ويتصل نسبها بحمير وهي تتفرع إلى أفخاذ، وهم خاضعون لحكومة القعيطي[٤].

- **حَوْطة سلطانة:** تقع بين مريمة الشرقية وقارة العرفضاء وفيه نخيل، وله وادٍ مخصوص، سكن فيه آل الزبيدي ثم اشتهر بحوطة سلطانة بنت علي الزبيدي وهي من أكابر الصالحين، لها عبادات وأحوال تشبه أحوال رابعة العدوية، بلغت جاهًا وعلمًا وصلاحًا شهد به القريب والبعيد[٥].

- **الصَّيْعر:** تقع في شمال غربي حضرموت، وهي من أقفر مناطق القطر الحضرمي وأجدبها وأنزرها ماء[٦].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٧٥٠.

(٢) انظر: تاريخ حضرموت، البكري، ٢/ ٩١، ٩٢.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ٢/ ٩٨.

(٤) المصدر نفسه، ٢/ ١٠٥.

(٥) انظر: إدام القوت، السقاف، ص ٧٥٧.

(٦) انظر: تاريخ حضرموت، البكري، ٢/ ١٠٨.

هذه أهم الدويلات والمدن في حضرموت وغيرها الكثير، نذكر منها لا على سبيل الحصر: قَسَم، وسُوم، الحموم، سَيْبان، آل باجري، الغرف، الرشيد، سدة باتيس[١].

المبحث الثاني

علاقات حضرموت بالدول المركزية

(الأيوبية - الرسولية - الطاهرية)

أولًا: علاقة حضرموت بالدولة الأيوبية

ينتسب الأيوبيون إلى أيوب بن شادي من بلدة دُوين[٢]، الواقعة عند آخر حدود أذربيجان بالقرب من تفليس في أرمينية، وجميع أهل ذلك البلد من الأكراد الرّوادية أحد بطون الهذبانية، انتقلت الأسرة من دوين في بداية القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)، حين غادر شادي مع ابنيه نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه المنطقة إلى تكريت[٣]، حيث خرج الفرنج إلى ديار مصر فحاصروا القاهرة وأسروا طيء بن شاور، واضطر أهل مصر إلى نجدة أسد الدين، فكتبوا إليه ومنّوه بكل أمر، فخرج إلى مصر وطرد الفرنج عنهم، وملك أسد الدين مصر حتى مات، ثم خلفه الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وذلك سنة ٥٦٤هـ-١١٦٩م[٤]، فيبدأ ملك صلاح الدين الأيوبي للدولة الأيوبية من هذا العام[٥].

نشأت الدولة الأيوبية على يد ملكها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وذلك بعد أن ملك الديار المصرية، وفي سنة ٥٦٩هـ توجه إلى مدينة زبيد فجهّز أخاه

(١) انظر: إدام القوت، السقاف، وتاريخ حضرموت، البكري.

(٢) دوين: بلدة من نواحي أرّان في آخر حدود أذربيجان بالقرب من تفليس، منها ملوك الشام بنو أيوب، ودوين أيضًا إحدى قرى أُستُوا من أعمال فيسبور في بلاد فارس. (انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٢/ ٤٩١).

(٣) انظر: تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة، د. محمد سهيل طقّوش، دار النفائس، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص ١٦.

(٤) انظر: البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، عماد الدين أبو حامد محمد بن محمد الأصفهاني، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص ٣٩٧.

(٥) تاريخ الأيوبيين، د. طقوش، ص ١٧.

الملك المعظّم فخر الدين وملك زبيد عَنْوة، ومن زبيد سار إلى ثغر عدن واستولى عليها، ثم صنعاء[١]، وتبدأ المرحلة الرابعة والأخيرة من مراحل الصراع المذهبي والسياسي من الفتح الأيوبي لليمن على يد توران شاه بن أيوب سنة ٥٦٩هـ- ١١٧٤م، حيث تم القضاء على الدويلات المتصارعة في اليمن وتوحدت البلاد تحت الحكم الأيوبي[٢]، "وكان آخر ملوك بني أيوب في اليمن المسعود يوسف، واستمر حكمه لليمن حتى وفاته سنة ٦٢٦هـ- ١٢٢٩م"[٣].

وصفوة القول أن الحكم الأيوبي المباشر لليمن استمر قرابة الستة والخمسين عامًا (٥٦٩هـ- ٦٢٦هـ/ ١١٧٤م - ١٢٢٩م)، شُغل الأيوبيون خلالها بحروب تكاد تكون مستمرة، فمنها ما كان يستهدف الفتح أو استكماله، أو القضاء على الفتن والحركات الداخلية المعادية، ومنها ما كان ناتجًا عن سوء سياسة بعض السلاطين، وما تبع ذلك من انقسام في صفوف القوى الأيوبية[٤]، واستمر نور الدين عمر بن علي بن رسول نائبًا عن الأيوبيين في اليمن، وأخذ منذ تلك اللحظة يمهّد الطريق للاستيلاء على البلاد، حتى نجحت جهوده وأعلن استقلاله بمُلك اليمن سنة ٦٢٨هـ- ١٢٣١م[٥]، وهكذا ورث بنو رسول ملك اليمن عن الأيوبيين، فكانوا نوابًا عليهم في عهد الملك المسعود يوسف بن الكامل آخر سلاطين الأيوبيين في اليمن[٦].

أما عن حضرموت في عهد الدولة الأيوبية وعلاقتها بها، ففي سنة ٥٧٦هـ هجم عزّ الدين عثمان بن علي الزنجبيلي والي عدن ولحج من قبل دولة بني أيوب، فاستولى على

(١) انظر: بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني، تحقيق: مصطفى حجازي، دار الكلمة، صنعاء، ط٢، ١٩٨٥م، ص ٧٦، ٧٧.

(٢) انظر: بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما، محمد عبد العال أحمد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية - مصر، ١٩٨٩م.

(٣) قلب اليمن، محمد حسن، بغداد - العراق، ١٩٤٧م، ص ٣٨، وانظر: دولة بني أيوب في اليمن، محمد عبد العال أحمد، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الإسكندرية - مصر، ١٩٦٨م، ص ٢٣٣.

(٤) انظر: بنو رسول وبنو طاهر، عبد العال، ص٣٦.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٨.

(٦) المصدر نفسه، ص ٤٠.

الشحر ثم سار بجيشه إلى شبام وتريم ومريمة، واحتلها دون أن يلقى أمامه مقاومة شديدة من الحضرميين، ثم عاد إلى عدن بعد أن جعل آل راشد نوابًا عنه يبعثون إليه الخراج في كل سنة(١)، وفي هذه السنة توفي شمس الدولة توران شاه بن أيوب في الإسكندرية، وفيها توجه عثمان إلى حضرموت، فاستولى عليها وقتل من أهلها كثيرًا، وجعل عمر بن مهدي واليًا على حضرموت من قبله، ولما كانت سنة ٥٧٧هـ أظهر آل راشد الاستقلال وخلعوا الطاعة، فأرسل إليهم الزنجبيلي جيشًا وأدخلهم في الطاعة، وقتل كثيرًا من علماء تريم، وفي سنة ٥٧٩هـ بلغ الزنجبيلي وصول الملك طغتكين بن أيوب إلى تعز وزبيد، فخاف على نفسه وهرب من عدن، فانتهز الفرصة السلطان راشد وابنه وهربا إلى حضرموت، ثم استقل آل راشد بالحكم فيها واستمروا يحكمون البلاد ثلاثين عامًا، وكانت فترة حكمهم عدل ورخاء، حتى قتل السلطان غدرًا سنة ٦١٢هـ، وبقتله ضعفت سلطنة آل راشد، وخلف من بعده سلاطين تساهلوا في الحكم وتغافلوا عن توطيد مركزهم وتعزيز سلطتهم، حتى ضاق الأمر بالناس فاستنجدوا بنهد، وطلبوا إليهم احتلال البلاد لإصلاحها وإعادة الأمن(٢).

وفي سنة ٩٤٥هـ هجم عليهم السلطان بدر أبو طويرق الكثيري، فاستنجد النهدي بحاكم اليمن على السلطان الكثيري، فأنجده بجيش إلا أن النهدي توفي بالطريق، وخلفه أخوه في الحكم، ثم كانت الوساطة من حاكم اليمن بين النهدي والكثيري وتمت المصالحة بين الطرفين، وبقي النهديون يحكمون حضرموت مدة من الزمن(٣)، ثم عاد آل راشد يريدون الحكم وجرت بينهم وبين آل نهد حروب، انتهت بتخلي نهد عن حكم حضرموت، فأصبحت البلاد في اضطراب مستمر وفي زلزال متواصل، وكان لتلك الاضطرابات والمشاغبات أثر سيء في الحالة السياسية والأدبية والاجتماعية والاقتصادية، فإن الحركة العلمية في تريم وشبام خمدت وتضاءل نورها وكاد ينطفئ، وانحطت الأخلاق انحطاطا سيئًا، فهذه الحوادث وهذه النكبات المتواترة خذلت العباد وأنهكت البلاد(٤).

---

(١) انظر: تاريخ حضرموت السياسي، البكري، ١/ ١٠٤، ١٠٥.
(٢) انظر: تاريخ حضرموت، البكري، ١/ ١٠٦ - ١٠٨، بتصرف.
(٣) المصدر نفسه، ١/ ١٠٩.
(٤) المصدر نفسه، ١/ ١١٠ - ١١٣، بتصرف.

ثانيًا: علاقة حضرموت بالدولة الرسولية

قامت دولة بني رسول[(١)] في اليمن على أنقاض الدولة الأيوبية سنة ٦٢٦هـ[(٢)]، وذلك عندما أعلن السلطان عمر بن علي أول سلاطين بني رسول استقلاله حين عاد الملك المسعود[(٣)] إلى مصر عام ٦٢٦هـ- ١٢٢٨م، فخضعت لهم مناطق ساحل حضرموت (الشحر) [(٤)].

فأول من مَلَك منهم الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول، من ولد جَبَلَة بن الأيهم كما زعموا، وذلك أنه كان ينوب عن الملك المسعود، فلما مات استولى على زبيد والأعمال التهامية، وتلقب بالملك المنصور وتزوج زوجة الملك المسعود، وأقام بزبيد حتى قرر قواعدها، وسار منها إلى حصن تعز، ثم استولى على الأعمال الصنعانية[(٥)]، "واتسعت مساحة سلطتهم حتى شملت جنوب اليمن بأكمله وحضرموت"[(٦)]، غير أن بني رسول كانوا كغيرهم من حكام اليمن لا يهتمون كثيرًا بإصلاح شؤون البلاد، فكانوا يتركون مقاليد الأمور لأصحاب البلاد الذين يتوسمون فيهم الولاء والوفاء، ومن هؤلاء رجال من آل كثير[(٧)] تولوا

(١) ينسب بنو رسول إلى جدهم رسول واسمه محمد هارون، فقد كان أمينًا في دولة الأيوبيين في مصر، وينتهي نسبهم إلى جفنة بن عمرو الغساني. (انظر: المقتطف من تاريخ اليمن، عبد الله بن عبد الكريم الجرافي، تقديم: إلياس عبود، مؤسسة دار الكتاب، ط٢، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٤م، ص ٨٩).

(٢) بهجة الزمن، اليماني، ص ٨٥.

(٣) الملك المسعود: هو أقسيس بن السلطان الملك الكامل بن السلطان الملك العادل بن أيوب استولى على زبيد في اليمن سنة ٦١٢هـ من غير قتال. (بهجة الزمن في تاريخ اليمن، اليماني، ص ٨٢).

(٤) انظر: روضة الأخبار ونزهة الأسمار في حوادث اليمن الكبار والحصون والأمصار، عماد الدين بن إدريس بن الأنف القرمطي، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي الحميري، صنعاء - اليمن، دار المعرفة، ط ١٩٩٥م، ص ٢٥، وموسوعة التاريخ الإسلامي، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة - مصر، ط٦، ١٩٩٨م، ٧/ ٣٩٨.

(٥) انظر: بهجة الزمن، اليماني، ص ٨٥، ٨٦.

(٦) اليمن وحضارة العرب مع دراسة جغرافية كاملة، عدنان ترسيسي، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، ص ١٠٢.

(٧) آل كثير: ينتمون إلى كثير بن ظنة بن عبد الله بن حرام بن عمر بن سبأ. (انظر: حضرموت تاريخ الدولة الكثيرية، محمد بن هاشم، أشرف على طبعه محمد بن الجفري، طبع على نفقة الخاصة السلطانية، ط ١٣٦٧هـ- ١٩٨٣م، ص ٢٣٤).

الحكم في بعض المناطق بالنيابة عن أولئك الحكام[1].

واستولى الملك المظفر[2] على حضرموت ومدينة شبام في سنة ٦٧٠هـ، وسبب ذلك أن شواني[3] سالم بن إدريس الحبوظي أغارت على ثغر عدن، فعظم ذلك على المظفر ونزل إلى ثغر عدن وجهز الجيوش، والتقى به في معركة حاسمة انتهت بقتل سالم وهزيمته هو وعسكره وتسلم حضرموت ومدينة شبام[4].

وقد تعرضت مدينة الشحر لغزو قبيلة كندة[5]، وكان حاكمها بالنيابة آنذاك السلطان بدر بن محمد الكثيري، فهاجمتها بقيادة سعيد بن مبارك بادجّانة الكندي، واستولوا عليها سنة ٨٣٨هـ، - ١٤٣٤م[6].

وبذلك تقلَّص ظل الحكم الرسولي عن سواحل حضرموت، ولم ينجح الرسوليون في محاولاتهم المتكررة التي قاموا بها بعد ذلك في سبيل استرداد الشحر[7]، "وعندما بدأ الضعف والوهن يدب في أركان الدولة الرسولية، وحدث فيها الفساد وعدم الاستقرار، استنجد الأهالي ببني طاهر[8] عمال بني رسول، حيث كان عامر بن طاهر وأخوه علي واليين على عدن من قبل سلاطين آل رسول فتقدم عامر بن طاهر عام ٨٥٩هـ- ١٤٥٤م، وتمكن

---

(١) انظر: تاريخ حضرموت السياسي، البكري، ١/ ٨٩، وحضرموت فصول في التاريخ والثقافة، محمد أبو بكر حميد، جمعية أصدقاء علي أحمد باكثير الثقافية، القاهرة - مصر، ط ١٤٢٠هـ، ص ٥٠.

(٢) الملك المظفر: هو أبو المنصور شمس الدين يوسف، ابن الملك المنصور نور الدين عمر بن علي ابن رسول، وكان أكبر إخوته وكانوا ثلاثة، وهو الثاني من ملوك بني رسول. (بهجة الزمن، اليماني، ص ٨٨).

(٣) الشواني جمع الشونة: وهي المركب المعد للجهاد في البحر.

(٤) انظر: بهجة الزمن، اليماني، ص ٩٥، ٩٦.

(٥) كندة: من قبائل اليمن من ولدة كندة بن عفير بن عدي... بن كهلان بن سبأ. (انظر: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، محمد بن أحمد الحجري، تحقيق: إسماعيل بن علي الأكوع، دار الحكمة اليمانية، صنعاء - اليمن، ط٢، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ٤/ ٦٦٦).

(٦) تاريخ حضرموت، صالح الحامد، مكتبة الإرشاد، جدة - السعودية، ط١، ١٣٨٨هـ - ١٩٨٦م، ٢/ ٥٦٤.

(٧) تاريخ اليمن السياسي، محمد يحيى الحداد، دار الهنا للطباعة، ط٣، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦، ص ٢٧٩.

(٨) بنو طاهر: ينتسبون إلى جدهم الشيخ طاهر بن تاج الدين بن معوظة. (انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي، أحمد شلبي، ٧/ ٤٠٦).

من دخول زبيد وبعض المدن المجاورة دون قتال، وتمكن عامر من الاستئثار بالسلطة"[١].

وحينما حاول أبو دجانة دخول عدن، فشل فشلًا ذريعًا، ووقع في أسر بني طاهر وظل أسيرًا إلى أن جاءت والدته إلى السلطان الطاهري عامر، وعرضت عليه تسليم مدينة الشحر له في مقابل إطلاق سراح ابنها، وبذلك أصبحت الشحر ولاية تابعة لحكم بني طاهر منذ عام ٨٦٣هـ - ١٤٥٨م[٢].

ثالثًا: علاقة حضرموت بالدولة الطاهرية

تنسب الدولة الطاهرية لطاهر بن تاج الدين بن مُعوّضة اليمني، تمكن أبناؤه من تأسيس دولتهم الطاهرية في اليمن سنة ٨٥٨هـ، على أنقاض دولة بني رسول استمرت أكثر من سبعين سنة، لتنتهي قبيل دخول الأتراك العثمانيين إلى اليمن سنة ٩٣٣هـ[٣].

وينتسب بنو طاهر إلى الفرع الأموي من قريش، ويتضح أن انتساب بني طاهر إلى بني أمية أو إلى قبائل القرشية اليمنية لا يقوم على أساس؛ إذ لم يرد ذكر بني طاهر في المصادر العربية إلا ابتداء من القرن التاسع الهجري(الخامس عشر الميلادي)، أي عند بدء دخولهم في خدمة بني رسول، وأيًّا ما كان الأمر، فإن بني طاهر يمنيون، اشتغلوا بالزراعة والتجارة[٤].

وتعتبر دولة بني طاهر - في حقيقتها - امتدادًا لدولة بني رسول وذلك أن الطاهريين استغلوا كونهم نوابًا للرسوليين، وانتهزوا حالة الضعف والانقسام التي مرت بها الدولة الرسولية في منتصف القرن التاسع الهجري(الخامس عشر الميلادي)، ونجحوا في تأسيس دولتهم سنة ٨٥٨هـ- ١٤٥٤م[٥]، فعندما بدأ الضعف والوهن يدب في أركان الدولة الرسولية، وحدث فيها الفساد وعدم الاستقرار، استنجد الأهالي ببني طاهر عمال بني رسول، فتقدم عامر بن طاهر

(١) بنو رسول وبنو طاهر، عبد العال، ص ٢٥٩.

(٢) غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة - مصر، ط١، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، ص ٥٩١.

(٣) انظر: إدام القوت، السقاف، ص ٨٣.

(٤) انظر: بنو رسول وبنو طاهر، عبد العال، ص ٢٤٧.

(٥) المصدر نفسه، ص٢٤٥.

وتمكن من دخول زبيد وبعض المدن المجاورة دون قتال، وتمكن من الاستئثار بالسلطة[١].

وفي عهد الدولة الطاهرية كانت كندة تحكم الشحر بعد أن استولت عليها من آل كثير، وكان حاكمها سعيد بن مبارك بادجانة الكندي، وقد حاول دخول عدن، لكنه فشل فشلًا ذريعًا، فقد طلب أهل عدن من السلطان عامر بن طاهر المدد فجاء بعسكره، فجرت بينهم الحرب، ووقع الأمير الكندي في أسر بني طاهر[٢]، وظل أسيرًا إلى أن جاءت والدته - حيث كانت تنوب عنه في حكم الشحر وهي أول حضرمية تولت حكم الشحر- إلى السلطان الطاهري، وعرضت عليه تسليم المدينة مقابل إطلاق سراح ابنها، وبذلك أصبحت الشحر ولاية تابعة لحكم بني طاهر منذ عام ٨٦٣هـ- ١٤٥٨م[٣].

غير أن الأمور لم تستقر لبني طاهر، فقد حدث عام ٨٦٦هـ - ١٤٦١م أن ثار أهالي حضرموت والشحر وخرجوا عن طاعتهم، وانتزعوا الولاية من نائبهم[٤]، غير أن السلطان عامر تمكن من السيطرة على الشحر وما جاورها من حضرموت، ودخل الأهالي في طاعة بني طاهر، وألزم (السلطان الكثيري) بمعاونة نائبه على الشحر[٥]، وكان ذلك بداية حكم الكثيريين على حضرموت[٦].

غير أن الأمور لم تستقر كثيرًا لبني كثير في حكمهم لحضرموت، حيث تمكن سعد بن مبارك بادجانة من السيطرة عليها مرة أخرى عام ٨٩٤هـ- ١٤٨٨م[٧]، واستمر حكمهم إلى

---

(١) بنو رسول وبنو طاهر، عبد العال، ص ٢٥٩.

(٢) انظر: تاريخ حضرموت، البكري، ١/ ١٢٠.

(٣) انظر: غاية الأماني، يحيى بن القاسم، ص ٥٩١.

(٤) الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، أبو ضياء عبد الرحمن بن علي بن الديبع، تحقيق: يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء - اليمن، ط ١٩٨٣م، ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٥) تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة، سالم بن محمد بن سالم بن حميد الكندي، تحقيق: عبد الله الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء - اليمن، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص ١٤٩، وتاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق: محمد عبد الله الحبشي، طبع على نفقة الشيخ الوجيه: محفوظ سالم شماخ، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ص ٢٠٥.

(٦) جواهر تاريخ الأحقاف، محمد بن علي بن عوض، مراجعة وتقديم: حسن جاد حسن، تصحيح: محمد الدبوي، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة - مصر، ط ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م، ص ١٦١.

(٧) تاريخ حضرموت، ابن شنبل، ص ٢٠٦.

القرن العاشر الهجري، وخلال تلك الفترة ظلت المدينة معرضة للهجوم الكثيري، حيث ساءت الأحوال وفُقد الأمن، فانتهز السلطان جعفر الكثيري الفرصة وتوجه على رأس جيش نحو الشحر وحاصرها عام ٩٠٠هـ- ١٤٩٤م، وانتهت المواجهة بانتصار السلطان الكثيري وتسليم أبو دجانة للشحر صلحًا[١].

المبحث الثالث

بدايات تأسيس السلطنة الكثيرية الأولى

آل كثير أعظم قبائل همدان، وأشدها قوة وأشرفها مقامًا وأعزها رجالًا، وهم قبائل كآل عامر ومنهم آل عبدات وآل كُدّه وآل عبد العزيز وغيرهم[٢]، وينتسب آل كثير إلى همدان وكان موطنهم الغيظة(عاصمة محافظة المهرة حاليًا)، وكان ميلاد الدولة الكثيرية في أواخر القرن الثامن الهجري سنة ٧٨١هـ على يد أبناء جعفر بن بدر بن محمد بن علي بن عمر بن كثير الأول، وفي هذه الفترة كانت ولادة مؤسس الدولة الكثيرية وعميدها وهو علي بن عمر بن جعفر بن بدر الكثيري، وهو أول من حول القبيلة الكثيرية إلى دولة منظمة، وأول من نصّب سلطان على حضرموت، وُلد ببلدة بور، واتصل بالشيخ علي بن عمر باعباد وغيرهم من رجال الصلاح، وغادر بور عام ٨١٤هـ للاستيلاء على ظفار، وقد وقف معه أهل العلم والصلاح في حضرموت ومكّنوه من الاستيلاء عليها، وقد استولى على ظفار وظلت تحت حكم الدولة الكثيرية الأولى التي أفل نجمها سنة ١١٣٠هـ[٣].

ومن أشهر سلاطين الدولة الكثيرية الأولى: السلطان بدر بن عبد الله بن علي بن عمر ولد سنة ٨٤٠هـ، وتولى السلطنة بعد أخيه محمد سنة ٨٥٥هـ، وقد تمردت عليه تريم سنة ٨٦٨هـ، فحاصرها حتى دخلها واستولى عليها سنة ٨٨٩هـ بعد كرّ وفرّ، واستولى على الشحر سنة ٨٦٧هـ، وتوفي بشبام سنة ٨٩٤هـ[٤].

بدأ تحرك بني كثير في محاولة تأسيس دولتهم منذ أواخر القرن السادس الهجري، وكانت

(١) انظر: المصدر نفسه، ص ٢١٢.
(٢) انظر: تاريخ حضرموت، البكري، ١/ ١١٤.
(٣) انظر: حضرموت تاريخ الدولة الكثيرية، بن هاشم، ص ٢٤ - ٢٥، بتصرف.
(٤) المصدر نفسه، ص ٢٥.

حضرموت خلال تلك الفترة ساحة صراع على السلطة بين آل راشد بن أقيال، وآل يماني بن الأعلم، ورجال الغُز وهم الهاجمون من العساكر المصرية وجيوش بن مهدي اليمني وغيرهما من العشائر الوطنية من نهد وبني حارثة وبني حرام[1]، وفي ذلك الوقت العصيب رأى بنو كثير أن يضربوا لأنفسهم بسهم مستقل في مشروع العراك السياسي، وأن يكوّنوا لأنفسهم كيانًا وطيدًا ورأيًا عامًّا[2]، ففي سنة ٥٧٥هـ غزا رجال الغز غزواتهم العنيفة على حضرموت ودخلوا تريم بقيادة أميرهم عثمان بن علي الزنجبيلي، بعد قتال شديد مع سلاطينها آل راشد، وليس بنو كثير يومئذ إلا عصابة خاملة من أضعف العصابات الوطنية، إلا أنه لم ينصرم القرن السادس إلا وقد بدأت سلالة (كثير) تتمركز بمركز جذاب، لاسيما وأن بني كثير كان لهم بلدة الغيظة وهي ثغر بحري، وقد استطاع بنو كثير إقناع الناس بضرورة وجود كتلة وطنية تقبض على ناصية البلاد وتقوم بإصلاحها على أسس وقوانين دولية نظامية تنقذ الوطن من تلك الفتن[3].

وكانت حضرموت في فترة حكم آل راشد عُرضة للمنازعات والغزو من عدة جهات، ففي سنة ٦١٤هـ أقبل عمر بن مهدي اليمني يقود جيوشًا كثيفة واستولى على الشحر ثم تريم وشبام، ثم تصفو له حضرموت كلها سنة ٦١٧هـ، ومع ذلك لم تستقر له البلاد تمامًا، واستمرت الحالة هكذا وبنو راشد يبذلون المجهودات العظيمة في استرجاع البلاد[4]، وهنا برزت شخصية الكثيريين في إنقاذ البلاد من تلك الهجمات، وساعدها على هذا النجاح اتصالها بذوي السلطة الروحية في الشعب وتفانيها في حب رجال الصلاح والتقوى ولا ريب أن لهذ الاتصال الروحي أثره الفعال في الاتجاهات السياسية التي سلكها الكثيريون في ذلك الجيل[5]، وظلت المدائن والقرى تتنقل من بني يماني إلى راشد إلى بني حارثة إلى بني سعد إلى بني حرام إلى بني ظنة إلى غيرهم من تلك الأقوام

(١) انظر: الدولة الكثيرية متى تأسست ومتى انتهت، منتدى التراث الشعبي للمهتمين بالتراث العربي والعالمي، موقع منتديات كور العوالق، www.alkoor.com.

(٢) حضرموت تاريخ الدولة الكثيرية، بن هاشم، ص ٢.

(٣) انظر: المصدر نفسه، بتصرف.

(٤) انظر: حضرموت تاريخ الدولة الكثيرية، بن هاشم، ص٤.

(٥) المصدر نفسه، ص ٥، ٧.

المتناحرة، وفي سنة ٦٣١هـ ثار بنو حرام على الكثيريين في حضرموت حتى وصلوا إلى عينات، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل، وفي عهد الدولة الكثيرية نبغ سالم بن إدريس الحبوظي الحضرمي، وكان أمير ظفار وقد استولى على مدينة شبام سنة ٦٨٣هـ، وطفق يستولي على قرى حضرموت قرية قرية، وتولى آل كثير إدارية العسكرية الحبوظية، ومات في ذلك الوقت علي بن عمر بن كثير الأول سنة ٦٧٥هـ، ومكث الحبوظي يطوف بالبلدان التي احتلها بحضرموت، وعاد إلى ظفار سنة ٦٧٨هـ، حيث جهز الملك المظفر عليها جيشًا ففتحوها وقتلوا سلطانها الحبوظي، وبقتل الحبوظي تنفست حضرموت الصعداء، وتشبثت بنو كثير بما بين أيديهم من القرى، وضاعفوا جهودهم للاستيلاء على البلاد، وكان آل اليماني يحكمون تريم، إلا أنه حصلت منازعات بين أسرة آل اليماني على الحكم وبقيت دولتهم بين الحياة والموت، وبقية هكذا حتى أخذها بدر أبو طويرق الكثيري سنة ٩٢٧هـ(١).

وقد طمح آل كثير إلى الملك وسعوا إليه من قديم ولكنهم لم يستطيعوا إلى ذلك سبيلًا؛ إذ كانت كندة باسطة ذراعيها على الأحقاف، ولما بدأت كندة تنكمش وتتقلص حينما اعتراها الوهن، هبَّ آل كثير وسعوا وراء الملك سعيًا حثيثًا حتى نالوه، ولكن كان ملكهم ينبسط مرة ويتقلص أخرى لتخاصمهم وتنازعهم فيما بينهم، وفيما بين غيرهم من المنافسين(٢). حتى إذا كانت سنة ٧٨٦هـ جمع آل كثير كلمتهم ووحدوا صفوفهم واستولوا على الشحر، واشتهر منهم فيها السلطان بدر بن محمد الكثيري، فحكم فيهم بالعدل وانتشر الأمن، ولكن من سوء الحظ أن قبائل آل كثير في حضرموت الوسطى عادت إلى ما كانت عليه من التنازع والتخاصم والتناحر، بالرغم من المساعي التي سعى إليها السلطان بدر لإصلاح ذات البين(٣)، فانتهز الملك الكندي سعيد بن مبارك بادجانة الفرصة، وجهز جيشًا للاستيلاء على الشحر، وبالفعل تم له ذلك سنة ٨٣٨ه، ولم يتمكن السلطان بدر الكثيري من الدفاع عنها لخذلان قبائل آل كثير له؛ إذ ليس لديه من الجيش ما يوازي جيش الكندي(٤).

(١) انظر: حضرموت تاريخ الدولة الكثيرية، بن هاشم، ص ٧ - ١٤، بتصرف.
(٢) انظر: تاريخ حضرموت السياسي، البكري، ١/ ١٥.
(٣) انظر: تاريخ حضرموت، الحامد، ٢/ ٥٦٤.
(٤) انظر: تاريخ حضرموت السياسي، البكري، ١/ ١١٦.

تولى المقدام سعيد بن مبارك بادجانة الكندي حكم الشحر(وكان ذلك في عهد الدولة الطاهرية)، كان بعضًا من آل كثير اضطروا للهجرة إلى الخارج للارتزاق وكان في مقدمة هؤلاء المهاجرين جعفر بن عبد الله بن علي بن عمر الكثيري، فقد اتخذ ظفارًا مركزًا لتجارته وأصبح من أرباب المال، ولم يرض أن تبقى الشحر في يد كندة وتحت سلطتها لذلك باع جميع أملاكه في ظفار وسافر هو وابنه عبد الله إلى حضرموت[1]، فسعى أولا لإصلاح قومه وإزالة ما حدث بينهم من اختلاف وشقاق، فاستطاع أن يجمع كلمتهم ويوحد صفوفهم ثم كون منهم جيشًا وسار به إلى الشحر وهجم عليهم بدون سابق إنذار فاستولى عليها دون أي مقاومة وذلك سنة ٩٠١هـ، وظل يحكم الشحر مدة من الزمن، ثم ولّى ابنه عبد الله الأمر، وسار هو إلى شبام، فصار آل كثير بفضله متحدين مترابطين إلى أن توفي سنة ٩٠٥هـ، وتوالى الأبناء على الحكم من بعده[2].

ومن أشهر سلاطين هذه الدولة أيضا بدر الملقب بأبي طويرق(بن عبد الله بن جعفر ابن عبدالله بن علي بن عمر بن جعفر بن بدر بن محمد بن علي بن عمر بن كثير بن همدان)، وينتهي نسبه إلى يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام[3].

وقد امتد سلطان بدر بن طويرق الكثيري إلى العوالق غربًا وسيحوت شرقًا والسواحل الجنوبية جنوبًا، والرمال شمالًا، وقد طالت مدة ولايته وحكمه، وفي حروبه للاستيلاء على حضرموت تحالف مع الأتراك، فقد رأى أن القوى التي لديه غير كافيه لمكافحة المشاكل السياسية المحيطة به، وأن الثقة المتبادلة بينه وبين عسكره من الحضارم غير وطيدة، والروح العسكرية بين جنده خامدة هامدة، فأمده الأتراك بجيش عام ٩٢٦هـ، بقيادة شخص يسمى رجب التركي، حيث استولى على شبام وتريم وهينن، وأمر أن تضرب باسمه النقود الفضية[4].

وظل السلطان بدر يخرج من تمرد عليه إلى تمرد آخر حتى قبض عليه ابنه عبد الله بن بدر سنة ٩٧٦هـ، وحبسه في بعض حجرات قصره بسيئون، ثم نقل إلى حصن مريمة ثم أعيد إلى

---

(١) انظر: المصدر نفسه، ١/ ١٢٤.

(٢) انظر: تاريخ حضرموت، ابن شنبل، ص٢١٢.

(٣) حضرموت تاريخ الدولة الكثيرية، بن هاشم، ص ٢٥.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ص ٢٤، ٢٥، ٣٧، بتصرف.

سيؤن، حيث أدركته الوفاة سنة ٩٧٧هـ وعمره ٧٥ عامًا[١].

وقد انتهت الدولة الكثيرية الأولى بنهاية السلطان جعفر بن عمر بن جعفر بن علي بن عبد الله بن عمر بن بدر أبي طويرق في أجواء عام ١١٤٣هـ[٢].

الخاتمة

يتضح من كل ماسبق أن تاريخ حضرموت كان حافلًا بالأحداث السياسية الهامة التي تحتاج إلى الدراسة الجادة، وبعد العرض السابق لبحث (التطورات السياسية في حضرموت) تظهر النتائج الآتية:

- قامت في حضرموت دويلات ومدن عدة، نشأت فيها الحضارة والعمران، ووجد فيها العلماء، وكان لكل منها نظام حكم، وجميع الأحكام في الغالب تصدر بحسب العرف.
- بالرغم من صغر القطر الحضرمي، فقد كانت هناك رئاسات قبلية في الحواضر والبوادي كل منها مستقلة عن الأخرى في أمور معاشها وحكمها.
- تأثر الوضع السياسي في حضرموت خلال الفترة (من القرن السادس إلى التاسع الهجريين) بالوضع في الخارج حيث الدولة الطاهرية والرسولية ومن قبلهم الأيوبية في اليمن.
- مرت حضرموت خلال هذه الفترة بحروب أهلية سُفكت فيها الدماء، وانتُهبت الأموال، وسيطرت القبائل على العديد من المناطق.
- بذل السلطان بدر الكثيري في سبيل إقامة دولة كثيرية قوية في حضرموت، وعمل جاهدًا على توحيد أركان دولته والقضاء على الفتن والثورات الداخلية سواء من القبائل المجاورة له، أو من أفراد الأسرة الكثيرية ذاتها للتنافس على الحكم.
- لم تكن حضرموت عرضة للخطر الخارجي فحسب، بل كانت عرضة أيضًا للأطماع الداخلية فيها، وقد أرجع بعض المؤرخين أسباب تلك الثورات على السلطان بدر إلى عوامل عدة من أهمها: اعتماد السلطان في تشكيل جيشه الجديد على عناصر غير

(١) المصدر نفسه، ص ٢٥.

(٢) انظر: الدولة الكثيرية متى تأسست ومتى انتهت، منتدى التراث الشعبي.

حضرمية كالأفارقة، وبعض من قبائل اليمن وغيرهم، وعزا بعض المؤرخين ذلك إلى تخاذل جنده من الحضارم، وأن القوى التي لديه كانت غير كافية لحل المشاكل السياسية المحيطة به.

- سوء الأوضاع الداخلية والصراعات المستمرة على السلطة كانت تعيق التكاتف والتوحد لمواجهة الخطر الخارجي المتزايد، وهذا ما يبرر لجوء السلطان بدر إلى طلب مساعدة الأتراك(العثمانيين)، وقد أثبتت الوقائع بأنه لم يكن مخطئًا في سياسته تلك، إذ أن المنطقة كانت في حاجة إلى قوة عظمى تساعده وتمد يد العون للبلاد.
- أرجع بعض المؤرخين سبب عزل السلطان بدر من قبل ابنه عبد الله، إلى عدم اهتمام السلطان بدر بتوسيع نطاق حكمه، واعترافه بطاعة العثمانيين، إلا أن ذلك الاعتراف بالولاء والطاعة كان اعترافًا اسميًا فقط، فهو لم يؤثر على استقلال الدولة الكثيرية، كما أن العثمانيين لم يتدخلوا في شؤونها الداخلية.

التوصيات والمقترحات:

- مازال تاريخ حضرموت السياسي يشوبه بعض الغموض، فيحتاج إلى بحث ودراسة دقيقة جادة للوصول إلى نتائج سليمة.
- ضرورة أن يأخذ موضوع تاريخ حضرموت السياسي اهتمامًا أكبر في موضوعات رسائل الماجستير والدكتوراه في جامعاتنا.
- إقامة الندوات والمؤتمرات، بهدف إحياء التراث الحضرمي، والتعرف على الدور الريادي للبلاد خلال تلك الحقبة من الزمان.
- طباعة أبحاث الندوات والمنتديات والمؤتمرات في كتب وطرحها إلى الأسواق للبيع، للاستفادة منها.
- استمرار عقد المؤتمرات، والندوات العلمية المتخصصة، وطرحها بشكل موسع لتكون المشاركات من دول العالم، وعدم قصرها على المستوى المحلي.

فهرس المصادر والمراجع

١/ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي، مكتبة خياط، بيروت - لبنان، ١٩٠٦م.

٢/ إدام القُوت في ذكر بلدان حضرموت(معجم جغرافي - تاريخي - أدبي - اجتماعي)، السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، دار المنهاج، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.

٣/ إدراك الفوت في ذكر قبائل حضرموت، علي بن محمد عبد الله باخيل آل بابطين النَّوَّحي، ١٤١٥هـ.

٤/ البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، عماد الدين أبو حامد محمد بن محمد الأصفهاني، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٥/ بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما، محمد عبد العال أحمد، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية - مصر، ١٩٨٩م.

٦/ بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني، تحقيق: مصطفى حجازي، دار الكلمة، صنعاء - اليمن، ط١، ١٩٨٥م.

٧/ تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة، د. محمد سهيل طقّوش، دار النفائس، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٨/ تاريخ حضرموت السياسي، صلاح البكري اليافعي، المطبعة السلفية، ط١، ١٣٤٥هـ.

٩/ تاريخ حضرموت، صالح الحامد، مكتبة الإرشاد، جدة - السعودية، ط١، ١٣٨٨هـ- ١٩٨٦م.

١٠/ تاريخ حضرموت المسمى بالعُدَّة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة، سالم بن محمد بن سالم بن حميد الكندي، تحقيق: عبد الله الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء - اليمن، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

١١/ تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق: محمد عبد الله الحبشي، طبع على نفقة الشيخ الوجيه: محفوظ سالم شماخ، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

١٢/ تاريخ اليمن السياسي، محمد يحيى الحداد، دار الهنا للطباعة، ط٣، ١٩٦٧م.
١٣/ جواهر تاريخ الأحقاف، محمد بن علي بن عوض، مراجعة وتقديم: حسن جاد حسن، تصحيح: محمد الدبوي، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة - مصر، ط ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م.
١٤/ حضرموت تاريخ الدولة الكثيرية، محمد بن هاشم، أشرف على طبعه محمد بن الجفري، طبع على نفقة الخاصة السلطانية، ط ١٣٦٧هـ- ١٩٨٣م.
١٥/ حضرموت عبر أربعة عشر قرنا، سقاف علي الكاف، مكتبة أسامة، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
١٦/ حضرموت فصول في التاريخ والثقافة، محمد أبو بكر حميد، جمعية أصدقاء علي أحمد باكثير الثقافية، القاهرة - مصر، ط ١٤٢٠هـ.
١٧/ دولة بني أيوب في اليمن، محمد عبد العال أحمد، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الاسكندرية - مصر، ١٩٦٨م.
١٨/ الدولة الكثيرية متى تأسست ومتى انتهت، منتدى التراث الشعبي للمهتمين بالتراث العربي والعالمي، موقع منتديات كور العوالق، www.alkoor.com.
١٩/ روضة الأخبار ونزهة الأسمار في حوادث اليمن الكبار والحصون والأمصار، عماد الدين بن إدريس بن الأنف القرمطي، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي الحميري، صنعاء - اليمن، دار المعرفة، ط ١٩٩٥م.
٢٠/ صفة جزيرة العرب، ابن الحائك أبو محمد بن أحمد بن يعقوب الشهير بالهمداني.
٢١/ غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة - مصر، ط١، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨مم.
٢٢/ الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، أبو ضياء عبد الرحمن بن علي ابن الديبع، تحقيق: يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء - اليمن، ط١، ١٩٨٣م.
٢٣/ قلب اليمن، محمد حسن، بغداد - العراق، ١٩٤٧م.
٢٤/ مجموع بلدان اليمن وقبائلها، محمد بن أحمد الحجري، تحقيق: إسماعيل بن علي الأكوع، دار الحكمة اليمانية، صنعاء - اليمن، ط٢، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٢٥/ معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار الفكر، بيروت - لبنان.
٢٦/ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري، تحقيق: مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة - مصر، ١٣٦٨هـ- ١٩٤٩م.
٢٧/ المقتطف من تاريخ اليمن، عبد الله بن عبد الكريم الجرافي، تقديم: إلياس عبود، مؤسسة دار الكتاب، ط٢، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٤م.
٢٨/ موانئ ساحل حضرموت، خالد سالم باوزير، مكتبة دار المعرفة، ط١، ١٩٩٦م.
٢٩/ موسوعة التاريخ الإسلامي، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة - مصر، ط٦، ١٩٩٨م.
٣٠/ اليمن وحضارة العرب مع دراسة جغرافية كاملة، عدنان ترسيسي، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان.

العلاقة السياسية بين حضرموت والدولة المركزية (٥٦٩ - ٩٤٥ هـ)

أ. أفراح الحميقاني
كلية الآداب جامعة عدن

المقدمة:

إن الدارس لتاريخ حضرموت في عصر الدول (الأيوبية - الرسولية - الطاهرية) يدرك الدور الكبير الذي قامت به هذه الدول منذ قيامها وحتى سقوطها في محاولاتها لإخضاع حضرموت، ومع أن هذه الدول استطاعت بسط نفوذها وسيادتها على حضرموت لبعض الوقت، إلا أن حضرموت كانت تخرج عن طاعتها وتتطلع إلى الاستقلالية عنها.

ومن هذا المنطلق جاءت فكرة هذه الدراسة لتسلط الضوء على فترة مهمة من التاريخ السياسي لحضرموت لكشف العلاقة السياسية بين حضرموت والدولة المركزية.

أوضاع اليمن السياسية قبل الفتح الأيوبي:

كانت اليمن مفككة سياسيًّا، فظهرت فيها وحدات سياسية متعددة، مختلفة فيما بينها مذهبيًّا ومختلفة سياسيًّا ومتحاربة عسكريًّا، فكان بنو زريع وهم إسماعيلية (فاطميون) يحكمون عدن ولحج وأبين وبعض مناطق تعز ووصلوا إلى حكم مناطق كثيرة من اليمن، وكذلك وجد بنو مهدي وهم خوارج، فقد حكموا تهامة وبعض مناطق من تعز، وكذلك حكم الشريف قاسم بن غانم بن وهاس المخلاف السليماني، وأيضًا وجد حكم الأئمة الزيديين وكان في ذلك الوقت الإمام الزيدي أحمد بن سليمان في صعدة والجوف وما حولها[(١)]، وكانت هذه الوحدات السياسية أو الدويلات في حالة تناحر وحرب دائمة فيما بينهما خاصة دولة بني مهدي الذي حاول التوسع على حساب بني زريع وبن جنب وبن حاتم الذي كونوا تحالفًا قبليًّا ضد ابن المهدي، فنجحوا في هزيمته، بينما تأرجحت العلاقة بين الإمام الزيدي وبني حاتم فتارة تحدث مصالحات وتارة تحدث حروب.

---

(١) يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تح: سعيد عبدالفتاح عاشور، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٨هـ، ١٩٨٦م، ص ٣١٦.

أسباب الفتح الأيوبي لليمن:[1]

نعتقد أن هناك سببين مهمين للفتح الأيوبي لليمن وهما:

١- فكرة إقامة الدولة الإسلامية الواحدة التي يتطلع لها صلاح الدين الأيوبي لمواجهة الأخطار المحدقة بالأمة الإسلامية آنذاك وخاصة (الخطر الصليبي والمغولي).

٢- فكرة توحيد الجبهة الإسلامية: توحيد المسلمين في دولة إسلامية واحدة سياسيًّا ومذهبيًّا لمجابهة خطر الحملات الصليبية في ذلك الوقت، وإزالة كل المذاهب المخالفة للخلافة العباسية ذات المذهب السني؛ فعمل كلٌّ من نور الدين محمود زنكي، وصلاح الدين دورًا مهمًّا في توحيد الجبهة الإسلامية وفتح البلدان العربية والإسلامية وإخضاعها لحكمه.

٣- طلب الشريف (قاسم بن غانم السليماني) من صلاح الدين مساعدته في تخليص بلاد اليمن من (ابن المهدي) الخارجي العقيدة.

٤- اعتقاد الأيوبيين بأنهم ورثوا ملك الفاطميين وكان من ضمن ملك الفاطميين اليمن التي ظلت ترضخ للتبعية للفاطميين ممثلة بالدولة المركزية الصليحية ذات المذهب الإسماعيلي.

أصل الأيوبيين:

يرجع أصل الأيوبيين إلى الأكراد، وهم قوم غير عرب، وهم متفرقون في الشام والعراق وإيران وآسيا الوسطى، ومن أكراد العراق بنو أيوب وأصلهم من أذربيجان. إنما الغز الذين أحضرهم الأيوبيون فأغلب الرأي أنهم أتراك[2].

قيام الدولة الأيوبية:[3]

قامت الدولة الأيوبية في اليمن من عام ٥٦٩ هـ حتى ٦٢٦ هـ وكان مقر حكمهم زبيد

---

(١) لمعلومات أوفى عن أسباب الفتح ينظر كتاب: محمد عبدالعال، الأيوبيين في اليمن مع مدخل في تاريخ اليمن السياسي إلى عهدهم، الإسكندرية، الهيئة العامة للكتاب الإسكندرية، ١٩٨٠م.

(٢) الحداد، محمد يحيى، التاريخ العامر لليمن (التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي منذ بداية تاريخ اليمن القديم حتى العصر الراهن) اليمن في موكب الإسلام، ج٣، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص٥.

(٣) عن قيام الدولة الأيوبية يُنظر: الفقيه عصام الدين عبدالرؤوف، اليمن في ظل الإسلام منذ فجر قيامه حتى قيام دولة بني رسول، ط١، دار الفكر العربي، ١٩٨١م.

ومؤسس الدولة الأيوبية هو توران شاه.

وفيما يلي تسلسل ملوك بني أيوب الذين حكموا اليمن:

١- توران شاه بن أيوب (٥٦٩ - ٥٧٦هـ).

٢- طغتكين بن أيوب (٥٧٧ - ٥٩٣هـ).

٣- إسماعيل بن طغتكين (٥٩٣ - ٥٩٨هـ).

٤- أيوب بن طغتكين (٥٩٨ - ٦١١هـ)

٥- سليمان بن سعد الدين (٦١١-٦١٢هـ).

٦- المسعود يوسف (٦١٢ - ٦٢٦هـ).

عوامل قيام الدولة الأيوبية:

١- تعدد الإمارات المتناحرة والتي لا ترتبط مع بعضها البعض سياسيًّا ولا عقائديًّا.

٢- تأمين ممر بحري وذلك بالسيطرة على اليمن وسواحل البحر الأحمر والمحيط الهندي.

٣- الضعف الاقتصادي في اليمن ساعد الأيوبيين على دخول اليمن والتوسع فيها.

عوامل انهيار الدولة الأيوبية:

١- ضعف بعض ملوك بني أيوب خاصة الملك المسعود الذي انتهى به حكم الأيوبيين.

٢- كثرة الثورات والتمردات التي قامت في مناطق اليمن التي كانت تخضع للأيوبيين.

٣- الضرائب والمكوس المجحفة التي كان ملوك بني أيوب يفرضونها على اليمنيين.

٤- استقلال بعض النواب بما تحت أيديهم من الإقطاعات والانفصال عن الدولة الأيوبية.

٥- الصراعات داخل الأسرة الأيوبية على الحكم.

الدولة الرسولية:

وكان من أهم عوامل قيامها هو أن الملك المسعود يوسف بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، لما غادر اليمن للمرة الثانية والأخيرة إلى أبيه في الشام في سنة ٦٢٦هـ أناب عنه الأمير نور الدين عمر بن علي رسول على اليمن[1]، وقبل أن يغادر قد قبض على

(١) ابن حاتم، بدر الدين محمد، السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز في اليمن تح: ركس سميث، لندن، ١٩٧٤م، ص١٩٥، ولمعلومات عن الدولة الرسولية ينظر: الفيفي، محمد بن يحيى، الدولة

أخوته الأمراء بدر الدين حسن وفخر الدين أبوبكر وشرف الدين موسى، وأرسلهم مقيدين إلى مصر، وبذلك أصبح المجال متاحًا أمام الأمير نور الدين عمر للاستيلاء على الحكم في اليمن، وساعد على ذلك وفاة الملك المسعود في مكة قبل أن يصل إلى الشام، وقد شغل أخوته، عدة ولايات في عهد الملك المسعود الأيوبي، وتولى والدهم الأمير (شمس الدين علي بن رسول) في عهد طغتكين بن أيوب أعمال حيس في تهامة، ثم أعمال حصن حب في بعدان من أعمال إب إلى موته في عهد الناصر بن المعز طغتكين بن أيوب.

أصل الرسوليين:

يرجع نسلهم إلى التركمان[1]، لكي يُكسبوا حكمهم في اليمن الصفة الشرعية أشاعوا في بداية عهد الملك المظفر (يوسف بن عمر بن علي بن رسول) ثاني ملوك بني رسول أنهم من نسل (جبلة بن الأيهم) آخر ملوك الغساسنة اليمنيين، الذين نزحوا من اليمن بعد خراب سد مأرب وأقاموا لهم دولة على مشارف الشام، وأن إسلاف بني رسول نزحوا من الشام إلى التركمان، واختلطوا بقبائلهم وتعلموا لغتهم، وانقطعت أخبارهم عن العرب حتى نسبوا إلى التركمان، ولا دليل يثبت هذا الإدعاء الذي حاول الملك المظفر أن يدعمه في كتابه طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب[2].

قيام الدولة الرسولية:

قامت الدولة الرسولية سنة ٦٢٦هـ واستمرت في ٨٥٨هـ وكان مقر حكمهم تعز، مؤسس الدولة الرسولية هو نور الدين عمر بن علي رسول وأهم سلاطينها، وفيما يأتي سنوضح شجرة تسلسل حكام الرسوليين:

الرسولية في اليمن دراسة في أوضاعها السياسية الحضارية (٨٠٣ - ٨٢٧هـ) (١٤٠٠ - ١٤٢٢م) دار العربية للموسوعات، ط١، بيروت.

(١) التركمان: شعب تركي في بلاد التركستان والقوقاز بآسيا الصغرى.

(٢) الحداد، المرجع السابق، ص ٧٨ - ٧٩.

رسول

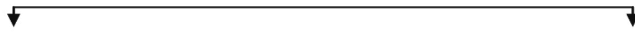
↓

علي

↓

١) المنصور عمر (الأول) (٦٢٦ ــ ٦٤٧هــ)

٢) المظفر يوسف (٦٤٧ ــ ٦٩٤هــ)



٤) المؤيد داؤود (٦٩٦ ــ ٧٢١هــ)   ٣) الأشرف عمر الثاني (٦٩٤ ــ ٦٢٦هــ)

٥) المجاهد علي (٧٢١ ــ ٧٦٤هــ)

٦) الأفضل العباس (٦٧٤ ــ ٧٧٨هــ)

٧) الأشرف إسماعيل الأول (٧٧٨ ــ ٨٠٣هــ)



المنصور عمر   ١١) الظاهر يحيى (٨٣١ ــ ٨٤٢هــ)   (٨) الناصر أحمد (٨٠٣ ــ ٨٢٧هــ)



١٣) المظفر يوسف (٨٤٥ ــ ٨٤٦هــ)   أحمد (١٢) الأشرف إسماعيل (٨٤٢ ــ ٨٤٥هــ)   (١٠) الأشرف إسماعيل الثاني (٨٤٢ ــ ٨٤٥هــ)   (٩) المنصور عبدالله (٨٢٧ ــ ٨٣٠هــ)

↓

المسعود

عوامل انهيار الدولة الرسولية:

١- الاضطرابات والفوضى الداخلية التي عمت في عهدهم، بسبب استكثار بني رسول للمماليك إلى جانب مماليك الدولة الأيوبية حتى صار المماليك يشغلون وظائف قيادية في الجيش والإدارة، حيث كان المماليك يثيرون الفتن والاضطرابات ويسلبون وينهبون، وصاروا يقرون السياسة بدلًا عن الطاهرين، فكانوا يعينون ملكًا، ويخلعون ملكًا.

٢- فقدان الثقة بين ملوك بني رسول واليمنيين وعدم اعتماد بني رسول على اليمنيين في المناصب القيادية في الدولة.

٣- الإقطاع الذي كانت تقطعه الدولة الرسولية لولاتها واستغلال الولاة لذلك في الانفصال عنها.

٤- الصراع والتناحر بين أمراء الأسرة الحاكمة، التي بدأت في المراحل الأخيرة من عصرها، مما مهد الطريق لآل طاهر للوصول للحكم.

٥- كثرة الضرائب والمكوس المفروضة على اليمنيين هذا أدى إلى انتفاض الكثير منهم ضد الدولة.

الأوضاع السياسية في اليمن قبل الدولة الطاهرية:

شهدت اليمن صراعات سياسية وذلك نتيجة ضعف الدولة المركزية (الرسولية) سياسيًّا وإداريًّا، فمثلًا في مناطق الزيديين كان الصراع على أشده بين الأئمة الزيدية أنفسهم، فكل منهم كان يدعي أحقيته بالإمامة والحكم دون الآخر، وكانت هناك معارك دامية بين الأئمة الزيدية، أما المناطق الخاضعة للحكم الرسولي، فقد شهدت العديد من الثورات، ففي سنة ٨٠٣ هـ في فترة حكم السلطان الناصر، زحف الإمام علي بن صلاح الدين على أراضي الدولة الرسولية لضمها تحت نفوذه، وحينها طلب الناصر من واليه عليها الشيخ علي بن طاهر تحريرها، لذلك خاض مشائخ بن طاهر حربًا مع الأئمة وأعوانهم من القبائل، رغم غياب المساندة المباشرة من قبل الرسوليين، أما في زبيد فكانت شديدة الاضطراب والتوتر، حيث زاد نفوذ العسكر المماليك حيث استغلوا الأمور وعملوا على دس المؤامرات بين الأمراء الرسوليين، أما في حضرموت، فكانت تعاني من فوضى سياسية واقتصادية واجتماعية، وتناحرت القبائل فيما بينهما، ويذكر بامطرف بقوله الربان سالم عوض باسباع الشحري عن

حال الشحر في كتابه (بهجة السمر في أخبار بندر سعاد المشتهر)، حيث قال: "السلاطين يتقاتلون ويتصالحون على أهل الشحر، وأهل الشحر مثل قطيع الغنم يفور فيها الذئاب وهي رابطة في مكانها، وكان ماشي يحصل، فسبحانه مقدر الأمور".[١]

وقد حكم بنو رسول الشحر منذ سنة ٦٧٧هـ حتى ٨٣٦هـ، حيث انتزعها منهم الأمير محمد بن سعيد بن مبارك بن فارس الكندي المكنَّى أبا دجانة حاكم حيريج[٢]. ثم تحولت إمارته إلى الشحر، وقد حاول الرسوليون استعادتها عدة مرات إلا أنهم فشلوا في ذلك. كانت القبائل في حضرموت تتصارع فيما بينهم، ومن تلك القبائل آل يماني[٣] الذي استولوا على تريم[٤]، وقبائل آل كثير[٥] الذين كانوا يدينون للسلطان سالم بن إدريس الحبوضي حاكم ظفار (عمان حاليًا) لمساندته لهم للوصول للسيطرة على حضرموت، ومنهم قبيلة آل أحمد، والصبرات، وآل ثعلب وغيرها من القبائل[٦].

وشهدت حضرموت حروبًا ضارية كان آل كثير طرفًا فيها في سبيل مد النفوذ والسيطرة، فكانت تقام تحالفات قبلية للحد من نفوذ آل كثير، ولم تخلف الحرب القائمة بين قبائل حضرموت سوى الدمار والخراب للقلاع والحصون، وإتلاف الزرع، وسلب للأموال والأنعام، وإراقة الدماء.

---

(١) بامطرف عبدالقادر محمد، الشهداء السبعة، دار الحرية للطباعة، مطبعة الجمهورية، بغداد، ١٩٧٤م، ص٢٤.

(٢) حيريج: قرية في وادي المسيلة ما بين الشحر وحضرموت من بلاد المعمر، وقد اندثرت ومن سكانها الاشعشيون، ويقصد التجار بندرها لنقل الكندر والصبغة إلى عدن وبربرة وغيرها، المقحفي، إبراهيم بن أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج١، دار الكلمة، صنعاء، المؤسسة الجامعية للدراسات الطباعية والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، ص٢٢٨-٢٢٩.

(٣) آل يماني، ينتمون إلى قبيلة بن حرام من بني ظنة التي يتفرع منها أيضًا المناهيل وآل تميم والمعاره، ونشأت منهم سلطنة آل يماني، بامطرف، الشهداء السبعة، ص٢٠.

(٤) تريم: مدينة قديمة لها شهرتها التاريخية في العلم، تقع في نهاية وادي حضرموت، شمال شرق سيئون بمسافة ٣٢كم، وأسست في القرن الرابع ق.م، وقيل في القرن الرابع الميلادي، وهي مركز إشعاع علمي وفكري وديني، المقحفي، مرجع سابق، ص ٢٢٨ - ٢٢٩.

(٥) آل كثير: هم من قبيلة بن حرام الشناقر التي تضم إلى جانبهم آل جابر وآل باجري والعوامر، وأسسوا كيانًا سياسيًّا قبليًّا في حضرموت عرف بالتاريخ الإسلامي بسلطنة آل كثير، بامطرف، نفس المرجع، ص ٢٠.

(٦) بامطرف، نفس المرجع، ص٢٦.

أصل الطاهريين:

انقسم المؤرخون والباحثون في أصل الطاهريين إلى قمسين:

قسم: يُرجع نسب الطاهريين إلى بني أمية من قريش، وأنهم من سلالة الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف القريشي، وصاحب هذا الرأي هو المؤرخ عبدالرحمن بن الديبع، إذ يذكر في تواريخ الدولة الطاهرية هذا النسب قائلًا " الشيخ الأجل شمس الدين بن علي ابن طاهر بن معوضة بن تاج الدين العمري"(١) وفي موضع آخر: يقول الملك المجاهد شمس الدين علي بن طاهر وأخيه الملك الظافر صلاح الدين عامر ابنا طاهر بن معوضة بن تاج الدين القريشي الأموي العمري(٢).

القسم الثاني: المؤرخ محمد بن علي الأكوع الذي أرجع نسبهم إلى أنهم يمنيون من قبيلة الذراحن الحميرية سكان منطقة جبن(٣)، بينما يرى آخرون أنهم ينتسبون إلى قبائل جبن المذحجية الكهلانية(٤).

قيام الدولة الطاهرية:(٥)

قامت الدولة الطاهرية من سنة ٨٥٨هـ حتى ٩٢٣هـ وكان مقر حكمهم في عدن ومؤسس الدولة الطاهرية الظافر عامر بن طاهر.

---

(١) ابن الدبيع، عبدالرحمن بن علي، قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، تح: محمد بن علي الأكوع، ج٢، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٧٧م، ص١٣٠.

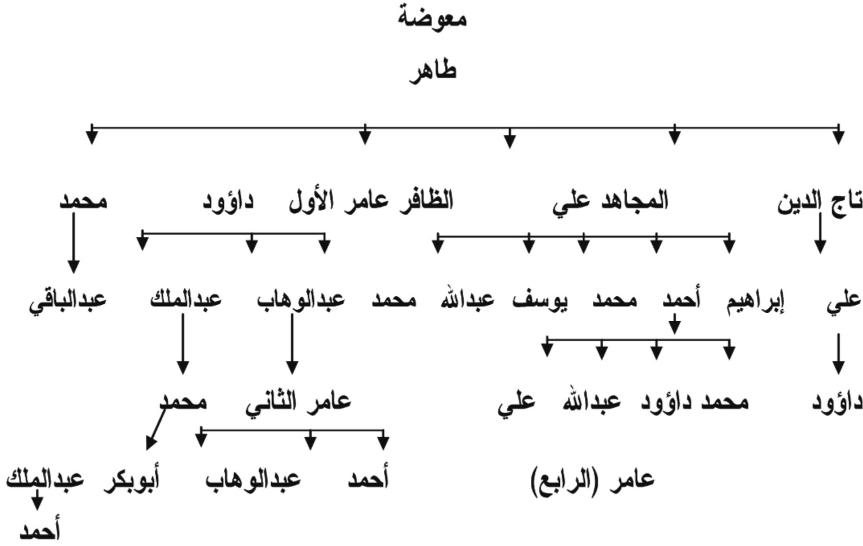
(٢) ابن الديبع، بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تح: عبدالله محمد الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٧٩م، ص١٢١.

(٣) جبن: مدينة جنوب غرب رداع بمسافة ٥٠كم، تقوم على هضبة تحيط بها الجبال من جميع الجهات، المقحفي، مرجع سابق، ج١، ص٢٨٦.

(٤) عبدالعال، محمد أحمد، بنو رسول وبنو طاهر وعلاقة اليمن الخارجية في عهدهما، الهيئة العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨٠م، ص٢٤٥.

(٥) لمعلومات أوفى عن قيام الدولة الطاهرية ينظر: فرحان، عباس علوي، عدن في عهد الطاهريين، ٨٥٨ - ٩٩٤/ ١٤٥٤-١٥٣٨م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة - جامعة صنعاء، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

وفيما يلي شجرة حكام الدولة الطاهرية:



وفيما يلي جدول يبين أسماء حكام الطاهريين في اليمن:

١- الظاهر عامر (الأول) بن طاهر بن معوض (٨٥٨ - ٨٧٠هـ).

٢- المجاهد علي بن طاهر بن معوضة (٨٧٠ - ٨٨٣هـ).

٣- المنصور عبدالوهاب بن داؤود (٨٨٣هـ - ٨٩٤هـ).

٤- الظافر عامر (الثاني بن عبدالوهاب(٨٩٤ - ٩٢٣هـ).

٥- شهاب الدين أحمد بن عامر (٩٢٣ - ٩٢٤هـ).

٦- الظافر عامر (الثالث) بن عبدالملك بن عبدالوهاب (٩٢٤هـ).

٧- محمد بن أحمد بن عامر (٩٢٤ - ٩٢٦هـ)

٨- عبدالملك بن محمد عبدالملك (٩٢٦ - ٩٣٣هـ).

٩- الظافر عامر (الرابع) بن داؤود (٩٣٣ - ٩٤٥هـ).

أسباب سقوط الدولة الطاهرية:

إن من أسباب سقوط الدولة الطاهرية عوامل داخلية وخارجية.

من العوامل الداخلية:

١- عدم استغلالهم فترة الصراع الدائر بين الأئمة الزيدية، في صنعاء وشمالها لصالحهم

ومحاولة استيلائهم على مناطق النفوذ الزيدي، وإخضاعها لحكمهم.

٢- السياسة التوسعية التي انتهجها بعض سلاطين بني طاهر، مما كلف خزانة الدولة الكثير من الأموال، الأمر الذي أدى في بعض الأحيان بسلاطين بني طاهر بالاستعانة بأموال الوقف الأمر الذي أدى إلى استنكار الفقهاء، حيث إن الإنفاق على الجيش استنزف ميزانية ضخمة.

٣- بروز نزاعات التملك بين أفراد الأسرة الطاهرية وتنافسهم على الحكم، أدى ذلك إلى التناحر فيما بينهم.

٤- كثرة الثورات والتمردات المتكررة من القبائل اليمنية لحكم الطاهريين الأمر الذي كلف الطاهريين، صرف الكثير من الأموال لإخضاع هذه التمردات، بإرسال الجيوش والحملات العسكرية.

٥- كثرة الضرائب والمكوس المفروضة على اليمنيين من قبل الدولة الطاهرية.

العوامل الخارجية:

١- لقد أدى اكتشاف رأس الرجاء الصالح على يد المستكشفين البرتغاليين، إلى بروز أزمة اقتصادية داخل الدولة الطاهرية، فقد أدى ذلك إلى نقص في إيرادات الدولة بسبب تحول طرق الملاحة العالمية،

٢- الصراع المملوكي البرتغالي وانعكاسه على اليمن، حيث أدى إلى محاولات غزو البرتغاليين لعدن عدة مرات وكذلك الشحر مما جعل المماليك يفكرون باحتلال اليمن وذلك بإرسال حملة للسيطرة على اليمن، لتأمين مصالحهم التجارية في منطقة البحر الأحمر، وقد استطاع المماليك نتيجة لتفوقهم العسكري، وأسلحتهم المتطورة مقارنة باليمنيين، احتلال اليمن بعد مقتل السلطان الظافر عامر الثاني في سنة ٩٢٣هـ.

والآن سنتحدث عن أهم الأحداث التي حصلت في حضرموت في ظل حكم الدول المركزية الثلاث (الأيوبية – الرسولية – الطاهرية) وكيف كانت علاقتها بهذه الدول.

أوضاع حضرموت قبل الأيوبيين:

إن الدولة الصليحية تمكنت من بسط نفوذها في كل أرجاء اليمن في ٤٥٥هـ، في عهد الداعي علي بن محمد الصليحي، وبذلك توحدت اليمن تحت حكمه وأصبحت كذلك

حضرموت والشحر ضمن ممتلكاته، فقد كانت حضرموت آخر ما استولى عليه الصليحي من بلاد اليمن بسبب بعدها الجغرافي، وكان ذلك بعد استيلائه على عدن واستخلافه بني معن عليها، فكانت حضرموت والشحر تحت سيطرتهم إضافة إلى أبين ولحج، ولم يحكم الصليحيون حكمًا مباشرًا، وإنما بقي بنو معن يحكمون نيابة عنهم، وكان النواب المحليون على الشحر وحضرموت، في عهد الصليحيين والدول اليمنية المتعاقبة على حكمها، يدفعون كل عام الإتاوات من الذهب والعنبر الأصلي، كنوع من أنواع الولاء والتبعية لتلك الدول، إلا أن تلك الدول لم تتدخل في التصرفات لأولئك النواب المحليين، كذلك لم تعمل على إصلاح الأوضاع القائمة في حضرموت ونواحيها، وقد حاول بنو معن أمراء عدن، الاستقلال والانفصال عن الدولة الصليحية خاصة بعد مقتل علي الصليحي مؤسس الدولة من قبل النجاحين في ٤٥٩هـ، ولكنهم فشلوا في ذلك وأصبحوا يحكمون شرق أبين وأحور وحضرموت فقط إلى أن انتهت دولتهم، وعين المكرم الصليحي ولديه العباس والمسعود على عدن وأعمالها وبذلك تأسست أسرة بني المكرم الحبشي اليامي الهمداني في ٤٧٦هـ[1].

وكانت حضرموت في ذلك الوقت مقسمة إلى ثلاث نواحي مستقلة هي:

١- تريم ٢- وشبام ٣- الشحر؛ فقامت في الناحية الأولى سلطنة آل قحطان ويطلق عليهم أيضًا آل راشد، ويعرف دورهم السياسي في حضرموت.

أوضاع حضرموت في ظل الدولة الأيوبية:

استولى الأيوبيون على اليمن في سنة ٥٦٩هـ بقيادة توران شاه، وولى توران شاه عثمان الزنجباري[2] نائبًا له على عدن وأعمالها في ٥٧٠هـ حتى ٥٧٩هـ وقد طمع عثمان الزنجباري

---

(١) السروري، محمد عبده محمد، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عصر الدويلات المستقلة من سنة ٤٢٩هـ ١٠٣٧م، إلى ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، ط١، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص١٨٢ -١٨٣.

(٢) يقال إنه عمر بن عثمان، ابن المجاور، جمال الدين أبو الفتوح يوسف الدمشقي صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المعروف بتاريخ المستبصر، اعتنى بتصحيحه أوسكر لوفجرين، ط٢، بيروت، منشورات المدينة، ١٤٠٧ه/ ١٩٩٨م، ص١٣؛ ابن القوطي، عبدالرزاق بن تاج الدين، ترخيص مجمع الآداب في مجمع الألقاب، تح: مصطفى جواد، ج٤، ق١، المطبعة الهاشمية، دمشق ١٩٦٢ م، ص٢٣٦.

في السيطرة على حضرموت وأعد حملة لذلك في ٥٧٥هـ، انطلقت من عدن وكانت تتكون الحملة من سبع سفن حربية، وكانت حملتها تتكون من الأيوبيين واليمنيين المناصرين له وكذلك من الغز[١] وصل الزنجباري أولًا إلى الشحر فاحتلها، ثم زحف بجيشه إلى الداخل فاعترضته قوة عسكرية من الحضارمة بقيادة راشد بن شجعنة، ومعه أبو الرشيد بن راشد بن أحمد عند غيل باوزير قرب تريم، فدارت بينهما مناوشات قتالية أسفرت عن تقدم عثمان الزنجباري ودخل مدينة تريم، وقبض على عبدالله بن راشد وأخيه أحمد وابن أخيه أبي أحمد بن شجعنه بن راشد، ثم نقلهم إلى عدن، وبعد إكمال سيطرة الزنجباري على حضرموت عين أخاه الأسود أو سويدًا نائبًا له في حضرموت وأبقى على آل راشد في ملكهم بشرط أن يدفعوا إليه الخراج السنوي وينفذوا أوامره.

وكان الهدف من أخذ الرهائن هو إجبار أهل حضرموت على الطاعة وعدم الخروج عليه، وقد عاد الزنجباري إلى عدن، وقد قام آل راشد بإعلان استقلالهم عن الزنجباري، فأرسل إليهم جيشًا بقيادة أخيه سويد، فسار إليهم برًّا عبر طريق أحور، ودخل الجيش تريم وقتل فيها كثيرًا من علمائها الذين حرضوا آل راشد على خلع الطاعة، وقبض الزنجباري على عبدالله بن راشد وأخيه أحمد سنة ٥٧٥هـ وحملهما إلى عدن، ثم ألقى القبض على أبيه وأخيه شجعنة في سنة ٥٧٦هـ بالدور الراشدي[٢]، وكان أول حكامها قحطان بن العوم بن أحمد المري الحميري الحضرمي ومركزهم تريم.

وفي مدينة شبام قامت سلطنة آل الدغار، وأولهم الدغار بن أحمد بن أبي العلاء بن مرادس الحضرمي.

وفي مدية الشحر قامت سلطنة آل فارس وكان أول سلاطينها عبدالباقي بن فارس ابن راشد بن إقبال الكندي الحضرمي، وكانوا يعرفون أيضًا بآل إقبال.

---

(١) هو نوع من الجنس التركي، الشاطري، محمد بن أحمد بن عامر، أدوار التاريخ الحضرمي، ج١، ط٢، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ص ١٧٧.

(٢) يبدأ هذا الدور من ٤٠٠ – ٧٠٠ هـ تقريبًا، وهو منسوب إلى السلطة الراشدية التي أسسها آل راشد وهم أسرة من بني قحطان إحدى القبائل الحميرية، فهو المراد حين ينسبون إليه، لا إلى قحطان الأول وإن كان مرجع نسبهم عمر بن قحطان، وآل راشد هؤلاء هم أبناء عمومة لابن الدغار الهذيليني سلاطين شبام وأعمالها ويلتقون معهم في النسب؛ الشاطري، مرجع سابق، ص ١٦٨.

إن هذا التقسيم للثلاث السلطنات في حضرموت شكل عاملا من عوامل ضعف حضرموت وإثارة الفتن فيها، لأن الحكام المحليين دخلوا في منازعات وحروب فيما بينهم وظلت الفوضى والتناحر على السلطة في البلاد، وذلك قبل دخول الأيوبيين إلى اليمن.

ومن جملة من قتل من العلماء في تريم، الشيخان يحيى بن سالم بن أبي أكدر وأخوه أحمد[1]، وكذلك جماعة من السادة العلويين، وكذلك الفقيه والمقرئ أبوبكر بن بكير، وقد قال الجندي عن الزنجباري "مظاهر أفعاله الفسق الشنيع وأمر آخرته إلى الله عز وجل" وهذا يدل على السخط والحقد على الزنجباري، ويوضح أيضًا أن ما بذله الزنجباري من الأعمال الخيرية أثناء ولايته في عدن لا قيمة لها بسبب قتله الفقهاء والقراء وأمراء البلاد وإذلال الناس.

وفي سنة ٥٧٦هـ عاد السلطان راشد بن شجعنة وابنه شجعنة من أسرهم في عدن، وعاد معهما أبو الرشيد صاحب شبام وعبدالله بن راشد.

وعادت تريم في سنة ٥٧٧هـ إلى ملك آل قحطان، وعند ذاك تشجع آل فارس أيضًا فملكوا بلاد الشحر في نفس العام وضعف شأن الغز إلا أن حضرموت لم تخرج عن طاعة الأيوبيين بل ظلت تحت التعبية الاسمية فلما جاء إلى اليمن سيف الإسلام طغتكين بن أيوب سنة ٥٧٧هـ متفقدًا تركة أخيه توران شاه في اليمن، وعلم بما صنعه الزنجباري في اليمن وحضرموت، وهروب الزنجباري منه والتجأ إلى الشام، فدخل طغتكين تريم في ٥٩٠هـ، ثم غادرها وقد ترك ولاة حضرموت وأمراءها على حالهم، وتوجه إلى تعز مقر حكمه.

وظلت حضرموت هدفًا للغز ينهبون فيها ويفتكون بالناس كلما أخضعوا منطقة ثارت عليهم منطقة أخرى.

لم يكتف الغز بالجرائم التي ارتكبوها في حضرموت على يد أميرهم عثمان الزنجباري، فقد عادوا مرة أخرى في سنة ٦١٤هـ بقوة كبيرة بقيادة عمر بن مهدي اليمني الذي بدأ فاحتل الشحر ونكل بولاتها من آل فارس، ثم اتجه إلى الداخل مارًّا ببلدة عرف وقاومه أهلها وقتل جماعة منهم ومن أشهرهم أحمد بن سالم بن بلعان، ثم واصل مسيرته إلى الغيل الأسفل فحاصر أهلها، وأدخلهم تحت سلطته، ثم واصل مسيرته إلى تريم وفيها السلطان عبدالله بن راشد فحاصرها، ثم يدخلها في ٢٣ جمادي الأولى في سنة ٦١٦هـ.

---

(١) الحامد، صالح، تاريخه حضرموت، ج٢، ط٢، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ص١٣٢.

واتجه ابن المهدي بعد سيطرته على تريم إلى شبام فدخلها بعد أن قاتله حكامها من بني حارثة ثم دخلت تحت سيطرته جميع أهالي حضرموت ودوعن في سنة ٦١٧هـ، وقد بنى في مدينة شبام في سنة ٦١٨هـ حصنًا للدفاع وحفر خندقًا يحيط بهما، ثم أعاد بناء قارة العر بالقرب من حوطة سلطانة، وذهب بعد ذلك لتعز لمقابلة الملك المسعود ابن الملك الكامل بن أبي بكر بن أيوب وهو أحد الولاة الأيوبيين الذين حكموا اليمن من سنة ٥٦٩هـ: ٦٢٢هـ، وعند عودته إلى حضرموت انتفض عليه أهلها، فمر بحجر فقتل من أهلها الكثير، وما إن انتفضت عليه دوعن وشبام وبنو ظيبان، وبنو سعد ونهد حتى أكثر فيهم القتل، واستمر الوضع كذلك حتى استطاعت قبيلة نهد الإيقاع بابن المهدي بمقره في شبام فقتلوه وكسروا سجنه وأخرجوا منه أولاد عبدالله بن راشد، وبذلك انتهى حكم ابن المهدي في سنة ٦١٢هـ(١).

ومن بعد تاريخ ٦١٢هـ إلى منتصف القرن السابع تقريبًا نجد الزعماء المتنافسين وحضرموت هم مسعود بن يماني وابن شماخ وعبدالرحمن بن إقبال وتعرضت حضرموت للتجزئة والإرهاب والمجاعة.

أوضاع حضرموت في عصر الدولة الرسولية:

إن حضرموت ظلت مرتبطة بعدن؛ فمن يتولى أمر عدن يتولى أمر حضرموت لأنها تعتبر من أعمالها لذلك ظلت سلطة عدن سارية في حضرموت وبوجه أقوى في السواحل الحضرمية أكثر من الداخل، كما إن موارد المناطق الساحلية الحضرمية كانت أثرى من الداخل، لذلك لجأت الدولة الرسولية لضم مدينة الشحر وحكمها مباشرة من عدن وإزالة حاكمها راشد بن شجعنة، وقد عين السلاطين الرسوليون نوابًا لهم على الشحر منهم أزدمر ـ ابن فيض ـ المؤيد ـ صادم الدين، الرضي ـ ابن تور ـ الأمير التركي ـ ابن الهبي ـ كافور.

ولقد حاول السلطان الحبوضي الذي سالم بن إرديس وهو من سلاطين ظفار السيطرة على حضرموت، فقد قام بشراء مدينة شبام في سنة ٦٧٣هـ، وترك أخاه موسى في شبام، وأخذ يهاجم مدن الوادي وقراه، فاحتل سيئون، ودمون، والعجز، والغيل، وضرب الحصار على تريم، وفي تلك الآونة برز نجم أسرة حضرمية جديدة تتحين الفرصة للسيطرة والحكم في

(١) الحامد، المرجع السابق، ص ٤٩٦ – ٤٩٧.

حضرموت وهم آل كثير، حيث برز نجمهم في أواخر القرن السادس الهجري، فقد أظهر آل كثير الولاء والطاعة وتولوا إدارة شؤون الحبوضي العسكرية، فلما عاد إلى ظفار مقر حكمه أناب عنه في حضرموت آل كثير، وكان ذلك في سنة ٦٧٥هـ، وفي حدود سنة ٦٧٦هـ، انتشرت في حضرموت مجاعة شديدة بسبب ارتفاع أسعار السلع الغذائية وذلك نتيجة القحط والجدب الذي عم البلاد، وقد قدمت على الحبوضي وفود من حضرموت يشكون إليه ما حل بهم ويطلبون منه المساعدة، وعرضوا عليه شراء حصونهم وقلاعهم، فخرج معهم إلى حضرموت، وأعطاهم ما يحتاجون إليه وسلموا حصونهم له، وعاد إلى ظفار معتقدًا أن حضرموت أصبحت تحت سيطرته، إلا أنه لم ينجح، فما لبث أن فقد تلك الحصون والقلاع وعادت إلى أهلها بعد أن انقلبوا عليه.

وقد جهز حملة عسكرية لغزو الشحر سنة ٦٧٧هـ وذلك بعد أن علم أن الغز قد استولوا عليها وكان أمير الشحر في ذلك الوقت راشد بن شجعنة، ولما وصلت حملة الحبوضي العسكرية إلى الشحر، خرج الغز للقائه ودارت معركة بينهم أسفرت عن انهزامه وعودته إلى ظفار.

- ظفار الحبوضي[(١)]:

يفهم مما ذكره السلطان المظفر في رسالته التي أرسلها إلى سالم الحبوضي عقب قيامه بنهب هديته التي أرسلها إلى ملك فارس أن علاقة الأمراء الحبوضيين[(٢)] بالدولة الرسولية في عهد الملك المنصور نور الدين وبداية حكمه -المظفر- كانت جيدة، ولكن ما لبثت أن

(١) ظفار الحَبُوضي: مدينة تقع على الساحل بين حضرموت وعمان وهي اليوم جزء من عمان. ابن الديبع، قرة العيون، ص٣٢٨، ح رقم (٧).

(٢) يُنسب الأمراء الحبوضيون إلى محمد بن أحمد الحبوضي الذي كان تاجرًا مع الأمير أبي عبدالله محمد بن أحمد الأكحل المنجوي ثم المذحجي أمير مرباط، ولما توفي بعد ٦٠٠هـ ولم يكن له عقب، ولم يوجد من أسرته من يصلح للولاية، قام محمد الحبوضي بإدارة البلاد واستمر حكمه إلى حوالي سنة ٦٢٠هـ، ثم انتقل الحكم إلى ابنه أحمد -باني مدينة ظفار- الذي على ما يبدو أنه لقي معارضة من المنجويين الذين حاولوا استعادة ملكهم، فدارت بينهم حروب أدت إلى خراب العاصمة مرباط، فتمكن من هزيمتهم واستمر الحكم بعد ذلك في الحبوضيين حتى آخرهم سالم بن إدريس. انظر: الجندي، السلوك، ج١، ص٤٥٣، ٤٥٦، ٤٦١.

تدهورت بعد سنة ٦٧٠هـ حتى آل الأمر إلى تجهيز السلطان المظفر حملة على بلادهم والقضاء على إمارتهم.

وبهذا الصدد ذكر المؤرخون[١] أن سبب تجهيز السلطان المظفر حملاته على ظفار الحبوضي يرجع إلى أن سالمًا الحبوضي قام بنهب هدية السلطان التي أرسلها إلى ملك فارس وأراد بهذا العمل تعويض ما فاته في حضرموت من ضياع للأموال، إذ أنه قام بشراء الكثير من حصون وقلاع البلاد الحضرمية من أهلها بعد ما عرضوا عليه شراءها نتيجة القحط الشديد الذي أصابهم، ولكنهم ما لبثوا أن غدروا به واستولوا عليها.

لقد حاول السلطان المظفر حل المشكلة بالطرق السلمية ولكنه أخفق في ذلك، بل إن سالمًا الحبوضي قام عقب ذلك بإرسال حملة بحرية للسيطرة على عدن[٢]، وكان لهذا العمل الذي لم يقدم على مثله صاحب الهند والصين ولا ملوك فارس[٣] أبلغ الأثر في غضب السلطان إذ أن ذلك العمل من شأنه أن يشجع القوى الطامعة على التحرك للسيطرة على عدن، وفضلًا عن ذلك قام سالم الحبوضي بإفساد صاحب الشحر راشد ابن شجعنة وشجعه على الانفصال عن طاعة السلطان المظفر والامتناع عن دفع الخراج السنوي الذي كان يدفعه له[٤].

إن هذه الأسباب لم تكن على ما يبدو إلَّا أسبابًا مباشرة دفعت إلى تجهيز الحملات المذكورة، فمن غير المعقول أن السلطان المظفر الذي سعى جاهدًا إلى توسيع رقعة دولته في بلاد الأشراف الزيديين، بل حتى في الحجاز، يغفل عن التوسع في حضرموت وظفار الحبوضي. وبعبارة أخرى فإن رغبة السلطان في التوسع كانت أحد الأسباب في تجهيز تلك الحملات، بالإضافة إلى أسباب أُخرى، منها:

---

(١) ابن حاتم، السمط الغالي الثمن، ص٥٠٦؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج١، ص٨١؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص٣٢٨؛ يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج١، ص٤٦٣.

(٢) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج١، ص١٨٢؛ العسجد المسبوك، ص٢٥٣؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص٣٢٩.

(٣) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج١، ص١٨٢.

(٤) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج١، ص١٨٢.

أ) وضع حدٍ للتنافس بينه وبين سالم الحبوضي بالتوسع في حضرموت[1]، حيث نجح الأخير في مد نفوذه إلى حضرموت، فقد تمكن من السيطرة على الكثير من المناطق لدرجة ضربه الحصار على تريم التي كان يحكمها ابن مسعود اليماني الموالي للسلطان المظفر، والذي استنجد به إلا أنه لم يستطع تقديم العون له[2]، نتيجة لانشغاله في تلك المدة بصراعه مع الزيدية.

ب) تأمين طرق التجارة بين اليمن والهند، حيث إن هذه الطريق قد انقطعت في ذلك الوقت بسبب الغوائر والحروب[3]، وعبث سالم الحبوضي بهذه الطريق وتعرضه للتجارة[4].

وفي سنة ٦٧٨هـ تهيأت الظروف للسلطان المظفر لتحقيق هذا الهدف بعدما تمكن من تسوية أوضاعه مع الأشراف الزيديين هذا من جهة، واستغلاله للصراع القائم بين أفراد البيت الحبوضي من جهة أخرى، حيث قدم إدريس الحبوضي (أخو سالم الحبوضي) على السلطان المظفر، فأخذ يُسهّل ويبسّط له أمر السيطرة على ظفار مما أعطى السلطان الدافع في تجهيز الحملة[5].

ومهما يكن من أمر فإن السلطان قام بإرسال ثلاث حملات في زمن واحد بقيادة أستاذ داره الأمير أزمر، فانطلقت الحملة البحرية من عدن بمحاذاة الساحل حتى وصلت ساحل ظفار، والحملة البرية الثانية خرجت من صنعاء مخترقة الجوف ثم عبرت حضرموت إلى ظفار، أما الحملة الثالثة فسارت بمحاذاة الساحل وكانت تساير الحملة البحرية، والتقت هذه الحملات في ساحل ظفار حيث دارت المعركة مع قوات سالم بن إدريس الحبوضي وانتهت بهزيمته وقتله، وقتل وأسر العديد من أصحابه ثم تم الاستيلاء على المدينة في رجب سنة ٦٧٨هـ[6]، وبذلك زال حكم آل الحبوضي.

---

(١) الحامد، تاريخ حضرموت، ج٢، ص٥٤٣.

(٢) شنبل، أحمد بن عبدالله، تاريخ حضرموت (تاريخ شنبل)، تح: عبدالله محمد الحبشي، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص٨٥.

(٣) ابن حاتم، السمط الغالي الثمن، ص٥٠٨.

(٤) العبدلي، أحمد فضل بن علي بن محسن، هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، ط٢، دار العودة، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص٧٦.

(٥) ابن حاتم، السمط الغالي الثمن، ص٥٠٨-٥٠٩.

(٦) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج١، ص١٨؛ شنبل، تاريخ شنبل، ص١٠٤.

ولعل الشيء اللافت للنظر في هذه الحملات هو مبالغة السلطان المظفر في تجهيزها، وتلك القوة الهائلة التي سارت لفتح ظفار الحبوضي، حيث تعد الحملة البحرية على ما يبدو من أكبر الحملات البحرية في التاريخ الإسلامي اليمني، إذ إن السلطان حرك أسطوله البحري بمختلف قطعه، ناهيك عن الحملتين البريتين، وقد وصف ابن حاتم[1] ذلك بقوله: "... ملأت البر والبحر كتائبه".

ويظهر أن هدف السلطان من ذلك كان استعادة هيبته، فقد عَدّ من غزو سالم الحبوضي لعدن إذلالًا له، كما أنه أراد بذلك توجيه رسالة للقوى الخارجية عبّر فيها عن مدى قوته وتفوقه، وفعلًا نجح في إيصال الرسالة، إذ إنه بعد سيطرته على ظفار ارتعدت الأقطار خوفًا منه وتهاوت رسل وهدايا الملوك والسلاطين إليه[2] يطلبون رضاه ويخطبون وده.

٢- حضرموت:

في سنة ٦٣٧هـ حاول الملك المنصور نور الدين عمر التوسع في حضرموت، حيث قام بتجهيز حملة إليها إلا أنها منيت بهزيمة نكراء على يد قبيلة نهد التي غدرت بتلك الحملة[3]، والتي على إثرها تخلى الملك المنصور عن فكرة التوسع في حضرموت. وعندما تولى السلطان المظفر عرش السلطنة لم يكن أمر حضرموت في حسابه، نتيجة انشغاله بالصراع مع القوى المنافسة له داخل البيت الرسولي، وكذا صراعه مع الأشراف الزيديين.

لكن هذا ليس معناه أن السلطان المظفر لم يكن من ضمن أهدافه مشروع التوسع في حضرموت، أو على الأقل أنه بدأ في التفكير به بعد أن عمل على توطيد حكمه. ففي سنة ٦٥٨هـ عرض عليه الأمير أسد الدين محمد بن بدر الدين الرسولي أن يجهزه إلى حضرموت لفتحها فسارع السلطان المظفر إلى ذلك[4]، إلا أن أسد الدين لم يكن صادقًا في ذلك بل أراد مراوغته. ومهما يكن من أمر فإن هذا الموقف كشف نيات السلطان المظفر المستقبلية في حضرموت، وهو أمر كان يعلمه أسد الدين فاستغله للخروج من محنته.

---

(١) السمط الغالي الثمن، ص٥١٢.

(٢) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج١، ص١٨٥.

(٣) ابن حاتم، السمط الغالي الثمن، ص١١٨-١١٩؛ شنبل، تاريخ شنبل، ص٩٠.

(٤) ابن حاتم، السمط الغالي الثمن، ص٣٣٩.

وعندما تهيأت الظروف للسلطان المظفر كانت أول خطوة قام بها هي إرسال حملة لاستعادة الشحر من ابن شجعنة في سنة ٦٧٧هـ، والتي تمكنت من دخول المدينة بعد أن هرب منها ابن شجعنة[١] إلى ظفار الحبوضي حيث حاول سالم الحبوضي مساعدته وسارع إلى نجدته، إلا أن قوات السلطان تمكنت من القبض على ذلك المدد بأجمعه[٢].

وقد كان من ضمن أهداف الحملة البرية الثالثة التي توجهت لفتح ظفار الحبوضي بقيادة الشيخ ابن الحيد، السيطرة على أكبر قدر ممكن من البلاد الحضرمية، وهذا ما حدث فعلًا، فمع وجود المقاومة الشديدة التي واجهها ابن الحيد من أهالي حضرموت وقوات سالم الحبوضي المنتشرة في القلاع والحصون الحضرمية[٣]، إلا أنه استطاع شق طريقه في وسط أراضي حضرموت قهرًا، وصمد صمودًا رائعًا على مدار خمسة أشهر لم تتوقف خلالها الحرب يومًا واحدًا[٤]، فكان لهذا الأمر أثرهُ في أهالي حضرموت إذ جاؤوا إليه طالبين.الأمان والدخول في طاعة السلطان[٥].

أما ما يخص الحملة البرية الثالثة التي سلكت طريق الساحل والمدعمة من قبل القوة البحرية فيبدو أنها قد استطاعت فرض السيطرة على المناطق الساحلية.

بعد استيلاء السلطان المظفر على مدينة ظفار الحبوضي تسلم مدينة شبام حضرموت في الثامن من رمضان سنة ٦٧٨هـ[٦] ثم انقادت حضرموت في طاعة السلطان فولى عليها

---

(١) شنبل، تاريخ شنبل، ص١٠٣.

(٢) الحامد، تاريخ حضرموت، ج٢، ص٥٤٤.

(٣) تنبه الحامد لأمر وجود قوات ابن الحبوضي في حضرموت إذ إنه وجد اضطرابًا في روايتي الخزرجي، ففي حين يذكر الخزرجي أن ابن الحبوضي اشترى الحصون والقلاع الحضرمية من أهلها، لكنهم ما لبثوا أن غدروا به واستعادوها منه، إلَّا أن الرواية الثانية تخالف سابقتها، وهي أن ابن الحيد عندما أراد اختراق بلاد حضرموت قوبل بمقاومة من أهلها والحبوضيين. انظر: تاريخ حضرموت ج٢، ص٦٠٠-٦٠١، كما أن هذه الحقيقة تؤيد ما ذهبنا إليه في أن الصراع في حضرموت يعد أحد أسباب فتح ظفار الحبوضي، إذ إن سالمًا الحبوضي قد نجح في الاستيلاء على بلاد حضرموت.

(٤) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج١، ص١٨٢-١٨٣.

(٥) ابن حاتم، السمط الغالي الثمن، ص٥١٤-٥١٥.

(٦) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج١، ص١٨٥.

الأمير محمد بن محمد بن ناجي[1] الذي استطاع بفضل سياسته الحكيمة القضاء على كل حركات التمردات والعصيان[2]، وبهذا يكون السلطان المظفر قد نجح في إحكام سيطرته على حضرموت.

بداية السلطة الكثيرية:[3]

بعد مقتل الحبوضي في ظفار تشبت آل الكثير بما في أيديهم من المناطق التي كانوا يحكمونها باسم الحبوضي، وروجوا لهم بواسطة رجال الدين كالشيخ محمد بن عمر باعباد وابنه عبدالله القديم، وكذلك ما قام به العلويون من التأييد لآل كثير، وأصبحت غالبية المناطق تحت سيطرة آل كثير، ما عدا قرية بور حيث رفضت قبيلة آل با نجار تسليمها للكثيرين رغم كل الوساطات التي أجريت، لذلك لجأ آل الكثير للهجوم عليها واحتلالها وقتلوا جماعة من آل باتجار سنة ٧٢٣هـ، وفي سنة ٨١٤هـ غادر علي بن عمر بن جعفر بن بدر بن حمد بن علي بن عمر بن كثير بلده مسقط رأسه، واتصل بالشيخ علي بن عمر باعباد وكثير من العلماء وكانوا يعدونه للاستيلاء على ظفار وجميع مناطق حضرموت وتلقب بلقب سلطان، وهو أول من نصب سلطانًا على حضرموت من آل كثير التي كانت في عهده متفرقة بين ولاة كثيرين، وهو أول من حول القبيلة الكثيرية إلى دولة منظمة.

وتوفي السلطان علي بن عمر سنة ٨٢٥هـ، بعد أن دانت له ظفار وشبام وكثير من مدن الوادي وقراه، وقد بقيت ظفار تحت حكم آل كثير حتى سقطت الدولة الكثيرية الأولى في ١١٣٠هـ.

أوضاع حضرموت في عصر الدولة الطاهرية:

عند تلاشي أمر بني رسول وزوال ملكهم فقد حكم بعدهم مشارع آل طاهر بن معوضة ابن تاج الدين من بلاد رداع، واستولوا على عدن وتهامة وبلاد تعز في ٨٥٨هـ، وكان أول حاكم منهم هو الملك الظافر عامر بن عبدالوهاب وقد كانوا نوابًا للدولة الرسولية قبل ذاك،

---

(١) لم أقف له على ترجمة.

(٢) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج١، ص١٨٧-١٨٨.

(٣) لمزيد من المعلومات عن الدولة الكثيرية ينظر: هاشم بن محمد، حضرموت تاريخ الدولة الكثيرية، ط١، تريم للدراسات والنشر، حضرموت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

وكانت عدن في بداية حكمهم تعاني من الاضطراب والاختلال، إضافة إلى أن جماعة من آل كلد اليافعيين قدموا إلى الشحر إثر الخصومة والحرب التي دارت بينهم وبين آل أحد في عدن بسبب التنافس بينهم على النفوذ، وعملوا على تحريض أمير الشحر آنذاك سعيد بادجانة على غزو عدن، وبينوا له المواقع التي يمكن الدخول منها إلى عدن من غير الأبواب المعروفة، فجهز أبو جحانة الكندي (محمد بن سعد بن فارس) قوة تتكون من تسعة مراكب تحمل جيشًا، من يافع والمهرة وغيرهم، وقد تسربت الأخبار إلى أمير عدن من قبل الطاهريين، فكتب إلى السلطان عامر بن عبدالوهاب يخبره بذلك، فحمل الشريف علي بن سفيان أمير عدن، على عمل حامية فيه صومال والأحباش ناحية حصن القفل لصد الهجوم القادم، فلما وصل أبو دجانه، بقوته ناحية عدن، وصادق على ذلك هبوب ريحٍ عاصفة وأصبح البحر هايجًا، أدى ذلك إلى تحطيم مركبين، وقدم الملك الظافر عامر بن طاهر إلى عدن قبل مغرب يوم الاثنين ٢٤ من ربيع الآخر في ٨٦٢هـ وحاول أبو دجانه العودة إلى الشحر، ولكن لوحظ جنح المركب الذي هو فيه إلى ساحل المكسر، فخرج المظفر بعساكره وألقي القبض على أبي دجانة وابن أخيه وتم أخذهما أسيرين هو ومن معه في سنة ٨٦٢هـ، فذهبت والدته وكانت تدعى بنت معاشر -وكانت قد نصحته في بداية الأمر بعدم غزو عدن، إلا أنه لم يستمع إليها- إلى عدن، واجتمعت بالسلطان عامر بن عبدالوهاب وطلبت منه أن يطلق سراح ولدها، فتردد في بادئ الأمر، إلا أنه رضخ لها في النهاية، ووافق على إطلاق سراح ولدها، فعاد الأمير بادجانة هو ووالدته إلى الشحر.

استيلاء آل طاهر على الشحر:

أخذ السلطان عامر بن عبدالوهاب يعد العدة للسيطرة على الشحر كرد فعل، لما قام به الأمير بادجانة، فجهز جيشًا من عدن بواسطة البحر سنة ٨٦٥هـ وهاجموا الشحر واستولوا عليها بعد أن فرَّ منها الأمير حيريج من بلاد المهرة، وقد تودد السلطان بدر بن محمد بن عبدالله الكثيري، للسلطان عامر بن عبدالوهاب كتابيًّا، وأظهر له الولاء، حتى وثق به، وولاه أمر الشحر في ٨٦٧هـ، فقدم السلطان بدر بن محمد إلى الشحر، ودخلها كنائب للطاهريين وكان أول من حكم الشحر من آل كثير.

الخاتمة

أفرزت هذه الدراسة عددًا من النتائج، أهمها:

١ - إن علاقة حضرموت بالدولة المركزية كانت متذبذبة تبعًا للأوضاع السياسية.

٢- سعي حضرموت باستمرار للاستقلالية عن الدولة المركزية.

٣- كانت الدولة المركزية تسعى دائمًا لإخضاع حضرموت عن طريق الحملات العسكرية، وكسب بعض الزعامات المحلية.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

أولًا- المصادر:

◉ **الجندي، أبو عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب (ت:٧٣٢هـ)**

٢- السلوك في طبقات العلماء والملوك، تح: محمد بن علي الأكوع، ط٢، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

◉ **ابن حاتم، بدر الدين محمد بن حاتم اليامي (ت: بعد٧٠٢هـ)**

٣- السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، تح: ركس سمث، كمبردج، ١٩٧٤م.

◉ **الحمزي، عماد الدين إدريس بن علي بن عبدالله (ت:٧١٤هـ)**

٤- كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار، دراسة وتح: عبدالمحسن مدعج المدعج، ط١، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، ١٩٩٢م.

◉ **الخزرجي، موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن (ت:٨١٢هـ)**

٥- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، عني بتصحيحه: محمد بن علي الأكوع، ط١، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء/ دار الأدب، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

◉ **ابن الديبع، وجيه الدين عبدالرحمن بن علي الشيباني (ت:٩٤٤هـ)**

٦- بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تح: عبدالله محمد الحبشي، ط١، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ١٩٨٩م.

٧- الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تح: يوسف شلحد، مركز الدراسات اليمني، صنعاء/ دار العودة، بيروت، ١٩٨٣م.

٨- قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تح: محمد بن علي الأكوع، ط٢، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

◉ **شنبل، شهاب الدين أحمد بن عبدالله بن علوي (ت:٩٢٠هـ).**

٩- تاريخ حضرموت المعروف (بتاريخ شنبل)، تح: عبدالله محمد الحبشي، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

◉ **ابن القوطي، عبدالرزاق عبدالرزاق بن تاج الدين.**

١٠- ترخيص مجمع الآداب في مجمع الألقاب، تح: مصطفى جواد، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٦٢م.

◉ **يحيى بن الحسين بن القاسم (ت: ١١٠٠هـ).**

١١- غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تح: عبدالفتاح عشور، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

ثانيًا- المراجع العربية والمعربة:

أ) الكتب:

◉ **بامطرف، محمد عبد القادر.**

١٢- الشهداء السبعة، دار الحرية للطباعة، مطبعة الجمهورية، بغداد، ١٩٧٤.

◉ **الحامد، صالح**

١٣- تاريخ حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

◉ **حمدان، خميس.**

١٤- تاريخ الشحر عبر العصور، ط١، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ٢٠٠٤م.

◉ **السروري، محمد عبده محمد (الدكتور)**

١٥- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة من سنة (٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م) إلى (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، ط١، الأهرام، القاهرة، ١٩٩٧م.

◉ **الشاطري، محمد بن أحمد عمر.**

١٦- أدوار التاريخ الحضرمي، ج١، ط١، دار المعرفة، جدة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

◉ **الفقي، عصام الدين عبدالرؤوف (الدكتور)**

١٧- اليمن في ظل الإسلام منذ فجره وحتى قيام دولة بني رسول، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٢م.

◉ **الفيفي، محمد يحيى.**

١٨- الدولة الرسولية في اليمن: دراسة في أوضاعها السياسية والحضارية

(٨٠٣-٨٢٧هـ/ ١٤٠٠-١٤٢٤م)، ط١، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

◉ **محمد عبدالعال أحمد (الدكتور)**

١٩- الأيوبيون في اليمن مع مدخل في تاريخ اليمن الإسلامي إلى عصرهم، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٨٠م.

٢٠- بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما (٦٢٨-٩٢٣هـ/ ١٢٣١-١٥١٧م)، الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨١م.

◉ **هاشم بن محمد.**

٢١- حضرموت تاريخ الدولة الكثيرية، ط١، تريم للدراسات والنشر، حضرموت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

◉ **المقحفي، إبراهيم أحمد**

٢٢- معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

ب) الرسائل العلمية:

◉ **عباس علوي حسين فرحان**

٢٣- بنو حاتم الهمدانيون (٤٩٢-٦٢٦هـ): دراسة سياسية وحضارية، رسالة ماجستير، جامعة عدن، عدن، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

المحور الثالث

الملامح الحضارية

عمارة المساجد في مدينة الشحر

من القرن السادس الهجري وحتى القرن التاسع الهجري

(الثاني عشر إلى الخامس عشر الميلادي)

دراسة تاريخية – أثرية – معمارية

محمد حسين محمد بن الشيخ أبوبكر

كلية الآداب جامعة حضرموت

الملخص:

يتناول هذا البحث عمارة المساجد في مدينة الشحر خلال الفترة من القرن السادس الهجري وحتى التاسع (الثاني عشر – الخامس عشر الميلادي) وذلك للأهمية التاريخية للمدينة كونها تشكل أقدم مدن موانئ ساحل حضرموت وتزخر المدينة بآثار إسلامية هامة ومتنوعة سوف نتناول هنا بالدراسة مساجد المدينة.

تضمنت الدراسة حصر (١٨) مسجدًا، منها (١٦) مسجدًا قائمًا، ومسجدان مندرسان، جميعها تعود إلى الفترة الزمنية التي يغطيها البحث.سوف نتناولها بالدراسة والتحليل من الناحية الأثرية والمعمارية ومن خلال المعلومات التاريخية في المصادر والمراجعوما تبقى من شواهد حية لهذه المساجد أو بعض من عناصرها المعمارية.

ويشتمل البحث على عدد من الخرائط والصور، والأشكال التوضيحية. وخاتمة بأهم النتائج والتوصيات وقائمة بالمصادر والمراجع، مما يُعد سجلًا توثيقيًّا لمساجد مدينة الشحر خلال تلك الفترة.

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على جزء من الآثار الإسلامية (المساجد) لمدينة الشحر، خوفًا من اندثارها، وحفاظًا على تراثنا الحضاري الإسلامي قمنا بمحاولة توثيقها والتعريف بها وبالأحداث التاريخية التي مرت بها في تلك الفترة.

يتبع البحث منهج البحث التاريخي والأثري المعروف من حيث التعريف بالمسجد وموقعه وصاحبه وتاريخ عمارته وملحقاته، ثم الدراسة الآثارية الوصفية للمسجد وملحقاته وعناصره، تتبعها الدراسة التحليلية المعمارية وينتهي بالنتائج والتوصيات.

كلمات مفتاحية: مدينة الشحر- المساجد - الآثار الإسلامية - عناصر معمارية - منارة - صحن (ضاحي).

المقدمة:

يعد المسجد من أهم العمائر الدينية التي حث الإسلام على بنائها وتعميرها وقد وردت العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة تحث على عمارتها حسيًّا ومعنويًّا والفضل والجزاء العظيم لعمارها. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[1] وفي حديث رسول الله ﷺ: **"من بنى للهِ مسجدًا ولو كمِفحصِ قَطاةٍ بنى اللهُ له بيتًا في الجنَّةِ"**[2].

وكثرت المساجد في مدينة الشحر التي هي موضوع بحثنا هذا، مصداقًا لما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فظهر المسجد الجامع ومساجد الفروض الخمسة سوف نستعرضها خلال البحث.

ولعب الموقع الجغرافي لمدينة الشحر دورًا مهمًّا في الحياة السياسية، فقد اهتمت الدويلات اليمنية المستقلة بالسيطرة على المدينة طمعًا في مينائها الشهير الذي يمثل عصب الحياة الاقتصادية في ساحل حضرموت بما يتمتع به من تجارة واسعة مما شكل ذلك دافعًا اقتصاديًّا استهوى أنظار تلك الدويلات. وعظم بذلك شأن المدينة، وأقبل التجار والعلماء والأدباء على الإقامة بها والتردد إليها، فلم تستطع لذلك أية مدينة ساحلية في حضرموت أن تنافسها أو تبرز معها في مضمار[3].

---

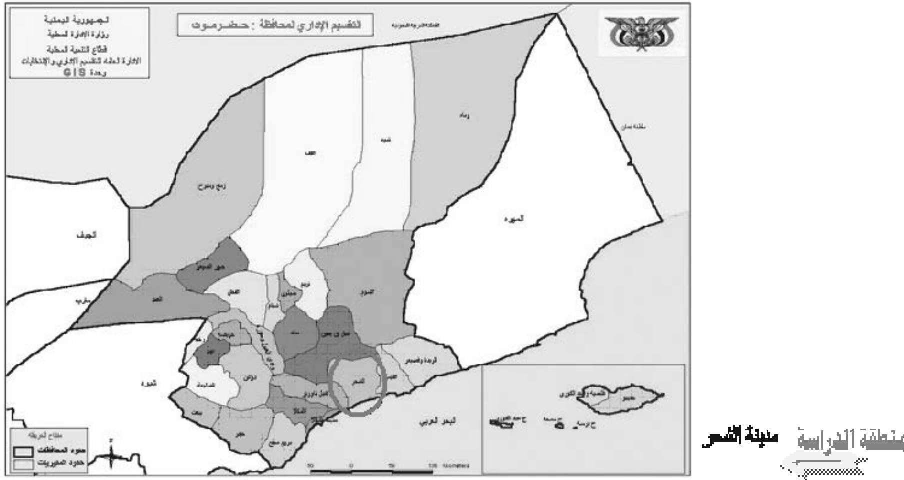
(١) القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية رقم ١٨.

(٢) تخريج الحديث، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: **"من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة"** قال فيه ابن ماجه إسناده صحيح ورجاله ثقات. سنن ابن ماجه، كتاب المساجد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة فيصل الحلبي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، ص: ٢٤٤.

(٣) باوزير، سعيد عوض١٩٥٧، صفحات من التاريخ الحضرمي، الطبعة الأولى، المطبعة السلفية، القاهرة ١٩٧٥م، ص: ١٧٣.

وفي بحثنا هذا سوف نعرض بالدراسة لعدد من المساجد والتي تعود إلى فترة القرن السادس الهجري وحتى التاسع الهجري (الثاني عشر إلى الخامس عشر الميلادي)، علما بأن المدينة تحوي الكثير من المساجد التي تمثل جميع العصور الإسلامية المتتالية، وبقائها في استمرارية دائمة تقوم بالدور الذي أنشئت من أجله. وكان لزاما أن أتطرق إلى المساجد التي تسبق فترة القرن السادس وذلك كونها لا تزال عامرة تؤدي وظيفتها على أكمل وجه وخاصة المسجد الجامع، وقد استثنيت تلك المساجد المندرسة والداثرة قبل فترة الدراسة.

الموقع الجغرافي:



تقع مدينة الشحر على الشريط الساحلي لمحافظة حضرموت، يحدها من الغرب مدينة المكلا ومديرية غيل باوزير، ومن الشرق مديرية الديس الشرقية والريدة وقصيعر، ومن الشمال غيل بن يمين والأطراف الجنوبية لهضبة حضرموتومن الجنوب بحر العرب[(١)].(شكل١).

شكل (١) خارطة موضح عليها موقع الدراسة.

وتقع الشحر أيضًا على ساحل بحر العرب على خط عرض ١٤,٤٤ شمالًا، وخط طول ٤٩,٣٩ شرقًا[(٢)] وتبعد عن مدينة المكلا بنحو٦٥ كيلو مترًا تقريبًا إلى الشرق.

(١) المركز الوطني للمعلومات، التقسيم الإداري لمحافظة حضرموت، مديرية الشحر، ٢٠١٠م.

(٢) عكاشة، محمد عبد الكريم، قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت، ط٢، دار ابن رشد للنشر والتوزيع، الأردن ١٩٨٥م ص: ٣٢.

وأقصى حد لنقطة حدودها الغربية جبل (ضبة) المطل على الشاطئ، وأقصى نقطة الحدود الشرقية دمخ حساي. أما حدودها الجنوبية بطول الشريط الساحلي غربًا. وتمتد إلى الشمال إلى حدود السفوح الشمالية المطلة على وادي حضرموت الأسفل المتعرج[١].

التسمية:

تعددت الروايات التي تتناول تسمية مدينة الشحر.

منها الشحر: بكسر الشين وسكون الحاء، بعد راء مهملة، هي ساحل اليمن، الممتد بينها وبين عُمان[٢]، وكانت الشحر اسمًا يطلق على جميع ساحل حضرموت وأرض المهرة إلى عمان، ثم صار في عُرف متأخر اسمًا للمدينة التي كانت تسمى (الأسعاء) وهي أهم مدينة على الساحل حينذاك[٣] وهي ميناء لحضرموت وينسب إليها اللبان الشحري[٤].

والأشغاء وسمعون من أسماء الشحر ولها اسمان آخران الأشحار والأحقاف، سُميت الشحر لأن سكانها كانوا جيلا من مهرة يسمون الشَّحْرا بفتح الشين وسكون الحاء فحذفوا الألف وكسروا الشين ومنهم من لم يكسر الشين والكسر أكثر والأشحار جمعها[٥]، وسميت الأشغاء بفتح الهمزة وسكون الشين وفتح الغين المعجمتين لأنه كان بها وادٍ يسمَّى الأشغاء وكان كثير الشجر وكان فيه آبار ونخيل وكانت البلاد حوله من الجانب الشرقي والمقبرة القديمة في جانبه الغربي وسميت سمعون لأن بها واديًا يُسمَّى سمعون، والمدينة من حوله من الشرق والغرب، وشرب أهلها من آبار في سمعون.

---

(١) الملاحي، عبدالرحمن عبد الكريم، ملامح التوسع العمراني للشحر، بحث مخطوط، ص: ٤.

(٢) البكري، أبو عبيد، جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك، ج٣، تحقيق: عبدالله الغنيم، مطبعة جامعة الكويت، ١٩٧٧م، ص: ٧٨٣.

(٣) الحامد، صالح بن علي، تاريخ حضرموت، ج١، ٢، ط١، مكتبة الإرشاد، جدة ١٩٧٦م، ص: ٥٥٧.

(٤) السقاف، عبدالرحمن بن عبيد الله، معجم بلدان حضرموت، المسمى إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، تحقيق: إبراهيم المقحفي وعبدالرحمن حسن السقاف، ط١، مكتبة الإرشاد، صنعاء ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص: ٢٢٧.

(٥) بامخرمة، أبي محمد عبدالله الطيب، تاريخ ثغر عدن مع نخب من تواريخ ابن المجاور والجندي والأهدل، ط ٢، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، مكتبة مدبولي، ج٢، ص: ٦٦.

خطط المدينة وتقسيماتها: (شكل٢).

يذكر باحسن بأن "هذه المدينة المباركة وأنها من مساكن العرب العاربة بعد الطوفان، والظاهر أن اسمها يؤنث، ويذكر غالبا، ويقال إن اسم الشحر يطلق على البلاد الواسعة[1]. ويضيف قائلًا: "وقد اشتملت في آخر الزمان على سبع حارات قائمة المباني، عامرة بالأهالي، فأولها حارة القرية وكانت العمارة بها سابقا، وبها سوق الخان القديم، ثم حارة المجرف، ثم حارة الرملة وهؤلاء الثلاث أقدم ما كان بها، ثم حارة أبي عوين، ثم حارة أبي غريب، ثم حارة الحوطة، ثم حارة الخور[2]. (شكل٢)



شكل (٢) خارطة توضح تقسيم الحارات لمدينة الشحر(الباحث)

ومدينة الشحر مقسمة إلى أحياء أو حارات، يفصل بعضها عن بعض مساحات واسعة. والشحر احتفظت بأسماء أحيائها القديمة إلى وقتنا الحاضر.

أما بامطرف فيقسم حارات المدينة إلى إحدى عشر حارة شاملة لأسواقها وأماكن أربطة الخيل ومحط القوافل وتحدث عن مكوناتها السكانية التي استوطنت تلك الحارات "بأن المدينة تتكون من عدة أحياء متفرقة تفصلها عن بعضها ساحات واسعة[3]. لوحة (١).

---

(١) باحسن، عبدالله بن محمد: النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية، مكتبة الأحقاف للمخطوطات بتريم، مجموعة الكاف رقم: (٢٢٠١)، ورقة: ١٢.

(٢) باحسن، المصدر نفسه، ورقة: ٥.

(٣) بامطرف، محمد عبد القادر، الشهداء السبعة ضد الغزو البرتغالي على مدينة الشحر، الطبعة الثانية، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٣م، ص: ٣٩، ٤٢.



لوحة (١) منظر نادر لمدينة الشحر من الجوالمصدر: (جو ماكريستو)

ثانيًا: الخلفية التاريخية لمدينة الشحر:

مدينة الشحر من المدن التاريخية الموغلة في القدم احتفظت بأهميتها الاقتصادية والتجارية بوصفها ميناء رئيسيًّا على خطوط التجارة العالمية وهذا الميناء هو الذي أضفى على المدينة هذه الأهمية[١] ولكن وحسب ما هو معلوم بأن المدينة عُرفت عند الجغرافيين الكلاسيكيين منذ القرن الأول للميلاد وكانت كل من مكة وحضرموت مع فجر الإسلام ترتبطان بعلاقات وثيقة منتظمة، تجسدت بشكل أكبر في مجالي التجارة والديانة. ومن المدن الأسواق الشهيرة الشحر وعدن وصنعاء، وكانت المدن الثلاثهذه ضمن دورة أسواق العرب المشهورة [٢]. وكانت تقام سوق الشحر في النصف الثاني من شهر شعبان من كل سنة [٣].

وفي الفترة الإسلامية كانت الشحر وميناؤها نافذة مفتوحة على العالم، فقد كانت القوافل تأتي من جنوب الجزيرة في رحلة الصيف، وتقف في ميناء الشحر للحصول على منتجات

(١) الجعيدي، عبدالله سعيد، الدولة الكثيرية الثانية ٨١٤-١١٤٣هـ/ ١٤١١-١٧٣٠م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، ٢٠٠٣م، ص: ١٠٣.

(٢) عبدالله، يوسف محمد، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، ط١، وزارة الثقافة والإعلام، صنعاء، ١٩٨٥م، ص: ٣٣٩.

(٣) الأفغاني، سعيد ١٩٦٠م، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، بيروت، مكتبة الحياة، ص: ٤٧.

الشرق، وفي العصور الوسطى والحديثة ظلت الشحر عبر مينائها تصدر اللبان الذي يجلب من أعالي الجبال القريبة من الشحر وزيت الأسماك [1].

بدأت عموم اليمن تشهد قيام الدويلات المستقلة عن الحكم العباسي، وخضعت حضرموت أو أجزاء منها لحكام تلك الدويلات ومن هذه الدويلات التي قامت في اليمن ومدت نفوذها إلى حضرموت ومدينة الشحر نذكر الدولة الزيادية (٢٠٤ هـ - ٣٠٩ هـ/ ٨١٩-٩٢١م) ثم الدولة الصليحية (٤٣٦هـ- ٥٣٢هـ/ ١٠٤٤-١١٣٧م) فقد بسطت نفوذها على الشحر سنة (٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م). وعندما ضعف حال الصليحيين انقسمت حضرموت إلى ثلاث نواح مستقلة هي تريم وشبام والشحر، وقامت في الثالثة سلطنة آل فارس وكان أولهم عبد الباقي بن فارس بن راشد بن إقبال الكندي الحضرمي ومركزهم مدينة الشحر [2]. وتعود نشأة هذه الإمارة إلى أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجري (١١-١٢م) أما الدولة الأيوبية (٥٦٩هـ- ٦٢٦هـ/ ١١٧٦-١٢٢٨م) فقد امتد نفوذهم إلى حضرموت ومدينة الشحر سنة (٥٧٥هـ/ ١١٧٩م). ولم يكن الحكم الأيوبي في حضرموت حكمًا مباشرًا، ولذا فقد شهد الربع الأخير من القرن السادس الهجري وبداية القرن السابع الهجري (١٢-١٣م) تمردات واسعة في حضرموت هدفها رفض التبعية للأيوبيين. وقد نجحت قبلة نهد في تحقيق الاستقلال وفرض سيادتها على حضرموت الساحل والداخل وذلك في سنة (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)[3]. وعندما قامت الدولة الرسولية باليمن (٦٢٦هـ - ٨٥٨هـ/ ١٢٢٨-١٤٥٤م) حكمت الشحر بين سنة (٦٧٧هـ- ٨٣٦هـ/ ١٢٢٨م- ١٤٣٢م) وكان حكم الرسوليين يتأرجح بين القوة والضعف، فقد ناوشتهم القبائل المجاورة في داخل المدينة وخارجها، وبسبب تلك المناوشات وكذا الضعف العام الذي دب في أوصال دولة الرسوليين، استطاع محمد بن سعيد ابن فارس ويكنى بـ (بادجانة)، من احتلال الشحر وإنهاء الوجود الرسولي فيها. وبعد ذلك فقد حاول الطاهريون (٨٥٠هـ- ٩٢٣هـ/ ١٤٤٦-

(١) سارجنت، أر.بي، مصادر التاريخ الحضرمي، ترجمة سعيد عبد الخير النوبان، الكويت، جامعة الكويت، ١٩٩٠م.

(٢) بامطرف، محمد عبد القادر، المرجع السابق، ص: ٢٩. عكاشة، محمد عبد الكريم، المرجع السابق، ص: ٣٠.

(٣) بامطرف، محمد عبد القادر، المرجع السابق، ص: ٢٩، ٣٠.

١٥١٧م) مد نفوذهم نحو الشحر، غير أن أبا دجانة تصدى لتلك المحاولات، ولم يكتف بذلك بل حاول في سنة (٨٦١هـ/ ١٤٥٦م) احتلال عدن عاصمة الدولة الطاهرية إلا أنه فشل ووقع أسيرا في يد الطاهريين وسقطت الشحر بأيديهم سنة (٨٦٦هـ/ ١٤٦١م) لكنهم ما لبثوا أن جلوا عنها بعد أربعة أعوام بسبب الصعوبات التي كانوا يواجهونها في شمال اليمن، وأنابوا عنهم في حكم الشحر بدر بن محمد الكثيري، وهذه هي المرة الأولى التي يحكم فيها آل كثير الشحر. وفي سنة (٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م) توفي السلطان محمد سعيد أبو دجانة في حيريج وخلفه ابن أخيه الأمير فارس بن مبارك وكان شابا طموحا، فهاجم مدينة الشحر وانتزعها من السلطان بدر بن محمد الكثيري، ولكن في سنة (٨٧١هـ/ ١٤٦٦م) استعاد السلطان بدر بن محمد الشحر من الأمير فارس، ولكن لم يمضِ كثير حتى استرجعها من آل كثير وذلك في سنة(٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م) وبقي حاكما بها إلى أن انتزعها منه السلطان جعفر بن عبدالله الكثيري[١] سنة (٩٠١هـ/ ١٤٩٥م)[٢].

المسجد الجامع بمدينة الشحر (الجامع الكبير)

الموقع:

يقع المسجد الجامع في حارة القرية. ويتوسط المدينة تقريبًا.يحده من الشرق الشارع الرئيسومن الغرب أرض فضاء ومن الشمال الشارع الرئيس الملتف حول المدينة وساحة فضاءومن الجنوب البحر.ويقع على خط: ١١.″١٢ ′٤٥ °١٤شمال ٣٧.″١٨ ′٣٦ °٤٩شرق. يحيط بالجامع ثلاث حارات قديمة وهي حارة المجرف من الشرق وحارة الرملة من الغرب وحارة عقل باعوين من الشمال فضلا عن القادم من جهة البحر وهي الجهة الجنوبية. لوحة: (٢).

(١) السلطان جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر الكثيري. كان تاجرًا في ظفار ثم شجعه الشيخ عمر المحضار على تولي سلطنة بور. وفي سنة ٩١٠هـ/ ١٤٩٥م انتزع الشحر من آل بادجانة، وقتل في بور سنة ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م وهو والد عبدالله بن جعفر الذي سميت باسمه دولة آل عبدالله الكثيرية. (بامطرف، نفس المرجع، الحاشية، ٧، ص: ١٢٣.

(٢) عكاشة، محمد عبدالكريم، المرجع السابق، ص: ٣٠، ٣١. بامطرف، محمد عبد القادر، نفس المرجع، ص: ٣٤، ٣٧.



لوحة: (٢) صورة فضائية لموقع المسجد الجامع

ويعد المسجد الجامع الوحيد بالمدينة، ولم يبن جامع إلا في القرن الثاني عشر الهجري عندما توسعت المدينة توسعًا عمرانيًّا كبيرًا، وفي اتجاهات متعددة.فبُني جامع النور خارج السور ناحية البوابة الشمالية للمدينة. ثم تلاه جامع آخر وقد كان في الأصل مسجدًا صغيرًا وهو مسجد السيد أحمد بن أبي بكر بن الشيخ أبي بكر والذي يعرف عند العامة بـ(مسجد الشيخ أحمد بن أبوبكر) أو (الشيخ حمد).في أواخر القرن الثالث عشر الهجري.

المنشأ وتاريخ البناء:

تُجمع المصادر والروايات التاريخية على أن تأسيسه في السنة العاشرة أو الحادية عشر من هجرة الرسول ﷺ بعد إسلام قبيلة كندة.وبعد عمارته الأولى توالتعلى الجامع العديد من عمليات التجديد وإعادة البناء والإضافة خلال العصور الإسلامية المتعاقبة.وتشير المصادر التاريخية بأنه في منطقة الشحر أنشأت كهلان (كندة) محلتها التي عرفت منذ القديم باسم (القرية) على ساحل مدينة الشحر، التي تعد أقدم أحياء الشحر[١].

وجامع الشحر يعتبر ثالث مسجد من حيث القدم، بعد مسجد صنعاء ومسجد الجند[٢]

(١) بامطرف ١٩٨٣، الشهداء السبعة، ص: ٢٦.

(٢) حداد، عبدا لله صالح، جامع الشحر في أدواره التاريخية، مجلة العقارية، العدد ١٥، ٢٠١٠م الشحر، ص: ٦٠.

والمشتهر لدى الباحثين أنه أسس في السنة العاشرة من هجرة المصطفى ﷺ وذلك بعد منصرف قبيلة كهلان -أحد فروع قبيلة كندة- عن المدينة وإسلامهم عام الوفود، وقد سكنوا منطقة القرية.

وبعد أن اعتنق أهالي حضرموت -ومنهم أهل مدينة الشحر بطبيعة الحال- الإسلام ونبذوا وثنيتهم، أقام حكام الشحر من قبيلة كندة المسجد الجامع.(١) ومن الطبيعي أن تكون عمارة الجامع في بدايته بسيطة تتماشى وعمارة المساجد الأولى؛ أي عبارة عن مساحة مستطيلة، وربما يكون بُنِيَ على غرار مسجد الرسول ﷺ.

وقد أصبحت ظاهرة توسيع المسجد الجامع ظاهرة عامة في تاريخ الكثير من المساجد الجامعة في المدينة الإسلامية كالمسجد الجامع في البصرة والكوفة وبغداد وسامراء وقرطبة وغيرها ويؤكد ذلك استمرار هذه الظاهرة في الحرم المكي، ومسجد الرسول ﷺ حتى وقتنا الحاضر(٢). وهذا ما نشهده في كثير من مساجد اليمن عامة وفي حضرموت خاصة وللأسف الشديد وهو الذي أتى على العديد من المساجد القديمة (العتيقة). وفقدنا بذلك إرثًا حضاريا قل نظيره في مكان آخر من المدن الإسلامية.

ولقد تعرض جامع الشحر إلى عدة مراحل من التجديد والتعمير والإضافة، خلال العصور الإسلامية المتلاحقة، وهي على النحو الأتي:

مراحل إنشاء الجامع:

رغم شحة المعلومات عن الجامع ولصعوبة القيام بأعمال الحفر والتنقيب في جامع الشحر التي سوف تكشف وتجيب عن الكثير من الأسئلة عن مراحل إنشاء الجامع؟ وماهية التوسعات التي طرأت على الجامع خلال الفترات المتلاحقة؟ ولكن وفي ظل غياب تلك المعلومات الآثارية من واقع الأثر نفسه حاول الباحثتكوين صورة نرجو أن تكون واضحة المعالم من خلال ما بذل من مجهود في تقصي الكثير من المصادر والمراجع التي كانت شحيحة بمدنا بمعلومات واضحة عن نشأة الجامع ووصفه وصفا واضحا إن لم نقل دقيقا.

(١) بامطرف، المرجع نفسه، ص: ٢٧.

(٢) عثمان، محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، العدد١٢٨، ذو الحجة/ أغسطس، ١٩٨٨م الكويت، ص: ٢٣٧.

واستنادًا إلى ما ذكر في المخطوطات أو المصادر المكتوبة والشفهية والمراجع وبناء على تلك الشواهد التاريخية والأثرية والوثائقية.فالجامع الكبير بالشحر مرَّ بعدة توسعات وإضافات خلال الفترات التاريخية المتلاحقة، بالإضافة إلى التغييرات والزيادات المتجددة والتي أفقدت الجامع روحه الأثرية والتاريخية.

وقد أثبت الباحث من خلال تلك المصادر التاريخية، التوسعات والإضافات التي طرأت على الجامع خلال الفترات التاريخية، منذ العام ٢٠٧ هجرية أي في العصر العباسيوذلك لأهميتها في سياق الموضوع وحتى القرن التاسع الهجري (١٥م). وهي الفترة التي تغطيها الدراسة.

تجديد عمارة الجامع في العصر العباسي:

في سنة ٢٠٧ هـ جدد عمارته الشيخ محمد عبد العليم باصديق أحد تجار الشحر[(١)]. وللأسف لم تمدنا المصادر التي بين أيدينا عن كيفية تلك التجديدات التي حدثت في تلك الفترة الزمنية.غير هذه الإشارة المقتضبة.والباحث يوردها هنا لأهميتها التاريخية.

أما في المراحل التاريخية لفترة الدراسة فقد شهد المسجد الجامع خمس مراحل من التجديد والتوسعة وهي كالتالي:

المرحلة الأولى: تجديد عمارة الجامع في فترة حكم آل فارس بن إقبال حكام الشحر.

في سنة (٥٧١هـ) جدد عمارته الفقيه الشيخ عبد الله بن سعد باذخار الشحري[(٢)]. ولم يشر المصدر إلى كيفية التجديد وكيفية عمارته.

المرحلة الثانية: تجديد عمارة الجامع وتعود إلى الفترة الرسولية.

في سنة (٧٨٢هـ) جدد عمارته ووسع رقعته الأمير الرسولي محمد بن أحمد بن الحاجب القضاعي[(٣)]. علمًا بأنه في تاريخ شنبل وتاريخ حضرموت للكندي يذكران: "وفيها توفي الأمير سيف الدين محمد بن أحمد بن الحاجب الكردي[(٤)]". فربما تكون هي السنة نفسها

---

(١) بامطرف، الشهداء السبعة، ص: ٤٩.

(٢) بامطرف، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(٣) بامطرف، المرجعنفسه، الصفحة نفسها.

(٤) شنبل، أحمد بن عبدالله، تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق: عبدالله الحبشي، ط١، ١٩٩٤م، ص: ١٤١، ١٤٢والكندي، سالم محمد بن حميد، تاريخ حضرموت المسمى العدة المفيدة في تواريخ قديمة وحدثة، تحقيق: عبدالله الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٩١م، ص: ١٣٤.

التي جُدِّد فيها الجامع وتوفي فيها ذلك الأمير الرسولي. ولم تحدد ماهية التجديد.

المرحلة الثالثة: تجديد عمارة الجامع في زمن الدولة الكثيرية الأولى (دولة آل عبدالله).

في سنة (٨٤٦هـ) جدد عمارته الفقيه المحدث الشيخ أحمد بن قضيمتي في السنة نفسها التي أقام فيها مسجده[1]. وتصمُت المصادر أيضا عن كيفية تلك التجديدات.

المرحلة الرابعة: تجديد عمارة الجامع في زمن الدولة الطاهرية (في عهد السلطان بدر بن عبد الله الكثيري).

يذكر أهل الشحر أن الشيخ حسين بن عبد الرحمن بن سهل عَمر مسجد الجامع سنة (٨٦٥هـ). وابن سهل هذا توفي بالشحر سنة (٨٧٥هـ). كما أوقف في تلك السنة، أربع فرد ماء بمعيان الحرث بغيل باوزير على المسجد الجامع[2].

المرحلة الخامسة: تجديد عمارة الجامع سنة (٩٠٠هـ).

في سنة ٩٠٠هـ جدد عمارته الشيخ القاضي عبدا لله محمد بن عبسين[3]. وللأسف لم تمدنا المصادر التي بين أيدينا من تلك الفترة عن ماهية تلك التجديدات.

التخطيط المعماري للمسجد الجامع:

يشغل المسجد الجامع حاليًا مساحة مستطيلة، تمتد من الشمال إلى الجنوب بطول قدره (٦٠, ٦٦مترًا) تقريبًا وعرض (٣٠, ٣٦ مترًا). تضم صحنًا أوسط مكشوفًا تحيط به أربعة أجنحة أكبرها جناح القبلة. شكل: (٣).

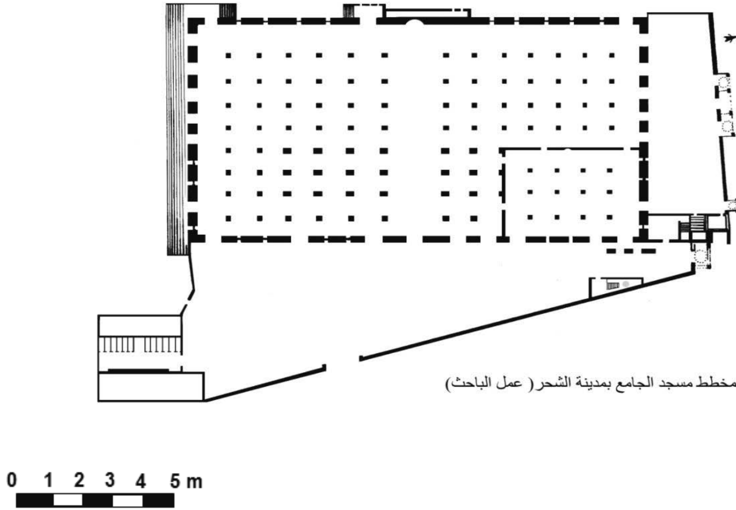
ويشتمل الجامع على (٢٤) مدخلًا. إضافة إلى المنارة التي تقع في الركن الشمالي الشرقي، كما يشتمل الجامع على عدد من الملحقات منها الميضأة والبئر.

---

(١) بامطرف، الشهداء السبعة، ص: ٤٩.

(٢) بامطرف، المرجع نفسه، ص: ١٢٥.

(٣) اشتغل بالتدريس والفتوى بالشحر ثم تولى القضاء بها، وعُرف بالعدل والنزاهة وكان يضرب به المثل في حضرموت في حسن الخط وقيل: إنه لا يتناول أجرًا على واجباته القضائية. توفي بالشحر سنة ٩٠٧هـ ودفن بتربة الشيخ فضل، بامطرف، محمد عبد القادر، المرجع السابق، ص: ٤٩، ٥٠.



شكل (٣) مخطط (مسقط أفقي) الجامع الكبير بالشحر (عمل الباحث)

وظيفة المنشأة:

يقوم الجامع بوظيفة صلاة الجمعة، وصلاة العيدين، بالإضافة إلى صلاة الفروض الخمسة اليومية، فضلا عن إقامة الدروس اليومية.وقد لعب الجامع دورا كبيرا في الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية لمدينة الشحر.

أوقاف المسجد الجامع:

أوقفت على المسجد الجامع بالشحر العديد من الأوقاف، تنوعت بين أراض زراعية، وأخرى عقارية وحصص من سقي الماء لري المزارع.

٢-مسجد الشيخ عبدالله بن يعقوب (ت ٥٨١هـ) (مولى المحطة)

الموقع:

يقع مسجد الشيخ عبد الله بن يعقوب في حارة القرية في الجهة الشمالية الشرقية.إلى الشارع الرئيسي الملتف حول حي القرية من الجهة الجنوبية أو البحرية (جهة الساحل). ويقع قريبًا من الجامع إلى الشمال الغربي منه وهو الآن (خراب).

التسمية:

ينسب للشيخ عبدالله بن يعقوب بن يوسف باوزير، ويقال له: مسجد مولى المحطة[1]. وهو على خط طول: ٥٩ً, ١٦ َ٤٥ ْ١٤شمالاً ٢٣ ً, ١٧ َ٣٦ ْ٤٩ شرقًا.

يرجع تاريخ المسجد إلى القرن السادس الهجري. ويذكره بامطرف من المساجد العامرة في مدينة الشحر سنة ٩٢٩ هجرية[2]. وهذا المسجد يعد من المساجد المندرسة. والمسجد بحالته الحالية عبارة عن مساحة مربعة ترتفع عن الشارع بنحو: (٢٠, ١م) يصعد إليه عن طريق درج مكون من عدة درجات يؤدي إلى فتحة مستطيلة بها باب خشبي مكون من درفتين يقع في الجهة الشمالية يؤدي إلى داخل المسجد، كما يوجد في الجهة الجنوبية (البحرية) مبنى مربع ملاصق عبارة عن ضريح تهدمت القبة التي تعلوه. وهي حاليًا مغطاة بسقف مستوٍ يضم قبر الشيخ عبدالله بن يعقوب (مولى المحطة).

٣- مسجد الشيخ سعد

الموقع:

يقع مسجد الشيخ سعد في حارة المجرف في طرفها الغربي، يحده من الجهة الشمالية الطريق العام وبيت السيد الشاعر حسين المحضار، ومن الجهة الشرقية أرض فضاء. ومن الجهة الجنوبية المقبرة القديمة ومن الغرب فضاء والشارع الرئيس. كما يقع على خط طول: ٤١.٢٢ً َ٤٥ ْ١٤شمالاً ٩٨ ً, ٣٥ َ٣٦ ْ٤٩شرقًا.

التسمية:

ينسب المسجد إلى الشيخ سعد الدين محمد بن علي بن محمد الظفاري الملقب بتاج العارفين، ويعرف لدى العامة بمسجد الشيخ سعد.

ذكره باحسن في مخطوطه "مسجد سيدنا الشيخ سعد بن علي الظفاري نفع الله به آمين" ولم يزد على ذلك[3]. كما ذكره بامطرف من المساجد العامرة سنة ٩٢٩ هجرية[4].

(١) خميس حمدان، المرجع السابق، ص: ١٤٧.

(٢) بامطرف، الشهداء السبعة، ص: ٤٧.

(٣) باحسن، المصدر نفسه، ج٢، ص: ٧٨.

(٤) بامطرف، الشهداء السبعة، ص: ٤٨.

كما يذكره شنبل "الإمام العلامة سعد بن علي الظفاري من أئمة الفقهاء المتقدمين المشهورين بالصلاح والتقوى قرأ على الإمام صاحب مرباط وعلى الشيخ محمد بن سالم باوزير. توفي بالشحر سنة ٦٠٧ هجرية ودفن بالمقبرة الشرقية بالشحر"[١].

على الرغم من أن هذا المسجد يعد من المساجد القديمة ولكن للأسف الشديد تم تهديمه وأعيد بناؤه، إلا أنه يمكننا أن نعطي وصفًا له من خلال تتبعنا لبعض المراجع وكذلك من خلال وصف الأهالي وخاصة كبار السن ومن ساكني الحارة التي يقع بها المسجد، وقد تم إزالة المسجد القديم في سنة ١٩٩٠م. وبني مكانه المسجد الحالي.

الوصف المعماري للمسجد القديم:

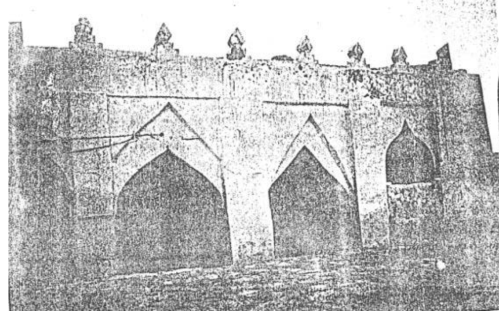
من خلال تقرير بعثه اليونسكو ومن خلال ثلاث صور فوتوغرافية قديمة للمسجد، يمكن القول إن المسجد كان عبارة عن بناء مستطيل الشكل له مدخلان يقع المدخل الرئيس في الجهة الشمالية يؤدي مباشرة إلى صحن المسجد مباشرة، ثم المصلى (بيت الصلاة)، أما المدخل الآخر فيقع في الجهة الغربية في الركن الجنوبي للمسجد ويؤدي إلى المطاهير وأماكن الوضوء.

وبحسب وصف تقرير اليونسكو بأن مسجد الشيخ سعد "عبارة عن مسجد صغير وجميل له شغل خشبي مزين ومتقن ونوافذ مشبكة يعود تاريخها إلى القرن السادس الهجري[٢] وفي الداخل يوجد محراب مبيض مزين ورواق مكون من عقدين مروحيين أشكالها متعددة مثل المروحة يلاصقان عقدًا رئيسيًّا على شكل قاعدة سفينة، أما سقفه فهو ذو سطح مستوٍ.لوحة (٣، أ، ب).

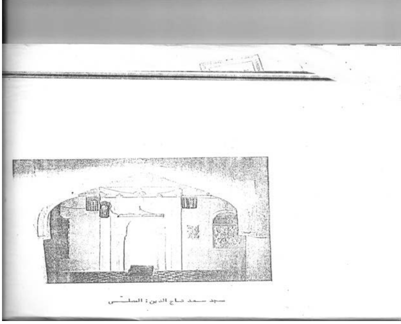
---

(١) شنبل، أحمد عبدالله، تاريخ حضرموت، ص: ٧١. باوزير، سعيد عوض، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، القاهرة، دار الطباعة الحديثة، ١٩٦١م، ص: ١٢٣.

(٢) مواقع أثرية، المرجع السابق، ص: ١٢٥.



لوحة (٣ أ) مسجد الشيخ سعد- الصحن (الضاحي)



لوحة (٣ ب) مسجد الشيخ سعد- المصلى

وقد مر المسجد بتجديدات كان منها أن البناء أعيدت عمارته حوالي سنة (٩٣٧هـ) [١]. وللأسف الشديد فقد تم هدم المسجد القديم وبني مكانه مسجد حديث في سنة ١٩٩٣م.

٤- مسجد بازيراك

الموقع:

يقع مسجد بازيراك (بازيراق) كما يسميه عامة الناس بالشحر في حارة القرية في الجهة الشرقية بالقرب من سوق المدينة، على خط طول: ٥٧. ٢٠ َ٤٥ ْ١٤شمالًا ً٦٧, ١٩ َ٣٦ ْ٤٩شرقًا.

التسمية:

ينسب هذا المسجد للشيخ محمد بن علي بازيراك، ويرجح بأن هذا المسجد يعود بناؤه إلى القرن السابع الهجري.

يذكره باحسن "مسجد الشيخ محمد بن علي بن عثمان بازيراق بالقرية وهو من المساجد القديمة"[٢]. ولم يزد على ذلك، كما ذكره بامطرف من المساجد العامرة في مدينة الشحر في سنة ٩٢٩ هجرية[٣]. والمسجد أعيد تجديده وتوسعته مع الاحتفاظ بالبرك القديمة للاغتسال والتي تقع إلى الجهة الشرقية من المسجد.

(١) مواقع أثرية، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(٢) باحسن، المصدر السابق، ج٢، و ٧٦.

(٣) بامطرف، الشهداء السبعة، ص ٤٨.

٥- مسجد عبد الرحيم (ت ٧٤٧هـ)

الموقع:

يقع مسجد عبد الرحيم في حارة الحوطة في الجهة الجنوبية الغربية للمدينة، ويسمى عند عامة الناس في الشحر بمسجد عبد الرحيم.

التسمية:

ينسب للشيخ عبد الرحيم بن عمر باوزير، ذكره باحسن بقوله: "مسجد الشيخ عبدالرحيم بن عمر باوزير"[١]. وهو من المساجد العامرة سنة ٩٢٩ هجرية[٢]. وقد جدد هذا المسجد بالكامل.

والشيخ عبدالرحيم بن عمر بن محمد بن سالم باوزير مؤسس مدينة غيل باوزير[٣] في ساحل حضرموت وكان ذلك في سنة ٧٠٦هـ[٤]. وقد انتقل من الغيل الأسفل (غيل عمر) الذي أسسه والده - إلى الساحل باحثًا عن منطقة مناسبة للإقامة له ولعقبه من بعده- فوقع اختياره على هذا المكان المسمى اليوم بغيل باوزير، وبنى بها منزله ومسجدًا، واشترى أراضي لأوقاف المسجد، ومن ثم بنى مدرسة لأبنائه وأحفاده وغيرهم من طلاب العلم، وقد أعقب ثلاثة أولاد (سعيد وعثمان وأحمد)، وحفيده عبدالرحيم بن سعيد بن عبدالرحيم باوزير (ت٨٢٧ هـ/ ١٤٢٣م) المعروف بصاحب الطرائق[٥].

وكان صاحب الترجمة أحد أعلام الدعاة إلى الله، وناشري ألوية المعرفة والثقافة في ساحل حضرموت، بنى المسجد (الجامع) بغيل باوزير، وأسس بها المدرسة المشهورة التي جلب إليها الأساتذة الأكفاء من مشاهير العلماء وحبس الأوقاف الكثيرة لطلبة العلم

---

(١) باحسن، المصدر السابق، ج٢، و: ٧٧.

(٢) بامطرف، الشهداء السبعة، ص: ٤٧.

(٣) غيل باوزير: أرض واسعة فيها عيون ماء غزيرة جارية، عليها نخل كثير، وأكثر ما يزرع عليها التبغ، وهو أجود ما يكون، يرسل منها إلى عدن ومصر والحجاز. والغيل منسوب إلى الشيخ عبدالرحيم بن عمر باوزير. (السقاف، عبدالرحمن بن عبيدالاه، معجم بلدان حضرموت، ص: ٦٢) وتعد اليوم مدينة كبيرة وإحدى مديريات محافظة حضرموت.

(٤) باوزير، سعيد عوض، الفكر والثقافة، ص: ١٣٨، ١٣٩.

(٥) باوزير، سعيد عوض، صفحات من التاريخ الحضرمي، ص: ١٠٩، ١١٠.

والغرباء، وغير ذلك من وجوه البر والإحسان حتى أصبحت غيل باوزير في عهده ثم في عهد أبنائه وأحفاده قبلة الأنظار وكعبة الطلبة ورجال العلم، يقصدونها من جميع أنحاء حضرموت للدراسة على علمائها وأساتذتها والأخذ عنهم، فقد أتى إليها من داخل حضرموت للدراسة أمثال العلامة الإمام محمد بن أحمد بافضل، والعلامة عبدالرحمن السقاف، والشيخ علي بن أبي بكر السقاف، والفقيه عمر بحرق، والعلامة عبدالله بن أحمد باكثير(١).

وكانت وفاة الشيخ الصالح الكريم عبدالرحيم بن عمر باوزير في منتصف شعبان سنة ٧٤٧هـ، ودفن شرقي مسجده الجامع ثم أدخل ضريحه في المسجد عندما زيدت مساحة المسجد بعد ذلك(٢).

٦- مسجد باهراوة (ت ٧٦٩هـ) (باقرين)

الموقع:

يقع مسجد باهراوة (باقرين) في حارة عقل باغريب إلى الشمال من دار ناصر(٣).

التسمية:

ينسب للشيخ حسين باهراوة. ويذكره باحسن بقوله: "مسجد الشيخ حسين باهراوة، ويقال له: باقرين، وهو من أجل مساجد الشحر المحروس، وهو مأثور كثير البركات عليه جلالة ونور، وسمعت أن جابيته الكبيرة الشرقية ماؤها شفاء الجراحات، ولعلها كانت هي القديمة في المسجد من زمان الشيخ ".

واشتهر بتسميته بمسجد باقرين، وهي التسمية المتداولة عند الأهالي.

ويعد من المساجد التي ذكرت في بيان المساجد المعمورة إبان الغزو البرتغالي للشحر

---

(١) باوزير، سعيد عوض، الفكر والثقافة، ص: ١٣٨، ١٣٩.

(٢) شنبل، أحمد بن عبدالله، المرجع السابق، ص: ١٢٢ و باوزير، سعيد عوض، الفكر والثقافة، ص: ١٣٩، وبافقيه، الشحري، المرجع السابق، ص: ١٠٥.

(٣) دار ناصر: أحد حصون الدولة ومقر حاكم الشحر، وينسب بناؤها إلى الأمير ناصر بن ناجي بن بريك، وقد حكمت هذه الأسرة الشحر من سنة ١١٦٥هـ/ ١٧٥١م إلى سنة ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م. (الجوهي، خالد حسن، إمارة آل بن بريك في الشحر، دار الوفاق، الطبعة الأولى ٢٠١٠م، عدن، ص: ٥١ وخميس حمدان، المرجع السابق، ص: ٤٦-٥٨).

سنة ٩٢٩ هجرية، وهو ما يفيد قدم بنائه[١]. ودرَّس فيه الشيخ حسن بن علي ابن أبي جبير (ت ٧٣٢هـ) [٢]. كما درَّس فيه الشيخ حسين أبي هراوة حتى نسب إليه[٣].

وتحدث باحسن عن الشيخ باهراوة بقوله: "ومن مشاهير الرجال الشيخ الجليل أوحد الأئمة العارفين والعلماء الراسخين صاحب المنقبة العظيمة والكرامة الجسيمة التي لا ينكرها إلا ذو غباوة، سيدنا الإمام الحسين باهراوة قدس الله سره ونفعنا به آمين، كان من كبار العارفين والعلماء العاملين"[٤].

ثم قال مشيرًا إلى مسجده: "وله مسجد معروف يعرف بباقرين، ولم أعلم حقيقة نسبته بذلك، وقبره داخل قبة سيدنا سعد الدين الظفاري نفع الله به آمين"[٥]، وقد توفي الشيخ حسين أبي هراوة سنة (٧٦٩هـ)[٦] والجدير ذكره أن المسجد قد أعيد بناؤه مرة أخرى.

٧- مسجد الشيخ اليافعي (قبة مزروع).

الموقع:

يقع مسجد الشيخ اليافعي (قبة مزروع) في حارة الحوطة.على خط طول: ٥٩ً, ١٦َ ٤٥ْ ١٤ شمالاً ٢٣ً, ١٧َ ٣٦ْ ٤٩ شرقًا.

التسمية:

ينسب بناؤه للشيخ عبدالله بن أسعد اليافعي، ترجم له الشرجي فقال: " أبو محمد عبدالله بن أسعد اليافعي نزيل الحرمين الشريفين، الذي كان يقتدى بآثاره، ويهتدى بأنواره، شهرته تغني عن إقامة البرهان...، كان مولده بمدينة عدن ونشأ بها، اشتغل بالعلم حتى برع فيه، ثم حج ورحل إلى الشام، ثم رجع إلى الحجاز وأقام بالمدينة مدة، ثم عاد إلى مكة ولازم المجاورة والاشتغال بالعلم، توفي سنة ٧٦٨هـ ودفن بباب المعلاه[٧].

---

(١) بامطرف، الشهداء السبعة، ص: ٤٨.

(٢) الجندي: أبو عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب، ت ٧٣٢هـ. السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، ج ٢، مطبعة بساط بيروت، لبنان ١٩٨٣م، ص: ٤٦٠.

(٣) السقاف، بضائع التابوت، ورقة: ٣٦٠.

(٤) باحسن، المصدر السابق، ج٢، و: ٦٥.

(٥) باحسن، المصدر نفسه، الورقة نفسها.

(٦) السقاف، بضائع التابوت، ورقة: ٣٦٠.

(٧) الشرجي، المرجع السابق، ص: ١٧٢، ١٧٦.

وابنه العلامة الشيخ عبد الرحمن بن عبدالله بن أسعد اليافعي يلقب بالزين، أحد أعلام مكة المكرمة ولد بها سنة ٧٥١هـ وترعرع في بيئة علمية تحت رعاية والده وحفظ الحاوي الصغير، اشتغل بالعلم وبذكاء مفرط، وله شعر حسن، ثم تزهد، وصحب الصالحين ببلاد كثيرة وانقطع إليهم وعظم قدرهواشتهر أمره، وكان أبوه ينوه بذكره، وتوفي على قدم التجرد في أثناء سنة ٧٩٧هـ ببلاد الجزيرة برحبة الفرات[(١)].

أمره والده الإمام عبدالله بالرحلة إلى زيارة حضرموت والاجتماع بمن فيها من الشيوخ والعلماء والأخذ عنهم، والذين كان قد اتصل هو بهم في مكة المكرمة أمثال الشيخ عبدالله بن محمد الخطيب المتوفي سنة ٧٩٣هـ والشيخ الإمام فضل بن عبدالله بافضل عندما حج سنة ٧٦٤ هـ وقد نوه بهم في قصيدته:

وحضرموت بها قوم بفضلهم ... يستمطر الواكف الهامي من الديم
بنو أبا علوي الكرام بنو ... عباد السادة الحامون للحرم
وعصبة في نواحي الشحر بل ببني ... أبا وزير ذوي الإحسان والكرم[(٢)]

فسار ابنه المذكور إلى جدة ثم بعدها ركب البحر إلى مدينة الشحر والتقى بمن فيها من الشيوخ كالفقهاء آل السبتي، وآل باهراوة وغيرهم حيث قوبل بالحفاوة والإكرام وقام ببناء مسجد بالشحر عرف بمسجد اليافعي، ثم زاد في عمارته وتوسيعه آل مزروع من أهالي الشحر ولهذا نسب إليهم[(٣)].ونشير هنا إلى أن المسجد تم توسعته وأعيد بناؤه.

٨- مسجد باعمران

الموقع:

يقع مسجد الشيخ أحمد باعمران في حارة عقل باعوين، وسط سوق المدينة، والذي يعرف بسوق شبام.

---

(١) بلفقيه، عبدالله بن حسن، لمحة من زاوية التاريخ الحضرمي، تحقيق: محمد يسلم عبد النور، ط١، مركز النور للدراسات، تريم ٢٠٠٥م. ص: ٤٣.
(٢) بلفقيه، عبدالله بن حسن، المرجع نفسه، ص: ٤٩، ٥٠ والشرجي، المرجع السابق، ص: ٢٥٨.
(٣) باحسن، المصدر السابق، و: ٨٥.

التسمية:

ينسب المسجد إلى الشيخ أحمد باعمران، وهو من المساجد المباركة المأثورة القديمة[1]، ولم تشر المعلومات إلى أنه هو الذي أنشأ المسجد إلا أنه كان يقيم حلقات الدرس فيه، وأنه كان إمامًا للمسجد المذكور، ولذلك نسب إليه.

وقد ذكره بامطرف في ضمن المساجد العامرة في سنة ٩٢٩ هجرية، وأن هناك مدرسة قرآنية ملحقة بالمسجد[2]. ويذكر شنبل في تاريخه أنه "في سنة ٩١٣ هجرية بُني حَمَّام[3]مسجد باعمران بالشحر"[4]. والمسجد قد تم هدمه وإعادة بنائه من جديد.

٩- مسجد بلحاف (ت ٧٤٧هـ)

الموقع:

يقع مسجد الشيخ سعيد بن عمر بلحاف في حارة المجرف، في الجهة الجنوبية الشرقية للمدينة، بالقرب من ساحل البحر. واشتهر عند أهل الشحر بمسجد بلحاف.

التسمية:

ينسب إلى الشيخ سعيد بن عمر بلحاف الذي تولى التدريس فيه.[5] وقد أشار باحسن إلى الشيخ سعيد بقوله " ومن مشاهير الرجال الشيخ الواصل والغوث الكامل المتحلي بالتقوى والزهد والعفاف العارف بالله سعيد عمر بلحاف " [6]

وقد ذكر بامطرف أن هذا المسجد كان عامرًا سنة ٩٢٩هـ.[7]وقد توفي الشيخ سعيد ابن عمر بلحاف سنة ٧٤٧هـ[8].والمسجد أعيد بناؤه من جديد.

---

(١) باحسن، المصدر السابق، ج٢، و: ٧٧.

(٢) بامطرف، الشهداء السبعة، ص: ٤٩

(٣) الحمام من المسجد: الموضع المكن داخل المسجد وليس الحمام المعروف.

(٤) شنبل، أحمد بن عبدالله، المرجع السابق، حوادث سنة ٨٨١ هـ، ص: ١٩٦.

(٥) باحسن، النفحات، ج٢، و: ٧٨.

(٦) باحسن، المصدر نفسه، ج٢، و: ٧٨.

(٧) بامطرف، الشهداء السبعة، ص: ٤٨.

(٨) باحسن، المصدر نفسه، الجزء نفسه، الورقة نفسها.

١٠- مسجد بن جوبان

الموقع:

يقع مسجد الشيخ أحمد بن جوبان في الجهة الشرقية لمدينة الشحر خارج السور، ويعرف المسجد لدى العامة بمسجد بن جوبان.

التسمية:

ينسب إلى الشيخ أحمد بن جوبان وهو من رجال القرن الثامن الهجري [١] تحدث عنه باحسن بقوله " ومن مشاهير الرجال الشيخ الفاضل والجهبذ الكامل الإمام العلامة أحمد بن جوبان نفع الله به كان من أجل المشايخ أرباب العارفين المترقين في مقام الإحسان... وله مسجد مشهور في الجانب الشرقي من البلد ".[٢]

كما ذكره بامطرف بأن هذا المسجد كان عامرًا سنة ٩٢٩هـ[٣]، ونشير إلى أن المسجد قد هدِّم وأعيد بناؤه وتوسعته من جديد.

١١-مسجد باذيب

الموقع:

يقع مسجد باذيب في حارة عقل باعوين في الجهة الشرقية من المدينة.

التسمية:

ينسب للشيخ أحمد بن عمر باذيب. وقد سميت الحافة باسمه (حافة باذييب). ويرجح بأن المسجد يرجع إلى فترة القرن الثامن الهجري.

وقد ذكر باحسن أنَّ " مسجد الشيخ باذيب من المساجد المأثورة العامرة.[٤] وأضاف بامطرف أنه كان ملحقًا بالمسجد مدرسة قرآنية، وأن المسجد كان عامرًا سنة ٩٢٩هـ.[٥]ونشير هنا إلى أن المسجد قد جُدِّد في فترة سابقة.

---

(١) بامطرف، الشهداء السبعة، ص: ٥١.

(٢) باحسن، النفحات، ج٢، ورقة: ٧٨.

(٣) بامطرف، الشهداء السبعة، ص: ٤٨.

(٤) باحسن، النفحات، ج٢، و، ٧٧.

(٥) بامطرف، الشهداء السبعة، ص: ٤٨.

١٢- مسجد بن قضيمتي (بني سنة٨٤٦ هـ)

الموقع:

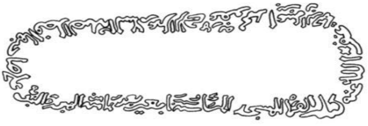
يقع مسجد بن قضيمتي في حارة عقل باغريب في الجهة الشمالية الغربية للمدينة، وهو على خط طول:ً٩٦ , ٣٥َ٤٥ْ١٤شمالاً ٣٧ً. ١٣َ٣٦ْ٤٩ شرقًا.

ويعرف هذا المسجد بمسجد بن قضيمتي، اختلف في اسمه(بن قضيمتي) فقيل إن الشيخ أحمد كان يطلب من القوافل القادمة من البر (قضمة)[١]من كل حمل (حب)[٢]، فيُعطى ذلك على صورة التبرك، وقيل غير ذلك والله أعلم.[٣]

ويشير المؤرخون إلى أن مسجد بن قضيمتي بني سنة (٨٤٦ هـ)، ويؤكد ذلك وجود النص التأسيسي الظاهر على سقف المسجد، والذي نصَّ على أنه (كانت العمارة للمسجد المبارك سنة ست وأربعين بعد ثمان مئة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، عمل الراجي عفو ربه محمد بن عبدالرحمن غفر الله له). لوحة (٤) شكل (٤).



لوحة (٤) نص التأسيس منقوش على السقف



نص التاسيس لمسجد بن قضيمتي . (كملت العمارة للمسجد المبارك سنة ست وأربعين بعد الثمان مئة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام عمل الراجي عفو ربه محمد ابن عبدالرحمن غفر الله عنه (عمل الباحث)

شكل (٤)تفريغ لنص التأسيس، سقف المسجد

وأشار إلى هذا التاريخ باحسن وذكر أنه في فضاء من الأرض وبه غاية التروح والانشراح.[٤]

كما تم تجديد المسجد وتوسعته في سنة ١٤٠٨ هجرية دون الإشارة إلى من قام بالتجديد والتوسعة، وذلك بحسب ما كتب على جدار المحراب للمصلى الجديد الواقع جوار المصلى القديم إلى جهة الجنوب.

والمسجد المشار إليه قديم، تعبد فيه الشيخ الكبير عمر المحضار وأقام فيه مدة، وهو

---

(١) قضمة: تعبير في لهجة حضرموت الدارجة ويعني ملئ كف اليدين.

(٢) حَبْ: يقصد بها القمح والشعير وغيره من أنواع الحبوب.

(٣) باحسن، المصدر السابق، ج٢، و: ٧٣، ٧٤.

(٤) باحسن، المصدر نفسه، ج٢، الأوراق نفسها.

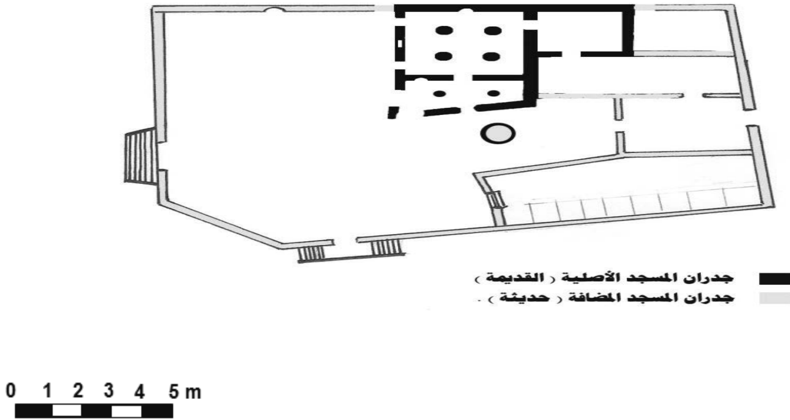
على عمارته السابقة لم يتبدل منه شيء، وكان يقال له مسجد القوم لظهور أرواح الأولياء به في غالب الأوقات؛ ولهذا السبب لم يجرؤ أحد أن يدخله ليلًا لما له من الهيبة والجلالة. وكان يقصد الركوع فيه كثير من الصُلحاء والأخيار لما فيه من البركة وعظيم الأسرار، وكان سيدنا المحضار أكثر ما يجلس فيه بالجانب النجدي نحو الأسطوانة النجدية قريبًا من الباب النجدي الذي يتوصل منه إلى مسجد النساء، وهو يشتمل على أربع أسطوانات بغاية الإحكام، وعلى سقفه كتابة آيات من القرآن العظيم.[1]

إن المصادر التي بين أيدينا لا تعطينا معلومات واضحة عن اسم المنشئ كاملًا، ولا تاريخ ولادته ووفاته، ومن خلال البحث في كتب التراجم لم يجد الباحث له أي ذكر في أسماء من ترجم لهم خلال تلك الفترة الزمنية.

التخطيط المعماري للمسجد شكل (٥).

يتكون المسجد الحالي من مساحة مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب بطول قدره (٣٠,٦٠م) تقريبًا ومن الشرق إلى الغرب بعرض قدره (٢٣ م) تقريبًا تضم المصلى ومسجدًا للنساء والفناء والظلة وأماكن الوضوء والبئر. و للمسجد ثلاثة مداخل: المدخل الرئيس ويقع في الواجهة الشرقية، و مدخلان آخران أحدهما في الواجهة الجنوبية والآخر في الواجهة الشمالية.شكل (٥).

(١) باحسن، النفحات، ج٢، و: ٧٤.



شكل (٥) مخطط (المسقط الأفقي)مسجد بن قضيمتي (الباحث)

المصلى من الخارج:

المصلى عبارة عن مساحة مستطيلة طولها من الشمال إلى الجنوب حوالي (٦,٧٠م) وعرضها من الشرق إلى الغرب (٦,٥٠م).

الواجهة الغربية (القبلية):

تطل الواجهة الغربية على شارع فضاء، وتمتد من الجنوب إلى الشمال بطول (٦,٧٠ م) وارتفاع حوالي (٤م) ويتخلل الواجهة اثنان من المراعيض لتصريف مياه الأمطار، ويزين الجدار من الأعلى ثلاث شرافات سهمية (رمحية) الشكل، واحدة في الوسط، واثنتان موزعة على الأركان. شكل (١٩).

الواجهة الشرقية:

تمتد من الشمال إلى الجنوب بطول (٦,٧م)، يتقدمها ظلة مساوية لها في الطول، أما عرضها فيبلغ حوالي (٣م). يتوسط الواجهة المدخل الرئيس للمصلى وهو عبارة عن باب خشبي ذي مصراعين عرضه (١,٢٠م) وارتفاعه (١,٦٠م) ويقع محوريًا على المحراب، وإلى جواره محراب صغير.

الواجهة الجنوبية:

تطل الواجهة الجنوبية حاليًا على المصلى الجديد الذي يقع في الجهة الجنوبية، وقد بني عند التوسعة الأخيرة للمسجد سنة ١٤٠٨هـ. وتمتد الواجهة من الشرق إلى الغرب بطول(٦,٥٠م) فتح بها مدخلان يطلان على المصلى الحديث، وأبعادهما متساوية (١,٦٠م× ٨٠سم) ويتوسط الجدار نافذة عرضها(٩٠سم) وارتفاعها (٥٠ سم) يغلق عليها درفتان من الخشب، ويتقدمها قضبان حديدية. ويرجح بأنَّ البابين والنافذة استحدثا في وقت لاحق عند عمارة المسجد ولم تكن من أصل المسجد القديم.

الواجهة الشمالية:

وتشترك مع جدار الواجهة الجنوبية لمصلى النساء وملتصقة به، وتمتد موازية للواجهة الجنوبية وبالطول نفسه (٦,٥٠م).

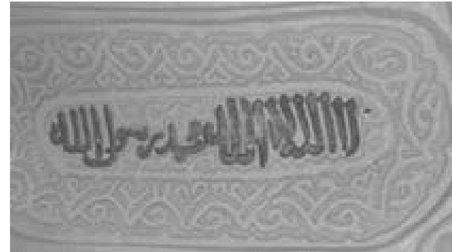
المصلى من الداخل:

يتكون المصلى من الداخل من مساحة مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب بطول (٥,٢٠م)، وعرض (٥م) من الشرق إلى الغرب. والمصلى يتألف من ثلاثة أروقة (أساكيب)، تقطعها ثلاث بلاطات بوائك من الأعمدة في كل بائكة عمود ارتفاعهما (١,٧٠م) تقوم على الأرض مباشرة، ولها تيجان مدرجة ترتكز عليها عقود مدببة تحمل السقف. لوحة (٥).

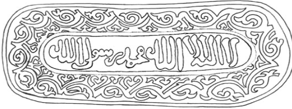


لوحة (٥)مسجد بن قضيمتي، المصلى

وقد وجد المعمار حلًّا هندسيًّا لعمل تسقيف المصلى، فيلاحظ أن البلاطة الأولى التي تقع جهة الشمال، وكذلك البلاطة الثالثة والتي تقع جهة الجنوب جاءتا على شكل جملون أو قبو، وتمتد من الشرق إلى الغرب بطول (٣,٦٠ م) ومن الشمال إلى الجنوب بعرض (١,٣٠م) وكُتِبَ عليها تاريخ تأسيس المسجد ونصُّه (كملت العمارة للمسجد المبارك سنة ست وأربعين بعد ثمان مئة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام عمل الراجي عفو ربه محمد بن عبدالرحمن غفر الله له). أما البلاطة الثالثة وهي بقياس الأولى نفسه فكتب عليها الشهادة (لا اله إلا الله محمد رسول الله) لوحة (٦) شكل (٦).



لوحة (٦)نقش كتابي (الشهادة)

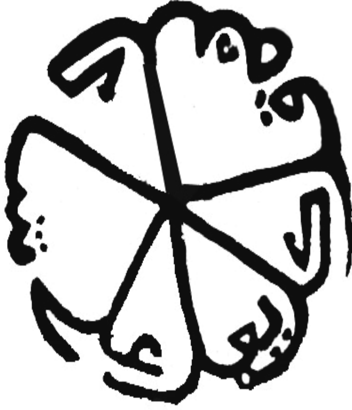


شكل (٦) تفريغ نقش كتابي (الشهادة)

وفي البلاطة الوسطى والتي هي محورية على المحراب قسمت المساحة إلى قسمين القسم الأول والذي إلى جهة المحراب مباشرة على شكل مستطيل طوله من الشمال إلى الجنوب (١,٦٠م) وعرضه من الشرق إلى الغرب (١,٤٠م) كتبت الآية الكريمة ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾، لوحة (٧) شكل(٧).

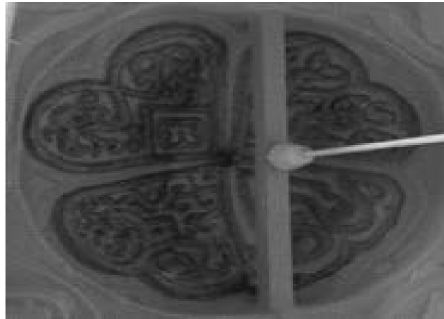


لوحة (٧)الآية الكريمة
﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾

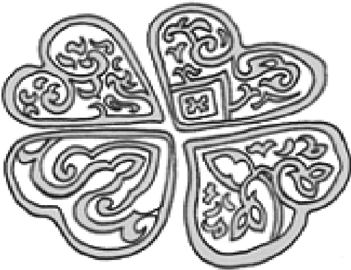


شكل(٧) تفريغ الآية الكريمة
﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾

ثم وإلى جواره مستطيل آخر بالقياس نفسه السابق الذكر يحمل زخرفة نباتية على شكل أربعة قلوب، نفذت بالجص بشكل بارز لوحة (٨)، شكل (٨).



لوحة (٨) زخارف نباتية على السقف



شكل(٨) تفريغ للزخارف النباتية (الباحث)

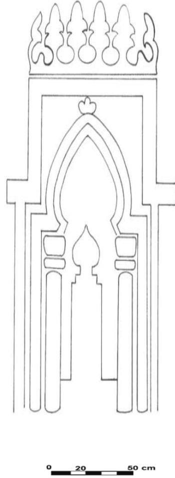
وفي مؤخرة المصلى مساحة مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب بطول (٥,١٥م) ومن الشرق إلى الغرب بعرض (١,٤٠م) على شكل قبو أو جملون.

المحراب: (لوحة ٩، شكل ٩).

يتوسط الواجهة الغربية (القبلية) حنية المحراب، ارتفاعه (١,٨٥م) واتساعه (٧٠سم) وبعمق (٥٠ سم) ويغطي الحنية قوس على شكل عقد مدبب يرتكز على عمودين مندمجين وضعًا على الأرض مباشرة، ويعلو كلًّا من العمودين عضادة ثم تاج جرسي. ويحيط بكتلة المحراب شريط مستطيل بارز تعلوه زخرفة بارزة، عبارة عن أربعة أوراق نباتية خماسية. (لوحة ٩، شكل ٩).



لوحة (٩) مسجد بن قضيمتي، المحراب



شكل (٩) مخطط محراب مسجد بن قضيمتي (الباحث)

ويفتح في هذه الواجهة خزانتان، إحداهما على يمين المحراب والأخرى إلى اليسار هما ذواتا أبعاد متساوية عرض كل منهما (٥٠ سم) وارتفاع (٧٠ سم) يغلق عليها درفتان من الخشب لحفظ المصاحف.

أما الواجهة الشرقية فيتوسطها مدخل محوري على المحراب وهو المدخل الرئيس للمصلى. والواجهة الشمالية فتح بها مدخل عبارة عن باب خشبي يوصل إلى مسجد النساء

وهو مغلق.علاوة على وجود خزانة صغيرة تقع في الركن الشرقي للجدار عرضها ٤٠ سم وارتفاعها ٥٠ سم تستخدم لحفظ زيت سرج المسجد قديمًا.أما الواجهة الجنوبية فقد فتح بها مدخلان يتوسطهما نافذة -وقد وصفناهما سابقًا - وتوصل مداخل تلك الواجهة إلى المصلى الذي أضيف إلى المسجد في وقت لاحق عند توسعته.

مصلى النساء:

ويقع ملاصقًا بجدار الضلع الشمالي لمصلى الرجال، وهو عبارة عن مساحة شبه مستطيلة طولها (٤م) وعرضها (٣م). سقفها مسطح بدون أية أعمدة، فتح به مدخل في الجهة الشرقية يؤدي إلى المصلى، ويتقدمه مساحة مستطيلة (٢,٥٠م× ٤م)كانت بها بركة ماء للوضوء، طولها١م وعرضها ٨٠ سم وعمقها ٣٠سم، وإلى جوارها سقاية للماء عبارة عن أربعة جدران أبعادها ٦٠سم × ٩٠ سم × ١م، يغطيها لوح خشبي.

الصحن (الضاحي):

يشغل الصحن (الضاحي) الجزء الشرقي من المسجد، ويحده من الشمال المطاهير ومن الغرب المصلى ومن الجنوب جدار الواجهة. مساحة الصحن شبه مستطيلة، وقد كانت في السابق حوالي (٧ ×٩م) أما المساحة الحالية للصحن فيبلغ فيها أقصى طول للضلع الغربي حوالي (٢٧ م) بينما الضلع المقابل له وهو الجنوبي يصل إلى (٢٥ م) أما الضلع الشمالي فعرضه (٨,٢٠ م) في حين يصل عرضه في جهة الجنوب إلى حوالي (١٧م).

الظلة:

وتقع بين الصحن والمصلى، والظلة عبارة عن مصلى صيفي مسقوف وذلك لوجود محراب صغير مائل إلى جهة الجنوب، وتتكون الظلة من مساحة مستطيلة الشكل تمتد من الشمال إلى الجنوب بطول (٦م) ومن الشرق إلى الغرب بعرض (٣م)، ويرتكز سقفها المسطح على عمودين (ساريتين)، ويحجزها جدار يشرف على الصحن، به مدخلان عبارة عن فتحتين مستطيلتين تؤديان إلى الداخل، يقع أحدهما جهة الشمال، والآخر جهة الجنوب.

أما المحراب -فكما أشرنا سلفًا- فيقع في الضلع الشرقي للمصلى مائلًا إلى جهة الجنوب، وهو عبارة عن حنية عرضها (٧٥سم) وطولها (١٦٠ سم) وبعمق (٥٠ سم)، تعلو حنية المحراب الطاقية وهي على شكل قبو.والمحراب في تكوينه بسيط، ويعد من المحاريب التذكارية (الثانوية) التي توجد في المصليات الصيفية.

المطاهير والحمامات:

تقع المطاهير والحمامات حاليًا في الركن الشمالي الشرقي من المسجد، وتتكون من مساحة مستطيلة طولها من الشمال إلى الجنوب (٩,٦٠م) وعرضها من الشرق إلى الغرب (٥,٥٠ م) تقع مجموعة الحمامات في الجهة الشرقية وتتكون من عشرة حمامات متراصة إلى جوار بعضها البعض أبعادها حوالي (٢م × ٩٠ سم).إضافة إلى مساحة مستطيلة (٣,٥٠×٩,٥٠ م) مخصصة للوضوء عن طريق مجموعة من الحنفيات.

البئر:

تقع البئر في الجزء الشمالي الشرقي من الصحن، وقد غُطِّيت حاليًا بسقف أسمنتي، ويحيط بها مبنى دائري يرتفع عن أرضية الصحن بحوالي (٧٠سم) به فتحات للتهوية. وغُطِّيت فتحة البئر بغطاء معدني، وتزود البئر المسجد بالمياه للوضوء والاغتسال.

١٣- مسجد الشيخ فضل (ت ٨٠٥هـ):

الموقع:

يقع مسجد الشيخ فضل في حارة الحوطة في الطرف الجنوبي الغربي للمدينة خارج السور. وهو على طول: شمالًا ١٢ .١٩ً ١٤ْ٤٥َ شرقًا ١٣ .٣٧ً ٤٩ْ٣٥َ.

التسمية:

ينسب هذا المسجد للشيخ فضل بن عبد الله بافضل. ذكره باحسن بقوله: "مسجد سيدنا الشيخ فضل بن عبدالله بافضل قدس الله سره بحوطته المشهورة، ومسجده من المساجد المباركة التي تحصل فيها الإمدادات الوافرة والخيرات المتكاثرة".(١)

ولد الشيخ فضل بن عبد الله في سنة (٧٣٠هـ).(٢) ترجم له الشرجي بقوله: "أبو عبد الله فضل ابن عبدالله الحضرمي صاحب الشحر، الشيخ الولي الكبير العارف بالله تعالى، ذو الفضائل والمواهب والمعارف والمناقب، كان بالمحل الأعلى والمقام الأسنى، كثير الاعتكاف في المساجد، لا يزال فيها على وضوء كامل، يقرأ القرآن والعلم، له العناية التامة بتحصيل الفوائد مبجلًا للعلماء، حسن الظن بالناس.حج سنة أربع وستين وسبعمائة، واجتمع بالشيخ

---

(١) باحسن، النفحات، المصدر السابق، ج٢، و: ٧٦.

(٢) الكندي، ابن حميد، المرجع السابق، ص: ١٢٤.

عبدالله بن أسعد اليافعي، وكان يذكر عنه أشياء كثيرة وفوائد جزيلة "[1].وكانت وفاته بالشحر في سنة ٨٠٥ هجرية[2].ونشير هنا إلى أنه قد تم إزالة هذا المسجد وجميع مرافقه، وتم بناء مسجد جديد في المكان نفسه.

١٤- مسجد الشيخ بن سعيد

الموقع:

يقع مسجد بن سعيد في حارة الحوطة في الجهة الشمالية للمدينة، يحده من الشمال بعض المنازل ومن الجنوب الشارع الرئيس المؤدي إلى داخل سوق المدينة ومن الشرق السائلة وحصن بن عياش. ومن الغرب مجموعة من المنازل ومسجد بافقيه. وُيعرف عند الأهالي بمسجد بن سعيد.

التسمية:

ينسب للشيخ عبد الرحيم بن سعيد باوزير، ذكره باحسن بقوله "مسجد الشيخ عبد الرحيم ابن سعيد باوزير وهو مسجد كبير مبارك وفيه تقام حضرة الشيخ في ذلك الزمان"[3]. كما ذكره بامطرف ضمن المساجد العامرة سنة ٩٢٩هـ[4].

ولد الشيخ عبدالرحيم بن سعيد باوزير بغيل باوزير ونشأ وتعلم بها، وكان أحد مشاهير رجال العلم والتصوف في القرن الثامن الهجري ومطلع القرن التاسع[5]. وله صلة وثيقة بالعلامة السيد عمر المحضار بن عبدا لرحمن السقاف[6].

ترجم له الشرجي فقال: " صاحب الغيل المعروف عند أهل حضرموت بغيل أبي وزير نسبة إلى جده، كان من أفضل المشايخ المتأخرين وأحسنهم خلقًا وأكملهم تربية للمريدين، وله في طريق القوم معرفة تامة وكلام مشهور.وكراماته بين أهل تلك الناحية مشهورة، وبيت باوزير هؤلاء بيت علم وصلاح ولهم في موضعهم شهرة طائلة وزوايا ومآثر كثيرة اشتهر

---

(١) الشرجي، المرجع السابق، ص: ٢٥٨.

(٢) شنبل، أحمد بن عبد الله، المرجع السابق، ص: ١٩٩.

(٣) باحسن، المصدر نفسه، ج٢، و: ٧٥، ٧٦.

(٤) بامطرف، الشهداء السبعة، ٤٨.

(٥) باوزير، سعيد، الفكر والثقافة، ص: ١٣٩.

(٦) باوزير، سعيد، صفحات من التاريخ الحضرمي، ص: ١١١.

منهم بالصلاح جماعة، وكانت وفاته ليلة الثالث والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة ٨٢٧ هجرية ودفن شرقي قبر جده[١]، والمسجد تم تجديده بالكامل.

١٥- مسجد العيدروس

الموقع:

يقع مسجد العيدروس في حارة عقل باعوين.

التسمية:

ينسب بناؤه إلى العالم الصوفي السيد عبد الله بن أبي بكر العيدروس، الذي ولد بتريم في العشر الأُوَل من ذي الحجة، سنة إحدى عشر وثمان مائة (٨١١هـ)[٢].

وتفقه على جماعة من العلماء منهم الفقيه سعد بن عبدالله باعبيد، والعلامة عبد الله باهراوة، والشيخ إبراهيم بن محمد باهرمز، والشيخ عبدالله باغشير، وسمع الحديث من عدة مشايخ بحضرموت واليمن والحجاز[٣].

وقد أشار باحسن إلى ذلك المسجد بقوله "مسجد سيدنا الشيخ الأكبر عبد الله بن أبي بكر العيدروس، قدس الله سره، وهو مسجد صغير كان في ذلك الزمان على مربد واحد، ثم تجددت عمارته أخيرًا وزاد في رواقه من الجانب البحري وهدمت ما عليه من قباب قديمًا، وأبدل سقفه بجريد النخل وأقيم على أسطوانتين فقط، وهو مسجد مبارك مأثور[٤].

وكانت وفاته بالشحر يوم الأحد، ثاني عشر رمضان، سنة خمس وستين وثمانمائة هجرية[٥]. وقد أعيد بناء هذا المسجد كليًا في التسعينيات من القرن الماضي.

---

(١) الشرجي، أبو العباس أحمد بن عبد اللطيف (ت ٨٩٣هـ):طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء، بدون تاريخ، ص: ١٧١، ١٧٢، و باوزير، سعيد، صفحات من التاريخ الحضرمي، ص: ١١١.

(٢) خرد، محمد بن علي باعلوي (ت٩٦٠هـ)، الغرر المسمى غرر البهاء الضوي ودرر الجمال البديع البهي في ذكر الأئمة الأمجاد من بني علوي، ط١، ٢٠٠٧م، ص: ٢٨٠.

(٣) باوزير، سعيد، الفكر والثقافة، ص: ١٤٠.

(٤) باحسن، النفحات، و: ٧٣.

(٥) خرد، محمد بن علي باعلوي، المرجع نفسه، ص: ٢٨١.

١٦- مسجد باغريب

الموقع:

يقع مسجد باغريب في حارة عقل باغريب، على الضفة الشرقية من وادي سمعون، إلى الشمال الغربي من مكتب الثقافة حاليًا.

التسمية:

ينسب للشيخ سعيد بن أحمد باغريب، مؤسس الحارة التي سميت باسمه، وهو الذي أقام المسجد، وهو كبير متسع مبارك[١]. والشيخ سعيد بن أحمد باغريب صاحب المسجد المعروف بالشحر من رجالات النصف الثاني من القرن التاسع الهجري والأول من العاشر[٢]. والمسجد المذكور من المساجد العامرة سنة ٩٢٩هـ[٣].والمسجد جدد بالكامل ماعدا المنارة فهي لا تزال باقية.

المنارة: لوحة (١٠)

يعود بناء المنارة إلى نفس فترة بناء المسجد أي نهاية القرن التاسع الهجري. وهي تقع في الركن الجنوبي الشرقي للمسجد داخل الصحن (الضاحي)، وتتكون من قاعدة مربعة طول ضلعها (٣,٢٠م) وارتفاعها (٢,٩٠م) من مستوى أرضية صحن المسجد أما ارتفاعها من الخارج، أي من مستوى أرضية الشارع فيبلغ (٤,٢٠م)، يصعد إليها بوساطة ثلاث درجات، ويفتح في ضلعها الغربي (القبلي) مدخلان، المدخل الأول عبارة عن فتحة باب خشبي على مصراع عرضه (٦٠سم) وارتفاعه (٢,٠٥م) يفضي إلى مخزن صغير لحفظ أغراض المسجد.أما المدخل الآخر فهو عبارة عن فتحة باب خشبي على مصراع واحد عرضه (٦٠سم) وارتفاعه (١,٤٣م) يؤدي إلى داخل سلم المنارة. بني القسم السفلي من القاعدة بالحجر، أما بقية القاعدة والمنارة فمبنية من الطين اللبن (المدر) وتنتهي القاعدة بشرفات متدرجة سهمية الشكل. هذا ويقوم على القاعدة البدن وهو عبارة عن شكل مخروطي من مستوى واحد زينت نهايته بشريط زخرفي عرضة نحو ٣٠سم عبارة عن حطات من

---

(١) باحسن، المصدر السابق، ج٢، و: ٧٦.

(٢) الملاحي، عبدالرحمن، المصدر السابق، ص: ٦.

(٣) بامطرف، المرجع السابق، ص: ٤٨.

المقرنصات عبارة عن أشكال معينات، كما يتخلل البدن نوافذ (مناور) للإضاءة والتهوية، ويرتفع البدن نحو (٣م)، يقوم عليه جوسق دائري ارتفاعه (٢م) يتكون من ١١عمود (سارية) دائرية معقودة بعقود نصف دائرية، ويعلوه شريطان يلتفان حول الجوسق؛ الشريط السفلي عبارة عن مجموعة من المعينات متراصة إلى جوار بعضها البعض، أما الشريط العلوي عبارة عن معينات تعلوها شكل ورقة نباتية ثلاثية الفصوص. ويتوج المئذنة (المنارة) قبة صغيرة مخروطية زينت من الأعلى بميل مصنوع بمادة النورة يتكون من ثلاث جوزات وشكل كروي ينتهي في الأعلى بشكل مكعب. ويصل ارتفاع المئذنة (المنارة) إلى نحو (١٠,٦٠م). وللمئذنة قطب في الوسط يبدأ من الأرض مع القاعدة يدور حول سلم صاعد بني من الطين (المدر) فوق روابط خشبية من جذوع الأشجار تصل مابين القطب والجدار، حيث بلغ عدد درجات السلم ٢٠ درجة. لوحة (١٠).



لوحة (١٠) منارة مسجد باغريب

١٧- مسجد العيدروس (العدني)

الموقع:

يقع مسجد العيدروس في حارة الرملة بالقرب من البحر على تله مرتفعة.

التسمية:

ينسب بناء هذا المسجد للسيد الشيخ أبي بكر بن عبدالله العيدروس صاحب عدن أو العدني. يذكره باحسن بقوله: "الشيخ الكبير والعلم الشهير القطب الرباني شمس الشموس الشيخ أبوبكر بن عبدالله العيدروس باعلوي. كان مولده بتريم سنة إحدى وخمسين وثمانمائة (٨٥١هـ)، ومدة إقامته بعدن نحو خمس وعشرين سنة"[١]

وكان من أكابر الأولياء، شهمًا كريمًا جوادًا، له كرامات كثيرة. من مشايخه في العلم عمه الشيخ علي، والفقيه العلامة محمد بن أحمد بافضل، وله إجازات متعددة من علماء الآفاق كالشيخ العلامة الحافظ السخاوي، والشيخ العلامة المحدث يحيى العامري اليمني، والشيخ الإمام العلامة المزجد الزبيدي وقد مدحه الأخير بعدة أبيات، وغيرهم كثير. أما وفاته فكانت في ليلة الثلاثاء رابع عشر شوال سنة أربع عشر بعد التسعمائة (ت٩١٤ هـ)، وقد ضمن الفقيه عبدالله بن أحمد بن فلاح تاريخ عام وفاته في بيتين فقال:

قضى اجتراه وفيًّا بعامٍ وفاة الولي القطب صاحب عدن
أبي بكر العيدروس الذي به الله أعلى منار السنن[٢]

ونشير هنا إلى أن المسجد قد أعيد بناؤه.

١٨- مسجد المحضار

الموقع:

يقع مسجد المحضار في حارة الخور قريبًا من ساحل البحر على ربوة مرتفعة.

وهو على خط طول: شمالًا ١٤°٤٥َ٧٨.٣٦ً شرقًا ٤٩°٣٦َ٥٣.٢٣ً.

التسمية:

ينسب هذا المسجد للشيخ عمر المحضار. يذكره باحسن " مسجد سيدنا القطب الغوث الجامع عمر المحضار السقاف نفع الله به وهو بحارة الخور كامل العمارة وقد ذكر في المشرع الروي أن للشيخ عمر المحضار ثلاثة مساجد منها هذا المسجد المذكور وهو محل الزيارة

(١) العيدروس، عبد القادر بن شيخ، المرجع السابق، ص: ٧٥.

(٢) العيدروس، عبد القادر بن شيخ، المرجع نفسه، ص: ٧٧.

والتبرك وكثيرًا ما يلازمه السيد أبو بكر العطاس والسيد علي بن الحسين للخلوة "[١]

وقال عنه صاحب شرح العينية: إنه كان يحفظ (منهاج النووي) عن ظهر قلب كالفاتحة، ويكاد يحفظ كتاب (الحقائق) للسلمي في التفسير.[٢] ولد بتريم وتوفي بها في يوم الاثنين ثاني ذي القعدة الحرام سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة (٨٣٣هـ) وهو ساجد في صلاة الظهر ودفن في مقبرة تريم.[٣]

وتجدر الإشارة إلى أنه تفقه على العلامة الفقيه أبي بكر بن محمد بلحاج بافضل، وصحبه جماعة من أكابر العلماء العارفين ثم رحل إلى الشحر واليمن والحرمين وصحب بها جماعة كثيرين من أجل العلماء.[٤]وأخذ عنه خلائق لا يحصون، وتخرج به كثيرون.[٥]

ومن تلاميذه الفقيه محمد بن علي بازغيفان، والشيخ أحمد بن محمد باعباد، والشيخ سعيد بن أحمد باغريب الشحري و عبدالله بن الفقيه علي باحرمي، والشيخ أبوبكر ابن أبي قبيل.[٦]

وأثناء تردد الشيخ عمر (المحضار) على الشحر ابتنى بها مسجدين تولى تدريس وتفسير القرآن فيهما، كان الأول بتباله[٧]. والثاني بعرف.[٨]والمسجد مندرس حاليًا.

---

(١) باحسن، النفحات، ج٢، ٧٥، ٧٦.

(٢) الحبشي، أحمد باعلوي، شرح العينية، نظم القطب عبد الله بن علوي الحداد، ص: ١٩٢.

(٣) الشلي، محمد بن أبي بكر، المشرع الروي، ج٢، ص: ٥٣٠.

(٤) باوزير، الفكر والثقافة، ص:١٣٥.

(٥) الشلي، محمد بن أبي بكر، المرجع السابق، ص: ١٢٥.

(٦) باوزير، الفكر والثقافة، ص: ١٣٥.

(٧) تباله: قرية من أعمال الشحر تبعد عنها بنحو خمسة كيلومتر.

(٨) عرف: من قرى الشحر وأعمالها تبعد عنها ٣٠ كيلومتر إلى الغرب كان الشيخ عمر المحضار يقيم بها وله بها أملاك، الشلي، محمد بن أبي بكر، المرجع نفسه، ج٢، ص: ٢٤٤.

التخطيطات والعناصر المعمارية والزخرفية
الدراسة التحليلية

أولًا: التخطيطات المعمارية

تعددت التخطيطات المعمارية وتنوعت حسب الوظيفة التي يؤديها المسجد وكذلك حسب المساحة التي يشغلها، ويمكن تقسيمها على نوعين:

١- تخطيط المسجد الجامع، ويمثله تخطيط الجامع الكبير بالشحر.

٢- تخطيطات المساجد الصغرى أو مساجد الفروض الباقية، ويتمثل في مساجد الفروض التي شملتها الدراسة، على أنه يبقى مسجد بن قضيمتي يمثل نمطًا حيًّا لا يزال قائمًا لمساجد الفروض.

١) تخطيط المسجد الجامع

تبين من الدراسة الوصفية للجامع الكبير بمدينة الشحر أن الجامع كان في الأصل مسجدًا جامعًا ومدرسة.

وجاء التخطيط العام للمسجد الجامع يتبع نظام المساجد الجامعة الأولى في الإسلام؛ من حيث تكوينه المعماري المكون من صحن أوسط مكشوف(١)، ومقدم ومؤخر ومجنبتين، ويشتمل المقدم على خمسة أروقة، بوائكها تسير موازية لجدار القبلة، أوسعها رواق القبلة وكذا المؤخر والمجنبتان، والمؤخر يشتمل على رواقين قسمت بواسطة صف من الأعمدة موازية لجدار القبلة، وأما المجنبتان فتختلف كل عن الأخرى، فالمجنبة الشمالية تشتمل على ثلاثة أروقة وبها عشرة أعمدة مربعة، أما المجنبة الجنوبية (البحرية) فتشتمل أيضًا على ثلاثة أروقة وبها ستة أعمدة موازية لجدار القبلة، إضافة إلى وجود عناصر المسجد الجامع والمتمثلة في المنبر والمئذنة (المنارة).

ويلاحظ على التخطيط الحالي للجامع أن الصحن ضُمت مساحته للمسجد ويشغل أربعة أروقة (بلاطات) تسير بوائكها موازية لجدار القبلة مكونة من ثلاثة صفوف، بكل صف

---

(١) (ضاحي، شمسة) لفظة شائعة في جميع مناطق حضرموت تدل على الصحن، الباحة، الفناء، الرحبة، الجزء المكشوف من المسجد.

ستة أعمدة مربعة الشكل حجمها أكبر من بقية الأعمدة التي في المقدم والمؤخر والمجنبتين.

وهذا النوع من التخطيط نجده قد بدأ في مسجد الرسول ﷺ في المدينة المنورة مع ما توالى عليه من إضافات وتعديلات ومن مراحل تطور حتى انتهى إلى شكله النهائي في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه، وذلك في عام ٢٦هـ/ ٦٤٦م والذي صار نموذجًا يحتذي به المسلمون في تشييد مساجدهم في أنحاء العالم الإسلامي[١].

ويتخذ التخطيط الحالي للمسجد الجامع شكلًا مستطيلًا طوله (٦٥,٦٧مترًا) وعرضه (٣٦,٣٠م)، ويتوسطه صحن مستطيل الشكل، ويغطيه حاليًا سقف يرتفع عن سقف سطح المسجد، فتح فيه مجموعة من النوافذ للتهوية والإضاءة، ويتقدم الصحن المصلى من الجهة الغربية (القبلية) وهي قاعة الصلاة ومجنبتان من الجهتين الشمالية والجنوبية، بالإضافة إلى الإيوان الشرقي ويتكون من رواقين وهو مؤخر الجامع.

وقد فتح في جدرانه عدد كبير من المداخل (الأبواب) عددها أربعة وعشرون (٢٤ مدخلًا) ثلاثة منها في الجهة الغربية (القبلية)، وتسعة جهة الشرق وستة جهة الشمال وستة جهة الجنوب. أما النوافذ فبلغت (٢٢ نافذة).

أما المئذنة (المنارة) فتقع في الركن الشمالي الشرقي للجامع جوار المدخل الرئيس، وقد كانت في السابق خارج المسجد، ولكن نتيجة للتوسعة في فترة متأخرة ضمت إليه عن طريق إضافة جدارين متوازيين لجدار المنارة واستخدمت كمخزن لحفظ أغراض المسجد، إضافة إلى الدرج الصاعد المؤدي إلى سقف أو سطح المسجد.

٢) تخطيط مساجد الفروض

تشتمل مدينة الشحر على عدد كبير من مساجد الفروض الخمسة، وقد بنيت وفق طراز معين من التخطيط، تميز على وجه العموم بوجود المصلى يتقدمه الصحن المكشوف (الضاحي أو الشمسة) وأحيانًا يضاف له صحن جانبي وعادة ما يكون إلى الجهة الجنوبية (البحرية)، والمصلى على هيئة مساحة مستطيلة أو مربعة، وقد ميزه المعمار بأن جعل مبنى المصلى أكثر ارتفاعًا من بقية ملحقات المسجد، ويغطى بسقف إما مسطح أو بمجموعة من

---

(١) كرزويل، الآثار الإسلامية الأولى، ترجمة هادي عبلة، ص: ٦- ١٧ وشافعي، فريد، العمارة العربية ماضيها وحاضرها، ص: ١-٣، و شافعي، فريد، العمارة العربية في مصر، مج ١، ص: ٦٤ -٧١.

القباب، حجبت واجهته المطلة على الصحن المكشوف (الضاحي) بجدار، فتح فيه مدخل أو أكثر يصل بين الصحن والمصلى.

ثانيًا: العناصر المعمارية

١) عناصر الإنشاء:

استخدمت في تشييد العمائر الدينية في مدينة الشحر أنواع عديدة من مواد البناء التقليدية، وكانت مادة الطين اللَّبِن (المدر)[١] هي المادة الرئيسة في البناء، إضافة إلى الأحجار والأخشاب والنورة والجص والساروج وغيرها، ويمكن القول إن عمارة تلك المنشآت كانت عمارة طينية بسبب شيوع استخدام الطين في البناء.

أ) مواد البناء المستخدمة (التقليدية):

لقد استخدم البنَّاءون في مدينة الشحر المواد التقليدية الموجودة محليًا وهي الطين والنباتات (الأشجار بأنواعها)، وقد استخدمت للربط وتدعيم المبنى، أما الأحجار فكانت تستعمل في عمل الأساسات و مادة (النورة)[٢]والتي تتم بحرق الأحجار الجيرية (الكلسية) في أفران خاصة، وقد استخدمت لعمليات التلبيس ومادة طلاء للمباني، فضلًا عن استعمال الجبس (الجص) في تغطية القباب من الداخل والخارج وتزيين المحاريب والأسقف، أما الساروج فيستخدم كطبقة عازلة في الأسقف والحمامات.

ب) أسلوب وطرق البناء:

تعد طرق البناء متشابهة في جميع مساجد المدينة، وذلك لتوارث المعماريين (معالمة البناء) لها جيلًا بعد آخر.ويبدأ إنشاء المسجد من اللحظة التي يختار فيها صاحب المسجد أو القائم عليه معلم البناء، ويكون على شهرة ودراية تامة بأصول البناء. ويتم الاتفاق على مقدار المبلغ الذي يمكن إنفاقه على البناء وعن كيفية الحجم الذي سيكون عليه المبنى، وقد يستشار بناءون آخرون يستدعون لهذا الغرض[٣].

---

(١) المدر: لفظ يطلق على الطوب المصنوع من الطين والمجفف بالشمس.

(٢) النورة (الجير المطفأ): ملاط يصنع من حرق الحجر الكلسي، ويستخدم في البناء ولطلاء الجدران ويعمل كعازل للرطوبة وله لون ناصع البياض.

(٣) روديونوف، ميخائيل، عادات وتقاليد حضرموت الغربية العام والمحلي في الثقافات السلالية، ترجمة د. علي صالح الخلاقي، الطبعة الأولى، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ٢٠٠٣م، ص: ١٤١.

كما يمكننا أن نشير بأن كل حرفة في صناعة البناء تضم مجموعة من العمال باختلاف تخصصهم ودرجاتهم، إضافة إلى شهرة بعض العائلات بالتخصص في مهنة محددة بعينها.

٢) عناصر الانتفاع

يحدد المعماريون الشروط الواجب توافرها في المبنى وأولها شرط المنفعة، فالمبنى لا ينشأ أصلًا إلا ليؤدي وظائف انتفاعية وليخدم أغراضًا عملية، وثانيهما المتانة فالمبنى يصمم بحيث يكون قويًا متينًا ثابتًا يتحمل القوى التي يتعرض لها ويقاوم الاستهلاك وعوامل الزمن(١).

أ) الأروقة (الإيوان)

الرواق أو الإيوان لغويًا (البيت المؤزج) أي المرتفع البناء غير المسدود الوجه. وقد تعددت الآراء في أصل اشتقاق الإيوان وأغلب الظن أن الإيوان كان تطورًا بالبناء لأشكال الخيام التي كان يستخدمها العرب في وادي الرافدين أو كان تجسيمًا للأكواخ القصبية التي كان مفردها يسمى " صريفة" التي كان يستخدمها الأعراب(٢).

والإيوان في مساجد الشحر عبارة عن مساحة مستطيلة أو مربعة يكون سقفها مسطحًا أو مقبيًا، وإذا اتسعت هذه المساحة فإنها تقسم إلى أروقة " بلاطات " بوساطة صفوف من الأعمدة تحمل فوقها عقود "بائكات" تحمل السقف الذي قد يجمع بين أساليب التغطية المختلفة والمسطحة والمقبية.

كما احتفظ تخطيط المسجد أو الجامع في اليمن لفترة طويلة بالنظام المعماري المعروف القائم على الصحن أو الفناء المحاط بأربعة أروقة أعمقها رواق القبلة(٣). وقد ظهر هذا التخطيط في الجامع الكبير بالشحر وقد كانت ملائمة هذه الأروقة للاستفادة منها في الصلاة والتدريس، فعقدت فيها -أي الأواوين والأروقة- الحلقات العلمية والدروس اليومية وحلقات الذكر.

---

(١) عثمان، محمد عبد الستار، نظرية الوظيفية، ص: ٢١٦.

(٢) فكري، أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها، ج ٢، ص: ٨٧ ـ ٩٦، عثمان، محمد عبد الستار، نظرية الوظيفية، ص: ٢٢٠.

(٣) شيحة، مصطفى عبدالله، المدخل، ص: ٢٠.

كما لعب إيوان القبلة دورًا كبيرًا في استيعاب عدد كبير من المصلين وكذا الدارسين، فإيوان القبلة عادة ما تكون مساحته أكبر من بقية الأواوين الأخرى اتساعًا وعمقًا، وقد كان المعمار موفقًا في ذلك إذ أن هذا الإيوان (الرواق) عادة ما يشتمل على قطع الأثاث التي توضع بالمنشأة الدينية التي تؤدي وظيفة المسجد الجامع، كالمنبر ودكت المؤذنين وكرسي المصحف، كما أن الإيوان كان يستغل في الصلوات الخمس.

أما في مساجد الفروض الخمسة فقد لعبت الأواوين أو الأروقة دورًا مهمًا كعناصر للانتفاع، فبجانب دورها أو وظيفتها كمصلى أو بيت للصلاة فقد تم الاستفادة منها في إقامة حلقات القرآن، وإقامة الدروس اليومية كما زودت بخزانات للكتب.

ويمكن القول بأن دور الأروقة والأواوين استمر إلى عصرنا الحاضر فلا يزال المسجد الجامع ومساجد الخمسة بمثابة مراكز علمية تؤدي دورها في إيصال المعلومة الدينية وتدريس القرآن الكريم وعلومه لمرتاديه من طلبة العلم، كما ساهمت في تعليم وتحفيظ القرآن الكريم وعلم التجويد للطلاب الصغار والكبار. واستفاد بذلك كثير من الناس.

ويذكر بامطرف بأن مجموعة من مساجد الشحر، ومنها المسجد الجامع، ومسجد ابن عمران، ومسجد عبدالرحيم باوزير، ومسجد باهراوة، ومسجد الشيخ بن جوبان، ومسجد باذييب كان ملحقًا بها مدارس قرآنية[1]. كما تورد بعض المصادر –وإلى يومنا هذا– بأن جميع مساجد الشحر خاصة وحضرموت عامة تقام بها دروس يومية وحلقات تدريس وتحفيظ القرآن الكريم، يتوزع فيها الطلبة بين الأروقة والأواوين.(لوحة ١٧٥).

ب) المنارة

تعد المنارة من عناصر الانتفاع الهامة للمساجد.كما أن لها وظيفة تعبيرية فقد أعطت للمسجد شخصيته المميزة، فهي العلامة الدالة عليه وأول ما تقع عليه عين الناظر إلى المدينة[2]. وقد استخدمت ثلاث كلمات في اللغة العربية للدلالة على المنارات (مئذنة– صومعة – منارة).

(١) بامطرف، الشهداء السبعة، ص: ٤٩.

(٢) علي، سعيد سيف، المسجد وأثره على العمارة والفنون الإسلامية، مجلة الكليل، العدد ٢٦، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، صيف ٢٠٠٢م، ص: ٦٨

يروى أن بلالًا مؤذن الرسول ﷺ كان يؤذن للصلاة من فوق سطح عالٍ ثم اتجه المسلمون بعد ذلك إلى بناء المآذن، وأن أول مئذنة شُيِّدت في العصر العربي الإسلامي كانت لجامع البصرة في عام ٤٥ هجرية (٦٦٥)ميلادية. أما أقدم مئذنة في العالم الإسلامي لازالت محتفظة بشكلها الأول فهي التي أقامها الصحابي عقبة بن نافع عام ٥٠ أو ٥٥ هجرية بمسجد القيروان[(١)].

واتخذت المنارات أشكالًا مختلفة على امتداد العالم الإسلامي فهي إما أسطوانية أو مربعة أو مضلعة، وبشكل عام هي مضلعة وغالبًا مربعة البدن في شمال إفريقيا والمغرب العربي الإسلامي، في حين هي غالبًا أسطوانية البدن في شرق العالم الإسلامي[(٢)].

وتعد المنارة من عناصر الانتفاع الهامة والتي أولاها المعمار أهمية خاصة، فظهر تفننه في بنائها والعناية بجمالها[(٣)].

وفي المساجد موضوع البحث نرى اهتمام المعمار في مدينة الشحر ببناء المنارات وتزيينها وإكسابها رونقًا وجمالًا.كما جاءت بعض المنارات بسيطة تؤدي الغرض الذي أنشئت من أجله، ومن هذه المنارات منارة المسجد الجامع وهي من النوع المربع وتتكون من عدة مستويات، ومنارة مسجد باغريب فهي أسطوانية الشكل من مستويين (لوحة ١٧٦ أ، ب)، وهناك منارة مسجد بن قضيمتي التي يرجح بأنها من النوع المربع البسيط بحسب وصف إمام المسجد[(٤)].وقد هدمت المنارة ولم يعد لها أثر.

والمنارات بكافة أشكالها أضافت إلى المساجد جمالًا ورقة، يتجليان للرائي من بعيد، وقد ارتبطت المنارات بالمساجد ارتباطًا جعل منها قطعًا معمارية مبتكرة خاصة بالمساجد دون غيرها[(٥)].

---

(١) شافعي، فريد١٩٨٢، العمارة الإسلامية، ماضيها وحاضرها، ص: ١٥٤، ١٦١.

(٢) قبيلة المالكي ٢٠٠٧، تاريخ العمارة عبر العصور، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص: ١٥٦، ١٥٧.

(٣) عثمان، محمد عبد الستار، نظرية الوظيفية، ص: ٢٢٣.

(٤) معلومة أفادنا بها السيد: حسن الجنيدي يبلغ من العمر (٨٠ سنة)، إمام المسجد والقائم عليه.

(٥) مؤنس، حسين، المرجع السابق، ص: ١٢٠.

ج) المحراب

جمعه محاريب، صدر البيت أو قاعة أو مجلس أو مصلى، أرفع مواضعها وأكرمها، قبلته أو مقام الإمام فيه، وقد أقيم المحراب في المسجد ليدل على اتجاه القبلة وليقوم بدور مضخم الصوت للإمام الذي يقوم مواجها له[1]. ويقصد بلفظة محراب في الاستعمال العادي تلك الحنية الموجودة في جدار القبلة لتحديد اتجاه الصلاة أولًا، ولوقوف الإمام فيها ليؤم المصلين في الصلاة الجامعة ثانيًا[2].

كما يعتبر المحراب من أهم العناصر المعمارية بالنسبة للمسجد وذلك لأنه يحدد اتجاه القبلة وحتى يكون الإمام متوسط الصفوف ويفسح صفًا للمصلين كما أنه يعمل على تكبير الصوت وتفخيمه[3].

ومساجد الشحر تميزت بنوعين من المحاريب وهي: محاريب رئيسية، ومحاريب ثانوية(تذكارية)وهي النحو التالي:

١- المحاريب الرئيسية

وتوجد في صدر جدار القبلة في المسجد وهي مجوفة، وتمثلت هذه المحاريب الرئيسة المجوفة التي لا تزال قائمة في محراب مسجد بن قضيمتي.

٢- المحاريب التذكارية

هي نوع من المحاريب توجد في جدار المصلى المطل على الصحن أو الفناء في المسجد، والهدف منها أن تكون علامة تدل على اتجاه القبلة، وكذلك تستخدم كمحاريب للصلاة الليلية في فصل الصيف في المناطق الحارة.

وتحتوي مساجد الشحر على محاريب تذكارية منها محاريب مجوفة، ذات تجويف بسيط تفاوتت في ارتفاعها، وأخرى مسطحة على هيئة حلية جصية (إطار) بارز. وتمثل في محراب الصحن (الضاحي) لمسجد بن قضيمتي.

---

(١) غالب عبدالرحيم، المرجع السابق، ص: ٣٥١.

(٢) غيلان حمود، المرجع السابق، ص: ١١.

(٣) علي، سعيد سيف، المسجد وأثرة على العمارة، ص: ٦٧.

د) البئر

تبين من خلال الزيارة الميدانية بأن جميع مساجد الشحر وأغلب المساجد في مدن وقرى حضرموت مزودة بآبار منذ القدم - لتزويد المسجد بالماء - فضلًا عن تزويد سكان بعض الحارات بالمياه وخاصة تلك الآبار التي يكون ماؤها عذبًا.

هـ) البرك والجوابي والمطاهير (المياضي)

يخصص اللفظ على الأماكن التي تخصص للوضوء والتطهر في منشآت العبادة والتعليم(١). وقد عرفت المساجد موضوع الدراسة بوجود هذه الوحدات المعمارية وتختلف أحجام وأعداد كل ميضأة من مسجد إلى آخر، فمثلًا الجامع الكبير بالشحر كانت به عشر جوابي للاغتسال والطهارة كما توجد به بركة كبيرة للوضوء.أما مساجد الفروض فقد اشتملت على العديد من هذه البرك لغرض الطهارة والاغتسال.أما الجوابي فكانت تتوزع بين مداخل المسجد وداخله.أما المطاهير فجاءت بسيطة تؤدي الغرض الذي أنشئت من أجله وهي في العادة غير مسقوفة.

وقد راعى المعمار بأن تكون تلك الوحدات بعيدة عن مواضع الصلاة، فضلًا عن اختياره الاتجاه المناسب لدرء انبعاث الروائح الكريهة. ويغلب على مساجد الشحر وجود المياضي إلى جهة الشرق وجهة الشمال، وتتناوب مواضع الجهة الشرقية فهي تارة في اتجاه الشمال الشرقي أو الجنوب الشرقي.

والمساجد التي كانت مواضع المياضئ فيها من الناحية الشرقية، تمثلت في المسجد الجامع قبل أن تتحول حاليًا إلى الركن الجنوبي الشرقي، وهي باتجاه الشرق في مسجد ابن قضيمتي.

وقد جاءت جميع المياضي وأماكن الطهارة في مساجد الشحر ضمن نطاق كتلة المسجد ولم تكن منفصلة عنه أو خارجه.

٣) عناصر الاتصال والحركة

تعد عناصر الاتصال والحركة من العناصر الهامة في المبنى، إذ أنها تربط أجزائها ببعضها البعض، كما أنها تصل المبنى بما يحيط بها من شوارع وحارات وأزقة.

---

(١) محمد أمين وليلى إبراهيم، المرجع السابق، ص: ١١٨.

وتشمل عناصر الاتصال والحركة العناصر الآتية:

أ)الصحن

يعد الصحن إلى جانب ما يؤديه من أغراض التهوية والإضاءة، من أهم عناصر الاتصال والحركة، بل يمكن عدها - كما في المصطلح المعماري الحديث - صالة التوزيع الرئيسة[(١)]. وهو المساحة المكشوفة الذي يتوسط المسجد الجامع المحاط بأربعة أروقة أو المساحة المكشوفة في المساجد الصغيرة (مساجد الصلوات الخمس) المكونة من يبت الصلاة وصحن يتقدمها في غالب الأحيان أو يحيط بها في أحيان أخرى[(٢)].

وفي مساجد الشحر نجد أن الصحن (الضاحي) يتقدمها من الناحية الشرقية عمومًا، كما يحيط بها من الناحية الجنوبية (البحرية). وقد اتخذت هذه الصحون مساحات مستطيلة الشكل في أكثرها تكبر وتصغر حسب المساحة المتاحة لها.

وقد زادت أهمية تلك الصحون بأن اتخذت كأماكن للصلاة خاصة في أيام الصيف وذلك للتخفيف من شدة الحر في الداخل.

ب) المداخل

هي عبارة عن فتحات معقودة أو ذات أعتاب تفتح خلال الواجهات، كما اقتصرت وظيفتها كفتحات للدخول على اعتبارها مؤدية إلى داخل المسجد، وقد اتخذت الشكل المستطيل يغلق عليها أبواب خشبية[(٣)].

وجاءت مداخل مساجد الشحر بسيطة في شكلها وتكوينها، إذ فتحت على جدار المصلى أو جدار الصحن المكشوف أو الفناء تعلوها في الغالب عقود نصف دائرية، كما وجد في مساجد الشحر أن لكل مسجد مدخله الرئيس وله أيضًا عدد من المداخل الثانوية الأخرى التي تؤدي إلى المصلى مباشرة أو إلى الصحن المكشوف (الضاحي أو الشمسة) أو الفناء.

وتنوعت المداخل المستخدمة في عمارة المساجد في مدينة الشحر مابين مداخل رئيسية ومداخل ثانوية (جانبية) بالإضافة إلى المداخل الخاصة بالمصليات، وكل نوع من هذه

---

(١) عثمان، محمد عبد الستار، نظرية الوظيفية، ص: ٣٤٧.

(٢) علي سعيد سيف، عمائر الإمام المهدي عباس، ص: ٢٣٢

(٣) علي سعيد سيف، عمائر المهدي عباس، ص: ٢٢٩.

الأنواع له سماته الخاصة به. ويمكن تفصيلها كالتالي:

١ - المداخل الرئيسية

وهي المداخل التي تصل بين الشارع والمسجد.وغالبًا ما تؤدي المداخل الرئيسة إلى ساحة توزيع بين الفضاءات الطاهرة وفضاءات الطهارة، وكذلك للدخول المباشر للمصلي المتطهر سلفًا قبل مجيئه إلى المسجد(١).

٢ - المداخل الثانوية

وهي المداخل التي تفضي مباشرة إلى داخل باحة المسجد أو الفناء وهي مداخل جانبية توفر للراغبين في استعمال أماكن الوضوء والطهارة قبل الدخول إلى مكان الصلاة (الصحن المكشوف أو المصلى). وفي الغالب فإن هذه المداخل تؤدي مباشرة إلى المياضي. وهي مكونة من فتحة باب بسيطة وتتمثل في أغلب مساجد الشحر.

٣- مداخل المصليات

وهي المداخل التي تربط بين الصحن (الضاحي، الشمسة) والمصلى وتعددت ما بين ثلاثة إلى ستة مداخل، ومن خلال الزيارة الميدانية وجدنا أن أغلب مداخل المصلى يحتوي على باب رئيس إضافة إلى عدة أبواب، ويكون المدخل الأوسط محوري على المحراب مباشرة، كما في المسجد الجامع ومسجد بن قضيمتي. وصنعت أبواب المداخل عادة من أنواع متعددة من الأخشاب منها خشب الساج أو خشب العلب وزخرفت بأنواع من الزخارف بالحفر البارز أو الغائر كما طعمت بأوتاد من المسامير ذات الرؤوس العادية أو المكورة (مكوبجة).

ومما سبق يتضح أن المعمار في الشحر زود منشآته بعناصر الاتصال والحركة، لتسهيل الاتصال والحركة، وقد حققت تلك العناصر وظيفتها على أكمل وجه.

٤ - عناصر التهوية والإضاءة:

يتصور البعض أن العوامل المناخية لم تؤخذ في حسبان من قاموا بتصميم المساجد على اختلاف بيئاتها في مختلف العصور الإسلامية، وأن تأثير العوامل المناخية قد اقتصر فقط على

---

(١) عبد الرقيب، طاهر وآخرون، المرجع السابق، ص: ٢٨٨.

المباني السكنية أو العامة، من هنا تأتي أهمية إيضاح كيف أن الظروف المناخية قد أثرت أيضًا في تصميم عناصر المسجد الأساسية التي يأتي في مقدمتها الصحن ورواق القبلة[١].

جـ) الصحن المكشوف (الضاحي)

يعد الصحن المكشوف أو الفناء من أهم العناصر المعمارية في تخطيط المساجد، إذ أنه مصدر الضوء والهواء لظلات المسجد المحيطة به وبخاصة ظلة رواق القبلة التي يندر أن تكون فيها فتحات للنوافذ؛ لهذا روعي أن تكون مساحة الصحن فسيحة ومكشوفة.

وتتمثل أهمية الصحن والفناء في الوظائف التي تؤديها فهي منطقة التوزيع الرئيسية التي ترتبط بها معظم المرافق، والمكان الذي يدخل منه الضوء ويساعد على حماية المرافق الداخلية من الرياح، كما تعد الأفنية والصحون المكشوفة بمثابة المخفف لدرجة الحرارة[٢].

د) النوافذ

تكمن الوظيفة الرئيسية للنوافذ في التهوية والإضاءة والرؤية من الداخل، وموقعها عادة يراعي الجوانب الاجتماعية في عدم الرؤية أو الكشف على الجيران وتوزع النوافذ على الواجهات الرئيسية المطلة على الشارع والمساحات الداخلية، وتساعد على التقليل من أشعة الشمس وتنظيم حركة مرور الهواء داخل المبنى[٣]. كما أسهمت النوافذ والفتحات المتعددة في التهوية والإضاءة، كما أسهمت (الشمسة) في الحصول على هواء أبرد في فصل الصيف من الهواء الخارجي الحار[٤].

هـ) الأبواب

تعد الأبواب من عناصر الاتصال والحركة، ويمكن أن تكون لها خاصية ثانية وهي الإضاءة والتهوية. ولكون فتحات الأبواب التي تصل بين وحدات المنشآت تزود الممرات بالضوء والتهوية اللازمة شأنها شأن النوافذ. وتتميز فتحات الأبواب للمساجد موضوع الدراسة بصفة عامة بأنها مستطيلة متوسط عرضها حوالي ٧٠سم وارتفاعها ١,٦٠م يغلق

---

(١) وزيري، يحيى، المرجع السابق، ص: ١٥٥.

(٢) عثمان، محمد عبد الستار، المرجع نفسه، ص: ٣٦٦، ٣٦٨.

(٣) صالح محمد مبارك وآخرون، العمارة الطينية لمدن حضرموت، المؤتمر العلمي الأول للعمارة الطينية، حضرموت، سيئون، ٢٠٠٠م، ص: ١٠٨.

(٤) السقاف، أحمد محمد، المرجع السابق، ص: ٤١.

عليها باب خشبي من مصراعين.

وتختلف قياسات أبواب مساجد الفروض عن أبواب المسجد الجامع الذي تميزت أبوابه ونوافذه بكبر حجمها، كما تميزت أبواب مساجد الفروض بتعددها رغم صغر مساحتها وفي المتوسط تشتمل على بابين أو أكثر، مما ساهم في تزويد بيت الصلاة بالإضاءة والتهوية الكافية، كما نلاحظ بأن أحد الأبواب يكون محوريًا على المحراب كما في مسجد ابن قضيمتي.

العناصر الزخرفية

يتجلى الطابع الزخرفي في الفن الإسلامي بشكل واضح في استخدام الفنانين المسلمين في تزويق منتجاتهم الفنية بشتى أنواع الزخارف، من رسوم كائنات حية بطريقة زخرفية ومن زخارف هندسية ونباتية بالإضافة إلى الزخارف الكتابية.

وقد زينت بعض العناصر لمساجد الشحر بعدة أنواع من الزخارف شملت الزخارف النباتية والزخارف الهندسية والنقوش الكتابية، كما تنوعت المواد التي نفذت عليها تلك الزخارف مابين مادة الجص والأخشاب، كما استلزم ذلك أسلوبًا فنيًا لتنفيذ الزخارف عليها والذي تم بطرق متعددة كالحفر البارز والغائر.

أولًا: العناصر النباتية

أسهمت التكوينات الزخرفية النباتية بدور هام وبارز في زخرفة وتزيين العمائر الإسلامية، وهي من أكثر التكوينات انتشارًا على الآثار الإسلامية، لاسيما الدينية منها، وقد ساعد على انتشار هذا النوع من التكوينات الزخرفية ما اتسم به الفنان المسلم منذ بداية العصر الإسلامي من الابتعاد عن الرسوم الآدمية والحيوانية على العمائر الدينية[١].

ولقد زينت مساجد الشحر بالزخارف النباتية التي جاءت عبارة عن أوراق نباتية متعددة البتلات، اتخذت أشكال أشرطة زينت بها المحاريب.

وكان اعتمادها على العناصر الزخرفية والمتمثلة في الأوراق النباتية الأحادية والثنائية والثلاثية والخماسية الفصوص، إضافة إلى أشكال الورود المتعددة البتلات والسيقان والأفرع والبراعم النباتية.

---

(١) عبدالله كامل موسى، المرجع السابق، ص: ٢٤٣. إبراهيم المطاع، المدرسة المنصورية، ص: ٣٨٤.

وقد تميزت الزخارف النباتية بتنوعها من حيث المادة التي نفذت عليها ومن حيث الشكل، فالمواد تمثلت في الجص (الجبس) والخشب بأنواعه.

وتركزت الزخارف النباتية في المساجد - موضوع الدراسة - على المحراب وسقف مسجد بن قضيمتي والمداخل والنوافذ والمآذن.

وقد وجدت هذه التكوينات الزخرفية النباتية تزين أعلى المحراب في مسجد بن قضيمتي وقوامها الورقة الخماسية الشكل متراصة إلى جوار بعضها البعض منفذة بالحفر البارز على الجص.(شكل، لوحة).

وتتمثل أيضًا الزخارف النباتية في مسجد بن قضيمتي في مجموعة من الأفرع النباتية على شكل مهاد، وشريط عريض يدور حول النص الكتابي للشهادة.(لوحة، شكل).

كما يوجد تكوين زخرفي بالحفر البارز على مادة الجص موجود على سقف الرواق الأوسط في مسجد بن قضيمتي زخارفه عبارة عن فروع نباتية تخرج منها أوراق أحادية وثنائية وثلاثية غير منتظمة الشكل محصورة في شكل قلب، وقد وجدت أربعة أشكال من هذه القلوب متراصة إلى جوار بعضها مكونة دائرة كبيرة، ويبدو أن الزخارف نفذت بشكل غير متقن أو أن التجديدات أدت إلى ضياع هذه الزخارف.(لوحة، شكل).

ثانيًا: الزخارف الهندسية

عرفت الفنون التي سبقت الإسلام ضروبًا كثيرة من الرسوم الهندسية ولكن هذه الرسوم لم يكن لها في تلك الفنون أهمية كبيرة وكانت تستخدم في الغالب كإطارات لغيرها من الزخارف، أما في الفنون الإسلامية فقد أضحت الرسوم الهندسية عنصرًا أساسيًا من عناصر الزخرفة.

كما ظهرت على المآذن بعض التكوينات عبارة عن مقرنصات على شكل معينات متراصة إلى جوار بعضها في صفين أو أكثر، وقد ظهرت في مئذنة مسجد باغريب، وهذه التكوينات تدعى محليًا بالخيش[1].

ولقد مثلت الزخارف الهندسية على مساجد الشحر بشكل متناسق وبديع بين الأشكال الهندسية والنباتية مما يدل على قدرة الفنان على تنفيذ تلك الزخرفة، كما وجدت أشكال

(١) الخيش: عبارة عن مقرنصات على شكل معينات متراصة إلى جوار بعضها في صفين أو أكثر، تزين بها أبدان المنارات (المآذن) ونهاية جدران الأضرحة وأسطح البيوت.

متعددة من التكوينات الهندسية من خطوط مستقيمة ومتقاطعة ومتشابكة مكونة أشكال معينة ودوائر تتداخل فيما بينها والمثلثات والمعينات مكونة بذلك أشكالًا هندسية بديعة.

ثالثًا: النقوش الكتابية

تعد الزخارف الكتابية من أكثر الموضوعات الزخرفية تعبيرًا عن قيم الحضارة الإسلامية، وذلك لارتباط الخط باللغة العربية وعلاقتها بالقرآن الكريم، والذي تأثرت به الزخارف الكتابية إلى حد بعيد، حيث سادت فيها الآيات القرآنية وجاءت منفردة أو متداخلة مع الموضوعات الكتابية الأخرى(١). ولقد استفاد الصانع المسلم كثيرًا من خصائص الخط العربي، وما يتميز به من ليونة مكنت من استخدامه في المجال الزخرفي حتى إنها اعتبرت من أرقى فروع الفنون التطبيقية التي عرفتها الحضارة الإسلامية وأخرج منها أشكالًا وعناصر تعكس رقيًّا في الإبداع الفني.

وظل الفنان المسلم على ارتباط دائم بالإسلام والقرآن، مما أضفى على أعمالهم جمالًا وسحرًا روحيًا لا يخطئه من يتأمل أعمال أولئك الفنانين الموهوبين، ولهذا السبب استخدموا الكتابة كعنصر زخرفي وخاصة آيات القرآن الكريم وبعض الأحاديث الشريفة، بل استعملوا أسماء الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين كعناصر زخرفية(٢).

وتطغي التكوينات الكتابية في المساجد موضوع البحث كشاهد حي على سقف مسجد بن قضيمتي حيث تفرد هذا المسجد بوجود نقوش كتابية متعددة على سقفه، تمثلت تلك الكتابات في نص التأسيس للمسجد وقد كتبت بخط النسخ، كما نصت بعض الكتابات على آيات قرآنية وقد بدت الكتابات بشكل متقن.

كما تضمن سقف المسجد وخاصة المنطقة التي تعلو المحراب تكوينًا كتابيًا على شكل أحرف تمتد ألفاته ولاماته وتلتقي في مركز الدائرة وهي تسير باتجاه عقارب الساعة مكونة شكلًا دائريًا مضمونه الآية الكريمة ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ (لوحة، شكل).

(١) زكي، حسن، المرجع السابق، ج ٢، ص: ١٦، ١٧. غالب، عبدالرحيم، المرجع السابق، ص: ١٧٨.
(٢) مؤنس، حسين، المرجع السابق، ص: ١٣٣. الباشا، حسن، القاهرة آثارها وفنونها، ص: ٢١٦.

الخاتمة وأهم النتائج

من خلال الدراسة التاريخية والوصفية والتحليلية لمساجد مدينة الشحر في تلك الفترة يمكن استخلاص عدد من النتائج أهمها:

١- إثبات أن الجامع الكبير بالشحر مر بعدة مراحل من التوسعات والإضافات خلال الفترات الزمنية المتلاحقة.

٢- التوصل إلى وجود طرازين للمساجد موضوع الدراسة، تمثل الطراز الأول في تخطيط الجامع الكبير والذي يرجع إلى نظام التخطيط المتأثر بمسجد الرسول ﷺ، أما الطراز الثاني يتمثل في مساجد الفروض الباقية والتي جاءت تخطيطاتها بسيطة، تتكون من المصلى (بيت الصلاة) يتقدمه صحن (مكشوف أو شمسه) إضافة إلى وجود صحن جانبي.

٣- إثبات أن مسجد بن قضيمتي والذي بني سنة ٨٤٦هـ، (القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي) يعد أقدم مسجد في مدينة الشحر لا يزال قائمًا إلى يومنا هذا، وهو في حالة ممتازة من الحفظ.ويرجع تاريخ بنائه إلى القرن التاسع الهجري بحسب ما هو مثبوت في سقف المسجد.

٤- تضمنت الدراسة حصر (٢٠) مسجدًا، منها (١٨) مسجدًا قائمًا واثنان مندرسان. وجميعها تعود إلى الفترة الزمنية التي يغطيها البحث.

٥- تتبع الباحث لأشكال المحاريب في مساجد الشحر، وقد وصل إلى نتيجة بأن هناك نوعين لأشكال المحاريب: النوع الأول محاريب رئيسة، ومحاريب ثانوية (تذكارية).

٦- من خلال الدراسة تبين أن أسماء المساجد موضوع الدراسة تعود إلى أسماء أشخاص أو أسماء علماء أو فقهاء وقضاة قاموا ببنائها أو بالتدريس فيها فنسبت إليهم.

التوصيات

وأتم بحثي هذا ببعض التوصيات رأيت أنه من المفيد تضمينها وهي:

١- إيقاف أعمال الترميم العشوائية التي تتم في مساجد الشحر وحضرموت عمومًا من وقت لآخر، وذلك حفاظًا على ما تبقى من المساجد القديمة (التاريخية والأثرية) وملحقاتها، لما في ذلك من إضرار بها، وتغييرًا للتخطيطات وللعناصر المعمارية الأصلية، فضلًا عن طمس وفقدان الكتابات والزخارف.

٢- نشر الوعي الأثري بين أوساط المواطنين وذلك للتعريف بمدى أهمية تلك المنشآت التاريخية والأثرية مثل المساجد والقباب والسقايات والقصور والمنازل والحصون والقلاع والأسوار والبوابات (السدد) وغيرها باعتبارها إرثًا حضاريًا وسجلًا تاريخيًا للأمة.

٣- الإسراع في توثيق (تسجيل ورفع هندسي) لجميع تلك المنشآت المعمارية وإعلانها مواقع أثرية وتاريخية يجب المحافظة عليها وعدم المساس بها.

٤- صيانة تلك المنشآت وترميمها بين حين وآخر، لما تتعرض له من عوامل التعرية على أن يتم الترميم بالطرق العلمية المدروسة وبنفس المواد التقليدية، يتم ذلك بتشكيل لجان من الجامعة والهيئة العامة للآثار والأوقاف ومندوبين من لجان المساجد.

٥- دعوة المهندسين والمعماريين والبنائين للحفاظ على مراعاة تصميم بناء المساجد الجديدة والاستفادة من نمط المساجد القديمة المنتشرة في عموم مناطق حضرموت بطابعها المعماري الفريد بصفتها إرثًا حضاريًا.

٦- خلق روابط تفاعلية بين المؤسسات المعنية بشئون الآثار والمدن التاريخية وقسم الهندسة المعمارية بجامعة حضرموت والمراكز البحثية ذات العلاقة.

وفي ختام بحثي هذا أرجو أن أكون قد وفقت في إعطاء صورة واضحة عن عمارة المساجد في مدينة الشحر خلال تلك الفترة، والتي تمثلت بمحاولة توثيقها وتسجليها ووصفها تاريخيًا وأثريًا ومعماريًا. وهي محاولة في وضع اللبنات الأولى لفهم العمارة الإسلامية في حضرموت والشحر على وجه الخصوص، وسبر أغوارها ووضع تسلسل زمني لكل مرحلة وما تمثله من خصائص معمارية وأنماط، لكي نصل إلى تنسيب تلك العمائر إلى فتراتها الزمنية الصحيحة ومعرفة أنماطها وطرزها المعمارية والتأثيرات المحلية والخارجية.

راجيًا من المولى عز وجل التوفيق والسداد، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع العربية والأجنبية

القرآن الكريم.

الحديث الشريف

- ابن ماجة، أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧-٢٧٥هـ)سنن ابن ماجة: كتاب المساجد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة فيصل الحلبي، دار إحياء الكتب العربية.
- باحسن، عبدالله بن محمد: النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية، مكتبة الأحقاف للمخطوطات بتريم، مجموعة الكاف رقم (٢٢٠١).
- بامخرمة، أبي محمد عبدالله الطيب، تاريخ ثغر عدن مع نخب من تواريخ ابن المجاور والجندي والأهدل، ط ٢، مكتبة مدبولي، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- بامطرف، محمد عبد القادر، الشهداء السبعة ضد الغزو البرتغالي على مدينة الشحر، الطبعة الثانية، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٣م.
- باوزير، سعيد عوض١٩٥٧، صفحات من التاريخ الحضرمي، الطبعة الأولى، المطبعة السلفية، القاهرة ١٩٧٥م.
- براور، ك.خ وكبلانيان:، اليمن في أوائل القرن السابع عشر الميلادي، مقتطفات من الوثائق الهولندية المتعلقة بالتاريخ الاقتصادي لجنوب الجزيرة العربية، ١٦١٤-١٦٣٠، ط٣، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء.
- البكري، أبو عبيد، جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك، ج٣، تحقيق: عبدالله الغنيم، مطبعة جامعة الكويت، ١٩٧٧م
- الجعيدي، عبدالله سعيد، الدولة الكثيرية الثانية ٨١٤-١١٤٣هـ/ ١٤١١-١٧٣٠م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، ٢٠٠٣م.
- الجندي: أبو عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب، ت ٧٣٢هـ. السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: محمد بن علي الأكوع ج ٢، مطبعة بساط بيروت، لبنان ١٩٨٣م
- الحامد، صالح بن علي، تاريخ حضرموت، ج١، ٢، ط١، مكتبة الإرشاد، جدة ١٩٧٦م

- الحداد، علوي بن طاهر، الشامل في تاريخ حضرموت ومخالفيها، تريم للدراسات والنشر، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، حضرموت.
- حداد، عبدالله صالح، جامع الشحر في أدواره التاريخية، مجلة العقارية، العدد ١٥، ٢٠١٠م الشحر.
- خالد باراشد، مواد البناء المحلية في حضرموت، مجلة جامعة حضرموت للدراسات والبحوث، المجلد الثاني، العدد الثاني ٢٠٠٢م
- خرد، محمد بن علي باعلوي (ت٩٦٠هـ)، الغرر المسمى غرر البهاء الضوي ودرر الجمال البديع البهي في ذكر الأئمة الأمجاد من بني علوي، ط١، ٢٠٠٧م
- خميس، حمدان: الشحر عبر التاريخ، مركز الدراسات والبحوث اليمني، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، صنعاء.
- سارجنت، أر.بي، مصادر التاريخ الحضرمي، ترجمة سعيد عبد الخير النوبان، الكويت، جامعة الكويت، ١٩٩٠م.
- السقاف، أحمد محمد، المواءمة البيئية في العمارة الطينية، المؤتمر العلمي الأول للعمارة الطينية، سيئون، حضرموت ٢٠٠٠م.
- السقاف، عبد الرحمن بن عبيد الله، بضائع التابوت في تاريخ حضرموت، مخطوط، لدى ورثة المؤلف، سيئون، حضرموت.
- السقاف، عبدا لرحمن بن عبيد الله، معجم بلدان حضرموت، المسمى إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، تحقيق: إبراهيم المقحفي وعبد الرحمن حسن السقاف، ط١، مكتبة الإرشاد، صنعاء ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- الشاطري، محمد بن أحمد، أدوار التاريخ الحضرمي، ط٢، عالم المعرفة، جدة، ١٩٨٣م.
- الشرجي، أبو العباس أحمد بن عبد اللطيف (ت ٨٩٣هـ): طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء، بدون تاريخ.
- الشلي، محمد بن أبي بكر بن عبدالله (ت ١٠٩٣ هـ): المشرع الروي في مناقب السادة الكرام بني علوي، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- شنبل، أحمد بن عبدالله، تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق: عبدالله

الحبشي، ط١، ١٩٩٤م.
- صالح محمد مبارك وآخرون، العمارة الطينية لمدن حضرموت، المؤتمر العلمي الأول للعمارة الطينية، حضرموت، سيئون، ٢٠٠٠م
- عثمان، محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٢٨، ذو الحجة/ أغسطس، ١٩٨٨م الكويت
- عكاشة، محمد عبد الكريم، قيام السلطنة القعيطية والتغلغل الاستعماري في حضرموت، ط٢، دار ابن رشد للنشر والتوزيع، الأردن ١٩٨٥م.
- العيدروس، محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبدالله (ت ١٠٤٨هـ): تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤١٥هـ/ ١٩٨٥م.
- فرانتسوزف، سرجيس (دكتور): تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده، العصور المبكرة (القرن الرابع - الثاني عشر الميلادي)، ترجمة د. عبدالعزيز جعفر بن عقيل، المركز الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ٢٠٠٤م.
- الكندي، سالم محمد بن حميد، تاريخ حضرموت المسمى العدة المفيدة في تواريخ قديمة وحديثة، تحقيق: عبدالله الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٩١م
- المقدسي، أبو عبدالله محمد البشاري: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وفهارسه وهوامشه محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٩٨٧م.
- الملاحي، أحمد عبدالقادر: المذكرة التاريخية، مخطوط لدى ورثة المؤلف، غيل باوزير.
- الملاحي، عبدالرحمن عبدالكريم: التوسع العمراني لمدينة الشحر، مكتبة المؤلف، الشحر.
- المركز الوطني للمعلومات، التقسيم الإداري لمحافظة حضرموت، مديرية الشحر، ٢٠١٠م.
- النووي، أبي زكريا يحيى بن شرف الدمشقي (٦٣١هـ - ٦٧٦هـ) رياض الصالحين

من كلام سيد المرسلين، خرج أحاديثه وعلق عليه: عادل عبد المنعم أبو العباس، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.
- وزارة الثقافة والسياحة: مواقع أثرية، تقرير أولي عن مواقع مختارة للصيانة، المركز اليمني للأبحاث والآثار، عدن، ١٩٧٩م.

المراجع الأجنبية:

AL Damloje, Salmah.The Architecture of Yemen.
Serjeant, R.B. the ports of Aden and shihr (medieval Period),studiesin Arabia History and Civilization.London, 1981.

من أعلام القرن الثامن الهجري في حضرموت
الشيخ عبدالرحيم بن عمر باوزير
مُؤسس مدينة الغيل ومُعلمها الأول

أ.د. محمد بن هاوي باوزير
كلية الآداب - جامعة عدن

الملخص:

قَدم الشيخ عبدالرحيم بن عمر بن محمد بن سالم بن عبدالله بن يعقوب من حضرموت الداخل(غيل عمر) إلى ساحل حضرموت سنه ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م بحثًا عن مستقر له ولذريته من بعده، فاختار الغيل الواقع بين السهول الساحلية والجبال، وعلى طريق القوافل التي يربط الشحر بوادي حضرموت، وقد شرع في بناء مسكنه في هذا الموقع (أول مسكن بالغيل)، وبجانب مسكنه شيَّد مسجده المعروف بالجامع.

كما حفر الشيخ عبدالرحيم بن عمر عينًا من الناحية الشمالية للمسجد وشق جدولًا مائيًا (معيان) وعلى هذا الأساس بدأت الحياة الزراعية في الغيل، بل لاحقًا وبمساعدة المزارعين قام الشيخ عبدالرحيم باستخراج مجموعة من المعايين لتواكب التوسع الزراعي الذي شهدته المدينة، بالإضافة إلى اهتمامة بالجانب الثقافي، فقد بنى مدرسة لأبنائه وأحفاده وغيرهم من طُلَّاب العلم والمعرفة، واستقدم لها المدرسين الأكفَّاء من كبار علماء وشيوخ حضرموت لتصبح مدينة غيل باوزير قبله الأنظار، وهكذا أخذ طلاب العلم والمعرفة يتوافدون على الغيل من جميع أنحاء حضرموت وخارجها للدراسة على يد علمائها ومشايخها، وكثيرًا من هؤلاء الوافدين مدرسين وطلَّابًا وجدوا أطيب العيش والاستقرار بالمدينة فاستقروا بها.

وهكذا انقضت أربعون عامًا منذ أن وضع الشيخ عبد الرحيم بن عمر حجر الأساس لهذه المدينة (٧٠٦ هـ) كان فيها القانت العابد والعالم والعامل...، ومنذ ذلك التاريخ اكتسبت المدينة أهمية اجتماعية وثقافية، أدى إلى نموها وازدهارها. وهكذا أثمرت جهود الشيخ عبدالرحيم في تأسيس واحدة من أبرز مدن العلم والمعرفة بحضرموت، والتي كانت نواتها منزلًا ومسجدًا ومدرسة، وبئرًا أو جدولًا مائيًا ليكُتب لها البقاء والاستمرار والتوسع حتى وصلت المدينة إلى ماهي عليه الآن من توسع وتطور.

توفي الشيخ عبد الرحيم بن عمر في منتصف شهر شعبان عام ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م بعد أربعين عامًا من العطاء المتواصل أدى إلى ازدهار مدينة غيل باوزير، ولا شك أن هذا الازدهار يعود للمؤسسين آل باوزير وخاصة لمؤسسها ومُعلمها الأول الشيخ عبدالرحيم بن عمر التي أصبحت بفضله قبلة للعلم والمعرفة، ودفن الشيخ عبدالرحيم خارج مسجده، ولاحقًا أصبح الضريح داخل المسجد بسبب أعمال التوسعة التي شهدها المسجد، وتبعًا لذلك اتَّبع الباحث المنهج الذي يعرض الوقائع التاريخية منذ قدوم الشيخ عبد الرحيم بن عمر ووضعه حجر الأساس لمدينة الغيل، مع إبراز شخصيته ودورة الاجتماعي والعلمي في المدينة، وكذا دور أولاده وأحفاده.

أولًا: آل باوزير في حضرموت

أ) من هم آل باوزير

في بداية القرن السادس الهجري ولد في بغداد يعقوب بن يوسف بن علي بن طراد، وتوفي والده وهو صغير، فكفله جده علي بن طراد (نقيب العباسيين)[1] وكان وزيرًا في خلافتي المسترشد(٥١٢ - ٥٢٩هـ) والمقتفي (٥٣٠ - ٥٥٥هـ) ويبدو أنه كان يلقب بالوزير (ومن هنا جاءت تسمية آل باوزير لاحقًا)، وأشرف على تربيته وتعليمة حتى نال حظًا وافرًا من العلم والمعرفة، وكان من بين أساتذته أبو الفتوح الغزالي حجة الإسلام صاحب الإحياء والإمام السهروردي وأحمد الرفاعي وغيرهم من كبار العلم والتصوف، ثم أذن له جده بالسفر إلى البصرة والكوفة والحجاز للأخذ عن شيوخها وعلمائها والاستزادة بالعلم والمعرفة، وبعدها عاد إلى العراق مقيمًا في بغداد للتدريس ونشر العلم مبتعدًا عن قصور الخلفاء والوزراء،

(١) نقيب النقباء علي بن طراد: هو والد عميد أسرة آل باوزير يعقوب بن يوسف بن علي بن طراد المدفون في المكلا (صاحب الضريح المعروف بتربة يعقوب) وقد تولى الوزارة في عهد الخليفة المسترشد وبعد برهة من الزمن اختلف معه فأودعه في السجن، وفي خلافة المقتفي أعيد له اعتباره وتولى وزارته في عام ٥٣١هـ- ١١٣٦م، ولكن سرعان ما وقع الخلاف بينهما في عام ٥٣٤هـ/ ١١٣٩م بسبب اعتراضه على الخليفة في بعض الأمور مقدمًا نصائحه للخليفة، الأمر الذي أغضب الخليفة، فخاف علي بن طراد واستجار بالسلطان مسعود فأجاره وشفع له عند الخليفة، ومن حينها لزم داره إلى أن مات سنة ٥٣٨هـ - ١١٤٣م. تاريخ ابن خلدون: ط ١ دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م، ج ٣، ص٦٣٥-٦٣٢-٦١٢ .وابن الأثير: الكامل في التاريخ دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨، ج٨، ٢٨١، ٢٨٢، ٣٥٤، ومزاحم باوزير: البدر المنير، مطبعة التقدم العلمية، القاهرة، ١٣٢٩هـ، ص١٩-١١.

بسبب ما آلت إلية الخلافة من ضعف وفساد واضطراب - لأن الخليفة في العصر العباسي الثاني كان ألعوبة في أيدي الأتراك وبني بويه والسلاجقة[١] بل اشتدت نقمة يعقوب وتضاعف قلقه على المعاملة السيئة التي عومل بها جده علي بن طراد من قبل الخليفة المسترشد وإيداعه السجن فالإفراج عنة ليبقى بعيدًا عن السياسة، ورغم ذلك عاد الطراد وقبل وزارة الخليفة المقتفي في عام (٥٣١هـ - ١١٣٩م)، ولكن بعد فترة وجيزة حدث خلاف بينهما انتهى بعزله من الوزارة فلزم داره حتى توفي سنة ٥٣٨هـ[٢].

- رحيل آل باوزير من بغداد إلى حضرموت

ضاقت بيعقوب الحال ببغداد بعد وفاة جده، ففضل الرحيل مع أبنائه الثلاثة، فسار ابنه عمر إلى بخارى من أرض تركستان، وتوجه عبدالله إلى شيراز من أرض فارس وتزوج بكريمة أحد العباسين هناك وأنجبت له (سالم)، أما يعقوب فقد سافر إلى خراسان ومعه ابنه يوسف، ولكن الحنين جعلهم يفكرون بالعودة إلى بغداد، وبالفعل عادوا في سنة ٥٤٤٩هـ -١١٥٤م، وبعد فترة بسيطة تبين لهم أن العيش لن يطيب لهم في بلد ساد فيه الفساد واضطرب فيه الأمن واختلت فيه شئون الحكم - فترة العصر العباسي الثاني - فقيل إن بعض الرفقة قد شاروا عليهم بالرحيل عن العراق إلى أطراف اليمن ومنهم الشيخ العلامة عبد القادر الجيلاني أحد كبار رجال التصوف في ذلك العهد[٣].

وكان يُعرف أهل هذا البيت -بيت علي بن طراد- بآل الوزير كناية لرئيس الأسرة علي بن

(١) باوزير، سعيد عوض: صفحات من التاريخ الحضرمي، ط٢، دار الهمداني عدن ١٩٨٣م ص ٩٢-٩١. بامطرف: المختصر في تاريخ حضرموت، ط١، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، ٢٠٠١م، ص١١٧-١١٦.

(٢) ابن خلدون، ج٣، ص٦٣٥. باوزير: صفحات..، ص٩٢. بامطرف: المختصر في تاريخ حضرموت، ص١١٧-١١٦.

(٣) باوزير: صفحات، ص٩٢. بامطرف: المختصر، ص١١٧-١١٦. العباسي، حسني أحمد علي: الأساس في أنساب بني العباس، تقديم د.محمد عبدالحميد راغب وآخرون ط١، دار القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٤٤٧.

طراد وزير الخليفتين المسترشد والمقتفي(١)، ويبدو أنه لم يتولَّ الوزارة عباسي سواه في ذلك العهد فلُقِّبَ بالوزير.

رحل آل الوزير من بغداد قاصدين الحجاز لأداء فريضة الحج، فلما قضوا مناسكهم و اتجهوا إلى جدة حيث ركبوا سفينة شراعية كانت متجهة إلى بلدان المحيط الهندي وبحر العرب، ويبدو أن الرحلة أنهكت الشيخ يعقوب فشعر بانحراف في صحته واشتد به المرض حتى حادت السفينة بساحل حضرموت فاختار أن ينزل في قرية الخيصة(٢)، بجانب الكثيب الأبيض، وكانت قرية صغيرة خاملة الذكر لا توجد بها سوى أكواخ الصيادين المقيمين بها(٣).

هكذا كان قدوم الشيخ يعقوب وأبناؤه الثلاثة وحفيده سالم من العراق إلى حضرموت واستوطن قرية المكلا، وتوفي بها سنة ٥٥٤هـ - ١١٥٨م ودفن في الكثيب المعروف الآن في مدينة المكلا بتربة يعقوب، وبنيت على ضريحه قبة مرتفعة ولازالت قائمة إلى وقت قريب حيث تم هدمها من قبل عناصر مجهولة في نهاية عام ٢٠١٥م، ومازال بهذه المقبرة يدفن أهل المكلا موتاهم(٤) (انظر اللوحة في الملاحق)، وبذلك اعتبر الشيخ يعقوب من أوائل الشخصيات الصوفية بحضرموت، وينسب آل باوزير إلى هذه الشخصية الصوفية التي يرتفع نسبها إلى العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ(٥) غير أن السيد عبد الرحمن محمد

---

(١) انظر تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٦١٢، ٦٣٢، ٦٣٥. وابن الأثير الكامل بتاريخ، ج٨، ص٣٥٤، ٢٨٢-٢٨١.

(٢) الخيصة: الاسم القديم لمدينة المكلا.

(٣) باوزير: صفحات، ص٩٣-٩٢. أحمد عوض: شهداء القصر، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٣م، ص٢٧. وانظر مزاحم باوزير: المرجع السابق، ص٣٧. والعباسي، حسني: المرجع السابق ٤٤٧.

(٤) مزاحم باوزير: المرجع السابق، ص ٣٩-٣٧. سعيد عوض باوزير: صفحات، ص٩٣. أحمد عوض: المرجع السابق ، ص ٦٧. وكرامة بامؤمن: الفكر والمجتمع في حضرموت، ط١، اليمن، ص٢٥٧. وعبد الرحمن بن عبيد الله السقاف: إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت ، عني به تاريخيًا وأدبيًا محمد أبوبكر باذيب ومحمد الخطيب، ط١، دار المنهاج، بيروت، ٢٠٠٥م، ص١٤٠. والقصد من الإشارة للقبة والضريح ليس الإعلان أو الموافقة على الزيارة والتبرك بالقبور فهذا مناف لكمال التوحيد، ولكن للاستدلال على موقع جد أسرة مشهورة منتشرة في أنحاء العالم الإسلامي ((انظر مشجرة يعقوب في الملاحق)).

(٥) كرامة با مؤمن: مرجع سابق، ص٢٥٧.

العيدروس (المتوفى ١١١٣هـ - ١٧٠١م) نسب الشيخ يعقوب إلى الرسول ﷺ مباشرة، أي يزعم أن يوسف بن يعقوب صاحب المكلا من آل الجيلاني، ومدحه قائلًا[١].

لا يقاس علاؤه بعلاء … وهو نسل الرسول طه الحبيب

وابن شيخ الشيوخ قطب المعالي … الشريف الجيلاني المنسوب

العفيف المنيب حقًا وصدقًا … وهو يعقوب غوث أهل الخطوب

وقد تابعه في هذا الرأي جعفر محمد السقاف في بحثه عن ((الوثائق والتوثيق العلمي لتراثنا))[٢]، إلا أن كثيرًا من المؤرخين ومن لهم اهتمامات بالأنساب رفضوا تلك المزاعم، وكان صاحب كتاب (البدر المنير) قد أورد كلام العيدروس ولم يوافق عليه. وذكر أن هذا الاضطراب في كلامه يعود إلى عدم ضبط التاريخ لطول الزمن أو لعدم الاكتراث والاشتباه لاتفاق الأسماء، وأيده في ذلك المؤرخ الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف، بل أجاب على مزاعم العيدروس بالنقاط التالية[٣]:

١- لم تشتهر أسرة آل الجيلاني إلا بالشيخ عبدالقادر فإذا كان له حفيد اسمه يعقوب بن يوسف فإنه لم يكن قد اشتهر إلا بعد وفاة يعقوب بن يوسف باوزير بالمكلا.

٢- لم يكن هناك في وقت الشيخ عبد القادر الجيلاني ما يكلف حفيدًا من آله على الهجر من العراق بدليل استقرار جدهم عبد القادر في بغداد وعلو شهرته بها.

٣- يبدو أن العيدروس الذي يزعم أن يعقوب بن يوسف صاحب المكلا من آل الجيلاني كان مخطئًا وأن كل القرائن تدل على أن يعقوب بن يوسف العباسي هو جد آل باوزير وليس من آل الجيلاني.

وقال عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف عن السيد علوي بن حسن مدهر إن آل باوزير يرجعون إلى الشيخ حسن الطرفي المقبور بجزيرة كمران (وهذا رأي ضعيف)، كما قيل

(١) نفس المرجع، ص٢٥٨-٢٥٧.

(٢) السقاف، جعفر محمد: الوثائق والتوثيق العلمي ((نقوشًا ومخطوطات))، مجلة التراث، العدد الأول، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، عدن، مارس ١٩٧٧م.ص٣٣-٣٢.

(٣) أحمد عوض: شهداء القصر، ص٢٨-٢٧.

أيضًا أن آل باوزير ينسبون إلى قرية (وزريه) من شرعب باليمن وهي من أعمال تعز، وهذا خطأ لأن هذه القرية اسمها (الوزيرة)[1] وليست (وزريه)، وهي ما بين شرعب والعدين[2]. خلاصة القول إن آل باوزير ينتسبون إلى الشيخ يعقوب القادم من العراق والمدفون بالمكلا، (انظر شجرة النسب في الملاحق).

ولم تكن تلك القرية الصغيرة (المكلا) في ذلك العهد بدار إقامة لمثل آل باوزير فارتحلوا عنها إلى الشحر، وكانت إذ ذاك أكبر وأصلح مدينة على الساحل الحضرمي، فاستوطنوها وتصدروا فيها للتدريس ونشر العلم ونفع الناس -لأن والدهما الشيخ يعقوب قبل وفاته قد نصحهم وحثهم بذلك- فالتف حولهم الأهالي وأكرموا نزلهم لما عرفوا به من كرم الأخلاق وحسن السيرة.

وبينما كان يوسف بن يعقوب في أرض حجر يعلم الناس أدركته المنية فمات ودفن هناك، ومات أخوه عمر بعد برهة وجيزة في مدينة الشحر فدفن بالخور غربي الشحر، واعتصم أخوهما عبد الله بالصبر لفقدهما، وحتى يتناسى ما حل به من حزن وآلام الغربة شغل نفسه بالتدريس ونشر العلم، وبتربية ابنه سالم[3].

ب) عميد أسرة آل باوزير وجدّها الأول بحضرموت:

أتم سالم بن عبد الله تعليمه في الشحر تحت إشراف والده، ومن ثم حثه في التنقل بين أهالي البادية يعلمهم ويصلح ذات بينهم، وقد دفعه ذلك الاختلاط بالبدو إلى أن يتزوج بنت أحد رؤسائهم في قرية (عرف) وهي جميلة بنت أحمد بن علي رئيس قبيلة (المسيليين) التي لم تلبث أن أنجبت له (محمد بن سالم) الجد الأعلى لآل باوزير، وهو المعروف لاحقًا

---

(١) الوزيرة: هي اليوم مركز إداري من مديرية (فرع العدين وأعمال محافظة أب، وإليها ينسب (آل الوزير)، وليس صحيحًا أن (آل باوزير) ينسبون إليها. الحجري: مجموع بلدان اليمن، ط١، صنعاء، ١٩٨٤، م٢، ج ٤، ص٧٧٦. عبد الرحمن السقاف: المرجع السابق، ص ١٤٠.

(٢) عبد الرحمن السقاف: المرجع السابق، ص١٤٠.

(٣) باوزير: صفحات، ص٩٣.

بمولى عرف لأنه عاش ودفن هناك(١)، وأصبح محمد بن سالم واحدًا من أبرز رجال العلم والتصوف في حضرموت(٢)، وقد توفي عن ثلاثة من الولد هم: أبو بكر وسعيد وعمر، فالأول عليه أهل حورة (مدينة في حضرموت الداخل) وقد درس على والده محمد بن سالم علوم الشريعة والطريقة، رحل إلى اليمن والحجاز للاستزادة من العلم وأخذ عن كثير من العلماء منهم الشيخ عبدالله بن أسعد اليافعي والإمام جمال الدين محمد بن سعيد كبن الطبري وفقيه المدينة ومحدثها الإمام المراغي، وتاج الدين السبكي وغيرهم، ثم عاد إلى موطنه حورة بحضرموت ودرس على يديه الكثير من أهل حضرموت ومن أبرز طلابه السيد عبدالله ابن أبي بكر العيدروس والسيد علي بن أبي بكر السقاف وغيرهم(٣)، والثاني خلَّف أبناء أشهرهم محمد بن سعيد جد أهل النقعة الساحلية غربي الغيل وقبره في غيل باوزير، وله ولد يُدعى أحمد بن محمد وهو أول من قبر بالنقعة وانتشرت ذريته بها، ومن حينها عرفت باسمه (نقعة أحمد) ومن أشهر أحفاد الشيخ سعيد بن محمد بن سالم الشيخ عبد الرحيم بن عبدالله بن سعيد صاحب (ساه) ومؤسس جامعها، وله ذرية بساه يقال لهم آل الشيخ. أما الثالث فهو عمر بن محمد بن سالم وهو الذي بنى الغيل الأسفل (غيل عمر) سنة ٦٥٦هـ -١٢٥٨م

---

(١) قرية عرف في مديرية الشحر، فيها ضريح الشيخ محمد بن سالم.

(٢) محمد بن سالم (مولى عرف): هذا هو الوارث الوحيد في حضرموت لأسرة آل باوزير المهاجرة من العراق والعباسي الأول الذي ولد بحضرموت من هذه العائلة. فقد توفي أخو جده يوسف وعمر دون خلفه، وتوفي جده عبدا لله في الشحر (٥٨١هـ - ١١٦٠م) عن والده سالم فقط الذي مات وقبر بالجويب (الجويبات) بالقرب من مدينة حورة، ولذلك اعتبر محمد بن سالم عميد أسرة آل باوزير وجدها الأول، كان من أبرز علماء حضرموت في القرن السابع الهجري، درس وتفقه على عديد من علماء حضرموت كالإمام محمد بن علي صاحب مرباط (المتوفى سنة ٥٥٦) والشيخ أحمد الهدهدي، والشيخ أحمد البطين والعلامة الفقيه محمد بن إسماعيل الحضرمي بزبيد وغيرهم من العلماء، كما أخذ عن والده وجده، ولأنه ولد وتوفي بقرية (عرف) دعي بمولى (عرف). باوزير: الفكرة والثقافة في التاريخ الحضرمي، دار الطباعة الحديثة، مصر، ١٩٦١م، ص١٢٨. وصفحًا من التاريخ الحضرمي، ص ٩٣-٩٤. الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ط٢، عالم المعرفة، جدة، ١٩٨٣م، ج ١، ص١٨٩. وللشيخ محمد بن سالم ضريح يزار، وتقام له زيارة سنوية. وللمزيد من التوضيح انظر مزاحم باوزير: المرجع السابق، ص٤٤-٤٣.

(٣) انظر باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص ٩٣-٩٥. والفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ص ١٢٨-١٢٩.

ومؤسس مسجدها، وتوفي بها سنة ٧١٢هـ - ١٣١٢م[١]، وهو والد الشيخ عبدالرحيم بن عمر باوزير مؤسس مدينة غيل باوزير.

هكذا انتشرت ذرية الشيخ يعقوب وأبنائه القادمين من العراق في جميع أنحاء حضرموت، وخاصة ذرية العباسي الأول المولود في حضرموت (محمد بن سالم باوزير) وعرفت ذرية هذه الأسرة بالمشايخ كآل باعباد وآل العمودي وغيرهم من مشايخ حضرموت، وبذلك نجد شريحة المشايخ واحدة من الطبقات الاجتماعية الهامة، بل تحتل المرتبة الثانية بعد السادة العلويين في السلم الاجتماعي الحضرمي، واشتهر مشايخ آل باوزير بالتفقه في الدين والتصوف، ولعبوا أدوارًا هامة في تاريخ حضرموت السياسي والاجتماعي وتمتعوا بالامتيازات من قبل الحكام ورؤساء القبائل، ومارسوا دور الوسيط في حل النزاعات القبلية[٢].

ثانيًا: غيل باوزير..أصل المدينة وتأسيسها:

مما لا شك فيه أن اسم الغيل اقترن باسم مؤسسها الشيخ عبد الرحيم بن عمر باوزير[٣]، وأن أصل اللفظة (غيل) التي تعني: سال، جرى، مجرى ماء، قناة، وتعني: الماء الجاري على وجه الأرض كما سبق الإشارة لذلك، فكل ما تقدم من معان ينطبق على الغيل، ففيها العيون والحوم (بحيرات صغيرة) والمياه الجارية عبر المعايين (الجداول)[٤]، وبها عديد من الأودية الصغيرة، لذلك سميت بالغيل، ونسبت إلى مؤسسها آل باوزير، ومناطق كثيرة من اليمن شماله وجنوبه ينطبق عليها ما تقدم فنجدها تحمل اسم الغيل[٥]. أما عن موقع

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن أولاد محمد بن سالم (مولى عرف) وأبنائهم وأحفادهم ينظر: باوزير: صفحات، ص١٠٥-٩٤ وكتابة الفكر والثقافة، ص١٤٠-١٣٨، ١٣١، ١٩٢، ١٢٩، ١٢٨. وانظر مزاحم: المرجع السابق، ص٤٤-٤٣.

(٢) عن المشايخ يُنظر: الجعيدي: الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية.في حضرموت، ط١، عدن، ٢٠٠١م، ص ٣٢-٣١.سارجنت: حول مصادر التاريخ الحضرمي، طبع الكويت، ص١٠٦. الشاطري: مرجع سابق، ج٢، ص٣٨٣-٣٨١.

(٣) عبد الرحيم بن عمر باوزير: أحد أحفاد الشيخ يعقوب بن يوسف..والجد الأول لآل باوزير في الغيل.

(٤) انظر الحُوم و المعايين في الملاحق.

(٥) ولمعرفة بعض المناطق اليمنية التي تحمل اسم الغيل انظر: الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص٣٠٨-٢٧/ ٢٢٥-٢٢٤.الحجري: مجموعة بلدان اليمن، ج ٣، ص٦٢٧.

مدينة الغيل فتقع ضمن نطاق الشريط الساحلي لحضرموت، وهي بحكم موقعها القريب من الطريق الحيوي الذي يربط مدينتي المكلا والشحر.. وإذا أردنا أن نحدد لها موقع فلكي على الخريطة فإننا نقرب موقعها على خط طول ٥ ,٤٩ درجة ودائرة عرض ٥ ,١٤ شمال خط الاستواء، وهي من المدن الواقعة في جنوب حضرموت إلى الشمال الشرقي من مدينة المكلا، وقد كانت الغيل منذ القدم تحتل موقعًا كممرًا تجاريًا يربط بين مدن ساحل حضرموت ببعضها البعض، وبين هذه المدن ومدن وادي حضرموت من ناحية أخرى[١].

عبدالرحيم بن عمر المؤسس والمعلَم الأول لمدينة الغيل:

قدم الشيخ عبدالرحيم بن عمر إلى ساحل حضرموت سنة (٧٠٦هـ -١٣٠٦م) لغرض البحث عن البقعة الصالحة للإقامة له ولذريته من بعده، فوقع اختياره على البقعة التي تدعى الآن بغيل باوزير، وقد بنى بها منزله- أول منزل بالغيل- في الأرض الواقعة غرب المدينة (حاليًا الكوم)[٢]، ثم شيد مسجده المعروف الآن بالجامع[٣].

وحفر له بئرًا استخدمت لخدمة المسجد وهي أول بئر تحفر في الغيل، ومن ثم شق

(١) ولمعرفة المزيد عن الموقع وأهميته انظر البكري، صلاح: تاريخ حضرموت السياسي، ج٢، مطبعة البابي الحلبي، مصر ١٩٣٧، ص ١٤٠. باوزير: صفحات...، ص ٢٢١. باوزير، محمد بن هاوي: مرجع سابق، ص١٧-٢٠. سامي بن شيخان: نفحات، ص ١٣. جروان: المرجع السابق، ٣١-٣٣. والجوهي، محمد سالم: مدينة غيل باوزير.. موضعها وموقعها، مجلة الفكر العدد ٢٠، يناير - مارس، ص ٣، والعدد ٢١، يوليو - سبتمبر ٢٠٠٣م، ص٣، تصدرها جمعية المؤرخ الثقافية، ٢٠٠٣م، انظر الخريطة في الملاحق.

(٢) الكوم: حافة أو حارة تقع في الناحية الغربية من المدينة، وورد في كتاب نفحات و عبير أنه عند تأسيس مدينة غيل باوزير لم يكن هذا المكان باسم (الكوم)، بل عرف ذلك نسبة لإحدى العوائل القادمة من داخل حضرموت والمعروفة (بآل الكَوَمْ) التي استقرت عند النبع المائي المعروف بـ (الحومة)، وفي عهد السلطنة القعيطية أقيم سور حول الغيل وأصبحت الكوم خارج السور. ومن الجدير بالذكر أن الكوم وإلى وقت قريب كان محطًّا للقوافل، ويبدو أنه كان محطةً واستراحة للقوافل (وليس مكانًا للاستقرار) قبل مجيء الشيخ عبد الرحيم إلى الغيل.

(٣) المسجد الجامع: أول مسجد في الغيل، كان صغيرًا بحسب الحاجة وعدد السكان، ولكن ظل في توسع مستمر بحسب ازدياد عدد السكان، وكان الانتهاء من آخر توسع له في شهر شوال١٣٩٣هـ، وسبق ذلك الشروع ببناء منارة طويلة للجامع على الطراز الحديث، بإشراف المعلم والمعماري "يسلم مقرم" وفي وقت قريب تعرضت المنارة للعبث والهدم بحجة توسيع الطريق (انظر الملاحق).

جدولًا مائيًا (معيان) من هذه البئر ومدَّه إلى مكان غرب المدينة يعرف باسم (هابط العمل) وجنوبها ليروي مساحات واسعة من النخيل والأرضي الزراعية، ويعتبر هذا الجدول المائي أول جدول يتم شَقُّه في الغيل[١]، وبذلك يعتبر الشيخ عبد الرحيم بن عمر أول من وضع حجر الأساس لتأسيس مدينة الغيل التي اقترنت باسمه، بل عمد استقراره بها عندما قرر الزواج وعقد قرانه على إحدى بنات الأسر المقيمة في قرية القارة[٢] من(آل بعنس) من قبيلة العوابثة المذحجيين[٣] فأنجبت له ثلاثة من الأولاد هم: سعيد وعثمان وأحمد، وإليهم تنسب ذرية آل باوزير في الغيل وهم نواة سكان غيل باوزير، وإلى جانبهم مجموعة من العوائل الحضرمية التي استقدمها الشيخ عبد الرحيم من حضرموت الداخل[٤]ومنهم: آل برعية وآل باغوزة وآل حيمد وآل بن سلوم وآل باشحري وآل باناصر وغيرهم كأوائل السكان في الغيل وأقاموا مساكنهم بجوار مسجد ومسكن عبد الرحيم بن عمر، ويبدو أن استقدامهم في أول الأمر كان لخدمته وخدمة مسجده، أي لخدمة الغرض الذي قدم من أجله ألا وهو تأسيس مدينة، ومن حينها كرَّس الشيخ ومعاونيه جلّ اهتمامهم ليجعلوا من هذه البقعة بلدة عامرة بالسكان، مسخرين كل جهودهم منذ البداية على الجانب الاقتصادي، كإعداد الأرض واستصلاحها وتجهيزها للزراعة، خاصة وأن كثيرًا من الأسر التي جاءت بصحبة الشيخ عبد الرحيم والتي قدمت لاحقًا تمتهن وتجيد حرفة الزراعة[٥].

(١) باوزير: صفحات، ص١٠٣.وسامي بن شيخان: نفحات وعبير من تاريخ غيل باوزير، مكتبة الثقافة عدن ودار التيسير، صنعاء، ص٣٣، ١٩.

(٢) القارة: قرية صغيرة في شرقي الغيل، ويبدو أنها موجودة قبل الغيل، وعند قدوم الشيخ عبد الرحيم بن عمر كانت القارة تعرف بقارة بن محركة وبها جموع من قبيلة العوابثة ومنهم آل بن محركة. والقارة الآن تكاد أن تلتحم بمدينة الغيل، أي لم تعد قرية كما كانت بل تتمتع بمواصفات المدن الصغيرة من حيث السكان والعمران.

(٣) قبيلة العوابثة: هي من القبائل القديمة في حضرموت وينتشرون في مناطق عديدة منها، ويوجد بين أفراد هذه القبيلة البادية والمستقرون.. الشاطري، المرجع السابق، ج٢، ص٣٧١.

(٤) يبدو أن قيام الشيخ عبد الرحيم بن عمر باستقدام عديد من العوائل الحضرمية جاء بعد استطلاعه المنطقة والتأكد بأنها بقعة صالحة لحياة العيش والاستقرار له ولذريته وغيرهم من المستقدمين.

(٥) قبل مجيء الشيخ عبد الرحيم ومن معه لم تكن هناك زراعة بالمعنى المتعارف عليه، بل كانت تنمو طبيعيًّا كثير من الأشجار وهي منتشرة هنا وهناك.

وقد قام الشيخ عبد الرحيم بن عمر وبمساعدة الفلاحين باستخراج مجموعة من المعايين، ومنها تلك التي ما تزال تروي مساحات واسعة من النخيل والأراضي المزروعة جنوب وجنوب غربي مدينة الغيل، وقد قام بتمرير أحدها بمسجده للاستفادة من مياهه، وقد أقيمت فيما بعد مساجد أخرى على المعيان نفسه(١)، كمسجد اليافعي، ومسجد باحميد، ومسجد شفاء(٢)وعلى هذا الأساس بدأ النشاط الزراعي في البلدة، وعليه يكاد يكون الاعتماد في حياتهم الاقتصادية، بل أثمر هذا النشاط مما جعل عنصر المال متوفرًا لديهم- للشيخ وأتباعه- للإنفاق فيما يلحق من نشاط زراعي. وحول ذلك جاء قول الشاعر سعيد قشمر(٣):

بلادنا زينة عجيبة بالرتوب امدوره

سلطاننا مول الدعامة(٤) للعرب به يهتدون

تاريخ سبعمائة وستة خرجوا النهور الساهرة

تسقي في الوادي بالصدقة بها يتعاملون

وكلما تجمعت الثروة بيد الشيخ وأتباعه زاد اهتمامهم وتوسع نشاطهم الزراعي، بل ظل التوسع مرهونًا بحاجة وازدياد عدد السكان، وهكذا تجمعت لدى الشيخ ثروة مكَّنته من شراء الكثير من العقارات والأطيان في عدة مناطق حول الغيل وخارجها بالقرب من المكلا (كالخربة والبقرين) وغيرها، وجعل كل ما يملك وقفًا دائمًا تصرف غلته في مصالح المسجد والضيافة وتوزع منه في المناسبات الدينية والأعياد كصدقات، كذلك سار أبناء الشيخ عبد الرحيم على نهجه بل أضافوا عدَّة أوقاف إلى هذا الوقف(٥).

ولم تكن جهود الشيخ عبد الرحيم وأبنائه حكرًا على الجانب الاقتصادي فقط، بل ركزوا

---

(١) محمد سالم الجوهي: المرجع السابق (مجلة الفكر) عدد٢٠، يناير- مارس، ص٣، وعدد٢١، يوليو-سبتمبر، ٢٠٠٣، ص٣.

(٢) من أقدم مساجد غيل باوزير ولازالت قائمة، كما قام أهل الخير حاليًا بتوسعة وإعادة بنائها ولكن للأسف على حساب نمطها المعماري التقليدي القديم.

(٣) انظر القصيدة كاملة في باوزير، محمد بن هاوي: مدينة العرفان غيل باوزير ط١، دار جامعة عدن، ٢٠١٠م، ص ٢٦٢-٢٦٣.

(٤) مول الدعامة: يقصد به الشيخ عبد الرحيم بن عمر باوزير

(٥) باوزير: صفحات، ص١٠٣.وسامي بن شيخان: المرجع السابق، ص١٩.

أيضًا على الجانب الثقافي، ولم يكن نشاطهم في هذا الجانب بأقل من نشاطهم الاقتصادي و فقد بنى مدرسة لأبنائه وأحفاده وغيرهم من طلاب العلم والمعرفة (مدرسته المشهورة بالمسجد الجامع) واستقدم لها المدرسين الأكفاء من كبار علماء وشيوخ حضرموت لتصبح مدينة الغيل قبلة الأنظار، ومن حينها أخذ طلاب العلم والمعرفة يتوافدون على غيل باوزير من جميع أنحاء حضرموت وخارجها للدراسة على يد علمائها وشيوخها، وكثير من هؤلاء الوافدين وجدوا أطيب العيش والاستقرار بالمدينة فاستقروا بها[1].

وكان ذلك من بين أهم العوامل التي أدت إلى الازدياد السكاني والعمراني في غيل باوزير بعد أن كان عدد السكان والمساكن صغيرًا ومحصورًا في ناحية واحدة من البلدة (الناحية الغربية) حول مسكن الشيخ عبدالرحيم بن عمر ومسجده. وهكذا أثمرت جهود الشيخ عبدالرحيم في تأسيس واحدة من أهم المدن في حضرموت، والتي كانت نواتها منزلًا ومسجدًا وبئرًا أو جدولًا مائيًا، ليكتب لها البقاء والاستمرار والتوسع حتى وصلت المدينة إلى ما هي علية الآن من توسع وتطور.

انقضت أربعون عامًا منذ وضع الشيخ عبدالرحيم بن عمر حجر الأساس لهذه المدينة (٧٠٦ هـ - ١٣٠٦م) كان فيها القانت العابد والعالم العامل، لا يطغى فيها المسجد فيخل بشئون دنياه، ولا تشغله المزرعة عن المسجد فتفسد عليه أمور دينه، وكان له فيما بين المزرعة والمسجد متسع من الوقت للإشراف على المدرسة ونشر العلم والتدريس بين العامة واستقبال ضيوفه الذين لا ينقطعون، والإصلاح بين القبائل، إلى غير ذلك من أوجه النشاط الاجتماعي التي كان من بينها الدعاية لاستيطان هذه البلدة، والإخراج عن المياه المخزونة في أرضها بحفر الآبار والعيون والقنوات لاستخدامها في زراعة تربتها الخصبة.

وبعد وفاة مؤسس غيل باوزير تولى أمر البلد من بعد أولاده عثمان وسعيد وأحمد، وساروا على نهج والدهم في نشر العلم والإصلاح، ومن ثم أحفاده عبد الرحيم بن سعيد المكنى(مول الطرائق)[2] وعبد الرحيم بن عمر (مولى الجيش) وعمر بن أحمد وعمر بن

---

(١) باوزير: صفحات، ص١٠٣.

(٢) مولى الطرائق: أي صاحب الطرائق، ولد ونشأ في غيل باوزير، وتعلم بها وكان أحد مشاهير رجال العلم والتصوف في القرن ٨ هـ، له مصنفات منها: (كتاب الطرائق)، وتوفي في الغيل سنة ٨٢٧ هـ.. ترجمه الشرجي في طبقاته فقال: " الشيخ الكبير عبدالرحيم بن سعيد بن عبدالرحيم بن عمر باوزير،

عبد الرحيم (مولى الربع) وغيرهم كثيرون[1].

أما بالنسبة لسكان مدينة الغيل فقد سبقت الإشارة بأن نواتها ذرية مؤسسها من آل باوزير ومجموعة العائلات الحضرمية التي استقدمها الشيخ (مؤسس البلدة) من حضرموت الداخل، وإنها قبل قدوم الشيخ كانت خالية من أي تجمعات سكانية بمفهومها الصحيح، حيث كان يوجد بها -بين حين وآخر- مجاميع من البدو الرحل لغرض رعي أغنامهم وإبلهم حيثما وجد المرعى والماء، وهم بحكم الطبيعة لايستقرون في مكان واحد، بل يرتحلون من موقع لآخر بحثًا عن المرعى والماء، وهؤلاء هم بادية الغيل ومنهم: العصارنة، وآل الحيقي، والشعاملة، والعواثبة وغيرهم[2]، وهكذا بوصول الشيخ عبد الرحيم إلى الغيل واستقراره بها يكون صاحب الفضل في إشهارها كمدينة عامرة بالسكان (من آل باوزير والعائلات القادمة معه وما تلاها من حضرموت الداخل).

ومن حينها أصبحت هذه المدينة وضواحيها منطقة جذب للسكان من جميع أنحاء

= كان أفضل المشايخ المتأخرين وأكملهم تربية للمريدين.. " وقال عنه: " توفي ليلة الثالث والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة ٨٢٧هـ ودفن شرقي قبر جده وله من التصانيف (الطرائق) يمليها على سبيل الوارد " وكتاب الطرائق هو عبارة عن ٢٧ فصلًا تتحدث بأسلوب الصوفية ومصطلحاتهم عن طريقة القوم وتصور جانبًا من آرائهم ومناحي تفكيرهم (طبع الكتاب في القاهرة) ولمزيد من التفصيل عن ترجمته ينظر: باوزير، صفحات، ص ١٠٤ - ١٠٥.

(١) مولى الجيش: عبد الرحيم بن عمر، له قبة وضريح داخل الغيل تحت اسم مولى الجيش، ومولى الربع: قبة وضريح عمر بن عبد الرحيم في خارج الغيل من الناحية الشرقية، وتوجد أيضًا عديد من القباب والأضرحة لمشايخ آل باوزير وغيرهم داخل المدينة وخارجها، وكانت تقام لهم الزيارات التي كانت من أبرز عادات أهل الغيل، إذ كانوا يقومون بالزيارات السنوية لهذه الأضرحة كون أصحابها (في نظرهم) أولياء الله الصالحين، وهي عادة كانت كثيرة الانتشار في حضرموت، بل في عموم اليمن وأنحاء واسعة من البلاد العربية والإسلامية، ومنذ عدة سنوات امتنع أهل المدينة عن زيارات التبرك لهذه الأضرحة لأنه مناف لكمال التوحيد وأصبحت مهجورة ولكن المفروض الحفاظ عليها كنوع من أنواع العمارة الدينية لأنها جزء من هوية وتاريخ المدينة. انظر صُور القباب في الملاحق قبل العبث بها وهدمها في نهاية ٢٠١٥م.

(٢) عن بادية غيل باوزير من عصارنة وشعاملة والحيق يُنظر: الشاطري، المرجع السابق، ج٢، ص ٣٥٨ - ٣٥٩.

حضرموت[١]. ويدخل ضمن نطاق سكانها أيضًا بدو المنطقة (بادية الغيل) ومنهم قبيلة آل عمر باعمر[٢]، بالإضافة إلى القادمين من القبائل اليافعية، كآل همام وآل القعيطي وآل الحضرمي وآل الخلاقي وغيرهم.

ثالثًا: ما تعاقب على غيل باوزير من حكام وحوادث

إن عددًا من مدن وقرى حضرموت كانت لا تعرف نظام الحكومات المركزية، بل كانت تخضع للأنظمة العشائرية القبلية وفق التقاليد والأعراف المتوارثة عن الآباء والأجداد، وهو الأمر الذي ينطبق على الغيل منذ تأسيسها، إذ كان أمرها يعود إلى أوائل ساكنيها من مشايخ آل باوزير والعواثبة (القاطنين في القارة) وغيرهم، وإذا أردنا أن نعطي نظرة عما تعاقب عليها من حكام وحكومات منذ تأسيسها إلى يومنا هذا فإن البداية ستكون على النحو التالي:

في القرن الثامن الهجري حوالي عام ٧٠٦هـ وما تلاها من أعوام

وهي الفترة التي تبدأ بقدوم الشيخ عبد الرحيم بن عمر باوزير إلى البقعة التي اقترنت باسمه (غيل باوزير) وبأبنائه وأحفاده، وبالكثير من القادمين (عائلات وأفراد) من حضرموت الداخل إلى الغيل، فهي الفترة الأولى التي واكبت ميلاد المدينة وتأسيسها، وكان الحكم فيها بيد المؤسسين المشايخ آل باوزير ويساعدهم فيه العواثبة آل عمر باعمر[٣]، حيث كان الدور الرئيسي لإدارة حكم البلاد لمشايخ آل باوزير خاصة أنهم يقومون بالدور الاجتماعي والروحي والديني والعلمي، وهو الأمر الذي أعطاهم مكانة هامة لدى سكان المدينة وضواحيها وباديتها في حل الكثير من مشاكلهم وقضاياهم الاجتماعية، وقيل إنهم خصصوا لهذا الغرض مجلسًا (الحضرة) ويتكون من بعض وجهاء آل باوزير ويرأسهم شخص يدعى

---

(١) سكان هذه المنطقة منهم من تم استقدامهم أفرادًا أو عائلات، ومنهم من جاء بمحض إرادته، بجانب الوافدين كطلاب للعلم والمعرفة وفضلوا الاستقرار في الغيل.

(٢) آل عمر باعمر: هناك عدة روايات حول قدومهم إلى غيل باوزير، ومجملها تجمع بأن أصلهم من قبيلة العواثبة ويرى البعض ومنهم الشيخ أحمد باعباد (من أعيان الغيل) أنهم قدموا من وادي العين. عن الجوهي: المرجع السابق، عدد ٢١، ص ٣.وانظر بن عبيد الله السقاف المرجع السابق ص ١٤١.

(٣) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف: إدام القوت، ص ١٤١-١٤٢. سامي بن شيخان: نفحات وعبير، ص ٤٢. ومحمد أحمد بن هاوي (بوسراجين):من مذكرة عن حياتي ونبذة عن تاريخ الغيل (مخطوط)، عن مجلة الفكر الصادر في غيل باوزير، العدد (٨)، أكتوبر - ديسمبر١٩٩٧م، ص ٧.

(المنصب) للنظر في قضايا ومشاكل المدينة وضواحيها وباديتها[1].

ولكن يبدو أن إنشاء هذا المجلس قد تم لاحقًا، وأن إدارة شئون البلدة وحل قضاياها ومشاكلها عند تأسيس المدينة ولفترة من الزمن كانت تدار من قبل المؤسس الشيخ عبد الرحيم بن عمر وأبنائه ومساعديهم من المسجد (وهو مكان متعارف عليه في العهود الإسلامية)[2]، وربما من ديار المشايخ أعيان البلدة (دار المنصب) تدار شئون البلدة، أما دار الحضرة التي شارك الأهالي من المشايخ وغيرهم في بنائها فيبدو (في نظري) أن الهدف الرئيسي من إنشائها هو جانب روحي ديني أكثر منه سياسي مع حدوث بعض الاستثناءات كحل بعض قضايا ومشاكل سكان المدينة وباديتها فيها، بالإضافة إلى ذلك إن دار الحضرة ظهرت بعد فترة طويلة من تأسس المدينة ووفاة مؤسسها الشيخ عبد الرحيم بن عمر وأبنائه وربما أحفاده[3] فالأرجح أن المسجد كان المكان الأول الذي تدار منه شئون البلدة.

أما آل عمر باعمر فقد عقد آل باوزير حلفًا معهم ليقوموا بتوفير الحماية للمدينة والحراسة لمشايخ آل باوزير خاصة وأنهم من القبائل المسلحة، بل أقدمها في الغيل، وهذا ما آل بالسلطة العسكرية في مابعد لآل عمر باعمر فغلبوا آل باوزير على بعض النهي والأمر، وكونوا لهم دويلة أو شبهها ظلت باقية حتى قضى عليها السلطان عوض بن عمر القعيطي في مطلع القرن العشرين[4].

---

(١) سامي بن شيخان: نفحات وعبير، ص ٤٢-٤٣.

(٢) المعروف أن المساجد كانت تقوم بدورها العلمي منذ القرن الأول الهجري، إلى جانب دورها كأماكن للعبادة ومراكز تدار منها شئون الدولة... انظر عبد الرحمن حسن جار لله: المسجد والمدرسة الإسلامية، مجلة الإكليل، العدد ٢٨، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ربيع ٢٠٠٤م، ص ٧٢ - ٧٣.

(٣) بالنسبة لتوضيح مفهوم الحضرة أو تعريفها: فهي اجتماع الناس لفترة لذكر الله و الصلاة و قراءة مولد الرسول ﷺ وحصول البركة من ذلك الاجتماع، والحضرة في بعض المساجد أو أماكن الأضرحة (القباب) عبارة عن إنشاد ديني.. يصاحبه الطار (الطبل) وانظر روبرت سارجنت: نثر وشعر من حضرموت، المركز اليمني فرع حضرموت، ١٩٨٠م - ص ٧٣. ودار الحضرة من المعالم المهمة في تاريخ غيل باوزير ومنذ فترة وهي مهجورة ومهملة ولعلها من المعالم التي تستغيث لأنها معرضة للاندثار لذلك نناشد أهل المدينة وخاصة من آل باوزير أو المهتمين بالتراث أن يسارعوا في الحفاظ على هذا المعلم وعلى ماتبقى من معالم مدينة غيل باوزير.

(٤) عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف: المرجع السابق، ص ١٤١. الجوهي: مرجع سابق، ص ٣. وباوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص ٢٢١.

ومن الجدير بالإشارة العودة إلى الحلف الذي عقده آل باوزير، وكما سبقت الإشارة أن الهدف منه قيام آل عمر باعمر بالدور الأمني للحفاظ على أمن البلاد، وإعطاؤهم صلاحيات التفاوض ومخاطبة الدول المجاورة أو شبهها، والأهم من ذلك مخاطبة (البدو) سكان بادية المدينة القاطنين في ضواحيها، لتأمينها من الغارات وقطاع الطرق، خاصة وأن سكان البادية لهم مصالح في المدينة. وقيل إن آل عمر باعمر أقاموا لذلك الغرض محكمة في دار بابكر بن عمر باعمر -يوجد بها الآن منزل عبد ومنزل (رعوي) سعيد برعية- للنظر في القضايا الأمنية[١]. وظل الوضع كذلك حتى خضوع الغيل للسلطنة الكثيرية الأولى ثم لآل بريك (حكام الشحر) وأخيرًا للسلطنة القعيطية.

أما الراوية المعمر (أبو سراجين)[٢] فقد أعطى نظرة موجزة عن الحكم في غيل باوزير بقوله: " كانوا الغيل جم دُول، أولًا المشايخ يحلون مشاكل المواطنين. آل عمر باعمر وأعطوهم المشايخ مخاطبات الدول والبادية هذا إلى حسابهم ثم أجاءت يافع وكوَن ابن جابر[٣] شبه حكومة في الغيل وكذلك ابن الرقيمي بنى حصنًا[٤] شرقي الغيل، كذلك ابن همام جاء من الشحر وتمركز نجدي الغيل وبنى الحصون وخرج معيان شقيب. وكانت الغيل فوضى ما هناك شيء دولة بمعنى الكلمة بل كانت البادية كلين حكمة في بندقيته وكلين معتمد على سلاحه.كذلك ابن محركه يحكم القارة والعولقي يحكم الصداع وبازار يحكم في شحير[٥] إلى أن جاء القعيطي قضى على جميع الدول المذكورة عام ١٢٩٢ هـ..."[٦].

هكذا كانت الغيل تدار من آل باوزير ومعاونيهم آل عمر باعمر، وضواحيها بيد

---

(١) سامي بن شيخان: نفحات وعبير، ص ٤٣.

(٢) أبو سراجين: الراوية المعمر والشاعر الشعبي محمد بن أحمد بن هاوي باوزير (١٨٨٨-١٩٩٧).

(٣) ابن جابر: من القبائل اليافعية، كون شبه حكومة في الناحية القبلية (غربي الغيل) وبنى حصنه على الجبل المشرف (على الباغ) ولازالت أطلاله قائمة.

(٤) ابن الرقيمي: من آل بن همام ويقع مكانه الآن ملعب كرة القدم للمدارس والنادي الأهلي، ويبدو أن قدوم آل همام للغيل في أوائل القرن ١١ هـ تقريبًا واستقروا بالناحية الشمالية بالغيل، انظر السقاف: المرجع السابق، ص ١٤٢.

(٥) ابن محركة وبازار وآل باعنس وآل الحيق وآل عمر باعمر أقسام وفخائذ من قبيلة العواثبة.

(٦) محمد بن هاوي (أبو سراجين):المذكرة التاريخية.

قاطنيها من القبائل إلى أن بدأت تظهر الدويلات والسلطنات في مدن حضرموت (الشحر والمكلا وتريم وشبام).

ومن سنة ٩٢٧ هـ تقريبًا – ١٢٨٣هـ كانت بداية ظهور الدويلات

(أشبه بدويلات المدن) والسلطنات في حضرموت وخاصة الشحر، خلال هذه الفترة تتقلب غيل باوزير في تبعيتها للشحر(١)، فقبل عام ٩١٠ هـ تقريبًا كانت الشحر خاضعة لسلطنة آل كثير –الدولة الكثيرية الأولى (٨٠٠–١١٣٠هـ) للسلطان عبدالله بن جعفر الكثيري (والد السلطانين محمد وبدر أبوطويرق) وقد حضرته الوفاة بالشحر عام ٩١٠هـ، فتولى حكم الشحر من بعده ابنه محمد، وكانت الغيل تابعة له وينوبه فيها القائم مقام النقيب (أحمد بن النقيب) ويبدو أن هناك خلافًا بين الأخوين السلطان محمد وبدر على شئون الحكم، وقد انتهى بإبعاد الأول عن حكم حضرموت بما فيها الشحر لصالح السلطان بدر كحاكم لحضرموت الداخل والساحل، وكان من بين إجراءاته السياسية قيامه بإلقاء القبض على حاكم الغيل أحمد بن النقيب متهمًا إياه بالتواطؤ مع أخيه محمد ضده وزج به في السجن ومن ثم عزله عن الخدمة وذلك في عام ٩٢٧هـ(٢).

وفي ظل ذلك الصراع بين الدويلات استولى آل بريك على الشحر فآلت تبعية الغيل لهم(١١٦٥–١٢٨٣هـ) وفي ظل استمرار الصراع عادت مرة أخرى تبعية الغيل لآل كثير (١٢٨٣–١٢٩٢هـ) (الدولة الكثيرية الثانية) عندما هاجم السلطان غالب ابن محسن الكثيري آل بريك واستعاد منهم الشحر في جمادى الآخر سنة ١٢٨٣هـ، وبذلك دخلت الغيل تحت حكم آل كثير، بل جعلوا منها حامية عسكرية(٣). ويعتبر الشاعر (المعلم عبدالحق المتوفى١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م) وكأن البريكي حاكم الشحر أراد لآل كثير احتلالها: وقال(٤):

(١) ابن هاوي: المذكرة التاريخية.

(٢) محمد عبد القادر بامطرف: الشهداء السبعة، ط٢، دار الهمداني، عدن ١٩٨٣م، ص ٧٧ –٧٩.

(٣) باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص ١٨٦. عدنان جروان: مدينة غيل باوزير.. ط١، دار الفالحين، الرياض، ٢٠١٢م، ص ٦٨– ٧٥.

(٤) بامطرف: المعلم عبد الحق، ط٢، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٣، ص ٣١.

قَـبُـضَـة قبضتـوهـا ومــولاهـــا لـكــم بــالـــودّ خَـصُ
سـمـح لـكـم بـالـفـاطـر الـلـي شـحـم: ذروتــهـــا وقَــص

وللمعلم عبد الحق قصيدة تهنئة لآل كثير على احتلالهم الشحر ومطلعها[1]:

أسألك يامَعُبود يامَلُجَا وَمنُجَى مَنُ سَأَلُ   يامَنُ لَكَ التَّصريفُ في لَوُلا وفي قولَه لَعَلُ

وفيها يقول:

وأسرَحُ إلى سَيؤن لي في حَضُرموت أحسَنُ مَحَلُ
مـا مثله إلا الشِّحـر والغنَّاء[2] وياغـافِـل سـأَلُ
وأقُصد لبو منصور غالب لي لـه الأمـر اجُتَمَلُ
سِلمِّ على كَفه وقل له طاب لَكُ وادي العَجَل[3]

وفي ظل هذه الظروف التي كانت تعيشها غيل باوزير، كانت تتقلب في تبعيتها للسلطات المتواجدة في ساحل حضرموت (الشحر)، لأن الغيل في تاريخها السياسي القديم دائمًا تتبع السلطة السياسية التي تحكم الشحر، وتخضع لها لأسباب اقتصادية في الغالب كون الشحر هي الميناء الوحيد الذي كان سكان الغيل يعتمدون عليه في التصدير والتوريد وشراء كل ما يحتاجون إليه من أقوات وبضائع، لذا فكان لزامًا عليها أن تتبع الشحر وألا تعادي السلطنة القائمة فيها، وعلى هذا الأساس خضعت الغيل للسلطنة الكثيرية ثم لابن بريك عندما احتل الشحر، ثم العودة إلى سلطنة آل كثير بعد استيلاء غالب محسن الكثيري على الشحر، وأخيرًا خضوعها للقعطة[4][5].

وفي خضم هذا الوضع المضطرب وصلت بعض القبائل اليافعية إلى البلدة وحاولت

---

(١) نفس المرجع، ص ٣٨ - ٣٩.

(٢) الغناء: اسم من أسماء مدينة تريم.

(٣) وادي العجل: وادي حضرموت وسمي كذلك لكثرة الآبار التي ينزحون الماء منها بواسطة عجلات السناوة.

(٤) القعطة: صيغة جمع محلية لآل القعيطي.

(٥) باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص ٢٢١.

فرض سيطرتها عليها، وقد كان آل بن همام من أولى القبائل اليافعية التي وصلت إلى الغيل (في أوائل القرن ١١هـ تقريبًا)، وأقاموا حصونهم بالناحية الشرقية من الغيل وفرضوا نفوذهم على شيء من أمر الغيل، ومنهم ابن الرقيمي الذي استولى على الحصن الذي عُرف باسمه[١].

وبعد فترة من وصول طلائع القبائل اليافعية (آل بن همام)، قدمت قبائل يافعية أخرى إلى الغيل ضمن القوات السلطانية ومنهم (ابن جابر) السابق ذكره، وفرض سيطرته على الناحية الغربية من الغيل[٢].

أما الضواحي فحالها لا يختلف عن المدينة فهي تخضع للأقوى من القبائل المقيمة بها، فمثلًا قرية (القارة) تخضع لفرقة من العواثبة (آل ابن محركة)، وقرية الصداع والحزم كانت تخضع للجمعدار العولقي الذي قام بشراء الحزم واختار القارة المعروفة هناك لبناء حصنه عليها وهو المعروف بحصن الصداع أو بحصن العولقي[٣]الذي يقول فيه شاعرهم:

سَلاَمْ ألفين يا حصن مبني فوق قارة　　　بناك العولقي مايعول بالخسارة

أما قريتي النقعة وشحير، فقرية النقعة يسيطر عليها آل باوزير، وشحير لآل بازار[٤]. هكذا استمرت الفوضى وعدم الاستقرار تسود البلدة إلى حوالي ١٢٨٣هـ[٥]، ورغم ذلك ظل آل باوزير محتفظين بمكانتهم خاصة الروحية الدينية والاجتماعية في البلدة وضواحيها وبواديها.

---

(١) ابن عبيد الله السقاف: المرجع السابق، ص ١٤٢. بن هاوي: المذكره التاريخية. وسامي بن شيخان: نفحات وعبير، ص ٤٣.

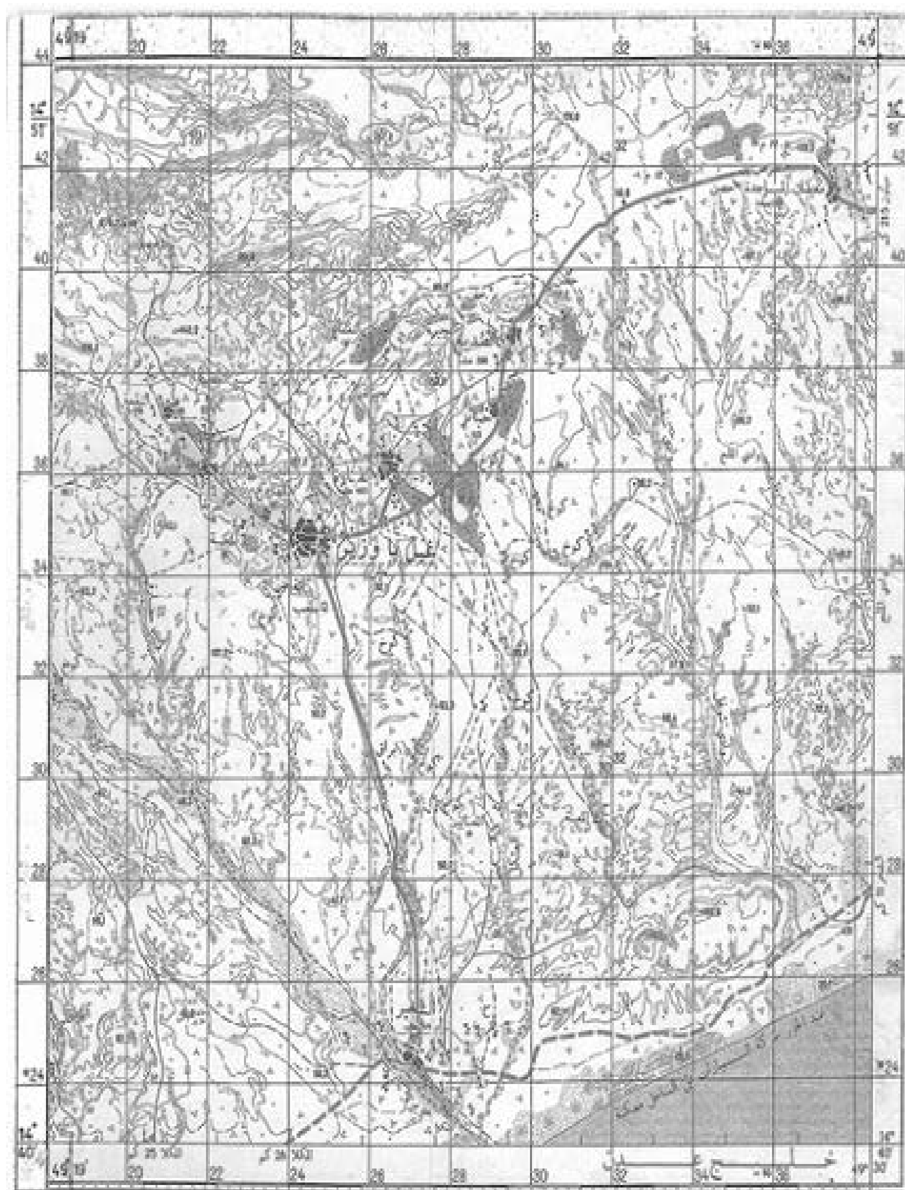
(٢) ابن هاوي: المذكرة التاريخية. وسامي بن شيخان: نفحات وعبير، ص ٤٣.

(٣) حصن العولقي: نسبة إلى بانيه عبد الله بن علي بن محمد بن ناصر العولقي (المتوفى ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م) القادم من حيدر آباد، وبها كان يحمل رتبة عسكرية رفيعة (رتبة جمعدار) وكان ذا ثروة واسعة، وله طموح في أن يكون له نفوذ أو ملك في حضرموت كآل القعيطي ولكن لم تكلل جهوده بالنجاح.

(٤) ابن عبيد الله السقاف: المرجع السابق، ص ١٥١ –١٥٢ وابن هاوي: نبذة عن تاريخ الغيل.

(٥) لمعرفة المزيد عن أحوال حضرموت عامة وغيل باوزير خاصة في الفترة من ١٢٨٣هـ ومابعدها، انظر عكاشة، محمد عبدالكريم: قيام السلطنة القعيطية، ط١، دار ابن رشد، عمان الأردن، ١٩٨٥، ص ٧١– ٩٧. باوزير: مدينة العرفان، ص٣٥–٤٣. جروان المرجع السابق، ٦٨– ٨٣. سامي: نفحات وعبير، ص٤٣– ٥٥.

الملاحق



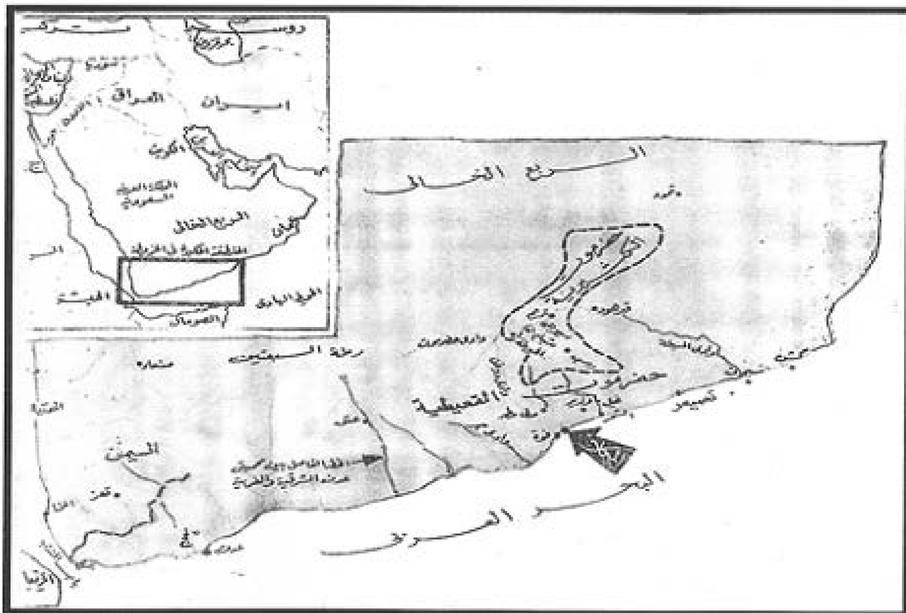
جــزء من خــا رطة غيــل بــا وزيــر

D39-39

مقياس رسم 1:90000



خريطة سياسية لبعض مدن حضرموت الساحل وتتضح فيها مدينة غيل باوزير وضواحيها



أول خريطة لحضرموت المقسمة إلى سلطنتين

- عن مجلة العربي، العدد (٧٩) يونيو ١٩٦٥م، ص٧١.



المدينة القديمة،أو « البلاد » .. انها لسان من الارض يمتد من طرف المكلا الشرقى الى داخل المحيط ، وتبدو فيه المقبرة العامة ، وضريح الشيخ يعقوب بن يوسف الذى بنيت حوله المدينة عند بدء ظهورها .. ان سكرتارية الحكومة، وادارة الجمارك، والمحاكم الشرعية، والاندية الرياضية كلها تلتف حول المقبرة!!

ان الحدود بين السلطنتين القعيطية والكثيرية لم تكن مرسومة فى يوم ما ، كانت البلاد كلها وحدة واحدة .. ولكن احتمال وجود الذهب الأسود جعل رسم الحدود أمرا ضروريا.. ومن هنا نشب الخلاف بين الطرفين على بعض الأجزاء ، اذ أن فكرة التنازل عن بضعة كيلومترات فى هذه المناطق النائية التى لم يكن يسلكها أحد ، تعنى فى وقتنا الحالى التنازل عن ثروة أى ثروة !

وحلاً للخلاف أصبحت المناطق المتنازع عليها مناطق محايدة ، تقسم ثرواتها : الثلثان للسلطنة القعيطية والثلث للسلطنة الكثيرية .

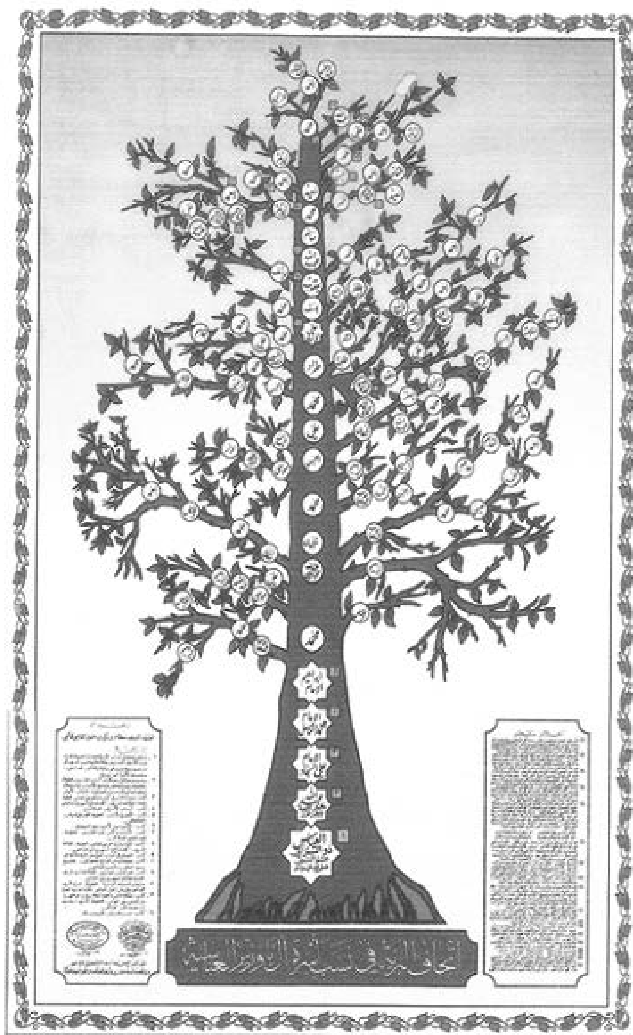
قصة عمرها ثلاثون عاما !

تبدأ قصة النفط فى حضرموت منذ نحو ٣٠ عاما ، عندما قامت شركة .P.C.L أي Petrolium Concession Limited للبترول باجراء عمليات مسح جوى وجيولوجى فى المناطق الشمالية للبلاد .. وبعد مضى ٢٥ عاما كاملة اختلفت الشركة مع حكومتى حضرموت اللتين سحبتا منها الامتياز، ومنحتاه فى عام ١٩٦١ لشركة « بان أميريكان » للبترول .

وجلسنا الى المسئولين فى الشركة نستوضحهم

٧٥

المدينة القديمة، أو "البلاد".. إنها لسان من الأرض يمتد من طرف المكلا الشرقي إلى داخل المحيط، وتبدو فيه المقبرة العامة، وضريح الشيخ يعقوب بن يوسف (قبل هرمه) الذي بنيت حوله المدينة عند بدء ظهورها.



شجرة آل باوزير مقتبسة من (www.ghailbawazeer.com)
(مشجرة يعقوب يوسف علي طراد..)



(الحومة) إحدى الحُوم في غيل باوزير



صورة توضح خط سير المعيان عندما يخرج من نفق بعد تحدي الصعوبات



صورة لمسجد الجامع ومنارته الحديثة (قبل هرمها)، وهو المسجد الذي بناه
الشيخ عبدالرحيم بن عمر عام (٧٠٦هـ- ١٣٠٦م) وعلى اليسار مسجد ورباط غيل باوزير



صورة لجانب من دار الحضرة



ضريح (قبة) مولى الحبيش



ضريح (قبة) مولى الربع وتظهر في الصورة حالته بسبب الإهمال

تقنية البناء ووظيفة المنزل في شبام

د. محمد صالح بلعفير
كلية الآداب/ جامعة عدن

تمهيد

ربما يتساءل كل من زار مدينة شبام بل ويتساءل القادم إليها، كيف استطاعت هذه المدينة المتميزة بتراثها المعماري، أن تحافظ على ذلك التراث الأصيل والمتفرد؟

إن مجمل هذه التساؤلات قد تدفع السائل أن يضع الكثير من الافتراضات ويستنبط العديد من الاستنتاجات، غير أنها تفقد مفعولها بمجرد العثور على مخطوط أو وثائق لا تدع مجالًا للشك في صحة ما تحويه من معطيات وتفاصيل.

إن الحصول على مخطوطات تغني معلوماتنا عن التراث المعماري لمدينة شبام أمر من الصعوبة بمكان، ولذلك فإن الخيط الذي سيقودنا إلى ما يخص العمارة الطينية التقليدية فيها بدءًا من حفر الأساس وحتى إعداد المبنى للسكن هم البناؤون (المعالمة) الذين يعتبرون المصدر الموثوق به.

لقد تأكد لنا من خلال الجلوس مع عدد من المسنين من هؤلاء ومن أعيان المدينة الكثير من المعلومات التي يروونها عن عمليات البناء وما يتبع ذلك من عادات متعارف عليها من قبل أهالي شبام. وفضلًا عن ذلك، وقعت بيدنا وثائق على درجة كبيرة من الأهمية تتعلق بأخذ مقاييس وعدد المنافذ الخارجية للبيت وهي ما تعرف باسم "بيان شل المنافذ"، والتي سلطت الأضواء على حقيقة القيود الصارمة لإعادة بناء المنازل، كما كشفت عن بعض من أسرار العمارة التقليدية للمدينة.

تقنية البناء

لقد اعتاد أهالي مدينة شبام أثناء إعادة بناء منازلهم المتهدمة أو تلك التي تؤول إلى أحدهم عن طريق الشراء أن يقوم معلّم البناء الذي يختاره صاحب المنزل -ويكون عادة من ذوي الخبرة والتجربة الطويلة- بقياس فتحات وارتفاع البيت الآيل للسقوط قبل تهديمه، ومن ثم إعادة البناء على نفس المساحة. وبتعبير آخر يتم البناء من دون خطة ولا مهندس معماري مثلما هو متبع أو معروف في أيامنا، حيث يقوم رئيس المعالمة بتنفيذ الأعمال الأكثر

أهمية وتلك التي تتطلب بعض الكفاءة والدقة، غير أن عدم وجود الخطة لا يعني أن كبير المعالمة ليس لديه دراية تامة عن المنزل المطلوب بناءه، ولكن تلك الدراية لا توجد سوى في ذاكرته هو فقط، وهو ينفذها وفقًا لرغبات صاحب المبنى ووفقًا للخبرات والتعليمات التي حصل عليها من سلفه رؤساء المعالمة السابقين، وما يورد في بيان شل المنافذ الخارجية في حال إعادة البناء. وتشمل المهمة الأولى الاستيعاب الكامل لتصميم المنزل وتحديد زواياه وسمك جدرانه، ومساحة كل غرفة، وأبعاد الممرات الداخلية، إضافة إلى مقاييس النوافذ الكبيرة والصغيرة والفتحات الأخرى والأبواب. ويتم البناء عبر مرحلتين:

١- المرحلة الأولى

وتبدأ باستكمال تهديم المنزل القديم حيث يصنع من أنقاضه الطوب الطيني المجفف بحرارة الشمس في المساحات المجاورة إذا رؤي أنه صالح للاستعمال، وتصفية ما تبقى من الأنقاض في الأماكن القريبة من المساحة المراد بناؤها حتى يظهر السطح.

وعقب ذلك يتم حفر أساس المبنى حتى الوصول إلى طبقة صلبة، وعادة ما يصل عمقه إلى ١,٥ متر في الواجهات الأربع، أما عرضه فيتم تحديده وفقًا لارتفاع المنزل سمكها إلى ثمانية سنتيمترات، وتكمن فائدة الملح في امتصاص الرطوبة وهذا ما يعمل به في وسط المدينة، كما أنه يمنع الحشرات من الوصول إلى الطوابق العليا ويجعل الأرض قوية. ويلي ذلك وضع طبقة من التبن (التبل) فأعواد من شجرة السدر(العلب) من النوع الجيد طولًا وعرضًا يبلغ قطرها ما بين عشرة وعشرين سنتيمترًا تلتقي في زوايا ونقاط تقاطع، وتملأ الفراغات بينهما بكسارة الحجر(الوضر)، والحجارة الملساء لتعطي الأساس مستوى متسقًا، ولعل ما يثير الدهشة أن هذه الأعواد التي توضع مع الملح تبقى من دون أن يظهر عليها أي تأثير حتى إعادة بناء المنزل من جديد، وهذا ما ثبتت حقيقته في بعض المباني الجديدة. وعلى العكس من ذلك يعمق الحفر على حافتي التل الذي تقوم عليه المدينة بارتفاع يصل إلى ثلاثة أمتار أو قد يزيد عن الطابق.

وبعد كل ذلك توضع الأحجار بارتفاع يزيد عن ارتفاع سطح الأساس بحوالي قدمين ونصف القدم، وتملأ الفراغات بين صفوف الحجارة برماد الجير الذي يمزج بالماء (النورة) عوضًا عن الإسمنت، وهذه هي نهاية المرحلة الأولى وتستمر إلى جانبها صناعة الطوب،

وهي تختلف في حجمها وسمكها من طابق لآخر.

٢- المرحلة الثانية

بعد استكمال بناء الأساس، يتم البناء بطوب الطين (المدر) الذي يجلب إلى قرب المنزل على ظهور العمال أو الدواب، وعادة ما يكون عرض الأساس في الطابق الأرضي معروضتين أي مدرتين كبيرتين بطول ٥٠ سنتيمترًا وعرض ٣٢,٧٥ سنتيمترًا (٥,٥٠×٧٥,٣٢ × ٧سم) وهناك مقياس آخر يبلغ ٤٥ × ٣٥ × ٥سم، ثم يأخذ البناء في الارتفاع من خلال وضع خمسة صفوف من الطوب الذي يعرف بالموفر يصل ارتفاعها إلى حوالي ٣٠سم ويوضع فوق كل صف طبقة من أعواد شجر اليعبور، وتستمر هذه العملية إلى حد جدران الطابق الأول الذي يعرف بالسطح، بيد أن هذا النمط من البناء يتواصل حتى الطابق الثاني في بيوت الأثرياء والميسورين.

ولاشك في أن أعواد شجر الراك تستخدم في مثل هذا البناء، ولكن المعالمة في شبام يفضلون اليعبور لمتانته وصلابته التي تقاوم الحشرات، فضلًا عن أن هذه الأعواد تشكل دعامة أفقية تقوي البناء.

ويلاحظ أنه كلما ارتفع البناء كلما انخفض سمك الجدران، ففي حين يصل إلى معروضتين في الطابق الأرضي، يصل في الطابق الأول إلى سبية ومعروضة والسبية هي أصغر من المعروضة، ثم يتناقص في الطابق الثاني إلى معروضة، وسبية في الطابق الثالث. وهكذا يتضاءل سمك أو عرض الجدران من الخارج، وهذا ما يفسر لنا انحراف أو ميلان جدران المبنى نحو الداخل وهو مايعرف بالجنوة (ينوة)، وهذا يعني أيضًا أنه يصنع لكل طابق طوب بمقاييس محددة ولكنها تخضع مع ذلك لتدخل معلم البناء الذي يقوم بترتيبها وتنظيمها بوساطة أداة قطع تعرف بالسيف.

على أية حال، فبعد الانتهاء من بناء جدران الطابق الأرضي تبدأ عملية التغطية بأعواد السدر وأعواد صغيرة من اليعبور، ثم تدار بالحصر والطين، وبعض قطع الفخار، ثم يزاد بناؤه حتى ذراع ونصف الذراع، وهذا ما يسمى (فوق التياسير) وتتم عملية التغطية. ويبنى الطابق الأول حتى يصل ارتفاعه -كما الطابق الأول- إلى ستة أذرع ونصف الذراع.

أما الطابق الثاني فتوجد به النوافذ (الخلاف) والأبواب، ويصل عرض النوافذ إلى ذراعين

وربع الذراع؛ أما الأبواب فعرضها ذراعين ونصف الذراع، وتستمر عملية البناء إلى ارتفاع أربعة أذرع ثم تغطى الفتحات، ويزاد في ارتفاع الجدران إلى ذراع ونصف الذراع ما فوق الفتحات الأولى الصغيرة حيث توجد الفتحات الكبيرة في أعلى البيت وتعرف الواحدة منها فرخة (الجمع فرخ)، ثم يسقف ويغطى كما تم في الطابق السابق.

وبعد اكتمال الطابق الثاني تبتدئ عملية بناء الطابق الثالث ويبلغ ارتفاعه ستة أذرع ونصف الذراع، وعقب الانتهاء منه سقفًا وتغطية، يبدأ بناء الطابق الرابع الذي يصل ارتفاعه إلى سبعة أذرع، وأحيانًا لا يتم تغطية كل هذا الطابق، إذ تستخدم ما يوجد فيه من أجزاء غير مغطاة كأماكن للتهوية في فصل الصيف الحار، حيث يلجأ إليها أفراد العائلة وتعرف بالريوم.

وفي أحوال قليلة نجد طابقًا خامسًا وهذا يصل ارتفاعه إلى خمسة أذرع ونصف الذراع، وفي الإجمال يصل ارتفاع المنزل إلى تسعة وثلاثين ذراعًا تقريبًا أو خمسة وثمانين قدمًا في أغلب الأحيان أي ما يقرب من ثلاثين مترًا، والآن إذا حسبنا هذه الطوابق مع الطابق الأرضي فإن عددها يكون ستة طوابق.

وهنا يطرح السؤال التالي نفسه، وهو أين الطابق السابع؟ والجواب هو بالنفي القاطع، إذ لا يوجد طابق سابع وإن وجد فهو غير صالح للسكن، وإنما هو ناتج عن تعميق خندق الأساس للمنازل الذي يقع على حافتي الرابية أو التل الذي تقع عليه المدينة، وهو يرتفع ارتفاعًا يعادل الطابق الأرضي الذي تتم عملية بنائه ابتداء من السطح وتعمل فيه الفتحات، ويخيل للناظر بأنه يجب عده بطابق من الطوابق والغرض منه هو إعطاء قوة للمنزل عند ارتفاعه، ويسمي (الخن).

مواد البناء

أ) الطوب (المدر): يخلط الطين بالتبن (التبل) وهو من مخلفات القمح بعد حصاده للتماسك، ويستخدم حتى نهاية البناء وكذلك في عملية التبليط الداخلي للمنزل (الحواجل/ الحوايل) كما يستخدم في تبليط الجدران من الخارج ويشكل بواسطة قالب من الخشب يسمى المفتل (الجمع: مفاتل)، ثم يجفف على حرارة الشمس، وتتم عملية صناعة الطوب وتخزينه في نفس موقع البناء أو قريبًا جدًّا منه حيث يحمل على أداة تعرف بالرعود وهي شبيهة بتلك التي يستعملها رجال الإسعاف لنقل المرضى والجرحى. ومادة الطين تناسب

تمامًا البيئة المحلية فهي باعتبارها عازلًا للحرارة فإنها تجعل البيوت باردة في فصل الصيف الحار، كما إنها تمنع تسرب البرودة في فصل الشتاء.

ب) **الخشب**: وأهمه شجر السدر، ويجلب من المناطق القريبة من شبام، ويستخدم في كل مراحل البناء للتغطية وصنع الأبواب والنوافذ والأعمدة، وأفضل الأوقات لقطع أعواد العلب هو فصل الشتاء وبخاصة بعد بزوغ نجم البركان أي وقت شدة البرودة في وادي حضرموت. وفضلًا عن ذلك تستخدم أعواد شجر اليعبور في أساس المبنى كما أشرنا وفي السقوف إلى جانب جذوع النخيل حيث تستخدم الأخيرة لتحمل سقوف الدرج (الرقاد)، علاوة على استعمالها كعوارض (كمرات) تغطى بوساطة أغصان النخيل ثم تغطى بعد ذلك بطبقة من الطين والجير. وعلى الرغم من التناسق بين الأرضية والجدران، إلا أن العوارض أو الكمرات تبقى متميزة في السقوف (قبال وقواسم).

ج) **التبليط**: يتم عادة حسب طلب أو رغبة مالك البيت، وتنفذ عملية التبليط من خلال وضع طبقات مختلفة من الطين أو تطلى الجدران بالطين الممزوج بالماء وقش القمح ثم بالرماد عوضًا عن الإسمنت الذي يجلب من أفران الجير (النورة) التي توجد في ضواحي مدينة شبام بعد حرقه، ويلي ذلك وضع طبقة من الجير، وهذه العملية تسمى (الطرقة)، ثم (الروكة) وهي عملية إخفاء الشقوق للتماسك، وبعد جفاف الطرقة تدلك بحجر صغير، ويعقب ذلك (الرشوشة) وهي الطلاء الأخير المعمول من الجير المخلوط بالماء والملح، كما يستخدم الجير (النورة) في طلاء الطوابق العليا والسفلى للمنزل بعد انتهاء عملية البناء.

وظيفة المنزل:

ليس من شك في أن مدينة كشبام تحتل موقعًا استراتيجيًا في قلب وادي حضرموت وعرفت في تاريخها كعاصمة إدارية وتجارية كانت مهددة باستمرار لخطر الهجوم العسكري، كان من الطبيعي بل والمنطقي على أهلها أن يشيدوا منازل تتوافق مع طبيعة ذلك الخطر وتتلاءم مع تقاليد حياتهم الاجتماعية المحافظة التي لا تمنح المرأة فرصة التجول في الشوارع والأزقة أثناء انتقالها من بيت لآخر، ولذلك فقد عملوا على بناء المنازل البرجية التي تربط بينها الممرات المعلقة بحيث تؤدي وظيفة أمنية واجتماعية في آن معًا.

الطابق الأرضي:

من خارج المنزل يصل المرء مباشرة إلى الطابق الأرضي ويسمى غبيلة (الجمع غُبَيل) حيث يوجد بابان أحدهما يشكل المدخل الرئيسي للمنزل، وهو عادة ما يكون منفصلًا عن المدخل الآخر حيث يوجد ممر يؤدي إلى الدرج الذي يقود إلى الطوابق العليا، هذا الدرج يرتكز على عمود طيني عريض يمتد على طول المنزل ويسمى (عروس). أما الباب الآخر فيقع غير بعيد عن الأول حيث يوجد الجانب الآخر من المنزل ويتصل بغرفة أو عدة غرف، تستعمل غالبًا لأعمال التجارة وتسمى ضيقة (الجمع ضيق)، وهذه تستعمل كدكاكين.

ويتميز هذا الطابق بسقفه العالي، وتوجد به أماكن لخزن المواد الغذائية تسمى ميسمة (الجمع مياسم)، وتؤدي دورًا مهمًا في حياة مدينة مهددة بالمجاعة وأهوال الحرب وفترات الحصار الطويلة.

وتوجد بهذا الطابق فتحات صغيرة لضمان التهوية والإضاءة تسمى عكرة (الجمع عكر).

والشماسة وهي فتحة ممتدة من الطابق الأرضي إلى الطوابق العليا جميعها، وتوجد على أرضية الشماسية بعض الأدوات الثقيلة التي تستخدمها ربات البيوت في الحياة اليومية كالمنحاز وهو عبارة عن مدق خشبي يستخدم لدق البن وبعض الحبوب، كما يوجد المرضاح (رحى) وهو أداة حجرية تستخدم لسحق نوايا التمور التي تستخدم كغذاء للأغنام، بالإضافة إلى بعض الأدوات الضرورية للمنزل.

الطابق الأول:

الطابق غرفة غير مزودة بباب تستخدم كحظيرة للأغنام تسمى (السطحة)، كما يوجد مأوى للدجاج (المديَّة) إلى الخارج من إحدى الفتحات.

تفتقر نوافذ هذا الطابق من الخارج إلى الناحية الجمالية، فهي معمولة بغير دقة، إلا أنها واسعة بالقدر الذي يضمن تهوية جيدة.

الطابق الثاني:

يخصص هذا الطابق للرجال ويسمى (هابطية)، وهنا يستقبل رب الأسرة الزوار للمقابلات الودية أو لمناقشة بعض الشئون، وتخصص غرفتان من هذا الطابق للاستقبال، فالأصدقاء والأقارب وكذلك الغرباء (الضيوف) يستقبلون في غرفة كبيرة تحمل اسم (محضرة) تتميز

بسقفها الجميل المحمول على أربعة أعمدة خشبية يسمى مفردها سهم (جمع أسهم)، وتزين هذه الأسهم في بيوت الأغنياء بزخارف محفورة. كما توجد غرفة (محضرة) أخرى أصغر من الأولى يحملان سقفها عمودان فقط. وإذا كان المنزل كبيرًا يزود هذا الطابق بغرفة ثالثة تخصص لنوم (مبيت) الضيوف العابرين.

يزود هذا الطابق بحمّام يؤدي وظيفتان في وقت واحد، فهو مكان للغسل والنظافة والطهور للصلاة، كما أنه في الوقت نفسه مكان لغسل الموتى ومنه ينقلون إلى الدار الآخرة. ونظرًا لذلك فإنه يجب أن يكون متسعًا نوعًا ما بحيث يسمح بخروج الميت محمولًا على الأكتاف من دون صعوبة. وبسبب ذلك فإن أبعاد الدرج وباب المدخل تقدر ليس وفقًا للأحياء فقط، بل ووفقًا للأموات أيضًا.

يتميز الطابق الثاني والذي يخصص لاستقبال واستراحة الرجال وللشئون العامة، بالإضافة إلى الأعمدة الجميلة التي تحمل السقوف، بنوافذه الكبيرة نسبيًا والمعمولة بدقة وجمال وإتقان ويعرف مفردها بخلفة (الجمع خلاف) بالإضافة إلى الخزانة وتعرف بالعمارية (والجمع عمّاريات) المصنوعة من الخشب المزخرف والمعمولة في وسط الجدار.

الطابق الثالث:

يخصص هذا الطابق للنساء وإن كان في وظيفته العامة يؤدي دورًا في إيواء العائلة بكاملها، ويسمى هذا الطابق (طالعية). هنا ومن هذا المستوى يوجد المطبخ إضافة إلى مكان يجتمع فيه مختلف أفراد العائلة لتناول الطعام بصورة مشتركة. يتفق التخطيط العام للغرف بهذا الطابق مع ما ذكر بالطابق الذي سبقه، إذ توجد غرفة (محضرة) كبيرة يحمل سقفها أربعة أعمدة خشبية (أسهم)، وهذا هو مكان اجتماع أفراد العائلة والذي هو في الوقت نفسه غرفة المائدة. كما توجد غرفة أخرى صغيرة تستخدم عند الحاجة للنوم، ويوجد فوق غرفة الحمام بالطابق الثاني، المطبخ الذي يستخدم أحد أركانه لغسل الأواني ومدخنة المنزل (تنار).

يتميز هذا الطابق بوجود غرفة صغيرة صماء مخصصة للولادة تحمل اسم (مغلولة) أي المغلقة أو المقفلة، وإلى جانب وظيفتها تلك فإنها تستخدم للنوم عند شدة البرد باعتبارها أكثر غرف المنزل دفئًا. وتجدر الإشارة إلى أنه عندما تستخدم ربة البيت خادمة تسكن في الطابق الثالث حيث يسكن أفراد العائلة جميعًا.

الطابق الرابع:

هذا الطابق الذي يسمى في مجمله مرواح (الجمع مراويح) يخصص للحياة الاجتماعية النسائية للاستقبال والاستراحة والترفيه والمبيت للنساء من الضيوف. ووضع الغرف في هذا الطابق مماثل تمامًا لما في الطابق الثاني، غير أن ترتيبها مختلف بعض الشيء، فالغرفة الكبيرة التي فيها الضيوف والزوار من النساء تسمى (مرواح) وليس محضرة، متصلة بنوافذ كبيرة تؤدي إلى غرفة ملاصقة مفتوحة (من دون سقف) وتسمى (ريم) بمعنى أنه عبارة عن نوع من (البراندة) يمكن للنساء دون خوف من أن يكنَّ في حرية دائمة من دون أن تراهن أعين الرجال.

وعلى مستوى هذا الطابق يوجد عادة باب يؤدي إلى درج لمبنى آخر مقابل أو ممر معلق، وهذا الباب أو الممر المعلق الذي يحمل اسم مسلف (الجمع مسالف) غالبًا ما يستخدم في التنقل أثناء الأفراح أو النجدة أثناء حريق أو الحروب وما يصاحبها من حصار، وبعبارة أخرى فإنه يمكن بوساطة هذا الباب أو الممر المعلق العبور من منزل إلى آخر من دون المرور بالشارع.

وهذا النظام البارع لا يمكن النساء من تبادل الزيارات فيما بينهن دون خوف من التعرض لنظرات الرجال فحسب، بل أمان وسلامة هذه البيوت التي تشكل كتلة متحدة الواحدة تلو الأخرى بحيث يصبح ضمانها أكثر يسرًا.

الجدير بالذكر أن جدران سطح هذا الطابق مرتفعة وتنفتح على الخارج بوساطة نوافذ صغيرة ناتئة تسمى الواحدة منها مشراف (الجمع مشارف) أي مشربية.

الطابق الخامس:

يعرف هذا الطابق باسم ما بين التيارم (الطيارم) أي ما بين الريوم (ما بين البرندات)، وتتصل الغرف الصغيرة والقليلة بهذا الطابق بالمقارنة مع غرف الطوابق السفلى بسطوح يسمى مفردها (ريم) (الجمع ريوم) تستخدم في فصل الصيف للنوم، وتخصص غرف هذا الطابق للصغار من أفراد العائلة المتزوجين حديثًا حيث يعيش الشاب الذي لم يستمتع بالاستقلال مع عروسه في غرفة من غرف هذا الطابق، فقد جرت العادة المتبعة إعطاء آخر الأبناء عند اقترانه الطابق الأخير، ثم ينزل إلى الطابق الأدنى منه عند اقتران أخيه الذي يليه بالسن.

المراجع

- مقابلات مع الشيخ سالم محمد باعبيد وعدد من كبار المعالمة المسنين في مدينة شبام ١٩٨٢م.
- لو مير، أ، بافقيه م.ع/ باهارون ع. ج، شبام: دراسة أولية لمدينة شبام التاريخية، وادي حضرموت (المحافظة الخامسة، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، باريس، ١٩٧٧م.

- Bafaqih, Muhammed & Chelhod, Jeseph,Notes pre`liminaire Sur`architecture de Shibam,uneville du Hadramawt (Sud Yemen), Studia Islamica 1980.
- Damluji Samar, Traditions,Rehabilitation Uran Planing(some Lesson From the Situation in mud-Brick architecture in the Hadramout Valley in yemen,the International Magazine of arab Cul ture,Published by the Iraqi Cultural,london 1985.
- Darles Christian,Acity in the Hadramaut feature, Abulletin for news media, no 8og,Unesco, Paris 1985.
- Lemaire,A,Etude Sur la Ville de Shibam R.D.P du Yemen Ingrams,Harold,Arabia and Isles, London 1966 du Sud, memour de la missuan Archeolgique Francain de Shabwa en R.D.P du yemen sud Rapport.
- Lewcock Ronald Wadi Hadramaut and the walled City of Shibam, Unesco, Paris,1986.
- Serjeant R.B. Buillding and Builders in Hadramaut, le Museon (Revue d`Etude oricentales) , Louvain, 1949

علماء حضرموت في الفترة من القرن ٨ هـ إلى ٩ هـ رحلاتهم العلمية ومكانتهم في الحياة الاجتماعية وإدارة الحياة السياسية وعلاقتهم بالسلطة

د. عاشور عبود فييح

كلية الآداب - جامعة عدن

مدخل:

إن البيئة الاقتصادية والاجتماعية في حضرموت قد عكست نفسها بصورة أو بأخرى على الأوضاع العلمية في حضرموت التي تأثرت كثيرًا بحالات الاستقرار أو عدم الاستقرار، وبالإمكانات المادية التي توفرت في المجتمع. كما أن العلماء والفقهاء قد أسهموا في إدارة شئون المجتمع وشكل بعضهم مرجعية للأسر الحاكمة.

وشهدت حضرموت قبل القرن التاسع الهجري سلسلة من الصراعات والصدامات القبلية والمذهبية ألقت بظلالها على الحياة العلمية، وخضعت حضرموت للنفوذ الخارجي أكثر من مرة، وبالرغم من امتداد نفوذ الأيوبيين والرسوليين والطاهريين إليها لم ينلها نصيب مما كانت عليه الأحوال في المناطق الأخرى التي كانت تحت سيطرة هذه الدول، حيث حظيت تلك المناطق بالاهتمام الواسع في الجوانب العلمية والثقافية والحضارية، فبنيت فيها المساجد وانتشر فيها بناء المدارس وحظي فيها العلماء بالحفاوة.

كما أن حالة عدم الاستقرار هذه عكست نفسها على الوضع الاقتصادي فأثر ذلك على النشاط العلمي خاصة في مجال التأليف والتدوين، إلا أن هذا لا يعني انعدام النشاط العلمي كليًّا فمعظم المراكز العلمية في حضرموت وجدت داخل أماكن "الحوط" وهي مواقع مقدسة تحظى باحترام القبائل وتتمتع بمزايا عديدة(١).

وانتشرت المؤسسات العلمية في قرى حضرموت ومدنها التي كان من أهمها تريم وشبام، ولئن كانت هاتان المدينتان أشهر المراكز العلمية والفكرية في حضرموت فإن مدن سيئون

(١) ابن عقيل، عبدالعزيز جعفر: حوطة في طور التأسيس، قراءة تحليلية في مخطوط المقصد في شواهد المشهد، مجلة آفاق، العدد ١٠، ١٩٧٨م، ص٢٨-٤٠.

والهجرين والشحر وغيل باوزير ودوعن وقيدون وحورة والحوطة، وجد بها علماء منقطعون للتدريس ونشر العلم، ويعقدون حلقات للدرس في المساجد والمعاهد العلمية التي تبناها رجال الإصلاح والعلم الحضارم، وأوقفوا عليها الأوقاف لتؤمن لروادها متطلبات المعيشة كما زودوها بمقتنيات مكتباتهم الخاصة(١).

وقد زار المستشرق سيرجنت بعض تلك المكتبات في العصر الحديث(٢). وكشفت بقايا مقتنياتها من الكتب عن اتصال الحضارم بالتراث العربي الإسلامي في كافة جوانب العلم والمعرفة الإنسانية، وبمراكز النشاط العلمي والفكر سواء في المدن اليمنية كعدن وزبيد والجند أو في الحواضر الإسلامية الأخرى مثل مكة والمدينة وبغداد والبصرة ودمشق. وقد أشاد الرحالة المقدسي المتوفى عام (٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) بحب أهل حضرموت للعلم ورغبتهم فيه(٣). وأكد المؤرخ عمارة اليمني مقدرة الحضارم وكفاءتهم العلمية في حل أعقد المشاكل الفقهية(٤).

وتذكر المصادر المحلية لحضرموت أن سالم فضل بافضل (٥٢٠هـ-٥٨٠هـ/ ١١٢٦-١١٨٥م) قد هاجر لطلب العلم إلى عدة حواضر، وعاد بعد أربعين عامًا فأسس مدرسة في منطقة (الخليف)(٥). ويروي الخطيب أن عبدالله بن محمد الخطيب المتوفى عام

---

(١) ابن عقيل، عبدالعزيز جعفر: "حول التأليف والمخطوطات في الشطر الجنوبي من اليمن"، مجلة التراث، العدد ١، ١٩٧٧م، ص٩٦.

(٢) سارجنت، آرتي: حول مصادر التاريخ الحضرمي، مقالات، ترجمة: د.سعيد عبدالخير، النوبان، ص١٢-١٦.

(٣) المقدسي، محمد أحمد: "٣٨٠هـ/ ٩٩٠م"، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار إحياء التراث العربي، ط، ١٩٨٧م، ص٨٦.

(٤) عمارة اليمني: "ت٥٦٩هـ/ ١١٧٤م"، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، تح: محمد علي الأكوع، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٧٦م، ط٢، ص٢١٣-٢١٤.

(٥) بافضل، محمد بن عوض: كتاب صلة الأهل بتدوين ما تفرق من مناقب بني فضل، عُني بطبعه ونشره علي بن محمد بافضل، ط١، ١٤٢٠هـ، ص٤٠-٤٥. السقاف، عبدالله بن محمد بن حامد: تاريخ الشعراء الحضرميين، مكتبة المعارف، الطائف، ط٣، ١٤١٨هـ، ج١، ص ص ٥٣-٥٤. باوزير، سعيد عوض: الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، ط، ١٩٦١م، ص ص ١١٨-١٢٠.

(٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م) قد جاور مكة نحو عشرين سنة والتقى فيها بعدد كبير من العلماء من بينهم عبدالله بن أسعد اليافعي ونسخ عنه عددًا من كتبه وأرسلها إلى أولاده في تريم. كما أجازه بعض علماء مكة برواية ما يرويه[١].

إن المطلع على تاريخ حضرموت في القرن الثامن الهجري يرى أن هذا القرن قد مثل لحظات السكون الفكري العقائدي لمجمل الصراعات المذهبية العقائدية التي عاشتها حضرموت في القرون السابقة، فلا نلمس مناقشات واصطدامات عقائدية ولا خلافات مذهبية فقهية، فالكل تقريبًا قد ترسخ على مذهب أهل السنة الأشاعرة الذي صار له انتشار بين أهل حضرموت وخاصة بعد مد نفوذ الأيوبيين عليها أواخر القرن السادس وما تلاه من نفوذ الرسوليين الذين يدينون بالمذهب الشافعي أيضًا[٢].

ومن علماء الشحر في القرن الثامن نذكر:

من بيت السبتي أبو العباس أحمد بن محمد بن يحيى السبتي الذي أخرجه السلطان الحبوضي من ظفار فاستقر فترة في حيريج، فاستدعاه حاكم الشحر آنذاك عبدالرحمن بن إقبال ونصبه حاكمًا بدلًا من إبراهيم أبي شكيل. ومن مآثره العلمية شرحه للتنبيه شرحًا منسقًا[٣].

ومن فقهاء الشحر أيضًا ابنه عبدالرحمن، ومنهم أيضًا محمد بن أحمد أبي أسد المفتي والمدرس، وكذلك حسن بن علي باجبير (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) الذي عمل مدرسًا في مسجد أبي قرين، ومحمد بن سعد بن محمد بن علي سالم المعروف بأبي شكيل[٤].

---

(١) الخطيب، عبدالرحمن بن محمد: "ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م"، الجوهر الشفاف في ذكر فضائل ومناقب السادة الأشراف من آل أبي علوي وغيرهم من الأولياء الصالحين والأكابر العراف، مصورة مخطوطة في ثلاثة أجزاء، نسخ سالم بن علي بن حسين الخطيب، مكة المكرمة، ١٤١٠هـ، ج٣، لوحة ٦٥، حكاية ٤٨١، الخطيب، محمد بن عبدالله بن سليمان، (ت بعد ١٠٢٢هـ/ ١٦١٣م)، البرد النعيم في نسب الأنصار خطباء تريم، مصورة مخطوطة في مكتبة الباحث عبدالكريم الملاحي، لوحة ٦٤-٦٥.

(٢) الملاحي، عبدالحمن عبدالكريم، مدينة الشحر بوابة حضرموت الجنوبية التاريخية في القرن الثامن والتاسع الهجري، ٢٠٠٤م، ص٢١.

(٣) الجندي: أبو عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف، ت٧٣٢هـ، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج٢، تح: محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٩٣م، ج٢، ص٤٥٨.

(٤) الجندي: نفسه، ص٤٥٩-٤٦٠. وبامخرمة: قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ج٣، تح: محمد يسلم عبدالنور، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤م، ص٣٣٩١.

والشيخ حسين باهراوة (ت٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م) وهو عالم وفقيه وله مسجد باسمه ولآل باهراوة مدرسة ملحقة بالمسجد(١).

ومن علماء شبام التي كانت موطنًا لعدد من العلماء الذين انطلقوا منها حبًا في العلم وعادوا إليها فقهاء وقضاة، أبو عبدالله محمد بن القدوس الأزدي الذي برز في علم الأدب، ومصنفاته ديوان شعر، ومنظومة التنبيه، ومصنف يقال له (العلم إلى معرفة الخط والقلم). ومن فقهائها أيضًا عبدالله بن عمر بن عبدالله أبي مهرة الذي تولى القضاء وأجازه عدد من العلماء منهم الفقيه محمد باعباد، ومحمد بن علوي بن أحمد، وإبراهيم بن محمد بن عيسى مطبر، وممن أخذ عنه الشيخ أبو بكر بن الشيخ محمد بن حفص والفقيه محمد بن حكم بن عبدالله بن إبراهيم باقشير(٢).

أما في تريم التي تعد من أهم مراكز العلم والثقافة في حضرموت فقد برز فيها عدد من العلماء والفقهاء في هذه الفترة، ومنهم أحمد بن عبدالرحمن بن علوي (ت٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م)، وأحمد بن محمد باعلوي المتوفى عام(٧٢٤هـ/ ١٣٢٣م) والشيخ عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن علي الخطيب وهو فقيه وعالم صوفي ولد عام (٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م) وتوفي عام (٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)(٣).

ومن مدن حضرموت التي أَثْرَتْ الحياة العلمية بعلمائها وفقهائها، الهجرين التي نذكر من فقهائها وعلمائها أسرة أبي زنيج التي اشتهرت بالفقه والنحو، ومن علماء الهجرين أيضًا محمد بن سالم أبي عقبه وابنه عبدالرحمن المتوفى عام (٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م) الذي عمل بالفقه وله ابنان فقيهان هما أحمد، وأبوبكر الذي حكم الهجرين(٤).

ومن الجدير بالذكر أن هؤلاء العلماء والفقهاء إلى جانب اهتماماتهم العلمية والدينية كانوا يساهمون في إدارة شئون المجتمع وإصلاح ذات البين، ويتمتعون بمكانة عالية عند

(١) الجندي: السلوك، مصدر سابق، ج٢، ص٤٦٩.
(٢) بامخرمة: قلادة النحر، ج٣، ص٣٤٨٢.
(٣) بامخرمة: قلادة النحر، ج٣، ص٣٢٧٥-٣٢٧٦، ٣٣٣٤. والسقاف: تاريخ الشعراء الحضرميين، ص٧٦-٧٧. والحبشي، عبدالله محمد: مصادر الفكر العربي الإسلامي، مركز الدراسات اليمنية، صنعاء، د.ت، ص٤٢٢.
(٤) الجندي: السلوك، ج٢، ص٤٦١.

عامة الناس ويحظون بتقدير الحكام والسلاطين الذين تعاقبوا على حكم مناطق حضرموت واستمر دورهم هذا في القرون اللاحقة.

الرحلات العلمية لعلماء حضرموت:

تعد الرحلة في طلب العلم إحدى المظاهر الثقافية المهمة، ووسيلة من وسائل تطور الفكر والثقافة، ومن ضرورات النهضة العلمية، كما تعد الرحلة العلمية وسيلة هامة من وسائل التحصيل العلمي في تاريخ التعليم الإسلامي، وتلقي العلوم الشرعية، والعلوم الأخرى بشكل عام[١].

وتعود جذور الرحلة في طلب العلم تاريخيًا إلى بداية انتشار الإسلام، لكونها من الممارسات التي أكد عليها الدين، وطالب المسلمين بالرحلة لتحصيل العلم، فأصبحت -على ما يبدو- شرطًا ينبغي استكماله لأن قيمة العالم في نظر الناس تتناسب مع ما قام به من رحالات لذلك سمِّي من رحل وأكثر فيها بالرحالة.

ولعل كتاب الخطيب البغدادي الرحلة في طلب العلم الحديث يمثل دليلًا على أن المسلمين قد عرفوا الرحلة في طلب العلم منذ وقت مبكر[٢].

وقد ساعد على اتساع نطاق الرحلات العلمية في العالم العربي والإسلامي آنذاك، امتناع العلماء عن أخذ الأجور على الدراسة، ووجود أماكن مجانية للسكن، كالمساجد، والربط، وانعدام الحواجز الإقليمية التي تحد من تحرك العلماء والطلبة[٣].

وتعتمد الرحلة في طلب العلم على شهرة المدرس، ومدى إلمامه بالعلوم الدينية واللغوية وغيرها، فحيثما يستقر الفقيه العالم يرحل إليه طلبة العلم، كما تعتمد أيضًا على مقدرة طالب

---

(١) المشرقي، رياض علي سعيد: التعلم في اليمن في عصر الدولة الطاهرية (٨٥٨-٩٢٣هـ/ ١٤٥٤-١٥١٩م)، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، د.ت، ص. وعبدالنور، محمد يسلم: الحياة العلمية في حضرموت في القرن السابع والثامن للهجرة (الثالث عشر للميلاد، والرابع عشر للميلاد)، وزارة الثقافة، صنعاء. ومجاهد، المرجع السابق، ص١٠٢.

(٢) الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب العلم الحديث، مقدمة المحقق د.نور الدين عتر، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص٥.

(٣) الدجيلي، محمد رضا حسن: الحياة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، شعبة دراسات العلوم الاجتماعية، ١٩٨٥م، ص٩٢.

العلم على تحمل مشقة السفر والصبر والتغلب على الصعوبات لملاقاة الشيوخ، ومن الجدير بالذكر أن الكثير من العلماء لا يحبذون أخذ العلم من بطون الكتب، دون الأخذ من الشيوخ فلا يعتد بالعلم إلا إذا طاف بالبلدان وسمع من علمائها مباشرة أومن تلامذتهم المعتمدين[١].

ويتطلع الطالب بعد التتلمذ على أيدي العلماء إلى الحصول على الإجازة العلمية، والمقصود بها: إذن الشيخ للطالب في الرواية عنه من غير سماع منه، والإقراء عليه، فهي إخبار إجمالي بمرويات ومسموعات الشيخ أو بمؤلفاته عن طريق اللفظ والكتابة[٢]. وتمنح إجازة السمع وتعطى في علم الحديث والتفسير. أما إجازة الإقراء فتمنح لطلاب العلم في بعض العلوم، من القراءات، والعربية، والنحو، وعلوم الفقه والمنطق[٣].

وتنقسم الرحلات العلمية إلى:

الرحلات الداخلية، والرحلات الخارجية.

الرحلة العلمية الداخلية:

وهي التي تتم داخل الإقليم الواحد، ويتجه الطلاب إلى أهم المدن والمراكز العلمية التي بها مؤسسات علمية معروفة، ويوجد بها كبار المدرسين، وتتوفر فيها سبل العيش والسكن[٤].

وقد وجدت بحضرموت عدد من المراكز العلمية احتضنت الكثير من العلماء ممن ذاع صيتهم، أمثال تريم، وشبام، والشحر، والهجرين، ودوعن، وغيل باوزير، الأمر الذي دفع طلاب العلم (علماء وطلبة) للقائهم والأخذ عنهم.

فمن تريم وإليها تردد الشيخ فضل بن عبدالله بن الفقيه فضل بن محمد (ت٨٠٥هـ/ ١٤٢٠م) الذي وصف بأنه عالم شديد الزهد والورع[٥]، وقد أخذ في تريم عن الشيخ محمد بن أبي بكر

(١) المشرقي، المرجع نفسه، ص ١٧١-١٧٢. ومجاهد، فاروق أحمد حيدر: التعليم في اليمن في عهد دولة بني رسول خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، جامعة صنعاء، صنعاء، ٢٠٠٤م، ص١٠٢.

(٢) المشرقي، المرجع نفسه، ص١٧٤.

(٣) المشرقي، المرجع نفسه، ص١٨٠.

(٤) المشرقي، المرجع نفسه، ص ١٧٤.

(٥) بافضل، صلة الأهل، ص١٠٢-١٢١. والخطيب، الجوهر الشفاف، ج٣، ص٦٩-٧٤. وشنبل، تاريخ حضرموت ص١٥٦، وأبي علوي، البرقة المشيقة، ص٥٦-٦٦. بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٥٢٣-٣٥٢٤.

ابن أبي عباد (ت٨٠١هـ/ ١٣٩٨م)، وقد صحبه في رحلته لتريم كل من أبو بكر بن حسن المعلم[١]، وعبد الرحمن السقاف (ت٨١٩هـ/ ١٤١٦م)[٢].

ومن بلدة المشقاص رحل عبد الرحمن بن علي بن حسان (ت٨١٨هـ/ ١٤١٥م) إلى مدينة تريم ليأخذ عن علمائها، وتردد الفقيه جمال الدين محمد بن مسعود بن أحمد باشكيل (ت٨٧١هـ/ ١٤٦٦م) قاضي عدن ما بين غيل وزير والشحر للقاء علمائها[٣]، ثم رحل إلى عدن وقرأ على الفقيه محمد بن سعد بن كبن[٤].

ومن العلماء الذين بقوا على صلة ببعض المراكز العلمية في حضرموت الإمام العلامة أبو الطيب عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة (ت٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م) صاحب المؤلفات العديدة، وهو والد المؤرخ المعروف بامخرمة[٥]، فقد ظل على صلة دائمة بمدينة الشحر وقال عنه ابنه "ولم يزل يتردد بين الشحر وعدن وأكثر إقامته في عدن"[٦].

والشريف الزاهد المتصوف فخر الدين أبو بكر بن عبد الله المعروف بالعيدروس فقد قرأ على عمه علي بن أبي بكر كتاب الإحياء، وعلى عدد من فقهاء تريم، ثم طلب العلم من علماء الشحر ودخل عدن للقاء شيوخها وعاد منها إلى تريم[٧].

ورحل إلى الهجرين الفقيه شهاب الدين أحمد بن عبدالله بامخرمة (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)

---

(١) الشرجي، أبي العباس أحمد بن أحمد عبداللطيف (٨٩٣هـ)، طبقات الخواص، دار المناهل للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦م، ص٢٥٨.

(٢) الشرجي، المصدر نفسه، ص٢٥٨.

(٣) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٠٣، باوزير الفكر والثقافة، ص١٣٣.

(٤) بامخرمة، نفسه، ص٣٥٦٨-٣٥٧٥.

(٥) العيدروس، يحيى الدين عبد القادر بن يخ بن عبد الله، تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص٣٠-٣٧. وبافقيه، محمد بن عمر الطيب، تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تح: عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٩٩م. والبريهي، عبدالوهاب بن عبدالله، طبقات صلحاء اليمن، المعروف بتاريخ البريهي، تح: محمد عبدالله الحبشي، دار الآداب - بيروت، ١٩٨٣م، ص٣٣٧-٣٣٨.

(٦) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٨٩-٣٦٩١.

(٧) بامخرمة، المصدر نفسه، ص٣٧٠٥.

مع أبيه للقاء شيوخها[1]، ثم دخل عدن ودرس على أبيه حتى أصبح مدرسًا في المدرسة المنصورية، ومدرسًا للحديث في المدرسة الظاهرية في عدن[2].

والجدير بالذكر أن هناك الكثير من علماء حضرموت وطالبي العلم والمعرفة في القرنين التاسع والعاشر من الهجرة قد جابوا مناطق متعددة من اليمن للقاء الشيوخ والدَّرس في مدارسها ومؤسساتها العلمية.

ويبدو أن مدينتي زبيد وعدن كانتا محطة أنظار علماء حضرموت نظرًا لمكانتهما العلمية وكثرة مدارسهما، وما تمتلكا من فرص الإقامة فيهما أو القيام بالتدريس في مؤسساتهما التعليمية[3].

نظرًا لكثرة المرتحلين إلى هذه المراكز العلمية فسنورد أبرز هؤلاء ومنهم: الإمام العالم العلامة محمد بن أحمد بن عبدالله بن حميش (ت٨٦١هـ/ ١٤٥٦م) الذي ارتحل من الهجرين إلى عدن، ولازم الشيخ الإمام علي بن عفيف الهجراني وغيره من العلماء الوافدين إلى عدن حتى أصبح إمامًا مبرزًا، وتولى القضاء في عدن[4]. والفقيه العلامة محمد بن أحمد باجرفيل الدوعني (ت٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م) الذي تلقى تعليمه في دوعن وتريم والشحر، ثم ارتحل إلى زبيد للقاء العلامة عمر بن محمد المفتي الأشعري الزبيدي، ثم دخل عدن وأخذ عن الفقيه محمد بن مسعود باشكيل[5].

وممن رحل إلى زبيد العلامة الفقيه محمد بن أحمد بن عبدالله بافضل (ت٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م) صاحب التصانيف الفقهية، وسمع في زبيد من الإمام الطيب الناشري

---

(١) العيدروس، المصدر السابق، ص٦٠، بافقيه، تاريخ الشحر، ص٧٧.

(٢) بامخرمة، المصدر نفسه، ٣٧٠٣.

(٣) ابن الديب، عبدالرحمن بن علي الشعيباني (٩٤٠هـ/ ١٥٣٧م)، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تح: محمد بن علي الأكوع، ط٢، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٣١٢. وابن الديبع، الفضل المزيد على بغية المستفيد، في أخبار مدينة زبيد، تح: محمد عيسى صالحية، الكويت، ١٩٨٣م، ص٨٥-٨٦. والأكوع، إسماعيل بن علي، المدارس الإسلامية في اليمن، مؤسسة الرسالة - القاهرة، ط١، ١٩٦١م، ص١٣٧.

(٤) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٥٩٥. البريهي، المصدر السابق، ص٣٣٣. باوزير، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٩٦١م، ص١٣٧.

(٥) العيدروس، المصدر السابق، ص٢٢-٢٣، باوزير الفكر والثقافة، ص١٤٣-١٤٤.

(ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)[١]، ثم رحل إلى عدن قاصدًا الشيخ الفقيه جمال الدين محمد أحمد بن باحميش حتى أصبح مدرسًا بدلًا عنه بعد وفاته[٢].

ورحل العلامة القاضي محمد بن عمر باقضام (ت٩١٥هـ/ ١٥٠٩م) من بلده الهجرين إلى عدن، وأخذ عن عبدالله بن أحمد بامخرمة، ودخل زبيد وسمع فيها من القماط والفقيه المحدث أحمد بن عمر المزجد حتى أصبح مرجعَ الفتوى في عدن[٣].

وإلى زبيد وتعز وعدن تنقل المحدث الفقيه أحمد ابن الإمام أحمد بافضل (ت٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م) للقاء الشيوخ والمحدثين، ففي زبيد سمع من الفقيه أحمد بن عمر المزجد، وفي تعز من المحدث يوسف بن يوسف المقري، ثم عاد إلى الشحر حتى استشهاده سنه ٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م[٤].

ووصل الفقيه جمال الدين محمد بن عمر بحرق (ت٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م) إلى زبيد والتقى علماءها، فقد سمع الحديث من المحدث أحمد بن عبد اللطيف الشرجي، والأصول عن الإمام محمد بن أبي بكر الصائغ، وسار إلى الهند وهنالك توفي[٥].

ومن شبام ارتحل الإمام العالم والمحدث الحافظ أبو بكر بن عبد الرحمن بن شراحيل باشراحيل (ت٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م) وجاب مناطق عديدة من اليمن حتى لازم حافظ اليمن ومسنده الإمام يحيى العامري وقرأ عليه الحديث حتى أصبح فيه ماهرًا[٦].

ومن دوعن قدم الفقيه أحمد بن سالم بانقيب الدوعني (ت٩١٠هـ/ ١٥٠٤م) إلى عدن وتلقى الحديث والتفسير على جمال الدين محمد بن أحمد بافضل، وأصبح ناظر المدرسة الظاهرية[٧].

---

(١) باوزير، الفكر، والثقافة، ص١٤٢.

(٢) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٩٢.

(٣) الشلي، محمد بن أبي بكر: السناء الباهر بتكميل النور السافر في أخيار القرن العاشر، تح: إبراهيم بن أحمد المقحفي، مكتبة أبو رشاد، صنعاء، ٢٠٠٤م، ص٣٦٨.

(٤) العيدروس، المصدر السابق، ص١٩٣.

(٥) الشلي: السناء الباهر، ص٢٠٩-٢١٤.

(٦) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٣٨. شنبل، المرجع السابق، ص٢٠١.

(٧) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٠١.

الرحلات العلمية الخارجية:

كانت بلاد الحجاز (مكة والمدينة) وظفار الحبوضي ومراكز العلم في المشرق المتمثلة في بلاد الشام ومصر حتى الهند وسواحل الشرق الأفريقي مثار اهتمام حملة العلم من العلماء والطلاب الحضارم.

وقد استغل هؤلاء مواسم الحج للقاء العلماء من سكنة بلاد الحجاز أو ممن يأتون إليها حجاجًا من بلدان العالم الإسلامي كافة.

وشكلت الرحلة إلى بلاد الحرمين الأكثر والأبرز بين رحلات حملة العلم الحضارم في الفترة مدار البحث، فعلى سبيل التمثيل نذكر العلماء:

- عبدالله بن أحمد باكثير (١٤٤٣هـ-١٥١٩م) الذي عمل بالإفتاء والتدريس.
- الشيخ محمد عمر بحرق (١٤٦٤م-١٥٢٣م) صاحب المؤلفات العديدة وقد عمل بالإفتاء والتدريس والقضاء.
- القاضي عبدالله بن محمد بن أحمد باسرومي (ت٩٤٣هـ/ ١٥٣٦م في مكة) وقد اشتغل بالتدريس بالشحر.
- أبو الطيب عبدالله بن أحمد بامخرمة (١٤٢٩م-١٤٩٧م) الذي أصبح عميدًا للفتوى في عدن وأحد أعمدة القضاء فيها في عهد السلطان علي بن طاهر والذي رحل حاجًا إلى مكة سنة ٨٥٣هـ.

ومنهم أيضًا الفقيه أحمد بن علوي باجحدب (ت٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م)، مفتي وقاضي تريم محمد بن حسن السقاف (ت٩٧٣هـم١٥٦٥م)، والشيخ معروف باجمال (ت٩٦٩هـ/ ١٥٦١م) والذي عمل مستشارًا للسلطان علي بن عمر بن جعفر الكثيري، وكثيرون غيرهم يمكن التعرف عليهم من خلال قاعدة البيانات رقم (١) في مقدمة هذا الفصل.

ولم تقتصر رحلات هؤلاء على طلب العلم ولقاء المشايخ كما أسلفنا، بل تصدى هؤلاء للتدريس والإفتاء والدخول في مناظرات علمية مع نظرائهم من علماء العالم الإسلامي، كما وفرت لهم هذه الرحلات فرصة اللقاء بالملوك والوزراء[1].

ومن علماء حضرموت من تجاوزت مكانتهم حدود حضرموت، وقُصدوا للفتوى من

---

(١) باوزير، الفكر والثقافة، ص٩١.

الهند وسواحل أفريقيا الشرقية، أمثال عبدالله بن عمر بامخرمة الذي اجتمع بالشيخ أحمد ابن حجر، أحد علماء الحجاز، وقد أعجب بفهمه وسعة علمه (انظر قاعدة البيانات)[١].

والجدير بالذكر أن من الأسباب التي كانت تدفع الكثير من أهل حضرموت إلى الهجرة هو طلب العلم والمعرفة، وتجلَّى ذلك في البعوث التي ترسل في صور جماعية وفردية، منذ القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) حتى اليوم إلى الحرمين الشريفين، وإلى زبيد، وبغداد، والقاهرة وغيرها، فيقبلون على العلم بجد، مما جعلهم يتولون مهام القضاء، والفتوى، والوعظ والإرشاد والتدريس[٢].

ويعتبر العلويون من أوسع الفئات هجرة إلى آسيا وأفريقيا، فمنذ بداية القرن التاسع الهجري، بدأ العلويون هجرتهم من حضرموت إلى الربوع الآسيوية والإفريقية، ولهم بها أسر كان لبعض أفرادها شأن يذكر في مختلف نواحي النشاط الإنساني، وعلى وجه الخصوص في نشر الدعوة الإسلامية في شرق أفريقيا وجزائر المحيط الهندي، وفي الهند وأرخبيل الملايو، وأندونيسيا والفلبين[٣].

الرحلات العلمية الوافدة إلى حضرموت:

وبالمقابل فقد سبق أن بينَّا خلال حديثنا عن المراكز العلمية في حضرموت بأنها أصبحت خلال هذه الفترة رافدًا من روافد العلم والمعرفة، ليس فقط في جنوب الجزيرة العربية فحسب بل ذاع صيتها بين أصقاع العالم الإسلامي، واكتسبت حضرموت هذه السمات نتيجة للتراكم المعرفي والعلمي والثقافي منذ عرف أهلها الإسلام، فذاع صيت العلماء الحضارم من خلال مصنفاتهم وسمع بهم الآخرون في بلدان الإسلام، ولعل لقاءات البعض منهم في مواسم الحج قد شكلت دافعًا كبيرًا للرحلة إلى حضرموت والسماع من شيوخها وعلمائها.

فعلى سبيل التمثيل رحل إلى حضرموت الإمام المحدث المسند أبو زكريا يحيى

---

(١) الشلي، السناء الباهر، ص٤٧٠-٤٧٤.

(٢) الشاطري، محمد بن أحمد: دراسة مختصرة شاملة عن الهجرة التي يقوم بها أبناء اليمن الجنوبي وفي مقدمتهم الحضارم من أقدم العصور إلى اليوم، تريم، ١٩٧٠م، ص١٢-١٣. (كتبت الدراسة بناء على طلب من حكومة اليمن الديمقراطية سابقًا لتقدم لمؤتمر المغتربين.

(٣) بامطرف، محمد عبدالقادر: الجامعة جامع شمل أعلام المهاجرين المنتسبين إلى اليمن وقبائلهم، ج٣، دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن٨٤، ص٥٧.

ابن أبي بكر بن عبد القوي البوني التونسي المغربي المالكي، وذلك سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م، ودخل شبام وتردد كثيرًا على الإمام عبدالرحمن السقاف (ت٨١٩هـ/ ١٤٢٥م) وأخذ عنه كما أخذ الأخير عنه[١].

كما زار حضرموت العلامة الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن أسعد اليافعي المكي (ولد سنة ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م) وذلك للقاء العلماء والشيوخ من أمثال الشيخ عبدالله بن علي الخطيب (ت٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م) والشيخ الإمام فضل بن عبدالله بافضل، وفي الشحر التقى بالفقهاء آل السبتي، وآل باهراوة وقام ببناء مسجد في الشحر عرف بمسجد اليافعي[٢]، وفي تريم التقى بعدد من العلماء والفقهاء منهم: محمد مولى الدويلة بن علي بن علوي بن الفقيه المقدم (ت٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م) والإمام عبدالرحمن السقاف بن محمد مولى الدويلة (٧٣٩-٨١٩هـ) والإمام محمد بن أبي بكر باعباد (١٣١٢-١٣٩٨م) والإمام فضل بن عبد الله بافضل (١٣٢٩-١٤٠٣م) والإمام الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن باوزير (ت بعد القرن الثامن الهجري)[٣].

ومن العلماء الذين زاروا حضرموت من مدينة بغداد أوائل القرن العاشر الهجري واستقر بمدينة الشحر الشيخ الفاضل المقري المحقق الفقيه شمس الدين محمد بن أحمد ابن بكر بن الفخر البغدادي، وكان علَّامة في القراءات، وقد انتفع به خلق كثير (ت٩١٠هـ/ ١٥٠٤م)[٤].

وزار حضرموت أيضًا الشيخ العلامة أبو السعادات محمد بن أحمد بن علي الفاكهي المكي (ت٩٩٢هـ/ ١٥٨٤م)، وكانت زيارته لها أواخر القرن العاشر، وقد التقى بعدد من علمائها وصحبه جماعة من آل باعلوي[٥].

وممن رحل إلى تريم حضرموت العلامة المغربي سنة (٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م)، الذي دون

---

(١) شنبل: تاريخ حضرموت، ص١٢٤. باهارون، محمد علوي عبد الرحمن: الرحلة العلمية إلى حضرموت من القرن السادس إلى القرن الخامس عشر الهجري، أبحاث ودراسات فعاليات تريم الثقافي، ١٤٣١هـ، ص٢٩٤.

(٢) شنبل، المصدر السابق، ص١٥٠.

(٣) باهارون، المرجع السابق، ص٢٩٦.

(٤) بافقيه، تاريخ الشحر، ص٧١-٧٢. باهارون، المرجع السابق، ص٢٩٨.

(٥) العيدروس، المصدر السابق، ص٤٠٨-٤٠٩.

رحلته في كتاب خاص ذكر فيه ما شاهده في تريم من أحوال سكانها السادة العلويين ومن جاورهم من الصالحين، ووصف مساجدها، وتعرف على عادات وتقاليد أهلها، وزار مقابرها، وشارك أهلها أفراحهم وأتراحهم، وحضر مجالس العلم فيها، وقد بين سبب رحلته إليها الذي يعود إلى وصف أبيه لهذه المدينة وأهلها الذين شبههم بالملائكة، وكان ذلك بعد رحلة قام بها والده إلى تريم سنة ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م[١].

ورحل إلى حضرموت واستقر بها العلامة يوسف بن عابد بن محمد الإدريسي الحسيني الفاسي المغربي (١٥٥٧-١٦٣٤م)، وقد بدأ رحلته إلى حضرموت سنة ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م، حيث تحرك من فاس إلى مصر ثم إلى الحرمين الشريفين، ووصل حضرموت سنة ٩٩٢هـ/ ١٥٨٤م، حيث قصد عينات* والتقى فيها الشيخ أبا بكر بن سالم، وتنقل بين مدن وقرى حضرموت وذاع صيته، وعمل على تدريس علم التوحيد المسند في حضرموت، كما تدير منطقة مريمة* وتزوج ابنة أحمد بن عمر بن عبد الله الحارثي، وزار قيدون وتزوج من إحدى بنات مشائخها، وارتبط بعلاقات مع سلاطين حضرموت ومنهم السلطان عمر ابن بدر بن عبد الله الكثيري، وفي سنة ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م توفي في منطقة مريمة[٢].

ونحن نختم حديثنا عن أهم الرحلات العلمية يمكن أن نسجل الاستنتاجات الآتية:

- إن الرحلات العلمية الداخلية ومنها الخارجية، كانت سمة بارزة من سمات الحياة العلمية في الفترة موضع البحث.
- كما أن الرحلات العلمية الداخلية كانت تتجه من مدن كانت تمثل أهم المراكز العلمية في حضرموت، مثل تريم، وشبام، وغيل باوزير، وقيدون، والهجرين، والشحر.
- وخارجها اتجهت إلى أهم مراكز العلم في اليمن مثل عدن، وزبيد، وتعز، التي كانت لها مكانة مرموقة في الحياة العلمية. وذلك لانتشار المدارس بها، ووجود

(١) بافضل: المصدر السابق، ص٣٢٦-٣٤٢. باهارون، المرجع السابق، ص٢٩٧.

* من أشهر قرى حضرموت وتقع على بعد نصف مرحلة من تريم، وأول من اختصها آل كثير سنة ٦٢٩هـ، وأما عينات الجديدة فقد بناها الشيخ أبو بكر بن سالم صاحب عينات" الشيلي: المشروع الروي، ج٢، ص٢٩.

(٢) باهارون، المرجع السابق، ص٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠. بازهير، منير بن سالم، وفادة علماء المغرب إلى حضرموت وآثارها، مركز الدراسات والأبحاث تريم، سنة ١٤٣٢هـ، ص١٧.

كبار العلماء والشيوخ الذين كان لهم الدور الأبرز في النهضة العلمية في تلك الفترة، وإن كان ذلك على مستوى العلوم الدينية والشرعية، واللغوية.

- ويمكن القول إن الرحلات العلمية إلى بلد الحرمين التي تردد عليها الكثير من علماء حضرموت ومشائخها، يعود إلى المكانة الدينية الرفيعة التي تمتعت بها كل من مكة والمدينة، لارتباطهما بظهور الدين الإسلامي، وانطلاقته منهما، ولوجود المشاعر المقدسة فيهما كل هذه كانت حافزًا لشد الرحال إليهما طلبًا للعلم، وأداء فريضة الحج أو لكليهما معًا.
- أما الرحلات التي قام بها بعض علماء حضرموت إلى ظفار تعود كما أعتقد إلى قرب ظفار من حضرموت، وللتداخل التاريخي بينهما ولمكانتهما العلمية.
- كما شكلت الرحلات العلمية والهجرات التي تمت في هذه الفترة إلى بلاد الهند مقدمة لرحلات متعددة الأغراض إلى جزر الهند الشرقية، وجنوب شرق آسيا، وكان لأبناء حضرموت في هذه المناطق دورًا مشهودًا في نشر الإسلام، كما أسهموا في فترات لاحقة في رسم ملامح الحياة السياسية والثقافية في هذه المناطق.

- **علاقة العلماء بالمجتمع**

لقد كان العلماء في مواجهة الأحداث والتطورات التي يشهدها المجتمع، وأسهم الكثير منهم في التصدي لقضايا المجتمع، والوقوف إلى جانب مصالح الناس، والانتصار لهم في وجه الظلم والاستبداد[١].

كما أسهموا في الحياة السياسية والاجتماعية فضلًا عن دورهم في الحياة العلمية[٢]. وقد قصدهم الناس فيما يعترض حياتهم من مشاكل، وأمور الدين، ولذلك فقد حظوا بحب الناس وتقديرهم، وأكرمهم الناس مع طلبتهم[٣].

---

(١) البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص٢٠٧-٢٠٨.
(٢) البريهي، المصدر نفسه، ص١٤٣.
(٣) الشرجي: المصدر السابق، ص٢١٥.

وقبل الحديث عن دور العلماء في حضرموت في حياة المجتمع، توجب الإشارة إلى أنه لوحظ أن لعلماء حضرموت أوقافًا كثيرة ومتنوعة، سخرت في معظمها للصرف على طلبة العلم، وعلى الأربطة والمعاهد العلمية، وعلى الضيوف، والمساجد، والأيتام، وعلى الفقراء والمحتاجين، وعلى السقايات المنتشرة على الطرقات للشرب، وعلى خزانات المياه للشرب والاغتسال، وعلى أكفان الموتى، وعلى اللقطاء، ولإفطار الصائمين في رمضان، وعلى تعبيد الطرق.

إجمالًا يمكن القول إن هذه الأوقاف سخرت لصالح المجتمع بشكل عام، لتلبية جزء من احتياجاته[١]. وهذا جسد عمق الارتباط بين العلماء والمجتمع.

وإلى جانب نشاط العلماء الديني واشتغالهم في الدعوة والإرشاد، عمل العلويون على سبيل المثال على إنعاش الحياة الاقتصادية، وعمارة موطنهم بنشر الزراعة والغرس، ومختلف الأنشطة الاقتصادية، ومن أمثلة ذلك، ما قام به علي بن علوي (خالع قسم) الذي اشترى أرضًا بعشرين ألف دينار، وملاءها بغرس النخيل وسماها (قسم). وانتشرت فيما بعد زراعة النخيل في بيت جبير، وتريم، على يد أحفاد من بعده[٢].

ولقد ارتبط علماء حضرموت بعلاقة وثيقة مع أفراد المجتمع، واتضح ذلك من خلال تبني هؤلاء العلماء قضايا المجتمع، وهموم الناس، وعرضها على الحكام لتتم معالجتها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى قام بعض هؤلاء العلماء بالتوفيق بين المتنازعين، فعلى سبيل التمثيل:

الشيخ أبو بكر بن سالم بن عبدالله بن عبد الرحمن السقاف (ت٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م) اهتم كثيرًا بمصالح الناس، وعمل على التوفيق بينهم فيما يبرز من منازعات[٣].

الفقيه عبدالله بن عبدالرحمن بافضل (ت٩١٨هـ/ ١٥١٢م) الذي حظي بمكانة رفيعة عند الناس والحكام، أتاحت له القيام بدور الوسيط بين القبائل وسلاطين حضرموت[٤].

---

(١) الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، ج٢، ص٢٥٨.

(٢) الحامد، صالح: تاريخ حضرموت، ج٢، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ٢٠٠٣م، ص٦٣٦-٦٣٧.

(٣) الشلي: السناء الباهر، ص ٥٨٨- ٥٨٩-٥٩١ -٥٩٨.

(٤) العيدروس: المصدر السابق، ص٨٨-٨٩. بافضل، صلة الأهل، ص١٤٢-١٦٧.

ومن أبرز دلائل التلاحم الوثيق بين العلماء والمجتمع، ذلك الموقف التاريخي لعلماء الشحر ومساهمتهم الكبيرة مع أبناء مدينتهم، في التصدي للغزو البرتغالي، بل وقيادة المقاومة الشعبية التي أسفرت عن دحر البرتغاليين سنة ٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م، ومن بين هؤلاء العلماء أحمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بلحاج بافضل (ت٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م) [١]. وكذلك الشيخ أحمد بن الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بلحاج بافضل[٢]، والشيخ أحمد بن رضوان بافضل[٣]، والعلامة الشيخ يعقوب بن صالح الحريضي[٤]، والشيخ الفقيه فضل بن رضوان بافضل[٥].

ولنا في الفقيه عبدالله بن محمد بن حسن بن محمد بن عبسين (ت٩٠٧هـ/ ١٥٠١م)، مثلًا آخر في الارتباط بقضايا المجتمع، والانتصار للحق والعدل، لما فيه خدمة مصالح الناس، فكان آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، وساعيًا في تحقيق مصالح المجتمع، وخصوصًا في مجال التعليم، حيث سعى أن يتولى الفقيه عبد الله بلحاج بافضل التدريس في جامع الشحر، كما عمل ابن عبسين على نسخ المصحف، وكان يصرف ما يتقاضاه من مهنة القضاء على الفقراء وطلبة العلم، كما سعى ابن عبسين في استخراج وقف جامع الشحر من يد الدولة، الذي كاد أن ينطمس ويندرس، وكان له موقف مع السلطان عبد الله بن جعفر الكثيري الذي اشترى فرسًا وأراد أن يرده، بحجة أن به عيبًا إلا أنه استدعي إلى مجلس القاضي ابن عبسين، وامتثل لحكمه ودفع قيمة الفرس لصاحبه[٦].

وقد اهتم القاضي جمال الدين محمد بن مسعود باشكيل (ت٨٧١هـ/ ١٤٦٦م) بجمع الكتب مستفيدًا من وفرة المال لديه، وسخره لصالح طلبة العلم[٧].

---

(١) العيدروس: نفسه، ص١٣٥-١٣٦.
(٢) الشلي، السناء الباهر، ص٢٠٠-٢٠١.
(٣) بافضل، صلة الأهل، ص١٧٤. بامطرف، محمد بن عبدالقادر، الشهداء السبعة، دار الهمداني، عدن، ط٢، ١٩٨٣م، ص٩٠.
(٤) بامطرف، نفسه، ص٩٠.
(٥) بامطرف، نفسه، ص٩٠.
(٦) العيدروس: المصدر السابق، ص٤٤-٤٥-٤٦. والشلي: السناء الباهر، ص٥٣-٥٤-٥٥.
(٧) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٠٧-٣٦٠٨. وباوزير: الفكر والثقافة، ص١٣٣.

- **علاقة علماء حضرموت بالسلطة**

نظرًا للمكانة الرفيعة التي حظي بها العلماء بين أوساط الناس، لما يضطلعون به من دور في نشر العلم، وتوجيه وإرشاد الناس لما فيه خدمة دينهم وبلدانهم، وللمستوى الرفيع الذي وصل إليه الكثير من العلماء في العلوم الدينية، فقد كانوا أكثر الفئات تأثيرًا بين الناس.

لذلك فقد استحقوا بجدارة أن يكونوا لسان حال الأمة، أمام الحكام الذين تعاقبوا على حكم حضرموت خلال فترة الدراسة.

ولبيان هذا الأمر، وتسليط الضوء عليه، يمكن الإشارة إلى الأمثلة الآتية:

لقد استجاب الكثير من علماء حضرموت في القرنين التاسع والعاشر من الهجرة، وبعد إلحاح شديد من بعض السلاطين والحكام استجابوا لتولي منصب القضاء فمثلًا عبد الله بن أحمد بامخرمة تولى القضاء في عدن في عهد السلطان علي بن طاهر[١]، وكذلك عبد الله بن عمر بامخرمة الذي تولى القضاء في الشحر لفترتين[٢]، والفقيه عبدالله بن حسن بن عبسين، الذي تولى القضاء في الشحر واشتهر بالعدل والإنصاف[٣].

كما إن الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن سراج الدين باجمال تولى القضاء في تريم، والشحر، وشبام، والغرفة[٤].

وفي مجالس التدريس فإلى جانب أن معظم علماء حضرموت قد عملوا بالتدريس فإن بعضهم تولى إدارة المدارس، كما هي الحال مع علي بن محمد بايزيد، الذي أدار مدرسة أبوطويرق في الشحر بعد تأسيسها[٥].

معروف بن عبد الله بن محمد باجمال، عمل مستشارًا للسلطان علي بن عمر بن

---

(١) العيدروس، المصدر السابق، ص٣٠، ٣١، ٣٢.

(٢) السقاف، الشعراء الحضرميين، ج١، ص١٥٧-١٦٦.

(٣) العيدروس، المصدر السابق، ص٤٤-٤٥-٤٦.

(٤) باجمال، جمال الدين محمد بن عبد الرحمن سراج الدين (١٠١٩هـ/ ١٥٩٥م) الدر الفاخر في أعيان القرن العاشر، دراسة وتحقيق محمد يسلم عبد السند، تريم للدراسات والنشر، ص٢٠٠٨م، ص١٨، ١٩، ٢٤.

(٥) الشلي، السناء الباهر، ص٥١٠-٥١١.

جعفر الكثيري[1]. كما حظي عبد الله بن عمر بامخرمة بتقدير عالٍ من السلطان بدر بن عبد الله الكثيري[2]. وتمتع عمر بن عبد الرحمن بن محمد باعلوي (ت٩٨٩هـ/ ١٥٨١م) بسمعة طيبة بين الناس، وكلمته مسموعة عند السلطان الطاهري علي بن طاهر وأخيه الملك المنصور عبد الوهاب[3].

كما كانت للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بلحاج بافضل مكانة كبيرة عند الناس، فقد كان آمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر، كثير السعي في حوائج المسلمين ومصالحهم، وفي الوقت نفسه كانت له مكانة عند الملوك، فكان يتوسط بين القبائل والسلاطين وحظي باحترام كبير من قبل السلطان عامر بن عبد الوهاب الذي أوكل إليه إعمار جامع تريم وتوسعته، وإعمار مسيال وادي ثبي، كان ذلك سنة ٩٠٣هـ، وسنة ٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م[4].

ومن أوجه العلاقة البناءة بين العلماء والحكام التي كانت تصب في مصلحة السواد الأعظم من الناس تلك العلاقة بين السلطان عامر بن عبد الوهاب وحاكم عدن مرجن، بالعالم أبو بكر بن عبد الله العيدروس الذي تمتع بمكانة خاصة لديهما وكان مسموع الرأي والمشورة فيما يخص أحوال عدن والناس فيها وحوائجهم[5].

وفي سياق حديثنا عن علاقة علماء حضرموت وفقهائها بالسلطة، لابد من التأكيد أن هذه العلاقة لم تكن باستمرار علاقة ودية، بل تخللتها مواقف لبعض العلماء معارضة لسياسة بعض الحكام، ومنها على سبيل المثال:

معارضة الشيخ سليمان بن عبود بن تايه الشحري، لموقف الأمير أبو دجانة حاكم الشحر لمهاجمة عدن وغزوها سنة ٨٦١هـ ١٤٥٦م بل على العكس من ذلك كان يرى مصالحة الطاهريين، وخلق جو من حسن التفاهم والحوار معهم. وكان موقفه هذا منسجمًا مع موقف والده الأمير أبي دجانة، وقد عرَّضه موقفه هذا للسجن[6].

(١) الشلي، السناء الباهر، ص٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨.
(٢) العيدروس، المصدر السابق، ص٢٧٨، ٢٧٩.
(٣) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٦٤١.
(٤) بافضل، المصدر السابق، ص١٤٤. وبالفقيه، تاريخ الشحر، ص١٠١-١٠٢.
(٥) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧٠٥، ٣٧٠٧. والعيدروس، المصدر السابق، ص٨١، ٨٢، ٨٨.
(٦) بامطرف: الشهداء السبعة، ص٣٤، ٣٥.

كمـا تجـدر الإشـارة إلـى موقـف الشـيخ عمـر بـن عبـدالله بـن أحمـد بامخرمـة (ت٩٧٢هـ/ ١٥٦٤م) المعـارض لسياسـة السـلطان بـدر أبـو طويـرق للسـيطرة علـى الهجريـن، وقـد عرَّضـه هـذا الموقـف للنفـي إلـى الشـحر ثـلاث مـرات، وأخيـرًا إلـى سيئون حتـى وفاتـه سـنة ٩٥٢هـ[١]/ ١٥٤٥م.

كما دخل الشيخ علي بن عمر بن جعفر الكثيري (ت٩٨١هـ/ ١٥٧٣م) الذي تولى سلطنة حضرموت في حروب مع السلطان بدر أبوطويرق آخرها حرب الجرب سنة ١٥٥١م أو ١٥٥٢م، وعلى إثرها تعرض للسجن حتى سنة ٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م[٢].

- **الممارسة السياسية لعلماء حضرموت**

يرجع بعض المؤرخين اهتمام علماء حضرموت بالجوانب السياسية، أو الممارسة المباشرة للسياسة إلى فترات تاريخية متقدمة، تعود إلى عهد الإمام صاحب مرباط محمد بن علي العلوي (ت٥٥٧هـ)، الذي أسهم في تحسين العلاقة بين الدولة الراشدية داخل حضرموت، والدولة المنجوية "نسبة إلى المنجويين سلاطين ظفار" وتجلى ذلك في استقرار الأوضاع وتأمين الطرق والحد من غارات القبائل في الطرق الممتدة من حضرموت إلى المهرة[٣].

كما عمل بعض العلماء على تهيئة الرأي العام لنصرة الدولة الكثيرية والترويج لها، فهذا الشيخ محمد بن عمر باعباد، وابنه محمد، كانوا في مقدمة الذين لم يترددوا في نصرة آل كثير، والترويج لمشروعهم بين الناس، وهو أيضًا موقف العلويين المؤيد والمساند لآل كثير[٤].

كل ذلك يؤكد اعتماد القوى الطامعة في الوصول إلى السلطة على دور العلماء في تهيئة المناخات والظروف المناسبة لتحقيق أهدافهم.

لقد عاصر كثير من العلماء في حضرموت عهد السلطان بدر أبي طويرق "الذي امتد

(١) بن عقيل، عبدالرحمن جعفر، (٨٨٤-٩٥٢هـ)، حياته وخصومه وشعره، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٢م، ص١٠١، ١٠٩.

(٢) الشلي: السناء الباهر، ص٥٤٠.

(٣) الشاطري، محمد بن أحمد بن عمر: محاضرة تاريخية: علماء حضرموت والسياسة، ألقيت بدار جمعية الأخوة والمعاونة تريم، ١٣٦٢هـ.

(٤) ابن هاشم، محمد: تاريخ الدولة الكثيرية، ج١، ص١٣.

حكمه (٩٢٧-٩٧٦هـ) (١٥٢١-١٥٦٨م) " إذ ظهر واشتهر في هذه المرحلة كثير من العلماء، والفقهاء، والأدباء، والمؤرخين.

وقد ازدحم بهم بلاط السلطان بدر، ومن هؤلاء من كان مؤيدًا وناصحًا له، يقدمون المشورة ويقترحون الحلول السياسية والاجتماعية والاقتصادية، من أمثال الشيخ عبدالله بن عمر بامخرمة، والشيخ محمد بن عمر بحرق، ومنهم من عارضه كالشيخ عبدالله بن عبود مذحج وعمر بامخرمة ومعروف باجمال [١].

لقد أوكل السلطان أبو طويرق إلى الشيخ الفقيه محمد بن عمر بحرق، تسيير الشؤون الإدارية، والقيام بمهامه أثناء غيابه، فضلًا عن قيامه بأمور القضاء في الشحر، وذلك تقديرًا لكفاءته، ومقدرته، وقوة شخصيته[٢].

وكذلك الأمر مع الفقيه عبد الله بن عمر بامخرمة، الذي قرَّبه السلطان بدر إليه، وعينه قاضيًا في الشحر، وولاه الإفتاء في حضرموت، وأسند إليه منصب سكرتير الدولة. حيث تولى الاطلاع على المراسلات الواردة إلى السلطان، من السلطان العثماني، ومن حكام مصر، والهند، والحجاز، ويتولى الرد على هذه المراسلات. كما كلفه بمقابلة الضيوف ومخاطبة المواطنين، وبالرغم من هذه المكانة الكبيرة، والثقة العالية، التي تمتع بها هذا الفقيه عند السلطان، إلا أنه لم يتمكن من حل الخلاف بين أبيه والسلطان بدر بخصوص الهجرين[٣].

وبرغم تأييد الفقيه عمر بن عبد الله بامخرمة لبعض سياسات بدر أبي طويرق، والتي منها مساندته لموقف السلطان للتصدي للبرتغاليين في محاولاتهم السيطرة على الشحر، وتأييده لسياسة السلطان توسيع رقعة دولته، إلا أن الموقف تغير عند تدخل السلطان في شئون الهجرين الداخلية "بلدة الفقيه بامخرمة".

وبصوت مسموع عارض بعض سياسات السلطان بدر، وانتقد الكثير من تصرفاته، التي تتعلق بإدارة شئون البلاد، وطريقة تعامله مع معارضيه، وخصومه، مما أدى إلى نفيه إلى

---

(١) العامري، عبدالكريم صالح عبدالله، الملك بدر بن عبدالله بن جعفر الكثيري (٩٠٢-٩٧٧هـ)، تريم للدراسات والنشر، ٢٠٠٦م.

(٢) العامري: المرجع نفسه، ص٧٩-٨٠.

(٣) العامري: المرجع نفسه، ص٨٠، ٨١، ٨٢.

الشحر، ثم إعادته إلى سيئون، ووضعه تحت ما يمكن أن نسميه بالإقامة الجبرية حتى وفاته سنة ٩٥٢ هـ[١].

ومن العلماء الذين عارضوا سياسة السلطان بدر، الشاعر عبدالله بن عبود مدحج، الذي ندد بحملات بدر أبي طويرق التوسعية، تحت شعار توحيد البلاد، حيث قال: إن هذه السياسة لم تجلب إلا الخراب والدمار للبلاد وأهلها. كما اتهم السلطان بدرًا بالتقصير في مواجهة البرتغاليين، الذين هاجموا الشحر سنة ٩٢٩هـ. وقد أودع هذا الشاعر السجن حتى وفاته بسبب هذه المواقف[٢].

ومن أبرز الشخصيات المعارضة لسياسة السلطان بدر، الشيخ معروف عبد الله باجمال، أحد أعلام الصوفية في حضرموت، وأحد الساعين إلى إقامة دولة صوفية فيها، ووجد في الأمير علي بن عمر الكثيري الشخص المناسب لتحقيق هذا الطموح، نظرًا لميوله الصوفية، كما أن هذا الأمير قد خلع الطاعة للسلطان بدر، واستقل بحكم شبام، وأصبح الشيخ معروف باجمال أحد أهم مستشاريه. مما دفع بالسلطان بدر إلى نفيه إلى منطقة بضه في وادي دوعن، بعد أن أهانه وشهّر به بين محبيه وأنصاره في شبام، وبقي في منفاه حتى وفاته سنة ٩٦٩هـ/ ١٥٦١م. تحت مبرر تحريضه للأمير علي بن عمر الكثيري، للاستيلاء على قلاع آل محمد، والانفراد بحكم شبام، وكذلك للمكانة الرفيعة التي يحظى بها عند الناس لاهتمامه بمصالحهم[٣].

ومن صور الممارسة السياسية لعلماء حضرموت التي تجلى فيها الجمع بين السلطة الروحية والسلطة السياسية، تجربة آل العمودي في دوعن، فالمكانة الروحية التي وصل إليها آل العمودي جعلتهم لا يشعرون بأية سلطة سياسية يدينون لها بالولاء والطاعة، ولهذا فكروا بالاستقلال السياسي، وبسط نفوذهم المادي إلى جانب النفوذ الروحي[٤].

---

(١) العامري: المرجع نفسه، ص٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠. ومحمد بن هاشم: المرجع السابق، ص٥١. بامطرف: الشهداء السبعة ص١١٨.

(٢) بامطرف: الشهداء السبعة، ص١١٥-١١٧. والعامري: المرجع السابق، ص٩٠-٩١.

(٣) العامري: نفسه، ص٨٣، ٨٤، ٨٥. وابن هاشم: المرجع السابق، ص٥٠. وبامطرف: الشهداء السبعة، ص١١٧.

(٤) باوزير، سعيد عوض: صفحات من التاريخ الحضرمي، مكتبة الثقافة، عدن، ديسمبر ١٩٨٣م، ص١٥١.

ففي سنة ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م استولى عبد الله بن عثمان بن سعيد العمودي على الخريبة، والوادي الأيمن كله، والجدير بالذكر أن العالم أبا محمد عبد الله بن عثمان العمودي (ت٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م) استولى على وادي دوعن وسكن الخريبة، وأقام الشريعة لأهلها وأحيا السنة وأطفأ الفتنة ولكن ذلك لم يوافق هواهم فحاربوه وأخرجوه وأحرقوا كتبه(١)، وتشبث آل العمودي بحمل السلاح للحفاظ على مصالحهم ومراكزهم، وقد مثلت قيدون مركزهم الديني والسياسي الحافل بالشخصيات والتضحيات، والمطامع والحروب والسيطرة والنفوذ(٢).

وفي منتصف القرن العاشر من الهجرة تصدى الشيخ عثمان بن أحمد العمودي لسياسة بدر أبي طويرق التوسعية، ولم يمكنه من فرض سيطرته على دوعن(٣).

وفي موقف معارض لأبي طويرق الذي أعلن تبعيته للأتراك، أعلن العمودي انحيازه إلى الإمامة الزيدية في اليمن، وقد ظلَّ آل العمودي على علاقة بالدولة الزيدية طوال فترة حكمهم السياسي في دوعن(٤).

وفي سياق الصراع المحتدم بين العمودي والسلطان بدر أبي طويرق، شن العمودي غارات على مناطق متعددة من ساحل حضرموت، حيث أغار على تبالة، وحاول مهاجمة الشحر مما أثار الخوف بين أهل الشحر وغيل باوزير(٥). وعلى إثر هذه المواجهة المستمرة بين العمودي وأبي طويرق، تعرضت قيدون للهجوم والنهب، وتخريب خزان المياه فيها، وعم الخوف والهلع بين ساكنيها، واحتمت النساء والأطفال بالمساجد، واحتلت قيدون، وأخليت من السكان، كل ذلك كان سنة ٩٤٨هـ/ ١٥٤١م(٦).

وفي سنة ٩٤٩هـ/ ١٥٤٢م تعرضت بضه مقر السلطة العمودية، لهجوم قوات بدر أبي طويرق، كما تعرضت للحصار سنة ٩٥٥هـ/١٥٤٨م. واستمرت المواجهات

---

(١) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٥٥٨.
(٢) باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص١٥١-١٥٣.
(٣) باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص١٥٢.
(٤) باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص١٥٣.
(٥) باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص١٥٣.
(٦) باوزير: نفسه، ص١٥٤. والعامري: المرجع السابق، ص١١١.

سجالًا بين الطرفين حتى اضطر السلطان بدر سنة ٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م أن يعقد صلحًا أخيرًا مع العمودي[١].

إذا ما توقفنا عند العلاقة التي جمعت بين علماء حضرموت في فترة البحث بالمجتمع، والعلاقة مع الحكام والسلاطين في تلك الفترة، وكذلك الممارسة السياسية لبعض العلماء لنفس الفترة، يمكن أن نخرج بالاستنتاجات أو الاستخلاصات الآتية:

١- لم يقتصر دور العلماء على نشر التعليم، والوعظ والإرشاد فقط، بل تعداه إلى المساهمة الفعلية في الإنفاق على بناء المؤسسات العلمية، والإنفاق على معيشة وسكن طلبة العلم، بل إن بعض العلماء قدَّموا خدمات مباشرة للمجتمع.

٢- الانحياز الواضح والجلي من قبل الكثير من علماء حضرموت إلى صف العدل، وإحقاق الحق والانتصار للمظلومين حتى ولو كان الخصم السلطان نفسه.

٣- إن العلاقة الحميمة التي جمعت بعض العلماء وبعض الحكام والسلاطين، لم تمنع هؤلاء العلماء من انتقاد سياسة هؤلاء الحكام والسلاطين الخاطئة، وتوجيه اللوم والنقد لهم، خصوصًا عند معاملتهم لخصومهم.

٤- أسهم العلماء في هذه الفترة من تاريخ حضرموت إسهامًا كبيرًا في تعبئة وتهيئة الرأي العام لمواجهة الأخطار الخارجية التي هددت سلامة البلاد وأهلها، ولنا في الغزو البرتغالي لمدينة الشحر خير مثال.

لقد مارس بعض علماء حضرموت السلطة السياسية بصورة مباشرة أو غير مباشرة كمستشارين لبعض السلاطين في حضرموت أو خارجها، وإدارة شئون الحكم نيابة عن السلطان أو الجمع بين السلطة الدينية والمجتمعية.

---

(١) باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص١٥٤-١٥٥. والشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ص٢٤٣. والكندي، سالم بن محمد باحميد: تاريخ حضرموت المسمى بالعدة المفيدة، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٩١م، ص١٩٣-١٩٥.

قائمة المصادر والمراجع

١) ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي الشيباني، ت(٩٤٠هـ/ ١٥٣٧م)، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تح: محمد بن علي الأكوع، ط٢، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٨٨م.
٢) ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي الشيباني، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تح: عبد الله محمد الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ١٩٧٩م.
٣) ابن الديبع، عبدالرحمن بن علي الشيباني، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تح: محمد عيسى صالحية، الكويت، ١٩٨٣م.
٤) الأكوع، إسماعيل علي، المدارس الإسلامية في اليمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م.
٥) الأكوع، إسماعيل علي، الدولة الرسولية في اليمن (٦٢٦-٨٥٨هـ)، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م.
٦) انجرامس، دبليواتش، حضرموت ١٩٣٤-١٩٣٥م حول الحالة في حضرموت سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا، تعريب سعيد عبده النوبان، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ٢٠٠١م.
٧) باجمال، جمال الدين محمد بن عبد الرحمن سراج الدين (١٠١٩هـ/ ١٥٩٥م)، الدر الفاخر في أعيان القرن العاشر، دراسة وتحقيق: محمد يسلم عبد النور، تريم للدراسات والنشر، ٢٠٠٨م.
٨) بازهير، منير سالم، وفادة علماء المغرب إلى حضرموت وآثارها، مركز الدراسات والأبحاث، تريم، ١٤٣٢هـ.
٩) بافضل، محمد بن عوض، صلة الأهل بتدوين ما تفرق من مناقب بني فضل، عُني بطبعه ونشره: علي بن محمد بافضل، ط١، ١٤٢٠هـ.
١٠) بافقيه، محمد بن عمر الطيب، تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تح: عبدالله محمد الحبشي، ط١، مكتبة الإرشاد، صنعاء، (١٤٦٩هـ-١٩٩٩م).
١١) بامخرمة، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد، ت(٩٤٧هـ/ ١٥٤٠)، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ثلاثة أجزاء، تحقيق: كلًا من عبد الغني علي الأهجري، عبدالرحمن محمد جيلان، محمد يسلم عبد النور، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤م.

١٢) بامطرف، محمد بن عبدالقادر، الشهداء السبعة، دار الهمداني، عدن، ط٢، ١٩٨٣م.
١٣) بامطرف، محمد بن عبدالقادر، الجامع شمل أعلام المهاجرين المنتسبين إلى اليمن وقبائلهم، ج٣، دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن، ١٩٨٤م.
١٤) بامطرف، محمد بن عبدالقادر، المختصر في تاريخ حضرموت العام، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، ط ٢٠٠١م.
١٥) بامؤمن، كرامة سليمان، الفكر والمجتمع في حضرموت، دار التيسير، صنعاء، ط٣، ٢٠٠٦م.
١٦) باهارون، محمد علوي عبدالرحمن، الرحلة العلمية إلى حضرموت من القرن السادس إلى القرن الخامس عشر الهجري، أبحاث ودراسة فعاليات ملتقى تريم الثقافي، ١٤٣١هـ.
١٧) باوزير، سعيد عوض، صفحات من التاريخ الحضرمي، مكتبة الثقافة، عدن، ديسمبر ١٩٨٣م.
١٨) باوزير، سعيد عوض، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، دار الطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٦١م.
١٩) البريهي، عبد الوهاب بن عبد الرحمن، طبقات صلحاء اليمن، المعروف بتاريخ البريهي، تح: عبد الله محمد الحبشي، دار الآداب، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.
٢٠) ابن عقيل، عبدالرحمن جعفر، عمر بامخرمة السيباني (٨٨٤-٩٥٢هـ) حياته وتصوفه وشعره، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٢م.
٢١) ابن عقيل، عبدالعزيز جعفر، حول التأليف والمخطوطات في الشطر الجنوبي من اليمن، مجلة التراث، العدد١، ١٩٧٧م.
٢٢) ابن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، ج١، قام بالإشراف على طباعته، محمد علي الجفري، ١٣٦٧هـ الموافق ١٩٤٨م.
٢٣) الجعدي، عمر بن علي بن سمرة، طبقات فقهاء اليمن، تح: فؤاد سيد، دار القلم، بيروت، د.ت.
٢٤) الجندي، أبي عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب، (ت٧٣٢هـ/ ١٣٢١م)، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج١، تح: محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٩٣م.

٢٥) الحامد، صالح، تاريخ حضرموت، ج٢، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ٢٠٠٣م.
٢٦) الحبشي، عبدالله محمد، مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، مركز الدراسات اليمنية، صنعاء، د.ت.
٢٧) الخطيب، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن الغمام علي صاحب بير الإبل بن الشيخ الإمام علي صاحب الوعل بن محمد الخطيب (ت٨٥٥هـ)، الجوهر الشفاف في ذكر فضائل ومناقب وكرامات السادة الأشراف، عدة أجزاء.
٢٨) الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب العلم الحديث، مقدمة المحقق د. نور الدين عتر، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
٢٩) الدجيلي، محمد رضا حسن، الحياة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، شعبة دراسات العلوم الاجتماعية، ١٩٨٥م.
٣٠) سارجنت، آرتي، حول مصادر التاريخ الحضرمي، مقالات، ترجمة د. سعيد عبد الخير النوبان.
٣١) السقاف، عبد الله بن محمد بن حامد، تاريخ الشعراء الحضرميين، مكتبة المعارف، الطائف، عدة أجزاء، ١٤١٨هـ.
٣٢) الشاطري، محمد أحمد، أدوار التاريخ الحضرمي، مكتبة المهاجر، جدة، ط٣، ١٩٥٤م.
٣٣) الشاطري، محمد أحمد، محاضرة تاريخية: علماء حضرموت والسياسة، ألقيت بدار جمعية الأخوة والمعاونة، تريم، ١٣٦٢هـ.
٣٤) الشاطري، محمد أحمد، دراسة مختصرة شاملة عن الهجرة التي يقوم بها أبناء اليمن الجنوبي وفي مقدمتهم الحضارم من أقدم العصور إلى اليوم، تريم، ١٩٧٠م، كتبت الدراسة بناء على طلب من حكومة اليمن الديمقراطية سابقًا لتقدم لمؤتمر المغتربين.
٣٥) الشرجي، أبي العباس أحمد بن أحمد عبد الرحمن عبد اللطيف (ت٨٩٣هـ)، طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، المناهل للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦م.
٣٦) المشرقي، رياض علي سعيد، التعليم في اليمن في عصر الدولة الطاهرية (٨٥٨-٩٢٣هـ/ ١٤٥٤-١٥١٩م)، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤م.
٣٧) الشلي، محمد بن أبي بكر، السناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر،

تح: إبراهيم بن أحمد المقحفي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
٣٨) شنبل، أحمد عبد الله (ت٩٢٠هـ/ ١٥١٤م)، تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تح: عبدالله الحبشي، ط١، ١٩٩٤م.
٣٩) العامري، عبدالكريم صالح عبد الله، السلطان بدر بن عبد الله بن جعفر الكثيري (٩٠٢-٩٧٧هـ/ ١٤٩٦-١٥٦٩م)، تريم للدراسات والنشر، ٢٠٠٦م.
٤٠) عبد النور، محمد يسلم، الحياة العلمية في حضرموت في القرن السابع والثامن للهجرة الثالث عشر للميلاد والرابع عشر للميلاد، وزارة الثقافة، صنعاء.
٤١) عمارة اليمني، (ت٥٦٩هـ/ ١١٧٤م)، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، شعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، تح: محمد بن علي الأكوع، مطبعة السعادة، القاهرة، ط٢، ١٩٧٦م.
٤٢) العيدروس، محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله، تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر.
٤٣) مجاهد، فاروق أحمد حيدر، التعليم في اليمن في عهد دولة بني رسول خلال القرنين التاسع والثامن الهجريين، جامعة صنعاء، صنعاء، ٢٠٠٤م.
٤٤) المقدسي، محمد بن أحمد، (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار إحياء التراث العربي، ط١٩٨٧م.
٤٥) الملاحي، عبدالرحمن عبد الكريم، مدينة الشحر بوابة حضرموت الجنوبية التاريخية في القرنين الثامن والتاسع من الهجرة، ٢٠٠٤م.

المجاورون الحضارم في الحرمين الشريفين ودورهم في الحياة العلمية من القرن السابع حتى القرن التاسع الهجري

د. خالد حسن الجوهي

كلية التربية - المهرة/ جامعة حضرموت

الملخص:

لقد كان الحجاز جاذبًا للحضارم لوجود الحرمين الشريفين كونهما مركزي إشعاع فكري وحضاري وقبلة لطلاب العلم من أنحاء العالم العربي والإسلامي، كما إن للحرمين الشريفين جاذبية خاصة لدى الحضارم، فيها يتذوقون طعم الحياة وتسمح لهم بتبادل الأفكار والآراء، وينالون من بركتهما وقدسيتهما خيرًا كثيرًا.

يتناول هذا البحث ظاهرة حركة المجاورة في الحرمين الشريفين، حيث أن هذا النشاط يُعتبر أحد أبرز المظاهر العلمية لتلك الفترة، نتج عنه حراك ثقافي وعلمي استفادت منه المنطقتين حضرموت والحجاز، ففيه يتم تلقي العلوم وتبادل الإجازات العلمية والمناقشات العلمية الجادة. وقد حمل البحث عنوان (المجاورون الحضارم في الحرمين الشريفين ودورهم في الحياة العلمية من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجري) حاولنا من خلاله تقصي الشخصيات التي جاورت في الحرمين في تلك الفترة ومدى تفاعلهم مع محيطهم العلمي هناك.

حيث شهدت حركة المجاورة في الحرمين نشاطًا كبيرًا من قبل الحضارم في مختلف المراحل التاريخية، وفي الفترة التي هي مجال هذا البحث وهي من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجري. حيث التقى العلماء الحضارم هناك بإخوانهم من مختلف الدول الإسلامية وتبادل الطرفان المعارف والعلوم والإجازات العلمية. وساهموا مع الآخرين في تطور الحركة العلمية من خلال الدروس التي تلقى في المؤسسات والمراكز العلمية في الحرمين الشريفين.

المقدمة

تختلف هجرة الحضارم إلى الحجاز عن غيرها من الهجرات للبلدان الأخرى، فالحجاز بلد عربي توجد فيه الأماكن المقدسة مكة المكرمة والمدينة المنورة، لذا فقد شارك الحضارم في بناء المجتمع الحجازي منذ وقت مبكر، وأصبحوا جزءًا أساسيًا من نسيجه الاجتماعي، إذ مارسوا مختلف الأعمال و تقلدوا الوظائف العليا الدينية منها والدنيوية(١).

فاتصال الحضارم بالحجاز كان منذ عهد الفتوح الإسلامية، وظل مستمرًا إلى يومنا هذا لأهداف دينية وعلمية واقتصادية، فقد وجد الحضرمي ضالته في الحجاز فهو المركز الذي لا يُمل الاغتراف من مناهله العلمية، كون الحرمين الشريفين من أكبر مراكز الإشعاع العلمي والفكري في العالم الإسلامي؛ ولهذا برع عدد كبير منهم في علوم الشريعة الإسلامية وأصبحوا يتبؤون مراتب عليا في مجال الإفتاء والتدريس والإمامة والخطابة في الحرمين الشريفين والمجاورة فيهما.

كما أن الحضارم قد حققوا نجاحات كبيرة في المجال التجاري وكانوا يمسكون بمقاليد التجارة في الحجاز، وأصبحوا منافسين أقوياء لإخوانهم الهنود الذين كانت لهم سيطرة على الحياة التجارية في بعض مدن الحجاز، وقد "عُرف عن الحضارمة الجد والمثابرة والصبر، فنجدهم يبدؤون حياتهم المهنية في الأعمال المنزلية والبدنية، أو العمل عند أصحاب المحلات التجارية، حيث كانوا يتقنون المهارة في التأقلم على البيئة المحلية، ثم يتدرجون إلى أن يصبحوا أصحاب محلات تعمل لحسابهم الخاص"(٢).

لذا لم يكن ذوو الأصول الحضرمية في مجتمع الحجاز فئة خاملة الذكر غير مؤثرة في محيطها، بل كان على العكس من ذلك إذ كانت لهم علاقات مميزة مع أركان الحكم والزعامات الدينية والسياسية في الحجاز، كما كانت لهم مراسلات تكاد لا تنقطع مع السلاطين العثمانيين وأمراء مكة المكرمة ومن الطبيعي أن هذه العلاقة "لم تكن دائمًا بصورة

---

(١) جعفر محمد السقاف، المغتربون اليمنيون الحضارم، بحث ضمن سلسلة كتاب الثوابت –العدد ١٥– الآفاق للطباعة والنشر، صنعاء، ط١، مايو ١٩٩٩م، ص ٦٦١.

(٢) ك. سنوك. هورخرونية، صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ترجمة: علي عودة الشيوخ، صياغة وتعليق: محمد محمود السرياني، ومعراج نواب مرزا، مركز تاريخ مكة المكرمة، ١٤٣٢هـ، ج٢، ص ٣٤٣.

حسنة بل شابها في بعض المراحل التاريخية حالات من التوتر والصراع "(١).

تميزت الهجرة الحضرمية إلى الحجاز عن غيرها من الهجرات الأخرى بالآتي:

- يغلب عليها الطابع الديني ففي الحجاز يوجد الحرمان الشريفان، والحضارم مثل غيرهم من الشعوب الإسلامية الأخرى تهوي أفئدتهم إلى هذه الأماكن حبًا في التقرب إلى الله ومجاورة بيته الحرام، وتلقي العلم مع استفادتهم في مجال التجارة، كون مكة المكرمة سوقًا تجاريًا كبيرًا.
- الهجرة الحضرمية إلى الحجاز لها جذور تاريخية قديمة تعود إلى ما قبل الإسلام، وبالتالي أصبح لهم موضع قدم منذ زمن طويل، عكس الهجرات الأخرى والتي بدأت في فترات زمنية متأخرة.
- قرب الحجاز من موطنهم حضرموت، ويشعرون بأنهم في وطنهم الأم وبين أهلهم وذويهم، لكثرة من فيه من الحضارم الذين سبقوهم إليه، وبالتالي وجدوا من يهتم بهم ومهد لهم سبل العيش والإقامة، عكس البلدان الأخرى البعيدة عن أوطانهم.
- الحجاز وحضرموت بلدان عربيان متجاوران، تربطهما وحدة الدين واللغة والعادات والتقاليد، وبالتالي لم يجد الحضارم صعوبة في الانصهار داخل المجتمع الحجازي، حيث أصبحوا جزءًا من نسيجه الاجتماعي.
- لم يُنشئ الحضارم في الحجاز أنظمة حكم سياسية مستقلة، عكس ما هو موجود في البلدان الأخرى التي هاجروا إليها مثل شرق أفريقيا وأندونيسيا وماليزيا، حيث أسسوا حكومات ودويلات يرأسها السادة العلويون الحضارم. ومع ذلك "فقد شكل الحضارم في الحجاز مع غيرهم من الجاليات في شرق آسيا وشرق أفريقيا شبكات معرفية وفكرية غاية في الأهمية والتأثير"(٢).

شهدت حركة المجاورة في الحرمين نشاطًا كبيرًا من قبل الحضارم في مختلف المراحل التاريخية. حيث التقى العلماء الحضارم هناك بإخوانهم من مختلف الدول الإسلامية وتبادل

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بن حسين المشهور، شمس الظهيرة، تحقيق: محمد ضياء شهاب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٩٨٤م، ج١، ص ١٤٧.

(٢) أبو بكر أحمد باقادر، بعض إسهامات الحضارمة في الثقافة العربية، مجلة المسار، السنة التاسعة، العدد الخامس والعشرون، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م، ص ٤-٥.

الطرفان المعارف والعلوم والإجازات العلمية، وساهموا مع الآخرين من علماء العالم الإسلامي في إنعاش الحياة العلمية في الحرمين من خلال الدروس التي تلقى في المؤسسات والمراكز العلمية في الحرمين الشريفين.

مشكلة البحث وأهميته:

يتناول البحث بالدراسة حركة المجاورة في الحرمين الشريفين من قبل الحضارم من القرن السابع حتى القرن التاسع الهجري، ويهدف إلى معرفة الدور الذي قام به الحضارم أثناء مجاورتهم في الحرمين الشريفين والأنشطة العلمية التي مارسوها، كما يهدف إلى تقصي لأهم الشخصيات التي جاورت في تلك الفترة، وعمل ترجمات لها تساعد الباحثين مستقبلًا في دراسة هذه الظاهرة.

المجاورة في الحرمين الشريفين

"المجاورة تعني البقاء في مكة المكرمة أو المدينة المنورة، حيث يباشر المجاور حياته اليومية العادية دون مانع، وينتهي بخروجه منهما طالت المدة أم قصرت أو وفاتهم فيهما، كما أن المجاورة يُراد بها المقام مطلقًا غير ملتزم بشرائط الاعتكاف الشرعي"[١].

لقد حرص كثير من علماء المسلمين على المجاورة في الحرمين الشريفين لتوفر الجو العلمي بهما، حيث يتم الالتقاء بين علماء المشرق والمغرب متعددي الثقافات والمذاهب، وكان هذا اللقاء بمثابة فرصة لنشر علومهم وإبراز معارفهم، مما أوجد وحدة ثقافية ومعرفية بين أطراف العالم الإسلامي[٢].

و كان المجاورون على درجة كبيرة من النشاط العلمي الذي أفاد منه المسلمون سواء في أرض الحرمين أو الذين يأتون للحج أو الزيارة، وتمثل هذا النشاط في نتاجهم العلمي في مختلف الفنون والعلوم [٣].

---

(١) منى حسن آل مشاري، المجاورون في مكة والمدينة في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م. ص ٣٣.

(٢) خالد محسن الجابري، الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، ٢٠٠٥م، ص ١٤٦.

(٣) آل مشاري، المجاورون في مكة والمدينة، ص ١٣١.

"وقد مارس المجاورون نشاطهم العلمي في عدد من المراكز:

أ- المسجد: حيث نشطوا في إقامة العديد من الحلقات العلمية في الحرمين الشريفين.

ب- الأربطة: وهي التي كانت سكنًا لمعظم المجاورين في الحرمين، فتهيأت لهم الفرصة لعقد مجالسهم العلمية التي يتدارسون فيها، ويُجيز بعضهم بعضًا.

ج - المدارس: إذ مارسوا التدريس بها أثناء مجاورتهم بالحرمين الشريفين.

دور المجاورون الحضارم في إنعاش الحياة العلمية في الحرمين الشريفين

لقد ساهم الحضارمة -شأنهم شأن غيرهم من الجنسيات الأخرى التي اتخذت الحجاز وطنًا لها، أوجاورت في الحرمين الشريفين- في إنعاش الحياة العلمية، وقد تمثل هذا الدور من خلال المشاركة في المؤسسات والمراكز العلمية المختلفة في الحرمين وهي على النحو الآتي:

حلقات الدرس في الحرمين الشريفين

لعب المسجد الحرام والمسجد النبوي دورًا كبيرًا في نهضة العلم والتعليم، ليس في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فحسب، بل في عهد الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم وحتى العصور المتأخرة.

"ولقد كان كثير من العلماء يرون التدريس بالمسجد الحرام أو المسجد النبوي أفضل من التدريس في المدارس وأجزل نفعًا وأعظم أجرًا، كما أن التدريس في المساجد لا يحتاج إلى أمر تعيين أو تكليف لمن يقوم به، وإنما هو عمل اختياري عكس التدريس في المدارس، فالمساجد مفتوحة أمام كل طالب علم وما عليه إلا الانضمام إلى إحدى الحلقات المنتشرة في المسجد"[١].

هذا بالنسبة للعلماء غير المعتمدين للتدريس "أما المعتمدون للتدريس والذين يتلقون رواتب تأتي مع الصرة فإنه كان لا يسمح لهم بالتدريس حتى يحصلوا على إذن بعد أن يجتاز الامتحان الذي يحضره كبار العلماء، حيث يحدد شيخ العلماء موعدًا في الحرم بعد

---

(١) الجابري، الحياة العلمية في الحجاز، ص ٣٣٠.

صلاة الظهر أو العصر، ويتولى شيخ العلماء أو نائبه مع عدد من العلماء الآخرين امتحانه، فيجلسونه على رأس حلقة دائرية يتم من خلالها معرفة مدى إلمامه بعلوم اللغة العربية والفقه وبقية العلوم الشرعية"[١].

" تُعقد أماكن التدريس في المسجد الحرام في أروقته وعند المقامات الأربع، وعند مقام إبراهيم، وحجر إسماعيل، وعند الأبواب الرئيسة للبيت الحرام، وصحن المسجد الحرام، أما المسجد النبوي فتُعقد عند أبواب المسجد، وفي الروضة الشريفة، وخلف الأعمدة، وداخل الأروقة، وفي الحجرة النبوية، وعند المنبر"[٢].

أما أوقات التدريس في المسجد الحرام والمسجد النبوي فقد كان العلماء هم الذين يختارون الوقت المناسب بحيث لا يصطدم مع جداولهم الدراسية إذا كان مرتبطًا بدروس في المدارس[٣]. وكانت الدراسة تتوقف في الأعياد والمناسبات مثل عيد الفطر والأضحى.[٤]

يتجلى نشاط العلماء الحضارمة الذين جاوروا بالحرمين الشريفين من خلال عقد حلقاتهم العلمية في حلقات الدرس في الحرمين الشريفين، حيث ساهمت هذه الحلقات في ازدهار الحركة العلمية، فقد حظي المذهب الشافعي بالكثير من حلقات التدريس بسببالانتشار الواسع لهذا المذهب، مما جعل حظ العلماء الشافعية أكبر في تولي منصب شيخ العلماء في العصور المتأخرة بعد استحداثه في القرن الثالث عشر الهجري[٥]، و لهذا كان العلماء

---

(١) محمد علي بيومي، دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز إبان العصر العثماني، دار القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٦م، ص ٢٥٢.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٥٤.

(٣) الجابري، الحياة العلمية في الحجاز، ص ٣٣١.

(٤) محمد أمحزون، المدينة المنورة في رحلة العياشي، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، ص ٢٠٩.

(٥) هورخرونيه، صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ج٢، ص ٥٣٩، اُستحدث منصب شيخ العلماء سنة (١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م) في عهد الشريف محمد بن عبد المعين بن عون (١٢٤٣هـ - ١٢٦٧ه) إذ أقام الشيخ عبدالله سراج (ت ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٧م) رئيسًا لعلماء مكة، وهو منصب يُناط به تنظيم التدريس بالمسجد الحرام، من جهة الرأي في تعيينهم، أو توزيع الأُعطيات على المدرسين والطلبة ورئاسة لجنة امتحان المتقدمين لطلب التدريس بالحرم، إضافة إلى اضطلاعه بالتدريس، كما كان شيخ العلماء محل استشارة الدولة، وغالبًا ما يقوم بالإفتاء وإصدار الفتاوى التي يوقع

الحضارمة لهم النصيب الأوفر من مجموع العلماء الذين تبوؤا مراتب علمية كبرى كالإفتاء، ومشيخة العلماء، والإمامة، والخطابة، والتدريس في حلقات الدرس بالحرمين.

الأربطة:

لعبت الأربطة دورًا في إنعاش الحياة العلمية، "فقد كانت ملتقى للعلماء والطلبة تلقى فيها الدروس العلمية، حيث لم يكتف بعض العلماء بالتدريس في المسجد الحرام أو في منازلهم، بل منهم من يكون له مكان أو خلوة في أحد الأربطة أو الزوايا الموجودة في مكة أو المدينة، حيث يستغل العالم وقت فراغه من الدروس في المسجد فيعقد دروسًا إضافية يحضرها كثير من طلبه العلم، وكانت الكثير من الأربطة مُعدة لسكن الجماعات الفقيرة، وقد يسكنها عدد من العلماء المجاورين وطلاب العلم"(١).

لقد اهتم بعض واقفي الأربطة "بتوفير جو ومناخ مناسبين لنزلاء الأربطة، فجعلوها مقتصرة على العلماء وطلبة العلم، وهكذا ساهم الواقفون في الحركة العلمية، فكان لهذه الأربطة الأثر الجميل في تشجيع العلم، والإسهام الإيجابي في توفير سبل الحياة بعيدًا عن الانشغال بمتطلبات المعيشة"(٢).

ومن أشهر هذه الأربطة الرباط الموجود بمكة المكرمة "ويسمى برباط ربيع أو رباط الحضارمة لنزولهم فيه، وتوليهم النظارة عليه، وهو موجود منذ القرن السادس الهجري وكان الناظر عليه الشيخ محمد عبدالرحمن باشيخ"(٣) وهناك العديد من هذه الأربطة كانت موجودة منذ القرن الخامس الهجري في مكة المكرمة مثل رباط السدرة،

= عليها بعده كبار العلماء، ثم صار شيخ العلماء تعينه الحكومة العثمانية، وغالبًا ما يكون من رجال الإفتاء على المذهب الشافعي، وصار يُشرف على جميع أمور المسجد الحرام وإصدار الفتاوى وحل النزاعات بين العلماء في بعض القضايا العلمية (آمال صديق رمضان، الحياة العلمية في مكة المكرمة ١١١٥-١٣٣٤هـ/ ١٧٠٣- ١٩١٦م، مركز تاريخ مكة المكرمة، ط١، ١٤٣٢هـ، ج٢، ص ٤٩١).

(١) فاطمة بنت عبدالله الشهري، الحياة العلمية في مكة المكرمة (١٢٥٦- ١٣٣٤هـ/ ١٨٤٠- ١٩١٦م) رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، الرياض، ٢٠٠٠م، ص ٢٢٥.

(٢) حسين عبد العزيز شافعي، الأربطة في مكة المكرمة دراسة تاريخية حضارية، مراجعة: عباس صالح شكندي، مؤسسة الفرقان، مكة المكرمة، ٢٠٠٥م.، ص ٢٤٢.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٧.

كان موقوفًا سنة ٤٠٠ هـ وإلى جانبه رباط المراغي ويُعرف برباط القيلاني، ومن الأربطة كذلك رباط أم الخليفة الناصر العباسي المعروف برباط العطيفية تم إعماره سنة ٥٧٩هـ، ورباط الحافظ بن منده الأصفهاني، ورباط الميانشي في شارع السويقة، ورباط القزويني على باب السدرة خارج المسجد الحرام، ورباط الزنجيلي مقابل مدرسته عند باب العمرة، [١] وغيرها فهناك العشرات منها لايسع ذكرها، وفي المدينة المنورة رباط دكالة ويقال له رباط المغاربة، ورباط الفاضل، ورباط الأصفهاني، ورباط مراغة، ورباط الشيرازي، ورباط السبيل، ورباط البغدادي، ورباط الجبرتي وغيرها من الأربطة وهي كثيرة في فترة الدراسة[٢].

المدارس:

تسابق السلاطين المماليك والعثمانيون والأمراء والمقتدرون من العلماء وغيرهم في إنشاء المدارس، فتعددت وزادت العناية بها، والمدرسة هي بناء مجهز لسكن المعلمين والدارسين للعلم الشرعي، ومعظم هذه المدارس يتم الإنفاق عليها من عائدات الأوقاف ويُرصد ريعها لدفع رواتب القائمين عليها من طلبة ومدرسين[٣].

ومن أشهر المدارس في مكة المكرمة المدرسة الأشرفية التي أنشأها السلطان الأشرف قايتباي المملوكي سنة (٨٨٤هـ/ ١٤٧٨م) واستمرت في أدائها فيما بعد، وأيضًا المدرسة الباسطية التي أُنشئت عام ٨٢٦هـ/ ١٤٢٣م والمدرسة الجمالية [٤]، والمدرسة المرادية التي بناها السلطان مراد الثالث وعُرفت باسمه[٥]، ومدرسة محمد باشا التي قام بالتدريس

(١) تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد حامد الفقي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٦م، ج١، ص١١٨- ١٢٣.

(٢) ولمعرفة المزيد راجع: أبي محمد عبد الله بن محمد بن فرحون، نصيحة المشاور وتسلية المجاور، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ٢٠٠٦م، أيضًا، عبدالرحمن المديرس، المدينة المنورة في العصر المملوكي (٦٤٨- ٩٢٣هـ) مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ٢٠٠١م. وحمد الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة المنورة، منشورات دار اليمامة، الرياض (د.ت).

(٣) هورخرونيه، صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ج١، ص ٩١.

(٤) جار الله ابن فهد، نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، مؤسسة الفرقان، مكة المكرمة، ط١، ٢٠٠٠م، ج١، ص ١٧٨.

(٥) عبدالملك العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، المكتبة السلفية، القاهرة (د.ت)، ج٤، ص ١٠.

فيها عبد الرحمن المرشدي[١]وتقع في سويقة بجوار باب الزيادة، وصدر أمر في عام (١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م) بترميم المدرسة وإعمارها[٢].

أما مدارس المدينة المنورة "فمن أشهرها مدرسة السلطان قايتباي التي أنشأها مع مدارسه في مكة المكرمة، وهي على شكل القاعة بأربعة أواوين كلها بالحجارة المنحوتة الملونة، وفيها خلوات للطلبة"[٣]، ومن المدارس أيضًا المدرسة السنجارية وهي دار سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، يتعلم فيها أهل المدينة والوافدين إليها(٦).

الزوايا:

هي في الأصل "مقر لأحد الشيوخ، يستقبل فيه طلابه ومريديه، وقد شاعت هذه الزوايا في الحجاز، بسبب قدوم عدد من شيوخ الطرق الصوفية إليها وإقامتهم فيها، أو قدوم بعض أتباع تلك الطرق، وكان بعضهم يسمي باسم شيخ الطريقة نفسه، وقد كان المترددون عليها يقيمون الطقوس المقررة في طريقتهم، ويستمعون إلى دروس مختلفة يلقيها شيوخهم، ويقرؤون في الكتب التي ألفها شيوخهم الأوائل، وفي الغالب لكل زاوية مكتبة تحوي بعضًا من الكتب الدينية وبعض كتب التصوف"[٤]، وكان كثيرًا ما ينفق الشيخ على زاويته من موارده الخاصة، أو من وقف إذا كانت الزاوية لها أوقاف[٥]. ومن هذه الزوايا في الحرمين زاوية العيدروس وزاوية السيد الحداد في منطقة أجياد في مكة المكرمة، وفي المدينة المنورة هناك زاوية السقاف وهو(محمد بن علوي بن محمد السقاف) بنى زاويته بالمدينة المنورة وأوقف عليها حديقة ببئر بضاعة(٣)، ومنها الزاوية الجنيدية نسبة إلى الشيخ محمد ابن أحمد الجنيد (ت ٩٩١هـ)، وقد بنى زاويته في مكان المدرسة الشهابية، الموضوعة لأهل المذاهب الأربعة وهي دار سيدنا أبي أيوب الأنصاري، حيث استأذن المذكور في إقامة الذكر

---

(١) محمد المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت (د.ت)، ج٣، ص ٣٦٩

(٢) آمال صديق، الحياة العلمية في مكة المكرمة، ج١، ص ٣٤١.

(٣) محمد علي بيومي، دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز إبان العصر العثماني، دار القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٦م، ص ٢١٧.

(٤) سحر بنت عبدالرحمن الصديقي، أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ط١، ٢٠٠٣م، ص ١٢٢ - ١٢٣.

(٥) الصديقي، أثر الوقف، ص ١٢٥.

بها بعد تعطل الدراسة، فتصدر لإقامة الذكر وتربية المريدين، وسميت بالزاوية الجنيدية وهي في أيدي أولاده بعد وفاة والدهم[1]. ومن زوايا المدينة المنورة زاوية أبي بكر العيدروس العدني، في حارة الأغوات[2] و زاوية المحضار، في باب قباء[3].

ومن أشهر المجاورين الحضارم في الحرمين الشريفين من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجري

لقد جاء عدد كبير من الحضارم إلى الحجاز للمجاورة في الحرمين الشريفين، وتختلف سنوات مكثهم بها بحسب إمكانية كل واحد منهم، وقد شاركوا إخوانهم المسلمين الآخرين في إثراء الحياة العلمية في الحرمين.

ومنهم سالم بن بصري بن عبدالله بن أحمد بن عيسى المهاجر (ت: ٦١١هـ)

ولد بتريم، حفظ القرآن، واشتغل بطلب العلوم، أخذ التفسير والحديث والفقه والعربية والأصول عن جماعة من علماء حضرموت منهم: الشيخ سالم بن فضل بافضل، والسيد الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي، وابن أبي الحب، والشيخ علي بامروان، والقاضي أحمد بن عيسى، والشيخ علي بن محمد الخطيب، رحل إلى الحرمين وأخذ بهما عن علماءكثيرين وأذن له غير واحد من مشائخه بالإفتاء والتدريس، ودرس في الحرمين في عدة مجالس، ثم رجع إلى تريم لنشر العلوم حتى وفاته[4].

ومنهم الإمام عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عبيد (ت:٦١٣هـ)

سافر إلى الحج، وحضر مجالس العلم التي كان يحضرها عدد كبير من زوار ومجاوري الحرم المكي الشريف، وكان له حضوره الواضح في هذه الحلقات، وقصته مع إمام الحرمين

(١) عبدالرحمن الأنصاري، تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، تحقيق: محمد العروسي المطوي، المكتبة العتيقة، تونس، ط١، ١٩٧٠م، ص ١٥٨-١٥٩.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٤٣.

(٣) ناجي محمد حسين الأنصاري، التعليم في المدينة المنورة من العام الهجري الأول إلى عام ١٤١٢هـ، ط١، ١٩٩٣م، ص ٣٣١.

(٤) محمد بن أبي بكر الشلي، المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل باعلوي، المطبعة العامرية الشرفية، ط١، ١٣١٩هـ، ج١، ص١١١. شمس الظهيرة -التعليقات- ص٦٢.

آنذاك مشهورة، حيث تشير الروايات أنه ارتحل إلى مكة حاجًا متنكرًا في زي الفقراء، وحضر حلقة الدرس لإمام الحرمين وفي الحلقة عدد من كبار العلماء، فألقى عليهم إمام الحرمين مسألة غامضة، فلم يستطع أحد الإجابة عليها، وحينها أجاب الشيخ أبو عبيد إجابة شافية، فكان محل إعجاب الجميع[١].

عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن علي جديد بن عبيد الله(ت٦١٤هـ):

ولد بتريم ونشأ بها، وطلب العلوم من صغره واشتغل هو وأخوه الإمام علي على فقهاء عصرهما، ارتحلا إلى الحرمين لطلب العلم، وسمعا من خلق كثير[٢]

السيد علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن جديد(ت: ٦٢٠هـ):

كان عالمًا موسوعيًا، ويعُتبر إمامًا في علوم التفسير والحديث، كثر تردده للحرمين، حيث أخذ العلم عن علماء مكة المكرمة منهم إمام الحرمين محمد بن إسماعيل بن أبي الصيف اليمني، وكان حافظًا ثقة ليس له نظير في اليمن في معرفة الحديث، وفي آخر رحلة له إلى مكة أقام بها إلى أن توفي بها سنة ٦٢٠هـ[٣].

ومنهم علوي بن الفقيه المقدم(ت: ٦٦٩هـ):

ولد بتريم وتلقى العلم عن علمائها، ومن شيوخه والده، والشيخ عبد الله بن محمد باعباد وأخيه عبد الرحمن، ثم رحل إلى الحرمين، وفي مكة المكرمة تصدق على فقراء رباط السدرة، وكان مدة إقامته بمكة يكثر من الاعتمار والطواف والصلاة، وأخذ عن جماعة من المجتهدين، ثم قصد المدينة المنورة، وتخرج عليه خلق كثير. كان ملجأ لكل قاصد، وعونًا لكل ملهوف.[٤]

عبدالله بن علوي بن الفقيه المقدم بن محمد بن علي(ت:٧٣١هـ):

ولد سنة ٦٣٨هـ وقيل سنة ٦٤٠هـ، نشأ في بيت علم وفضل، أخذ عن أساطين العلم

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، دار المهاجر للنشر، ط٣، ١٩٩٤م، ج١، ص١٨٩.

(٢) الشلي، المشرع، ج٢، ص٢٠١-٢٠٢.

(٣) أحمد بن زين بن علوي الحبشي، شرح العينية نظم عبدالله بن علوي الحداد باعلوي، دار العلوم الإسلامية الحديثة للطباعة والنشر، سورابايا، ط٢، ٢٠٠٤م، ص١٤٠-١٤١. الفاسي، العقد الثمين، ج٦، ص٢٥٠.

(٤) الشلي، المشرع، ج٢، ص٢١١-٢١٥. المشهور، شمس الظهيرة -التعليقات- ج١، ص٨١.

منهم جده الفقيه المقدم، والإمام أحمد بن عبد الرحمن بن علوي بن محمد صاحب مرباط وغيرهم. برع في مختلف العلوم وتبحر فيها، رحل إلى أحور واليمن والحرمين سنة ٦٧٠هـ، أقام بالمدينة المنورة، وجاور بمكة المكرمة ثمان سنين، وكانت له علاقات ومصاحبة بعلماء مكة ومشائخها وفضلائها، أخذ العلم عن أكابر علماء الحجاز، وأجازوه في الإفتاء والتدريس، كما أخذ عنه العلم جماعة من أهل الحرمين والمجاورون، وكان يتردد بين مكة والمدينة طلبًا للعلم مستقرئًا للعلماء ومباحثًا لهم.(١)

ومن المجاورين محمد بن عبد الله بن علوي بن الفقيه المقدم (ت:٧٤٣هـ)

ولد بتريم وتلقى عن علماء عصره، أخذ عن والده، وعن السيد أحمد بن عبد الرحمن بن علوي بن محمد صاحب مرباط، وعن الشيخ عبد الرحمن بن علي الخطيب، جاور بالحرمين مكة والمدينة، وأخذ العلم عن علمائها.(٢)

السيد محمد (المشهور بصاحب العمائم) بن علوي بن أحمد بن الفقيه المقدم (ت:٧٦٧هـ)

ولد بتريم، وحفظ القرآن، والتنبيه، وأكثر المهذب، كان نابغة في علوم عدة، تلقى علومه عن السيد عبد الله باعلوي، وعن عبدالله بن فضل، أخذ علوم الطب والفلك والحساب عن الشيخ سعد الفقيه بن عمر بافضل، جاور بالحرمين، وأخذ عن علمائها والوافدين إليها.(٣)

عبدالرحمن بن سعد الحضرمي ويُعرف بابن (النقيب) (ت:٨١٢هـ)

التاجر نزيل الحرمين، قدم مكة في الخمسينيات من القرن الثامن الهجري وجاور بها، اشترى بها أملاكًا، ثم انتقل إلى المدينة المنورة بعد حجه سنة ٧٨٨هـ، واستقر بها حتى وفاته، دفن بالبقيع وقد بلغ الستين من العمر(٤).

---

(١) الحبشي، شرح العينية ص١٧٧، الشلي، المشرع، ج٢، ص١٨٥-١٨٦. شمس الظهيرة- التعليقات- ج١، ص٣٣٥.

(٢) الشلي، المشرع، ج١، ص١٨٦. المشهور، شمس الظهيرة- التعليقات- ج١، ص٣٤٨.

(٣) الشلي، المشرع، ج١، ص١٩٠-١٩١. المشهور، شمس الظهيرة، ج١، ص٣٧٥.

(٤) شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ج٣، ص١٥.الفاسي، العقد الثمين، ج٥، ص٣٥٥-٣٥٦. شمس الدين السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، عني بطبعه ونشره: أسعد طرابزوني، ج٢، ١٩٧٩م، ص٤٩٢-٤٩٣.

أحمد بن يوسف بن عبد الرحمن بن الشيخ إسماعيل بن محمد الحضرمي (ت: ٨١٩هـ)

قال عنه الفاسي "نزيل مكة كان يذكر بصلاح وخير وإيثار، وللناس فيه اعتقاد، سيما العامة كانوا يفرطون في اعتقادهم، ولما مات عظم الازدحام جدًا على حمل نعشه، ولم أر مثل ذلك بمكة، وكان يتردد إلى مكة من بلاده للحج والزيارة، ثم انقطع بمكة نحو اثنتي عشرة سنة، وكان في خلال إقامته بمكة يزور المدينة النبوية"(١).

عبد الكبير بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن حميد الأنصاري (ت:٨٦٩هـ)

ترجم له السخاوي قائلًا:" الحضرمي اليماني نزيل مكة، ولد بحضرموت ونشأ بها، ولقي جماعة كآل باعلوي عبدالرحمن الشريف، وأبي بكر وعمر وأبي حسن، وكعبد الرحيم وأحمد بن عبد الرحمن آل باوزير، ساح في البراري والقفار نحوًا من عشرين سنة، اجتمع بحرض الميدومي، وباللحية بأبي بكر بن موسى الزيلعي، وبزبيد بصديق بن إسماعيل الجبرتي، حج سنة ٨٢١هـ، ثم عاد لبلده، وقدم مكة سنة ٨٤٩هـ حاجًّا، ثم حج سنة ٨٥٩هـ"(٢)، كانت له وجاهة عند أمير مكة المكرمة.

عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن سالم بن محمد بن بريك

ولد بحضرموت، سنة ٨١١هـ، متصوف، وفي بلاده حضرموت لهم فيه اعتقاد، قدم مكة مجاورًا، سنة ٨٣٩هـ.(٣)

عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد باعلوي (صاحب الشبيكة ت:٨٨٦هـ):

حفظ القرآن الكريم، وكان يقوم به في الليل في تدبر وخشوع، رحل لطلب العلم فقرأ التنبيه والمنهاج والحاوي في الفقه، واشتغل بالفقه والنحو والصرف ببلده الشحر، قدم مكة وجاور بها نحوًا من أربعين سنة، وأخذ عنه بها كثيرون، يميل إلى الانقطاع والخلوة والنظر في كلام الصوفية، توجه للحج سنة ٨٢١هـ فحج وجاور، ثم زار المدينة المنورة في السنة التي تليها ورجع إلى مكة، ثم زار مرة أخرى سنة ٨٤٦هـ، أصيب بوجع في رجليه ثم توفي.(٤)

---

(١) الفاسي، العقد الثمين، ج٣، ص١٩٤-١٩٥.

(٢) الفاسي العقد الثمين، ج٤، ص٣٠٥

(٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص٥٢.

(٤) الشلي، المشرع، ج٢، ص٢٠١. السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص٥٩. عبد الله بن عبد الرحمن المعلمي، أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر، مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، ط١، ٢٠٠٠م، ج١، ص٥٥٦.

ومن المجاورين أيضًا محمد بن عبد الرحمن محمد باصهي الشبامي الكندي:

قدم مكة سنة ٨٩٣هـ أخذ عن الحافظ السخاوي وقرأ عليه أربعين النووي وكتب الابتهاج، وأخذ عن علماء حضرموت منهم عبد الله بافضل أخذ عنه الفقه، أخذ عن الشيخ محمد بن أحمد باجرفيل، خلف والده في الفتيا والصلح، أجازه الحافظ السخاوي بالمراسلة[١].

علي بن أبي بكر بن الشيخ عبد الرحمن السقاف (ت:٨٩٥هـ)

ولد بتريم سنة ٨١٨هـ، حفظ القرآن مجودًا عن قراءة الشيخين أبي عمرو ونافع، حفظ الحاوي الصغير للقزويني في الفقه، والحاوي في النحو وعدة متون، أخذ عن عمه عمر المحضار، ولازم أخاه عبدالله العيدروس، وأخذ عن الشيخ سعد بن علي، وعن الشيخ محمد بن علي صاحب عيديد، وأخذ الفقه والحديث والعربية عن الشيخ الفقيه أحمد بن محمد بافضل، رحل إلى الحرمين وحج حجة الإسلام واعتمر وذلك سنة ٨٤٩هـ، سكن برباط ربيع بأجياد، وأخذ عن كثير من علماء مكة، ثم رحل إلى طيبة وأخذ عن علماء الحرم النبوي الشريف، توفي بتريم سنة ٨٩٥هـ[٢].

عمر بن علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف (ت:٨٩٩هـ)

ولد بتريم، حفظ القرآن وتربى تحت حجر أبيه ولازمه، وأقاما بالحرمين، وأخذا عن غالب علمائها المشهورين[٣].

كما يوجد عدد من المجاورين عاصروا فترة القرن التاسع وتوفوا في بدايات القرن العاشر، وكانت مجاورتهم في القرن التاسع الهجري ومنهم:

عبد الرحمن بن عبد الله بن علوي (مولى خيلة ت: ٩١٤هـ):

العالم اللبيب كثير الذكاء، ولد بتريم وأخذ عن علمائها، عني بعلم الحديث، كان تقيًا صالحًا، رحل إلى الحرمين، جاور بمكة مرتين، في المرة الثانية جاور فيها سبع سنين، فتلقى العلم عن علمائها.[٤]

(١) السخاوي، الضوء اللامع، ج٨، ص٣٧.
(٢) الشلي، المشرع، ج٢، ص٢١٥-٢١٨.
(٣) الشلي، المشرع، ج٢، ص٢٣٨.
(٤) المشهور، شمس الظهيرة- التعليقات- ج١، ص٣٠٧.

أبو بكر بن عبد الله العيدروس بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف (ت:٩١٤هـ):

ولد بتريم سنة ٨٥١هـ، ونشأ في حجر والده، وحفظ القرآن على السيد محمد بن علي باجحدب والمعلم سالم بن نميري، وأخذ التصوف عن أبيه، وعميه علي وأحمد، والشيخ سعد بن علي بامدحج، وتفقه على الشيخ عبد الله بن علي بن عبد الرحمن بلحاج بافضل، والعلامة محمد بن عبد الرحمن بلفقيه، رحل إلى الحرمين وحج سنة ٨٨٠هـ، وأخذ عن الحافظ السخاوي، وأجازه أكثر مشائخه في جميع مروياتهم ومؤلفاتهم، وفي الإفتاء والتدريس، حيث كان يتمتع بصفاء الذهن، وذكاء الفطنة، وجودة القريحة، وإصابة الرأي، وصدق الفراسة، ما يُعجب من ذلك مشائخه، وفي سنة ٨٨٨هـ قصد بيت الله الحرام، وممن أخذ عنه بالحرمين الشريفين جار الله بن فهد[1] وقد كانت له منزلة عالية لدى أعيان مكة المكرمة، توفي بعدن وبها دفن[2].

عمر بن عبد الرحمن بن محمد الفقيه المقدم المعروف (بصاحب الحمراء)

عالم رباني، له مكانة اجتماعية كبيرة، ولد بتريم سنة ٨٢٣هـ، نشأ في بيئة علمية فاضلة، قصد الحرمين حاجًّا وزائرًا ومتلقيًا عن علمائها.[3]

حسين بن عبد الله العيدروس بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف مولى الدويلة (ت:٩١٧هـ)

ولد بتريم سنة ٨٦١هـ، توفي أبوه وعمره أربع سنوات فنشأ في حجر عمه العلامة السيد علي بن أبي بكر، جاور بمكة سنتين لطلب العلم على يد علمائها، آخذًا الحديث وغيره عن

---

(١) جار الله بن عبد العزيز بن عمر بن محمد بن محمد بن فهد الهاشمي المكي، نشأ بمكة، حفظ القرآن، وكتبًا مثل الأربعين النووية، سمع من السخاوي، جاور بالمدينة المنورة سنة ٩٠٩هـ، وسمع بالحجرة الشريفة الكتب الستة والشفاء لعياض، وسمع على السيد السمهودي، وخرج الأسانيد والمشيخات لجماعة من مشائخه وغيرهم، أخذ الفقه والنحو والأصلين عن الشيخ عبد الله باكثير وقرأ عليه المنهاج للنووي وغالب شرحه للمحلي وألفية ابن مالك وغيرها، وبعض شرح الورقات، توفي سنة ٩٥٤هـ (النور السافر، ص٣٢٣-٣٢٤).

(٢) الشلي، المشرع، ج٢، ص٣٤-٤١.

(٣) عبد الله بن محمد السقاف: تاريخ الشعراء الحضرميين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م، ج١، ص٨٧.

الحافظ السخاوي.[1]

علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن علي باعلوي (ت:٩١٧هـ)

كان على جانب كبير من العلم والعمل والورع والزهد والعزلة والانفراد عن الناس، قرأ الفقه على السيد عبد الله بن علي مولى الشبيكة، أثناء مجاورته بمكة المكرمة، ثم جاور فيها سنتين غير السفر المتكرر إليها للمجاورة، واستفاد من مجاورته فأخذ العلم عن علمائها منهم الحافظ السخاوي، حيث أجازه، والقاضي إبراهيم بن ظهيرة[2]

---

(١) المرجع نفسه، ج١، ص١٢٠. الشيخ العلامة الحافظ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، القاهري المولد الشافعي المذهب، نزيل الحرمين الشريفين، ولد سنة ٨٣١هـ، حفظ القرآن وهو صغير، وحفظ عمدة الأحكام والتنبيه والمنهاج وألفية ابن مالك وألفية العراقي وغالب الشاطبية والنخبة لابن حجر، برع في الفقه والعربية والقراءات والحديث والتاريخ وشارك في الفرائض والحساب والتفسير وأصول الفقه والميقات وغيرها، أخذ عن جماعة يزيدون على أربعمائة، وأذن له غير واحد بالإفتاء والتدريس والإملاء، وسمع الكثير على شيخه الحافظ ابن حجر العسقلاني ولازمه أشد الملازمة، تنقل بين عدة بلدان منها حلب ودمشق وبيت المقدس، واجتمع له من الروايات ما يفوق الوصف، حج وجاور مرات عديدة وأخذ عن علماء الحجاز منهم: البرهان الزمزمي والتقي بن فهد، وأبي السعادات بن ظهيرة وغيرهم، وأخذ عنه الكثير من العلماء وطلبة العلم، له العديد من المؤلفات منها: الجواهر والدرر في ترجمة الشيخ ابن حجر، وفتح المغيث بشرح ألفية الحديث، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع، والإعلان بالتوبيخ على من ذم علم التاريخ وغيرها، توفي سنة ٩٠٢هـ بالمدينة المنورة ودفن بالبقيع (مقدمة كتاب الضوء اللامع، عبد القادر بن شيخ العيدروس، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، تحقيق وضبط نصوص: أحمد حالو وآخرون، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ص٤٠-٤٤).

(٢) هو إبراهيم بن علي بن محمد بظهيرة القرشي المخزومي، أبو إسحاق برهان الدين، ولد بمكة المكرمة ونشأ بها، فحفظ القرآن الكريم وصلى به التراويح بالمسجد الحرام، وحفظ مجموعة من المتون، في مختلف العلوم، أجاز له من مكة المكرمة التقي الفاسي، وجمال الدين المرشدي، وجلال الدين عبد الواحد المرشدي، وجمال الدين الشيبي، وجمال الدين النويري، ومن المدينة المنورة أجازه جمال الدين الكازروني، وطاهر الخجندي، ونورالدين المحلي، ومحب الدين المطري، كما أجازه عدد من العلماء من مصر والشام، أجازوه بالإقراء والإفتاء، فتصدى في حياة شيوخه للإقراء بالمسجد الحرام غير متقيد بمحل يجلس فيه، ثم تقيد بالجلوس أمام باب العجلة بعد صلاة الظهر، واستقر بالخطابة بالمسجد الحرام، ثم ولي نظر المسجد الحرام وقضاء الشافعية، وولي قضاء مكة المكرمة نحو ثلاثين سنة، وانتهت إليه رئاسة العلم

القرشي المكي، وغيرهما.[1]

محمد بن عبد الرحمن الأسقع بن عبدالله من آل أحمد بن الفقيه المقدم(ت: ٩١٧هـ)

ولد بتريم وتلقى العلم عن علماء عصره منهم الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بافضل، والسيد عبدالله العيدروس، والسيد محمد بن علي عيديد وغيرهم، رحل إلى مكة المكرمة وأخذ عن السيد عبد الله بن محمد صاحب الشبيكة (الأول) وأخذ عن القاضي برهان الدين بن ظهيرة، والحافظ السخاوي، كما أخذ عن علماء المدينة المنورة[2].

عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف(ت:٩٢٣هـ)

ولد بتريم سنة ٨٥٠هـ، حفظ القرآن على شيخه المعلم السيد محمد بن علي بن عبد الرحمن، حفظ الكثير من الحاوي الصغير في الفقه، والوردية في النحو، وأكثر ديوان الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي[3] توجه إلى حج بيت الله الحرام سنة ٨٨٠هـ، وأخذ بمكة عن الحافظ السخاوي وأجازه بجميع مروياته ومؤلفاته، ثم سافر ثانية إلى الحج سنة ٨٨٦هـ

= بالحجاز ت ٨٩١هـ. (السخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص ٨٨- ٩٩، المعلمي أعلام الحجاز، ج١، ص٨٦-٨٧).

(١) محمد بن عمر الطيب بافقيه، تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق: عبد الله بن محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ١٩٩٩م، ص٩٦.

(٢) الشلي، المشرع، ج١، ص١٨٠-١٨٢. المشهور، شمس الظهيرة، ج١، ص٣٨٩.

(٣) عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان فلاح اليافعي المكي الشافعي، نزيل الحرمين، ولد ٦٩٨هـ، حفظ القرآن، أخذ عن أبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي النضال، والشريف أحمد بن علي الحرازي قاضي عدن ومفتيها، حج سنة ٧١٢هـ، ثم عاد إلى اليمن، وصحب أبا الحسن علي الطواشي، رجع إلى مكة سنة ٧١٨هـ وسمع بها على الرضي الطبري وعلى النجم الطبري، كان كثير التواضع، عارفًا بالفقه والأصلين، والعربية والفرائض، والحساب وغيرها من فنون العلوم، كان كثير العبادة والورع، وافر الصلاح والعزلة، والإيثار للفقراء، رحل إلى الشام سنة ٧٣٤هـ، وزار القدس والخليل، ودخل مصر متخفيًا، وزار الشافعي وغيره، ممن أخذ عنه الزين العراقي، والجمال بن ظهيرة، وقد أثنى عليه الكثير من العلماء والحفاظ والمؤرخين، ووصفه الكثير من الصالحين بأنه قطب مكة، تصدى للتصنيف والإقراء والإسماع، من مؤلفاته: المرهم في أصول الدين، والإرشاد والتطريز، أسنى المفاخر، أطراف التواريخ، الأنوار اللائحة في أسرار الفاتحة، مرآة الجنان وغيرها الكثير، توفي سنة ٧٦٨هـ بمكة ودفن بجوار الفضيل بن عياض بالمعلاة. (السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٢، ٢٩٤-٢٩٦).

وزار المدينة المنورة وأخذ عن علمائها [1].

ومنهم الشيخ عبد الله بن أحمد باكثير (ت: ٩٢٥هـ)

شيخ الإسلام الفقيه الزاهد، كان من العلماء العاملين والفضلاء البارعين، متصفًا بمحاسن الأخلاق ولد بحضرموت سنة ٨٤٧هـ، نقله والده إلى غيل باوزير فحفظ القرآن وعمره ثمانية سنوات، كما حفظ المنهاج والبهجة لابن الوردي، وخلاصة ابن ظفر وألفية ابن مالك، رحل إلى مكة وجاور بها إلى أن توفي، التقى بجماعة من علماء الحرمين منهم الإمام السخاوي، وإبراهيم بن ظهيرة، أجازوه بالإفتاء والتدريس فتصدى لذلك وكان من فضلاء مكة وعين المدرسين بها، كان حسن الخط نسخ بيده العديد من الكتب، كما كان ينظم الشعر [2]، يحكى عنه أنه "مكث بمكة ثلاث وخمسون سنة لم يتوضأ إلا بماء زمزم ولا أكل من ضيافة لأحد من أهلها سوى مرة واحدة للقاضي إبراهيم بن ظهيرة، وكان من عادته أن يجلس كل يوم بالحرم الشريف يقرئ الناس في عدة علوم إلى قبيل الظهر، ومن بعد صلاة الظهر يقرئ آخرين في الحديث إلى العصر، ومن بعد صلاة العصر يقرئ آخرين في التصوف، ومن بعد صلاة المغرب إلى العشاء يطوف" [3].

الخاتمة

شهدت حركة المجاورة في الحرمين نشاطًا كبيرًا من قبل الحضارم في مختلف المراحل التاريخية، وفي الفترة التي هي مجال هذا البحث وهي من القرن السابع حتى القرن التاسع الهجريين. حيث التقى العلماء الحضارم هناك بإخوانهم من مختلف الدول الإسلامية وتبادل الطرفان المعارف والعلوم والإجازات العلمية. وساهموا مع الآخرين من علماء العالم الإسلامي في تطور الحركة العلمية من خلال الدروس التي تلقى في المؤسسات والمراكز العلمية في الحرمين الشريفين. و قد خلص البحث إلى الآتي:

- كثرة عدد المجاورين الحضارمة بالحرمين الشريفين في مختلف المراحل

(١) الشلي، المشرع، ج٢، ص١٣٤-١٣٧.

(٢) العيدروس، النور السافر، ص١٧٨، السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص١١.

(٣) نجم الدين محمد بن محمد الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ج١، ٢١٧-٢١٨.

التاريخية لما يربط الحضارم بالحجاز من رابطة روحية ووجدانية.

- أغلب من جاور بالحرمين من فئة السادة العلويين، ولعل ذلك نابع من ارتباطهم الاجتماعي، كونهم ينتسبون إلى العترة النبوية الشريفة، ولأن معظم علماء حضرموت كانوا من هذه الفئة الاجتماعية التي تأتي في رأس السلم الاجتماعي بحضرموت وتحظى بالاحترام الكبير.
- أغلبية المجاورين في الحرمين هم من طبقة العلماء، وهذا يؤكد أن حركة المجاورة لدى الحضارمة كانت بدافع علمي بدرجة كبيرة، ولهذا جاءت المساهمة من قبل علماء حضرموت المجاورين في إنعاش الحياة العلمية سواء في الحرمين أو في بلادهم بعد عودتهم إليها.
- تختلف فترة المجاورة للحضارم ما بين أشهر وسنوات، كل حسب رغبته، والتزاماته في بلده حضرموت.
- مارس العلماء وطلبة العلم الحضارمة في الحرمين الشريفين في أثناء مجاورتهم في الحرمين الشريفين تلقيهم العلم، و التصدر للتدريس، ومناظرة كبار العلماء حول المسائل الفقهية المختلفة، وتبادل الإجازات العلمية.
- كثير من المجاورين في الحرمين استهوتهم الأماكن المقدسة وفضلوا الإقامة الدائمة فيها، مع عدم نسيانهم لوطنهم الأم، ولهذا ظلوا على تواصل دائم معه.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: الكتب المطبوعة

١- ابن فهد، جارالله: نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، مؤسسة الفرقان، مكة المكرمة، ط١ ، ٢٠٠٠م.

٢- ابن فرحون محمد عبد الله بن محمد، نصيحة المشاور وتسلية المجاور، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط ١، ٢٠٠٦م

٣- بافقيه، محمد بن عمر الطيب، تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق: عبد الله بن محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ١٩٩٩م.

٤- الأنصاري، عبد الرحمن: تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، تحقيق: محمد العروسي المطوي، المكتبة العتيقة، تونس، ط١، ١٩٧٠م.

٥- بيومي، محمد علي، دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز إبان العصر العثماني، دار القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٦م.

٦- المحبي، محمد: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت (د.ت).

٧- المديرس، عبد الرحمن، المدينة المنورة في العصر المملوكي(٦٤٨- ٩٢٣هـ) مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ٢٠٠١م.

٨- العصامي، عبدالملك: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، المكتبة السلفية، القاهرة (د.ت).

٩- الغزي، نجم الدين محمد بن محمد، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ج١.

١٠- الأنصاري، عبد الرحمن: تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، تحقيق: محمد العروسي المطوي، المكتبة العتيقة، تونس، ط١، ١٩٧٠م.

١١- الجابري، خالد محسن: الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، ٢٠٠٥م

١٢- الجاسر، حمد: رسائل في تاريخ المدينة المنورة، منشورات دار اليمامة، الرياض (د.ت).

١٣- الصديقي، سحر بنت عبد الرحمن: أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ط ١ ، ٢٠٠٣م.

١٤- الأنصاري، ناجي محمد حسين: التعليم في المدينة المنورة من العام الهجري الأول إلى عام ١٤١٢هـ، ط ١، ١٩٩٣م.

١٥- المشهور، عبد الرحمن بن محمد: شمس الظهيرة، تحقيق: محمد ضياء شهاب، عالم المعرفة للنشر والتويع، جدة، ط١، ١٩٨٤م.

١٦- الحبشي، أحمد بن زين بن علوي، شرح العينية نظم عبدالله بن علوي الحداد باعلوي، دار العلوم الإسلامية الحديثة للطباعة والنشر، سورابايا، ط٢، ٢٠٠٤م.

١٧- السقاف، عبدالله بن محمد: تاريخ الشعراء الحضرميين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.

١٨- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن:

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، عني بطبعه ونشره: أسعد طرابزوني، ج٢، ١٩٧٩م

١٩- الشاطري، محمد أحمد: أدوار التاريخ الحضرمي، دار المهاجر للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، ط ٣، ١٩٩٤م.

٢٠-الشلي، محمد بن أبي بكر، المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل باعلوي، المطبعة العامرية الشرفية، ط١، ١٣١٩هـ

٢١-العيدروس، عبد القادر بن شيخ، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، تحقيق وضبط نصوص: أحمد حالو وآخرون، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٢٢-المعلمي، عبد الله بن عبد الرحمن، أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط١، ٢٠٠٠م.

٢٣-شافعي، حسين عبد العزيز: الأربطة في مكة المكرمة دراسة تاريخية حضارية،

مراجعة: عباس صالح شكندي، مؤسسة الفرقان، مكة المكرمة، ٢٠٠٥م
٢٤-رمضان، آمال صديق: الحياة العلمية في مكة المكرمة ١١١٥- ١٣٣٤هـ/ ١٧٠٣- ١٩١٦م، مركز تاريخ مكة المكرمة، ط١ ، ١٤٣٢هـ.
٢٥- هورخرونيه، ك.سنوك: صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ترجمة: علي عودة الشيوخ، صياغة وتعليق: محمد محمود السرياني ومعراج نواب مرزا، مركز تاريخ مكة المكرمة، ١٤٣٢هـ.

ثانيًا: الرسائل الجامعية

١- آل مشاري، منى حسن: المجاورون في مكة والمدينة في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٢- أمحزون، محمد: المدينة المنورة في رحلة العياشي، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، الرياض.
٣- الشهري، فاطمة بنت عبد الله: الحياة العلمية في مكة المكرمة (١٢٥٦- ١٣٣٤هـ/ ١٨٤٠- ١٩١٦م) رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، الرياض، ٢٠٠٠م.

ثالثًا: الأبحاث والمقالات

١- باقادر، أبوبكر أحمد، بعض إسهامات الحضارمة في الثقافة العربية، مجلة المسار، السنة التاسعة، العدد الخامس والعشرون، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م
٢- السقاف، جعفر محمد، المغتربون اليمنيون الحضارم، بحث ضمن سلسلة كتاب الثوابت - العدد ١٥ - الآفاق للطباعة والنشر، صنعاء، ط١، مايو ١٩٩٩م.

مدينة الشحر إبان حكم بني رسول

(٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م – ٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م)

أ.عادل حاج باعكيم
باحث في مركز حضرموت
للدراسات التاريخيَّة والتوثيق والنشر

الملخص:

بدأ التمهيد لحكم بني رسول لليمن، عندما عهد الملك المسعود الأيوبي آخر ملوك بني أيوب لنور الدين بن رسول بالنيابة عنه لحكم اليمن سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م، وبذلك بدأت حقبة جديدة، كانت أكثر الفترات الزمنية طولًا بين الدول التي حكمت في تاريخ اليمن منذ الفتح الإسلامي، عرف عصرها بأنه أخصب عصور اليمن ازدهارًا بالمعارف المتنوعة وأكثر إشراقًا بالفنون المتعددة وأغزرها إنتاجًا بثمرات الأفكار اليانعة في شتى ميادين المعرفة، وسبب ذلك أن أغلب سلاطين وملوك الدولة الرسوليَّة كانوا علماء.

عندما استولى الأيوبيون على اليمن، كان في مقدِّمة من ولاهم صلاح الدين الأيوبي حكم اليمن القائد عثمان بن علي الزنجيلي الذي غزا حضرموت سنة ٥٧٥هـ وقوض أركان السلطنات الحضرمية، لكن الحضارم عادوا وانتفضوا ضد الأيوبيين سنة ٥٧٦هـ فاستولى آل فارس على الشحر وآل قحطان على تريم وآل الدغَّار على شبام، وعاد الأيوبيون لإخضاعهم ولكنهم في النهاية اضطروا إلى إبقاء الحكام المحليين نوابًا عنهم على السلطنات الثلاث، واكتفوا بتلقي رموز الولاء والإتاوات والرسائل المنمقة.

بعد أن قتل ابن مهدي سنة ٦٢١هـ على يد نهد، نهض ابن يماني لحكم تريم ووثب عبد الرحمن بن راشد بن إقبال لاستعادة مجد أجداده وتراثهم، فاستولى على الشحر وملكها. استقلَّ ابن راشد بحكم الشحر أولًا لفترة من الزمن ثم أقرَّ بطاعة ملك اليمن والتزم له بدفع الإتاوة السنوية التي اتفقا عليها، ذلك بعد محاصرة ابن خليل نائب الملك الرسولي للشحر سنة ٦٢٦هـ -كما يبدو-، وفي نفس العام طمع مسعود بن يماني حاكم تريم في الشحر فجهَّز

جيشه وتوجَّه نحوها وحاصرها فلم يستطع دخولها، فاضطر إلى مصالحة حاكمها ابن راشد وذلك بعد أن رأى شدته وصلابته.

لما استقلَّ نور الدين المنصور الرسولي بالحكم واستقلَّ عن تبعيته للأيوبيين عزل عبدالرحمن بن راشد عن حكم الشحر وولى رجلًا من رجاله ونقيبًا معه، فأقاما في الشحر سنتين ثم حصلت بينهما عداوة فاشتدَّ النقيب على الأمير فقتله واستولى على مدينة الشحر، فندم نور الدين الرسولي على عزله لابن راشد فاستدعاه وخلع عليه وأمره أن يتقدم إلى الشحر، وأقام بها ابن راشد إلى أن توفي نور الدين المنصور، فتولى بعده الحكم الملك المظفر فتقدم إليه عبدالرحمن بن راشد بهديَّة جليلة فكافأه المظفر مكافأة حسنة، وجهزه إلى بلاده.

بقيت الحالة السياسية في مدينة الشحر غير مستقرة البتَّة، فأحيانًا تكون تحت حكم ولاة الدولة الرسوليَّة وهو الغالب في وقت الدراسة (أي من سنة ٦٧٧هـ إلى سنة ٨٣٦هـ)، ويحكمها أمراء محليون في بعض الأحايين، من تلك الأحيان تولي ابن شماسة سنة ٧٩٥هـ وسنة ٧٩٩هـ، وابن إقبال قبل رجب سنة ٨٠٩هـ لأن السلطان راصع بن دويس أخذها منه في هذا التاريخ.

فقد اهتم سلاطين بني رسول بتحقيق أكبر عائد اقتصادي في البلاد، وفي الفترة التي شهدت قيام الدولة وإحكام قبضتها على كل أجزاء اليمن، قام سلاطينهم بالاهتمام بالنشاط الزراعي والصناعي والتجاري، فاهتموا بالمشروعات الزراعية، كما اهتموا بتنشيط التجارة بتخفيف عشور الوارد منها إلى دولتهم فضلًا عن تشجيع حركة الصادرات.

وعندما حكم بنو رسول الشحر حكمًا مباشرًا، عملوا على توسيع نشاطها التجاري، فقد قدرت الضرائب المأخوذة من الميناء عام ٨٠٣هـ -١٤٠٠م عينًا ونقدًا ما يقدر بأربع مائة ألف دينار، وهذا مبلغ كبير في ذلك الوقت ويدل على سعة الحركة التجارية وكثرة أعمال الاستيراد والتصدير في الميناء، ولولا الدخل الكبير الذي يجيء من هذا الميناء لما فرضت هذه الضريبة الضخمة.

أمَّا عن الأمراء الذين تولوا حكم الشحر من قِبَل الرسوليين فمنهم أزدمر شاه أو سرمداد، وابن فيض أو ابن قيصر والمؤيد داؤد ابن المظفر الرسولي، وداؤد بن خليل الهكاري، وصارم

الدين داود بن حناجر، وابن ثور أو ابن بوز كما يطلق عليه البعض، وعبدالله بن أحمد الهبي.

تبرز ملامح الحياة العلمية في الشحر في فترة حكم بني رسول لها، من خلال بروز الكثير من العلماء منهم من تولى القضاء والتدريس بالمدينة ومنهم من تولاهما خارجها، على رأسهم العلامة القاضي الفقيه أحمد بن محمد السبتي، والعلامة الفقيه حسين باهراوة الشحري، والفقيه الصالح الشيخ حسن بن علي باجبير، والعلامة الفقيه القاضي جمال الدين محمد بن سعد باشكيل، والعلامة القاضي رضي الدين أبو بكر بن أحمد السبتي الشحري.

وصلِّ اللهم على سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

المقدِّمة:

تعد دولة بني رسول من أهم الدول التي حكمت اليمن عمومًا بعد العصر الإسلامي، والتي وصل نفوذها إلى حضرموت لحوالي القرنين من الزمان أو أكثر قليلًا، ولمَّا كانت مدينة الشحر حاضرة حضرموت عمومًا في ذلك الوقت، كانت هي مقر تلك الدولة الأول في حضرموت، فدارت بها رحى أحداث كثيرة غيَّرت مجرى التاريخ الحضرمي بشكل عام، لكن عندما بحثتُ عن بعض أخبار هذه الدولة في الشحر أو في حضرموت لم أجد من كتب عنه مع بالغ أهميته، أي لم أجد أيًّا من الباحثين كتب شيئًا مفردًا عن هذا الموضوع، وإنما وجدتُ سردًا لبعض أخبار هذه الفترة الزمنية المهمَّة والحرجة ضمنًا في بعض كتب التاريخ الحضرمي واليمني.

عندما استشعرنا أهميَّة هذا الموضوع بدأ هاجس الكتابة عنه يكون مصاحبًا لنا في جميع الأوقات حتى أتت الفرصة الآن لأكتب بحثًا منفصلًا عن الدولة الرسولية وحكمها لحضرموت ومدينة الشحر على وجه الخصوص، وذلك بعد إعلان مركزنا مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر عن إقامة مؤتمر عن التاريخ الحضرمي في فترة شملت حكم الدولة الرسولية بحضرموت.

جعلتُ هذا البحث المسمَّى "مدينة الشحر إبان حكم بني رسول (٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م - ٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م)" مقسَّمًا على مقدِّمة وثلاثة فصول، الأول: الدولة الرسوليَّة ٦٢٦هـ - ٨٥٨هـ، والثاني: حضرموت والدولة الرسوليَّة، الفصل الثالث: الرسوليون في مدينة الشحر - وهو صلب البحث -، مقسَّم إلى أربعة مباحث وهي الأول: الوضع في الشحر قبيل حكم

بني رسول المباشر لها، والثاني: الرسوليون وحكمهم المباشر لمدينة الشحر، والثالث: مظاهر الحياة الاقتصاديَّة والحضاريَّة في مدينة الشحر إبان حكم بني رسول، والرابع: علماء من الشحر ونواحيها عاصروا دولة بني رسول.ختامًا أسأل من الله تعالى التوفيق والسَّداد.

الفصل الأول

الدولة الرسوليَّة ٦٢٦هـ - ٨٥٨هـ (مقدمِّة تاريخية)

بدأ التمهيد لحكم بني رسول لليمن، عندما عهد الملك المسعود الأيوبي آخر ملوك بني أيوب لنور الدين بن رسول بالنيابة عنه لحكم اليمن سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م(١)، وبذلك بدأت حقبة جديدة، كانت أكثر الفترات الزمنية طولًا بين الدول التي حكمت في تاريخ اليمن منذ الفتح الإسلامي(٢)، عرف عصرها بأنه أخصب عصور اليمن ازدهارًا بالمعارف المتنوعة وأكثر إشراقًا بالفنون المتعددة وأغزرها إنتاجًا بثمرات الأفكار اليانعة في شتى ميادين المعرفة، وسبب ذلك أن أغلب سلاطين وملوك الدولة الرسوليَّة كانوا علماء(٣).

اختلف المؤرخون حول نسب بني رسول، فمنهم من جعلهم يمنيين غساسنة ومنهم من جعلهم تركمانيين أو أكرادًا، وسبب الأخير أن جدهم محمد بن هارون كان يتكلم التركمانية(٤). والحقيقة هي أن مؤسس هذه الدولة عمر بن علي بن رسول حينما واتته الفرصة ليستقل بحكم اليمن عن الدولة الأيوبية حرص على كسب ثقة أهل اليمن به ليقبلوا حكمه ويرضوا به ملكًا عليهم، فأشاع أن بني رسول ينتسبون إلى محمدبن هارون بن أبي الفتح بن يوحى بن رستم الذي غلب على اسمه لقب رسول، وأن محمد بن هارون ينتسب - كما زعم - إلى جبلة بن الأيهم بن جبلة(٥) آخر ملوك الغساسنة المعروفين بآل جفنة الذين حكموا بادية الشام، وذلك لأن نسب الغساسنة - كما يذكر النسَّابون - يتدرج إلى الأزد بن

(١) بنو رسول وبنو طاهر، محمد عبد العال، ص٥٦.
(٢) الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في عهد دولة بني رسول باليمن، محمد عليان، ص٤٩.
(٣) الدولة الرسوليَّة في اليمن، إسماعيل الأكوع، ص١٠.
(٤) السلطان سالم بن إدريس الحبوضي وأوقافه في حضرموت، زكي بامكريد، ص١٣٤، هامش ١.
(٥) بهجة الزمن في تاريخ اليمن، عبد الباقي اليماني، ص٨٥.

عوف بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان[١]، وعلى هذا الزعم فإن محمد بن هارون يضرب في أصوله البعيدة إلى أصول يمانية[٢].

ومهما يكن نسبهم الصحيح فقد انصهروا في الشعب اليماني، كما انصهر من قبلهم الفرس الذين جاءوا لمساعدة سيف بن ذي يزن، وكذلك الأكراد الذين جاءوا مع الدولة الأيوبية إلى اليمن فذابوا في المجتمع اليماني، ولم يبق ما يميزهم عن أهل البلاد، ولا على ما يدل على أصولهم البعيدة[٣].

يذكر الخزرجي أن محمد بن هارون كان جليل القدر في أهل بيته، عظيم الشأن فيهم، له وجاهة عند الملوك، فقرَّبه أحد الخلفاء العباسيين وأدناه منه، وأنس به ورفع عنه الحجاب فكان يختصُّه برسالته إلى الشام ومصر، وإلى من يحب من الملوك بما يريد من الأمور السريَّة على لسانه من غير كتاب، ويرجع بالجواب على لسانه من غير كتابة ثقة به، ولأن الكتب ربما وقف عليها من يقف، ولو بعد حين فينشر ما يقف عليه، وقد يكون فيه ما يسوء الخليفة[٤].

كان أول أمراء هذه الدولة المنصور بن عمر بن علي بن رسول، وقد أنابه المسعود الأيوبي في اليمن -كما تقدَّم- عندما توجه إلى مصر سنة ٦١٥هـ. وظلت دولة بني رسول في حروب مستمرة مع أئمة الزيدية رغم تمكن الرسوليين من الاستيلاء على تعز وإب وصنعاء وجانب من المقاطعات الشمالية اليمنية[٥]، وذلك القسم المتبقي ظل مكانًا للصراع بين الفريقين لفترة طويلة، واستطاع الرسوليون أخيرًا أن يفرضوا سيطرتهم على هذا القسم، بالإضافة إلى سيطرتهم على مكة المكرمة بعد صراع مرير مع الدولة الأيوبية[٦]، كان ذلك في أيام الملك المظفر يوسف بن عمر (ت: ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م) الذي يُعدُّ من أعظم ملوك هذه الدولة والذي حاول أن ينصب نفسه خليفة

(١) طرفة الأصحاب، ص١٨ – ٢٨، والعقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسوليَّة، للخزرجي، ج١، ص٦١.
(٢) الدولة الرسوليَّة في اليمن، ص١٨.
(٣) المصدر السابق، ص١٩.
(٤) العقود اللؤلؤية، ج١، ص٦٢، والدولة الرسوليَّة في اليمن، ١٩.
(٥) المختصر في تاريخ حضرموت العام، لمحمد بامطرف، ص٩٠.
(٦) السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك الغز باليمن، لابن حاتم، ص٤٣.

للمسلمين بعد انتهاء الخلافة العباسية ببغداد على أيدي المغول سنة ٦٥٦هـ[(١)].

أمَّا عن سياسة الدولة عمومًا، فبعد أن أقام الملك المنصور نور الدين حكمه، أقر قواعد الحكم والإدارة وقوانين الدولة على ما كانت عليه في عهد الأيوبيين، بالإضافة إلى ما استحدثه من النظم والإصلاحات المدنية والعسكرية[(٢)]، فأكثر من استقدام أصحاب الخبرات المختلفة -مدنية وصناعية وطبيَّة وغيره - من مصر والشام، وحرص على سيادة الأمن والاستقرار، فعمل على ربط مناطق اليمن بشبكة جيدة من المواصلات مما يساعد قوافل التجارة على اجتيازها دون أن تتعرض لأخطار محدقة، وازدهرت الصناعات ونبغ في عهده العديد من العلماء وكثرت المؤسسات الاجتماعية والصناعية والتعليمية، وسار خلفاؤه من الملوك على النهج نفسه مما جعل عجلة التنمية مستمرة في الدوران[(٣)].

وأخيرًا بدأ الضعف يدبُّ في جسد هذه الدولة فانتهت في اليمن الأعلى بالأمير مسعود أبي القاسم سنة ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م، بعد أن حكمت اليمن مئتين وثلاثين عامًا، فظهر بعدهم في ساحة الأحداث بنو طاهر[(٤)].

الفصل الثاني

حضرموت والدولة الرسوليَّة

عندما استولى الأيوبيون على اليمن كان في مقدِّمة من ولاهم صلاح الدين الأيوبي حكم اليمن القائد عثمان بن علي الزنجاري أو الزنجيلي[(٥)]، فغزا الزنجيلي حضرموت سنة ٥٧٥هـ

---

(١) العقود اللؤلؤية، ج١ ص١٢٨، والتعليم في اليمن في عهد دولة بني رسول خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، فاروق مجاهد، ص٣٥.

(٢) الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي، لمحمد عسيري، ص١٩٦.

(٣) التعليم في اليمن في عهد دولة بني رسول، ص٣٦.

(٤) قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، لابن الديبع، ص٤٠٠، والمختصر في تاريخ حضرموت العام، ص٩٤، والدولة الرسوليَّة في اليمن، ٦١.

(٥) هو أبو عمرو عثمان بن علي الزنجيلي نسبة إلى قرية زنجيلة بدمشق سوريا الملقب عز الدين، كان أميرًا كبيرًا قدم من مصر مع توران شاه بن أيوب ولما رجع توران شاه من اليمن إلى مصر في شهر رجب سنة ٥٧١هـ استناب في اليمن نوابًا، منهم عثمان الزنجيلي استنابه على عدن، توفي سنة ٥٨٣هـ بدمشق. للمزيد عنه ينظر تاريخ ثغر عدن، لبامخرمة، ج٢ ص١٣١.

وقوض أركان السلطنات الحضرمية، لكن الحضارم عادوا وانتفضوا ضد الأيوبيين سنة ٥٧٦هـ[١] فاستولى آل فارس[٢] على الشحر وآل قحطان على تريم وآل الدغَّار على شبام، وعاد الأيوبيون لإخضاعهم ولكنهم في النهاية اضطروا إلى إبقاء الحكام المحليين نوابًا عنهم على السلطنات الثلاث، واكتفوا بتلقي رموز الولاء والإتاوات والرسائل المنمقة التي كان أدباء الحضارم يتفننون في كتابتها إلى الأيوبيين ويحشونها بعبائر المدح والإطراء[٣].

دارت الدائرة على عمر بن مهدي الأمير الأيوبي، فقتل بمنطقة شحوح مع كثير من أصحابه، قتلته نهد وأحلافها، ثم استولت قبيلة نهد على حضرموت سنة ٦٢١هـ[٤] وفي تلك الحالة المرتبكة التي أصبحت بها البلاد مضطربة تتخبط في همجية وفوضى اختلط بها الحابل بالقابل، وغدت بها نهد المبتدية تتحكم في رقاب أهالي مدن حضرموت المتحضرة نسبيًا في ذلك العهد، جعل هذا الأمر مسعود بن يماني يقوم بالأخذ بزمام الأمور، فتخلت نهد عن قيام بني حرام المناصرين لمسعود رغبة أو رهبة، وتولى على تريم فكان ذلك تأسيسًا لدولة آل يماني[٥].

وبالنظر إلى الصعوبات التي صادفت مسعود بن يماني في إرساء قواعد دولته فقد استعان في بعض الأحيان بالمنصور الرسولي، الذي قدم له المدد العسكري ولكنه لم يكن مددًا بما فيه الكفاية، وتولى عمر بن مسعود بعد أبيه، وظلت صلاته ببني رسول مستمرة[٦].

وبقيت الظروف معاكسة حتى هاجم ابن إقبال حضرموت فحاصر بلدانها إلى أن اشترى تريمًا وشبامًا وجميع حضرموت سنة ٦٣٣هـ، ولما امتنعت مشطة وعينات على ابن إقبال حاصرها إلى أول سنة ٦٣٤هـ[٧] ثم في صفر منها وصلت قحطان، وفي ربيع الأول جاء فهد

---

(١) تاريخ حضرموت، للسيد شنبل، ص٤٨-٤٩.

(٢) يطلق عليهم بعض المؤرخين آل إقبال.

(٣) الشهداء السبعة، لمحمد بامطرف، ص٣٠، وأدوار التاريخ الحضرمي، لمحمد الشاطري، ج١ ص١٧٧.

(٤) تاريخ حضرموت، لشنبل، ص٨١، وصفحات من التاريخ الحضرمي، لسعيد باوزير، ص١١٢.

(٥) تاريخ حضرموت، لصالح الحامد، ج٢ ص٤٩٨.

(٦) المختصر في تاريخ حضرموت العام، ص٩١.

(٧) تاريخ حضرموت، لشنبل، ص٨٨، والشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها، لعلوي الحداد، ج٢ ص٥٤١.

ابن عبد الله فملَّكه ابن إقبال مقر آبائه مدينة تريم ثم خرجوا عن طاعته.

فذهب فهد إلى اليمن مستنصرًا بالملك المنصور عمر بن علي بن رسول، وابن إقبال إذ ذاك قد رجع إلى بلاده الشحر وذلك سنة ٦٣٥هـ ثم اضطربت الأحداث إلى آخر هذا العام حيث تولى أبو حبشة مدينة تريم ولعله كان نائبًا عن ابن إقبال صاحب الشحر التابع لبني رسول كما يظن الحامد[(١)].

ثم أتى الأمر خلاف ما في الحسبان، ففي سنة ٦٣٦هـ تجمَّعت نهد برئاسة عامر بن شمَّاخ جد آل عامر، فاجتاحت حضرموت واستولت عليها وأخرجت عبيد آل إقبال وآل قحطان، وفي شوال من العام نفسه وصل فهد ومعه جيش من الرسوليين وأميرهم علاء الدين وتسلموا البلاد من ابن شمَّاخ قهرًا، أو بشراء منه كما يرى ذلك بعض المؤرخين[(٢)].

في سنة ٦٣٧هـ قدم عسكر الرسوليين وأميرهم الممدود ومعهم ابن شمَّاخ، فعندما جاءوا التقوا ببني ضنة فهزموهم حتى دخلوا البلدان والقرى التي بأيديهم من غير قتال، وولى الرسوليون نوابًا عنهم في عموم حضرموت، وسار علاء الدين إلى المسفلة وألزمهم دفعًا ثقيلًا - أي كالغرامة عليهم - ثم وصل ابن عبيد وقد عُيِّن واليًا على تريم من جهة الملك المنصور بن رسول فقبضها، وعندئذ سار فهد وعلاء الدين وابن شمَّاخ إلى شبام ورأسوا فيها ابن الذئب أميرًا [(٣)].فنستنتج مما رواه المؤرخان شنبل والحامد أن ابن شمَّاخ وفهد أصبحوا حلفاء لبني رسول وهذا ما حمل ابن شمَّاخ لمعاودة الكرَّة ومهاجمة بني ضنة.

لم يبقَ الوضع مستقرًا طويلًا فقد انتقض ابن شمَّاخ على علاء الدين ورجعت نهد إلى حضرموت مع ابن شمَّاخ، ثم أخرج المنصور جيشًا كبيرًا فلقيهم فهد فَهُزِمَ الجيش الرسولي، وبقيت الأمور مضطربة إلى أن توفي الملك المنصور عمر بن علي بن رسول سنة ٦٤٧هـ.

في سنة ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤هـ ظهر على مسرح الأحداث الحضرمية السلطان سالم بن إدريس الحبوضي، الذي دخل في العام نفسه مدينة تريم بمساعدة من نهد، حاصروا ابن

---

(١) تاريخ حضرموت، للحامد، ج٢ ص٥٠١.
(٢) تاريخ حضرموت، لشنبل، ص٨٩، وتاريخ حضرموت، للحامد، ج٢ ص٥٠٢.
(٣) تاريخ حضرموت، الحامد ج٢ ص٥٠٣.

مسعود بها وأقام فيها ثلاثة أشهر، وبدأ الحبوضي يستفتح البلدان فأرسل ابن مسعود ولده الأكبر إلى الرسوليين فلم يرجع معه أحد لينصره على الحبوضي فتدخل ابن شمَّاخ أحد حلفاء الرسوليين - كما تقدم - فخاف منه الحبوضي مما جعله يذهب إلى ظفار بعد أن استناب آل كثير على بعض قُرَاه، لكن بقيت حضرموت تحت سلطته إلى سنة ٦٧٨هـ، حيث قتل السلطان سالم الحبوضي في رجب من نفس العام المذكور، وذلك في معركته مع جيش الملك المظفر الرسولي(١).

وفي أيام محمد بن أحمد بن يماني وتحديدًا سنة ٧٦٦هـ خرج الملك المظفر ابن الملك المجاهد وصعد نحو بندر الشحر فأخذ بلدة عَرَفْ، ورجع إلى حضرموت ثانيًا سنة ٧٦٨هـ وأقام في بلدة تريم(٢)، وقصد الشحر (أي الملك المظفر) يصحبه ابن يماني فخرج إليهم صاحب الشحر صارم الدين داؤد بن موسى بن حناجر في عسكره فانهزموا ورجعوا خائبين، وذلك في جمادى الأولى من السنة المذكورة، واستمر الأمير صارم أميرًا على الشحر وضواحيها، وأقام المظفر في تريم مدة ثم سافر إلى بلاد الظاهر ومات بها(٣).

في سنة ٧٧٠هـ ظهر على سطح الأحداث راصع بن دويس بن أحمد، وبعده(٤) ابنه دويس ومن أتى بعده، ثم دخل في الأحداث آل كثير، وطُرِد بعدها الرسوليون من حضرموت جميعًا، حدث هذا بعد انتزاع الأمير محمد بن سعيد أبو دجانة مدينة الشحر سنة ٨٣٦هـ من قبضة بني رسول مع محاولاتهم اليائسة لإرجاعها لحكمهم مرة ثانية، لكن ذلك لم يحدث لأن موسيقى نهاية المسرحيَّة الرسوليَّة بدأت حينها بالاستماع شيئًا فشيئًا إلى أن انتهت الدولة الرسوليَّة في عموم اليمن سنة ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م كما تقدَّم(٥).

---

(١) المختصر في تاريخ حضرموت العام ص٩١، وتاريخ حضرموت، لشنبل، ص١٠٠، و تاريخ حضرموت، للحامد، ج٢ ص٥٠٦.

(٢) والعقود اللؤلؤية، ج٢ ص٦٤٧.

(٣) تاريخ حضرموت، لشنبل، ص١٣٢، و تاريخ حضرموت، للحامد، ج٢ ص٥١٤، والعقود اللؤلؤية ج٢ ص٦٤٧.

(٤) توفي راصع في ذي القعدة سنة ٨١٣هـ كما في شنبل.

(٥) تاريخ حضرموت، للحامد، ج٢ ص٥١٦، والمختصر في تاريخ حضرموت العام ص٩٧.

الفصل الثالث

الرسوليون في مدينة الشحر[1]

المبحث الأول: الوضع في الشحر قبيل حكم بني رسول المباشر لها:

بعد أن قتل ابن مهدي سنة ٦٢١هـ على يد نهد نهض ابن يماني لحكم تريم -كما تقدم- ووثب عبد الرحمن[2]بن راشد بن إقبال[3] لاستعادة مجد أجداده وتراثهم، فاستولى على الشحر وملكها، وفي ذلك الحين لجأ إلى ظله أولاد السلطان عبد الله بن راشد بن قحطان صاحب تريم بعد أن أخرجتهم نهد من سجن ابن مهدي، وهناك سبب آخر لاختيارهم الشحر للإقامة وهو -كما يظن المؤرخ الحامد- عدم ارتياحهم للإقامة تحت حكم مسعود ابن يماني[4].

استقلَّ ابن راشد بحكم الشحر أولًا لفترة من الزمن ثم أقرَّ بطاعة ملك اليمن والتزم له بدفع الإتاوة السنوية التي اتفقا عليها، ذلك بعد محاصرة ابن خليل نائب الملك الرسولي للشحر سنة ٦٢٦هـ -كما يبدو-، وفي نفس العام طمع مسعود بن يماني حاكم تريم في الشحر فجهز جيشه وتوجه نحوها وحاصرها فلم يستطع دخولها، فاضطر إلى مصالحة حاكمها ابن راشد وذلك بعد أن رأى شدته وصلابته[5].

---

(١) يتفق الجغرافيون واللغويون العرب على تسمية السهل الساحلي الجنوبي لجزيرة العرب المطل على بحر العرب بالشحر بالحركات الثلاث بعد التشديدة على الشين، ويختلفون حول مساحة هذا الشريط وقصره فحين يرى بعضهم أن الشحر يطلق على ساحل البحر العربي الممتد بين عمان شرقًا إلى عدن غربًا، يرى آخرون أن الامتداد الشرقي يبدأ من ميناء مرباط وينتهي بميناء الشحر غربًا ويرى فريق ثالث بأن الشحر هو ساحل حضرموت. مدينة الشحر بوابة حضرموت الجنوبية التاريخية، للأستاذ عبد الرحمن الملاحي ص ٥.

(٢) هو عبدالرحمن بن راشد بن إقبال بن فارس بن محفوظ بن حرام بن فارس الأكبر، حكم مدينة الشحر نحو خمسة وأربعين عامًا، وكان يقال له حاتم زمانه، توفي سنة ٦٦٤هـ. ينظر تاريخ حضرموت للحامد ج٢ ص٥٣٩ وص٥٤٢.

(٣) يطلق المؤرخون على هذه الأسرة أكثر من اسم منها آل فارس وآل إقبال.

(٤) تاريخ حضرموت، لشنبل، ص٨١، و تاريخ حضرموت، للحامد، ج٢ ص٥٣٨، وصفحات من التاريخ الحضرمي، لسعيد باوزير، ص١١٢.

(٥) تاريخ حضرموت، لشنبل، ص٨٤، و تاريخ حضرموت، للحامد، ج٢ ص٥٣٩.

في آخر سنة ٦٣٣هـ خرج ابن راشد متجهزًا بجيشه نحو داخل حضرموت فهاجم مدنها، واشترى في ذي الحجة من العام المذكور تريم وشبام وجميع بلدات حضرموت ولم تمتنع أمامه سوى بلدتي مشطة وعينات فحاصرهما، ودخلت سنة ٦٣٤هـ وابن راشد محاصر لبلدة مشطة ومعسكر حول عينات إلا أنهم استمروا في الامتناع ولم يسلموا، ثم جاء في ربيع الأول من العام نفسه فهد بن عبد الله - لعله جاء عائدًا من رحلته للحج - فأعاد له عبد الرحمن بن راشد ولاية تريم مقر آبائه ومحل ولايتهم وملَّكه إياها(١).

لما استقل نور الدين المنصور الرسولي بالحكم واستقلَّ عن تبعيته للأيوبيين عزل عبد الرحمن بن راشد عن حكم الشحر وولى رجلًا من رجاله ونقيبًا معه، فأقاما في الشحر سنتين ثم حصلت بينهما عداوة فاشتد النقيب على الأمير فقتله واستولى على البلاد (الشحر)، فندم نور الدين الرسولي على عزله لابن راشد فاستدعاه وخلع عليه وأمره أن يتقدم إلى الشحر، وأقام بها ابن راشد إلى أن توفي نور الدين المنصور، فتولى بعده الحكم الملك المظفر فتقدم إليه عبدالرحمن بن راشد بهديَّة جليلة(٢)فكافأه المظفر مكافأة حسنة، وجهزه إلى بلاده(٣).

بعد وفاة عبد الرحمن بن راشد سنة ٦٦٤هـ تولى بعده حكم مدينة الشحر حفيد أخيه راشد بن شجعنة بن ناجي بن راشد فظلَّ حاكمًا عليها إلى سنة ٦٧٧هـ، ثم ظهر منه ما أغضب عليه الملك المظفر وهو ميله لسالم بن إدريس الحبوضي وتهرُّبه من الخراج السنوي الذي عليه للمظفر، فكان حتفه في سوء رأيه -كما قال المؤرخ شنبل-، فجهز الرسولي عسكرًا وأرسلهم إلى الشحر بقيادة الأمير سريدار(٤) فهرب راشد بن شجعنة إلى الجبال(٥) ووضع الرسوليون أيديهم على الشحر فكان هذا بداية الحكم المباشر للمدينة(٦).

---

(١) تاريخ حضرموت، لشنبل، ص٨٨، و تاريخ حضرموت، للحامد، ج٢ ص٥٣٩.

(٢) من جملتها قطعة عنبر في حجم الفيل في العظم وكالمسك في الرائحة كما قال بعض المؤرخين. ينظر تاريخ حضرموت، للحامد، ج٢ ص٥٤٢.

(٣) تاريخ حضرموت، للحامد، ج٢ ص٥٤٢.

(٤) هكذا ذكره المؤرخ أبو محمد الطيب بامخرمة في تاريخه.

(٥) قال الأستاذ عبد الرحمن الملاحي في بحثه "مدينة الشحر بوابة حضرموت الجنوبية التاريخية" ص١٥ ما نصه: "واحتلها بعد هروب ابن شجعنة منها لاجئًا إلى حصوين ومنها إلى ظفار حيث رحَّب به الحبوضي وأكرمه".

(٦) تاريخ حضرموت، لشنبل، ص١٠٣، و تاريخ حضرموت، للحامد، ج٢ ص٥٤٣.

المبحث الثاني: الرسوليون وحكمهم المباشر لمدينة الشحر

قلنا سابقًا إن راشد بن شجعنة بن إقبال أظهر ما يسوء الملك المظفر الرسولي مما جعله يهاجمه في الشحر ويدفعه للهرب إلى الجبال، كان ذلك سنة ٦٧٧هـ -كما تقدَّم-(١). ثم بعد فترة من الزمن وتحديدًا سنة ٦٩١هـ هاجم عبد الرحمن بن راشد بن شجعنة بن إقبال مدينة الشحر وكان معه أبو هبري وآل أبي عويدين وآل صيف في عسكر من بني همَّام العوابثة رجال ورماة ومائة وعشرون فارسًا فحاصروا المدينة ستة أيام لكنهم لم يظفروا بمرادهم فرحلوا عنها(٢).

بقيت الحالة السياسية في مدينة الشحر غير مستقرة البتَّة، فأحيانًا تكون تحت حكم ولاة الدولة الرسوليَّة وهو الغالب في وقت الدراسة (أي من سنة ٦٧٧هـ إلى سنة ٨٣٦ هـ)، ويحكمها أمراء محليون في بعض الأحايين منها تولي ابن شماسة سنة ٧٩٥هـ وسنة ٧٩٩هـ -كما سيأتي مفصلًا-، وابن إقبال أو ابن فارس كما يحلو للمؤرخ شنبل أن يسمِّيه وذلك قبل رجب سنة ٨٠٩هـ لأن السلطان راصع بن دويس أخذها منه في هذا التاريخ(٣)، أمَّا الآن سنتحدث عن الأمراء الذين تولوا حكم الشحر من قِبَل الرسوليين، وهم بحسب الترتيب الزمني للأحداث:

الأول: أزدمر شاه أو سرمداد وسماه المؤرخ الحامد في موضع سريدار، وقال في الهامش "كذا في تاريخ بامخرمة"، هذا الأمير هو أول أمير ولي الشحر من نواب الرسوليين فيما يظهر للمؤرخ الحامد، قال في تاريخه: "وهو قائد المظفر الذي انتزع الشحر من راشد المذكور آنفًا"، ثم أردف قائلًا:" غير أن المعروف أن الأمير أزدمر شاه هو الذي قاد الجيش الرسولي الذي هاجم صاحب ظفار سالم بن إدريس الحبوضي وقضى عليه عام ٦٧٨هـ، ولم نعلم بعد من الذي عين نائبًا عنه على الشحر من جهة الرسوليين بعد أن صار أزدمر أميرًا على ظفار".

---

(١) تاريخ حضرموت، للحامد، ج٢ ص٥٤٣.

(٢) تاريخ حضرموت، لشنبل، ص١٠٧.

(٣) تاريخ حضرموت، المصدر السابق، ص١٥٧.

أورد المؤرخ شنبل في تاريخه خبر هجوم الرسوليين على ظفار وصاحبها الحبوضي، فأورد اسم الأمير الذي قاد تلك الحملة وهو غير الذي ذكره الحامد، قال شنبل:" أخرج الملك المظفر يوسف عسكرًا إلى ظفار طريق حضرموت أميرهم ابن الجنيد"، ولم يقل أزدمر كما قال الحامد، ويحق لنا هنا أن نتساءل، من هو أمير الشحر الحقيقي في تلك الفترة أهو أزدمر أو ابن الجنيد؟(١).

الثاني: ابن فيض أو ابن قيصر، قال عنه الحامد:" من نواب الرسوليين على الشحر، ذكره المؤرخ شنبل وقال إنه في سنة ٦٩٤هـ استولى على عرف، والظاهر أنه كان قديمًا في نيابة الشحر، إذ بقي حتى قدم المؤيد بن المظفر عندما أقطعه والده الشحر فصالح البدو وقبض على ابن فيض"(٢).

الثالث: المؤيد داؤد بن المظفر الرسولي، لما استخلف المظفر ابنه الأشرف على الحكم سنة ٦٩٤هـ أقطع ابنه المؤيد الشحر وما إليها، فتقدم تصحبه عمته الشمسية وكانت تحبه جدًا، فلما كان في أثناء الطريق بلغه نبأ موت أبيه الملك المظفر واستقلال أخيه الأشرف بالملك، وذلك في رمضان من العام المذكور، وكانت نفسه غير طيبة بإقطاعه الشحر إلا أنه واصل المسير حتى وصل إليها، فنهب جيشه الشحر فور وصوله، ثم أقام بها ثلاثة أشهر فصالح البدو وقبض على ابن فيض أمير الشحر المتقدم الذكر(٣).

الرابع: داؤد بن خليل الهكاري، كان أميرًا على الشحر في سنة ٧٥٦هـ، ذكره المؤرخ شنبل فقال: "خرج الهنود المجوسيون في أيام الأمير داود بن خليل الهكاري بقيودهم وسبحوا إلى مركب في بندر الشحر..." إلى آخر الخبر، كما ذكره الأستاذ محمد بامطرف حيث قال: "سنة ٧٦٨هـ حاصر آل يماني الشحر في عهد أميرها داود بن خليل الهكاري الرسولي ونهبوا جانبًا منها ثم أحرقوه"، على هذا النص بعض المؤاخذات منها: إن في سنة ٧٦٨هـ كان أميرًا

---

(١) تاريخ حضرموت، لشنبل، ص١٠٣، و تاريخ حضرموت، للحامد، ج٢ ص٥٥٨.
(٢) تاريخ حضرموت، لشنبل، ص١٠٨، و تاريخ حضرموت، للحامد، ج٢ ص٥٥٨.
(٣) العقود اللؤلؤية، للخزرجي، ج١ ص٣٢٧، و تاريخ حضرموت، للحامد، ج٢ ص٥٥٨، الشهداء السبعة، لبامطرف، ص٤٥.

للشحر رجل يسمى صارم الدين -كما سيأتي-، والأمر الثاني هو أن في هذا الوقت كان آل يماني أحلافًا بل نوابًا على تريم من قِبَل الرسوليين(١)، أمَّا الأمر الثالث فعدم وجود هذا الخبر في المصادر القديمة التي بحوزتنا كتاريخ شنبل وتواريخ الدولة الرسوليَّة كالخزرجي وغيره.

تولى الأمير الهكاري حكم ميناء المخا قبل سنة ٧٦١هـ كما قال الخزرجي أي لم يبقَ أميرًا على الشحر لفترة طويلة، توفي هذا الأمير بعد سنة ٧٦٧هـ وذلك لأنه في هذا العام كان مرافقًا للمظفر في رحلته إلى حضرموت(٢).

الخامس: صارم الدين داود بن موسى بن حناجر(٣)، ذكره شنبل وباعباد والحامد، وقال: "من نواب الرسوليين على الشحر"، في سنة ٧٦٧هـ أو ٧٦٨هـ وصل المظفر بن الملك المجاهد إلى حضرموت وكان ممن يرافقه الأمير صارم الدين، قال الخزرجي: "ووصل (أي سنة ٧٦٨هـ) رسول صاحب كنباية، ورسول ملك السند، بالتحف والهدايا إلى الأبواب السلطانية، ووصلوا بغراسات شجر الفلفل الأحمر والأصفر والأزرق، واستمر الأمير صارم الدين داود بن موسى بن حناجر أميرًا على الشحر وكان سفره من عدن يوم السادس والعشرين من شوال "، توفي هذا الأمير بعد شهر رمضان من سنة ٧٧٧هـ(٤).

السادس: الرَّضي، ذكره المؤرخ الحامد نقلًا عن باعباد، فقال:" ومنهم الأمير الرضي، قال أبو عباد: وفي سنة ٧٨٠هـ قتل الغز (أي جنود الرسوليين) الأمير الذي بالشحر الذي يقال له الرضي، لأنه أظهر كثيرًا من المنكر، من ذلك أن من مات لا يدفن إلا بجعل (أي مبلغ من المال)، فقتلوه وأمسكوا البلاد إلى أن جاء ثور وتسلم منهم البلاد اهـ. فتكون ولايته في أيام

---

(١) ونستدل على ما قلناه بقول المؤرخ شنبل في تاريخه ص١٣٢: " وفيها (أي سنة ٧٦٧هـ) وصل المظفر ابن الملك المجاهد إلى حضرموت ورجع إلى الشحر فأخذ عرف ثم رجع إلى حضرموت مع محمد بن أحمد بن يماني"، وقال أيضًا: "وفيها (أي سنة ٧٦٨هـ) انصرف الملك المظفر من الشحر إلى حضرموت ولم يظفر بشيء وأقام في تريم مدة، ثم سافر إلى بلاد الظاهر ومات بها ".

(٢) العقود اللؤلؤية، للخزرجي، ج٢ ص٦٢٣، تاريخ حضرموت، لشنبل، ص١٢٦ وص١٣٢، الشهداء السبعة، لبامطرف، ص٤٥.

(٣) عند الخزرجي في العقود ابن حباجر بالباء بدل النون.

(٤) تاريخ حضرموت، لشنبل، ص١٣٢، و تاريخ حضرموت، للحامد، ج٢ ص٥٦٠، والعقود اللؤلؤية، للخزرجي، ج٢ ص٦٤٨ وص٦٧٠.

الملك الأشرف"، هذا الخبر –المتقدِّم– ذكره أيضًا شنبل وقال: "إلى أن جاء ابن ثور فتسلم منهم البلاد"، لعل سقطًا وقع في تاريخ باعباد أو عند الحامد في هذه العبارة لأن الصحيح ابن ثور وليس ثور كما في الخبر الأول[1].

السابع: ابن ثور أو ابن بوز أو ابن نور، اختلف المؤرخون حول اسمه فأوردوه على تلك الوجوه الثلاثة[2]، ولِّي ابن ثور الشحر بعد الرضي، إذ جاء بعد أن قتل الجنود الرضي – كما تقدم – فتسلم الشحر سنة ٧٨٠هـ، وذكر شنبل في حوادث سنة ٧٢٤هـ أنه ولد فيها محمد بن ثور (بوز) بن حسن الكردي القضاعي ولعله هو[3]، وقد استمرت ولايته على الشحر نحوًا من خمسة عشرة سنة فوقعت بينه وبين أهل حضرموت حرب حتى صار يقبض على كل من أراد الدخول إليها إلا بمبلغ من المال.

لم يقتنع ابن ثور بولاية الشحر بل طمع في الاستيلاء على الغيل، والمفهوم أنه أراد أن يجعل ذلك أول خطوة له إلى حضرموت، فلما تهيأ لذلك وعلم به صاحب الغيل محمد بن يمين قدم إلى مدينة تريم مستنصرًا بصاحبها راصع بن دويس وطلب منه عسكرًا لدفع ابن ثور وصده، فدخل ابن ثور وجنوده الغيل وفي الحين ذاته انتشرت إشاعة هناك بأن راصعًا حاكم تريم بعث بعسكر إليهم نجدة لابن يمين، فانسحب ابن ثور وجنوده خوفًا من راصع.

وظل الوضع بين ابن ثور والقوى الحضرمية متوترًا مدة ولايته على الشحر[4]،

(١) تاريخ حضرموت، لشنبل، ص١٤٠، و تاريخ حضرموت، للحامد، ج٢ ص٥٦١.

(٢) للمزيد عن هذا الخلاف ينظر تاريخ حضرموت لشنبل ص١٤٠ الهامش رقم ٦.

(٣) تاريخ حضرموت، لشنيل، ص١٤٠ – ١٥١ ، وتاريخ حضرموت، لصالح الحامد، ج٢ ص ٥٦١.

(٤) قال الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف –رحمه الله– في كتابه الشهداء السبعة ص٤٩: " وفي سنة ٧٨٢هـ جدَّد عمارته (أي المسجد الجامع الشريف بالشحر) ووسع رقعته الأمير الرسولي محمد بن أحمد بن الحاجب القضاعي"، وهنا لا يسعنا إلا أن نتساءل، هل كان هذا الأمير ابن الحاجب أحد أمراء بني رسول التابعين حينها للأمير ابن ثور الذي امتدَّت فترة ولايته على مدينة الشحر حسب المصادر التاريخيَّة من سنة ٧٨٠هـ إلى سنة ٧٩٥هـ؟ أم أنه تولى الشحر لفترة بسيطة خلال فترة ولاية ابن ثور نفسه وفي فترته البسيطة تلك قام بهذا التجديد والتوسعة للمسجد الجامع بالمدينة؟ أو أن لبسًا وقع في الأحداث التاريخيَّة لتلك الفترة مما جعل شيئًا منها يسقط سهوًا أو عمدًا؟. يرى الباحث أنه على أرجح الاحتمالات الواردة من تقارب تلك الحوادث التاريخيَّة أن هذا الأمير ابن الحاجب كان قد تولَّى النيابة عن ابن ثور في بعض حالات خروجه من المدينة فجدَّد ووسع رقعة المسجد

في شهر صفر سنة ٧٨٣ هـ وصل راصع بن دويس وحاصر الشحر وحصلت بين الجهتين مناوشات قُتِلَ فيها بعض الجنود، ثم في سنة ٧٨٦هـ حدثت بعض القلاقل أيضًا بينهما، وفي سنة ٧٨٩هـ طلع راصع إلى الشحر وفيها أميرها ابن ثور وأخذ من حول الريدة أموالًا كثيرة ووصل إلى منطقة عرف فلما خرج أعقبه أمير الشحر إلى الوادي وهاش منه ما شاء الله، ولم يسلم منه إلا ميناء حيريج.

في سنة ٧٩٠ هـ وصل عبد الرحمن بن شماسة وأهل الريدة وأخلوا الرتبة من الحصن وقتلوا ثلاثة من جنود ابن ثور وغيَّروا الغياض ونهبوها وأخذوا الخريف، إلا أن ابن ثور لم يسكت عن هذا الفعل فهاجم حيريج، وفي السنة التي تلتها سيَّر ابن ثور عسكرًا إلى الريدة وحيريج أيضًا، ثم حدثت الحرب بين بعض القوى الحضرمية وهي راصع ومعه آل أحمد وآل كثير وبين الصَّبرات، فأعانهم ابن ثور على هذه الحرب يقصد الفتنة كما يظهر وأخرج معهم الخيل والرماة.

ظلت العلاقة بين ابن ثور وابن شماسة متوترة تشوبها الكثير من الشوائب حتى وسَّط ابن ثور في سنة٧٩١هـ أحد مشايخ آل باوزير في الصلح بينه وبين عبدالرحمن بن شماسة، فوافق ولكن ببعض الشروط، فجعل ابن ثور لابن شماسة في كل سنة خمسمائة دينار وجميع عشور ميناء حيريج.

وأخيرًا هرب ابن ثور سنة ٧٩٥هـ، وترك البلاد وجرف من عدة الحرب ما استقبله، والتجأ إلى الشريف ولد صلاح الدين إمام الزيدية بصنعاء، وكان سبب هروبه أن نائبه بريدة المشقاص خالف عليه وأرسل إلى سعد بن أحمد بن شماسة الثعيني فتحالفا ضد ابن ثور، فحدثت بعدها بعض الأحداث اضطر بعدها ابن ثور للهرب حفاظًا على حياته(١).

الثامن: سعد بن أحمد بن شماسة الثعيني، تولى الشحر بعد هروب ابن ثور سنة ٧٩٥ هـ -كما تقدَّم-، نعود لسرد بعض أحداث هروب ابن ثور، وتولي ابن شماسة الشحر بعد هرب

= الجامع في تلك الفترة التي تولى فيها بالنيابة وهي في آخر عمره كما يظهر، قال المؤرخ شنبل في تاريخه ص١٤١: " وفيها (أي سنة ٧٨٢هـ) توفي الأمير سيف الدين محمد بن أحمد بن الحاجب... "أي كانت وفاته في نفس العام الذي ذكر الأستاذ بامطرف أنه جدَّد فيها الجامع الشريف، والله أعلم.

(١) تاريخ حضرموت، لشنبل، ص١٤٠ إلى ص١٥١، و تاريخ حضرموت، للحامد، ج٢ ص٥٦١.

ابن ثور حفظ ابن شماسة البلاد خوفًا عليها من النهب وغيره، وكتب إلى السلطان الأشرف الرسولي يعلمه بما جرى، فأقرَّه السلطان أميرًا على الشحر، ثم أرسل أميرًا آخر فقبض الشحر وعزل ابن شماسة، إلا أنه عاد أميرًا على الشحر مرة أخرى في سنة ٧٩٩ هـ وذلك خلفًا للأمير محمد قراجا[١].

التاسع: محمد بن أحمد قراجَا، تولىَّ الشحر بعد ابن شماسة وذلك في رجب من سنة ٧٩٦هـ كما ذكره المؤرخ شنبل في تاريخه، إلا أنه لم يبقى مدة طويلة في إمارته على الشحر فأخذها سنة ٧٩٩هـ ابن شماسة مرة ثانية كما تقدَّم[٢].

العاشر: الأمير التركي، كان واليًا على الشحر في سنة ٨١٢هـ، قال شنبل: "طلع دويس بن راصع إلى الشحر وابن قسمان وابن جسار معهم وفيها أمير تركي فأرسل باقديم من سيبان، فحالفوه آل عامر وآل كثير والصبرات وغيرهم، وطلعوا من دوعن وأهله معهم فالتقوا هم وولد راصع فهزمهم دويس فانهزموا إلى قبلي الشحر، وقتل من الصبرات سبعة ومن آل كثير ومن معهم عشرة ومن الكسر ودوعن أربعة"، يُفْهَم من هذا الخبر أن دويسًا لم يدخل الشحر بعد ذلك، وأن هذا الأمير من نواب الملك الناصر بن الأشرف الرسولي[٣].

الحادي عشر: عبد الله بن أحمد الهبي، ذكره الخطيب في الجوهر الشفَّاف، والحامد في تاريخه، ظلَّ هذا الأمير في إمارته للشحر فترة من الزمن ثم ظهر منه ظلم فأرسل السلطان الرسولي أميرًا بدلًا عنه، فعندما وصل الأمير الجديد صادر أموال الهبي جميعها واعتقله وأرسله إلى السلطان بطريق عدن[٤].

الثاني عشر: الأمير كافور، من نواب بني رسول على الشحر، كان في أيام الشيخ عمر المحضار، ولعله هو الذي عزل به الهبي وعقبه على إمارة الشحر، ذكره الخطيب وقال:" إنه كان أميرًا من قِبَل سلطان اليمن، وإنه أمر جنوده بأن يعدوا نخل الشحر لحرضه وأخذ ضريبة عليه "[٥].

---

(١) بضائع التابوت، لابن عبيد الله السقاف، ج١ ص٣٠٥، وتاريخ حضرموت، لشنبل، ص١٥١ وص١٥٣

(٢) تاريخ حضرموت، لشنبل، ص١٥٢.

(٣) تاريخ حضرموت، لشنبل، ص١٥٨، و تاريخ حضرموت، للحامد، ج٢ ص٥٦٣.

(٤) تاريخ حضرموت، للحامد، ج٢ ص٥٦٣.

(٥) الحامد، المصدر السابق، ج٢ ص٥٦٣.

وهكذا بقي نواب الرسوليين يتناوبون ولاية مدينة الشحر في فترة رضوخها للحكم الرسولي، التي ابتدأت من سنة ٦٧٧هـ -كما قلنا آنفًا-[١]، قال الأستاذ محمد بامطرف واصفًا فترة الحكم الرسولي على الشحر: "لقد كان حكم الرسوليين بالشحر حكمًا تأرجح بين القوة والضعف، كانت العشائر الحضرمية تنازعهم السلطة داخل المدينة وخارجها وتعكر أمن البلد، فينزل بهم الرسوليون العقوبة، ولكن العشائر تعود فتشن الغارات المفاجئة ضدهم، فيتصدى الرسوليون للمغيرين، ولكنهم لا يلبثون أن يكروا على الرسوليين من جديد في صورة من صور لعبة القط والفأر"[٢].

وفي سنة ٨٣٦ هـ تقريبًا هاجم الأمير محمد بن سعيد أبو دجانة الشحر بمساعدة أخواله المهرة[٣] فانتزعها من بني رسول[٤]، ثم أرسل في العام نفسه الملك الظاهر بن الملك الأشرف عسكرًا لاستنقاذ الشحر منه وطرده منها ولكنه لم ينجح ولم يزد على محاصرة الشحر مدة من الوقت، ثم عاد وقد قتل من رجاله جماعة، لذلك أيس الرسوليون من استرجاع ناحية الشحر، وكانت هذه المحاولة هي خاتمة محاولاتهم، ومكث بعدها أبو دجانة أميرًا على الشحر مدة طويلة تزيد على خمسة وعشرين عامًا[٥].

المبحث الثالث: مظاهر الحياة الاقتصاديَّة والحضاريَّة في مدينة الشحر إبان حكم بني رسول:

فقد اهتم سلاطين بني رسول بتحقيق أكبر عائد اقتصادي في البلاد، وفي الفترة التي شهدت قيام الدولة وإحكام قبضتها على كل أجزاء اليمن، قام سلاطينهم بالاهتمام بالنشاط الزراعي والصناعي والتجاري، فاهتموا بالمشروعات الزراعية، كما اهتموا بتنشيط التجارة بتخفيف

(١) تاريخ حضرموت، للحامد، ج٢ ص٥٦٤.
(٢) الشهداء السبعة، لبامطرف، ص٣٣.
(٣) وقال الأستاذ بامطرف في كتابه الشهداء السبعة ص٣٤ ما نصه: "وبعد أن استولى أبو دجانة على الشحر حوَّل مركز إمارته إليها من حيريج، وقد ساعده على احتلال الشحر المئات من أبناء الشحر المهرة وكانوا يشكلون شوكة في جنب الحكم الرسولي".
(٤) المختصر في تاريخ حضرموت العام، لبامطرف، ص٩٦، مع وجود خطأ طباعي ظاهر في التاريخ حيث أثبت في الكتاب سنة ٧٣٦هـ وهو خطأ ظاهر كما قلنا.
(٥) تاريخ حضرموت، للحامد، ج٢ ص٥٦٥، تاريخ حضرموت، لشنبل، ص١٧٣.

عشور التجارة الواردة إلى دولتهم فضلًا عن تشجيع حركات الصادرات[١].

وفي زمن الدراسة (٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م - ٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م) عرفت مدينة الشحر عند الجغرافيين العرب بأنها أحد أهم فرضتين (ميناءين) على ساحل حضرموت[٢]، ولموقعها التجاري اهتم بها الرسوليون وبنوا حولها سورًا، وقصورًا وقلاعًا بها، وعززوا موقعها ونشاطها التجاري وصارت معروفة كمركز تجاري هام بين الموانئ الأخرى، ويلقى القادمون منها من التجار إلى شرق إفريقيا الاستقبال الحسن، وقد تحدث عن وفادتهم للمدن الإفريقية وشهرتها التجارية بعض الباحثين العرب والأجانب[٣]، وعن هذا الأمر يشير مؤلف كتاب عمان وتاريخها البحري بالقول: "وقد وفد إلى هذه المدن (الإفريقية الشرقية) إلى جانب خليط العمانيين والعراقيين والفرس، جماعات من مدن الساحل الجنوبي الغربي للجزيرة العربية، جاءوا من الشحر التي كانت في ذلك الوقت مركزًا هامًا للتجارة البحرية..." إلى آخر ما قال[٤].

وعندما حكم بنو رسول الشحر حكمًا مباشرًا، عملوا على توسيع نشاطها التجاري، فقد قدرت الضرائب المأخوذة من الميناء عام ٨٠٣هـ -١٤٠٠م عينًا ونقدًا ما يقدر بأربع مائة ألف دينار وهو نظام معمول به منذ عهد الدولة الزياديَّة الحاكمة باسم العباسيين في اليمن، وهذا مبلغ كبير في ذلك الوقت ويدل على سعة الحركة التجارية وكثرة أعمال الاستيراد والتصدير في الميناء، ولولا الدخل الكبير الذي يجيء من هذا الميناء لما فرضت هذه الضريبة الضخمة[٥].

ولميناء الشحر نظام خاص للإداريين والمسؤولين عن إدارة الميناء بكل أقسامه، فبعضهم مسؤول عن إدارة الميناء والشحن، وبعضهم عن عمال التفريغ وعمال خدمة السفن وأمر الفرضة (الدُّكة)، ويوجد نظام خاص بالجمارك وهو ١٠٪ على البضائع وللدلال ١٪ ورسوم

---

(١) الحياة الاقتصادية في اليمن في عهد بني رسول، لحصة المبارك، ص٩٠.

(٢) الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها، لعلوي الحداد، ج١ ص٣٠٩.

(٣) مدينة الشحر بوابة حضرموت الجنوبية التاريخية، لعبدالرحمن الملاحي، ص١٩.

(٤) عمان وتاريخها البحري، وزارة الإعلام والثقافة، ص٥٠.

(٥) موانئ ساحل حضرموت، لخالد باوزير، ص٦١، ومدينة الشحر بوابة حضرموت الجنوبية التاريخية، لعبد الرحمن الملاحي، ص٢٠.

البضائع المصدرة ٥ ,٢٪ على البضائع المستوردة ويعرف أهل الشحر بدقة موعد وصول السفن وموعد المغادرة[١].

أورد صاحب كتاب " ارتفاع الدولة المؤيِّدية جباية اليمن في عهد السلطان الملك المؤيد داؤد بن يوسف الرسولي المتوفي سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م " معلومات مكثفة عن ميناء الشحر، تتناول أحوال الميناء وعائداته المالية، واحتكار ديوان الدولة شراء كميات الزيوت الضخمة المستخرجة من سمك السردين (العيد) من الصيادين، والتي كان يقبل على شرائها أهل الهند وظفار ومقدشيو وغيرهم لاستخدامها في طلاء أخشاب السفن وزوارق الصيد لوقايتها من التلف السريع في الماء، كما احتكر ديوان الدولة في الشحر -كما يشير صاحب الكتاب- حق شراء كافة محصول التمر من المزارعين في بلاد حضرموت، وكذلك كافة كميات محصول اللبان.

ومن الأدلة على وجود فساد في الميناء تلك التسهيلات التجارية للذين يقصدون ميناء الشحر من التجار، بما في ذلك شراء ديوان الدولة لبضائعهم بسعر الزمان والمكان في حالة عدم وجود مشتر لها، وقد انتقد مؤلف الكتاب السابق الذكر موظفي الميناء الذين أساءوا التصرف مع التجار بتقديم مصالحهم الشخصية على مصالح الدولة، فأدوا إلى الإضرار بسمعة الميناء وعزوف التجار عن قصدهم، كما يدل اكتفاء الدولة بتضمين ميناء ريدة المشقاص وميناء حيريج على الوجود الضعيف والشكلي لدولة بني رسول في بلاد المهرة وشرقي بلاد الشحر[٢].

والآن سنورد نص مؤلف كتاب "ارتفاع الدولة المؤيِّدية جباية اليمن" الذي يوضع فيه قوانين ولوائح السفر وتجارة البحر وبعض البر لمدينة الشحر في فترة حكم الملك المؤيد الرسولي، فقال: "مواقيت المواسم المباركة، ابتداء سفر المقدشي من مقدشيو إلى الشحر في آذار في الخامس عشر منه، ابتداء سفر الظفاري إلى الشحر في السابع عشر من نيسان، ابتداء سفر أهل البر إلى الشحر من صنعاء ومأرب وحصي في الثامن من آذار، ابتداء سفر الهندي من الهند إلى الشحر في الخامس عشر من تشرين الأول، آخر سفر الهندي من الهند إلى

(١) موانئ ساحل حضرموت، لخالد باوزير، ص٦٢.

(٢) ارتفاع الدولة المؤيِّدية، تحقيق محمد جازم، الصفحة (م) من المقدمة.

الشحر في الثامن من آذار، ابتداء سفر العدني من عدن إلى الشحر في العشرين من نيسان، آخر سفر العدني من عدن إلى الشحر في السابع والعشرين من نيسان "[١].

وقال أيضًا في قواعد البحر وما يحدث من مخالفات من عُمَّال الدولة الرسوليَّة في ميناء الشحر التي أدت إلى نفور التجار منها: "يجب أن تقرَّر خواطر أهل الهند ومقدشو وظفار وغير ذلك أن لهم العدل والإنصاف والاحترام والإتحاف، وأن يبذل لهم من أصناف العدل ما تثلج به صدورهم فإنهم ألفوا ممن تقدمت مباشرته من المتصرفين[٢] ضد ذلك فحصل النفور بسبب أن المتصرفين يحيرونهم ببضائعهم حتى تنقضي المواسم ويقرب أوان سفرهم ويحرمون على التجار أن يشتروا بضائعهم بحجة أنها مطلوبة للديوان، وليس الأمر كذلك، فيرجعون ويبيعون بضائعهم على المتصرفين بما قالوا، ثم يحرِّمون ذلك، فإن جازت بضاعة آخر حرَّموها أيضًا على التجار حتى تكسد بضاعته ويتأخر إلى قرب أوان السفر فيطلب منهم نجاز أمره بصرم البيع للديوان فيشترون منه على قدر أهويتهم[٣] فإن تم ذلك عرضوا عليه من حاصل بضائعهم مما يصلح لذلك التاجر فيقيمونها عليه بقدر ما يشتهون فحصل النفور من التجار بهذا السبب"[٤].

وأردف قائلًا: "ومن جملة ما يبذل لهم أن من وصل الشحر ببضاعة ولم يجد لها مشتريًا فإن الديوان السعيد المشتري لبضاعته بما اختار من نقد أو بضاعة تصلح له من مال المتجر[٥] على قدر سعر الوقت، ومن أرباب السنابيق[٦] أيام الخريف لهم ما تحصَّل في سنابيقهم ما عليهم إلا الواجب المعتاد للديوان السعيد[٧] وأن الصيفة من جهات الشحر وأعمالها لا تباع

---

(١) ارتفاع الدولة المؤيِّدية جباية اليمن في عهد السلطان الملك المؤيد داؤد بن يوسف الرسولي المتوفي سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م، ص١٢٨.

(٢) هم القائمون من موظفي دولة بني رسول على شئون ميناء الشحر.

(٣) أهوائهم.

(٤) المصدر السابق، ص١٢٩.

(٥) قال المحقق جازم بالهامش: "متجر الدولة في فرضة الشحر ".

(٦) قوارب الصيد الصغيرة والمتوسطة.

(٧) يدل القول السابق على أن ديوان الدولة كان يحصل على نصيب من الأسماك التي يصيدها الصيادون في مدينة الشحر، إلى جانب جباية كانت تؤخذ على نصيب الصياد من السمك، فإن دخل فصل الخريف توقف ديوان الدولة عن أخذ نصيبه من الأسماك واقتصر فقط على أخذ الجباية المعتادة.

إلا إلى الديوان السعيد"[1].

أمَّا عن تجارة البر من محاصيل زراعيَّة وغيرها، فقد كانت لها في الشحر أيضًا أيام الرسوليين قواعد وقوانين تنظمها، منها ما ذكره صاحب كتاب ارتفاع الدولة المؤيِّدية فقال:" إن اللبان لا ينباع إلا على الديوان السعيد خاصة بالضريبة المعتادة في سائر الزمان البهار[2] سبعة دنانير ونصف، وأن التمر من أعمال حضرموت لا ينباع إلا إلى الديوان السعيد كل نوع على سعره الواقع، وأن لا يزاد في طريق عرف على الجباء المقرَّر أيام وقوف مولانا السلطان خلد الله ملكه بالشحر، كما استمر ذلك ورضي به التجار، وأن لا يخمَّن على رب بضاعة لغرض بخس"[3].

فعن إجمالي العائدات المالية المجبية من مدينة الشحر وضواحيها لعام كامل، خارجًا عن عائدات البيع والشراء لمتجر ديوان الدولة الرسوليَّة في المدينة، قال صاحب الارتفاع: "ومبلغ ارتفاعها: ملكية سبعون ألفًا وثمانمائة وسبعة وتسعون دينارًا.وما تضمنه الضريبة المخلدة: اثنان وخمسون ألفًا وخمسمائة وستة وأربعون دينارًا. هلالي: ثمانية عشر ألفًا وخمسمائة وخمسة عشر دينارًا ونصف وربع. خراجي: أربعة وثلاثون ألفًا وثلاثون دينارًا وربع. دور الديوان والدكاكين[4]: ألف ومائتان وأربعة وخمسون، الدور - ثمانية وعشرين دارًا: ستمائة دينار، الشهر خمسون دينارًا. الدكاكين - أحد عشر دكانًا: ستمائة وأربعة وخمسون دينارًا، الشهر أربعة وخمسون ونصف. قطع ضريبة: سبعة وعشرون ألفًا وسبعون دينارًا. قطعة الوجوه على الرعية[5] مما يقسم نصفين، مقدشي وموسم[6]: ستمائة وستون دينارًا.قطعة في موضع المبارك[7]: في صيف وريف مائة دينار. قطعة الحرث: خمسون دينارًا.

---

(١) المصدر السابق، ص١٣٠.

(٢) وزن كبير يبلغ ثلاثمائة رطل بغدادي.

(٣) المصدر السابق، ص١٣١.

(٤) هي دور (بيوت) ودكاكين (حوانيت) من ممتلكات الديوان يؤجرها ويجني إيجارها آخر العام.

(٥) مبلغ من المال يدفعه المزارعون لديوان الدولة سنويًا على دفعتين، لم نتبين ماهيته ولا مقابل ماذا يدفع.

(٦) قال المحقق محمد جازم: " أما (موسم) فقد ورد في الأصل مرسومًا هكذا ولم يحدد أي موسم هو، وإن كنا نحتمل أن يكون موسم قدوم الهندي إلى الشحر ".

(٧) مبلغ من المال يدفع لديوان الدولة مقابل إناخة الجمال التي تنقل البضائع في مكان محدد في مدينة الشحر، يسمى (المَبَارِك) جمع مَبْرَك، ربما سمي بذلك لبروك الجمل فيه.

قطعة شكلنزة صيف وخريف ستون دينارًا. قطعة السنابيق عن أربعين سنبوقًا السنبوق خمسة عشر دينارًا.قطعة الأنولة في النخل والأعاريب خمسمائة دينار. قطعة أولاد أحمد بن يونس: مائة دينار..."[1] إلى آخر تلك المبالغ التي يحصلها الديوان الرسولي من ريدة المشقاص وحيريج وأعمال حضرموت الداخل وغيره.

أشرنا سابقًا أن بني رسول عندما حكموا الشحر بنوا حولها سورًا [2]، وبها قصورًا وقلاعًا، قال الأستاذ عبدالرحمن الملاحي -رحمه الله-: "أن الرسوليين أقاموا قلاعًا لحراسة المدينة وقصورًا لسكناهم ومقرًا لحكمهم، ولا نعلم اليوم على وجه التحديد موقع هذه التحصينات، بل ربما أقاموا سورًا لا نعلم اليوم موضعه أيضًا، غير أننا نعلم موقع قلعة تبدو من ركامها المتبقي اليوم أنها كانت ضخمة، وأن بداخلها بئرًا عميقة للشرب تبدو آثار بناء جدرانها واضحة، فلعلها إحدى القلاع التي بناها الرسوليون وتتحدث الإخباريات عن هذا الركام الأثري بأنه لحصن قديم يسمى المصبح، وعرف في القرن العاشر الهجري بحصن البلاد على عهد بدر أبي طويرق الكثيري، ويقع اليوم إلى الجنوب الشرقي من دار السينما وغربي حصن ابن عياش"[3].

بعدما تعرفنا على بعض مظاهر الحياة الاقتصاديَّة والحضاريَّة[4] لمدينة الشحر إبان دولة بني رسول نريد أن نتعرف على المدينة نفسها، كيف كانت في تلك الفترة؟ ومن حسن حظنا أن وصفها لنا التاجر الصيني (ماهوان) عند زيارته لها سنة ٨١٩هـ - ١٤١٦م، كتب في مذكراته قائلًا:" وهي على ساحل البحر وسورها من الحجر.. وبيوتها من الطين ويبلغ ارتفاعها ثلاث أو أربع طبقات، وفي أعلاها تقع المطابخ وغرف النوم حيث يقيم الضيف، وأما الطوابق السفلى فيعيش فيها العبيد.. ومنتجاتها العنبر والبخور

(١) المصدر السابق، ص١٣٢.

(٢) ينظر صورة الشحر وسورها أيام الدولة الرسوليَّة في الملحق آخر البحث.

(٣) ملامح من تاريخ التوسع العمراني لمدينة الشحر، عبد الرحمن الملاحي، ص٩.

(٤) ومن تلك المظاهر الحضاريَّة التي ناقشناها سابقًا في الهامش عند حديثنا عن ابن ثور لما ورد فيها من تضارب الأحداث قول الأستاذ بامطرف: "وفي سنة ٧٨٢هـ جدَّد عمارته ووسع رقعته (أي المسجد الجامع الشريف بمدينة الشحر) الأمير الرسولي محمد بن أحمد بن الحاجب القضاعي"، ينظر الشهداء السبعة ص٤٩.

والجمال السريعة.. وأهلها مخلصون في معاملاتهم"[1].

بهذا العرض المتقدِّم نكون قد استطعنا أن نرسم صورة واضحة للحياة في مدينة الشحر بجوانبها الاقتصاديَّة والحضاريَّة.

المبحث الرابع: علماء من الشحر ونواحيها عاصروا دولة بني رسول

في هذا المبحث سنتحدث بشيء من الاختصار عن بعض العلماء الذين ولدوا أو عاشوا أو أخذوا العلم أو تولوا القضاء بمدينة الشحر ونواحيها مثل غيل أبي وزير والمشقاص، وذلك لإبراز بعض ملامح الحياة العلمية في المنطقة في فترة حكم بني رسول لها، ولن أترجم لكل الشخصيَّات العلميَّة التي مرَّت في تاريخ الشحر في هذه الفترة، بل سأترجم للعلماء الذين خلَّفوا من بعدهم أثرًا طيبًا في حياة المدينة على العموم، والآن نبدأ في تراجم الأعلام:

الأول: العلامة القاضي الفقيه أحمد بن محمد بن يحيى بن ضمعج السبتي الظفاري الشحري، ولد بمرباط وبها نشأ، هو أول من انتقل من أسرته إلى الشحر، تفقه في مرباط بأبيه الفقيه محمد تلميذ الإمام محمد القلعي (ت: ٥٧٧هـ تقريبًا)، ومن تلامذته ابنه القاضي عبدالرحمن، تولى القضاء بالشحر بعد وفاة القاضي إبراهيم باشكيل المتوفي سنة ٦٦٠هـ، قال عنه الجندي في السلوك: "كان فقيهًا فاضلًا مبارك التدريس"، من مؤلفاته شرح على كتاب التنبيه للإمام الشيرازي وصف بأنه شرح موسع مشبع مفيد كما أثنى عليه العلماء وانتفعوا به، توفي بمدينة الشحر حوالي سنة ٦٦٩هـ وقيل سنة ٦٧٥هـ كما عند البغدادي في الهدية رحمه الله[2].

الثاني: العلامة الفقيه حسين باهراوة الشحري[3]، قال عنه الأستاذ عبد الرحمن الملاحي: "عالم فقيه، له مسجد باسمه معروف اليوم باسم باقرين"، وقال عنه العلامة عبد الله بن محمد

---

(١) رحلات الصينيين الكبرى إلى بحر العرب، لعبدالله محيرز، ص٨٩.

(٢) السلوك، للجندي، ج١ ص٤٥٥، وج٢ ص٤٤٠ وص٤٥٨، وتحفة الزمن، للأهدل، ج٢ ص٤٢٣، وقلادة النحر، لبامخرمة، ج٥ ص٣٥٩ ترجمة رقم ٣٢٤٠، وهدية العارفين، للبغدادي، ج١ ص٩٨، وجهود فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي، لمحمد باذيب، ج١ ص٣٣٦.

(٣) ومن هذه الأسرة العلمية اشتهر كثير من العلماء منهم عبد الله بن أحمد باهراوة الفقيه الذي توفي بالشحر سنة٨٥٥هـ كما قال المؤرخ شنبل في تاريخه، قال عنه الأستاذ الملاحي: "إنه من الفقهاء البارزين بالمدينة في القرن التاسع الهجري".

باحسن: "كان من كبار العارفين، والعلماء العاملين"، له مدرسة ملحقة بمسجده في مدينة الشحر، قال يمتدحه الأديب عبدالرحمن باكثير:

وأبـــي هـــراوة الـشـهـير حسـين من شـــاعـــت مـنـاقـبـه الــتـــي لا تـجـهـل
أدى الـــشـــهـــادة في قـضـيـة مـدَّع مـــن قـبـــره إذ هـــو لـــهـا تـحـمـل

توفي صاحب الترجمة بمدينته الشحر سنة ٧٦٩هـ وقبره داخل قبة العلامة الشيخ سعد الدين الظفاري رحمهما الله تعالى(١).

الثالث: الفقيه القاضي أبو الخير بن عبد الله بن إبراهيم بن جبر المأربي الميفعي، أخذ العلم عن أعلام عصره في عدن وغيرها، ثم انتقل إلى وادي حجر ونشر به العلم، ثم طلب لقضاء الشحر فتولاه سنة ٦٦٩هـ، فأخذ عنه بها جماعة منهم الفقيه القاضي أحمد بن عبد الرحمن السبتي والشيخ الفقيه حسن بن علي باجبير والعلامة علي بن عبد الله باأسد وعبد الله بن أحمد باحارثة الشبامي ومحمد بن مسعود بابهير ومحمد بن كليب الخولاني، وبعد عزله من قضاء الشحر سكنها مدة ثم عاد إلى حجر وتوفي بها سنة ٧٠٥هـ رحمه الله(٢).

الرابع: العلامة القاضي الفقيه جمال الدين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن ضمعج السبتي، ولد ونشأ بمدينة الشحر، أخذ العلم عن والده القاضي أحمد المتوفى حوالي سنة ٦٩٥هـ، وتفقه على العلامة أحمد بن أبي بكر بن الرنبول (ت: ٧٢٤هـ) في أبين، وأخذ عن الفقيه العلامة القاضي أبي الخير المأربي المتوفي سنة ٧٠٥هـ الذي خلف جده العلامة عبد الرحمن المتوفى حوالي سنة ٦٦٩هـ على قضاء الشحر، له شرح على الرحبية وفتاوى وصفت بأنها محققة مدققة، توفي رحمه الله سنة ٧١٢هـ(٣).

---

(١) نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية، لعبد الله باحسن، ص٣٦٣، ومدينة الشحر بوابة حضرموت الجنوبية التاريخية، لعبد الرحمن الملاحي، ص٣٣، والشهداء السبعة، لبامطرف، ص٤٨، والشحر عبر التاريخ، لخميس حمدان، ص١٨٣.

(٢) السلوك، للجندي، ج٢ ص٤٥٦، وتحفة الزمن، للأهدل، ج٢ ص٤٢٠، وقلادة النحر، لبامخرمة، ج٦ ص٣٤ ترجمة رقم ٣٥٨٩، وجهود فقهاء حضرموت، لمحمد باذيب، ج١ ص٣٥٠.

(٣) العقود اللؤلؤية، للخزرجي، ج١ ص٤٠٤، والسلوك، للجندي، ج٢ ص٤٥٩، وتحفة الزمن، للأهدل، ج٢ ص٤٢٤، وقلادة النحر، لبامخرمة، ج٦ ص٧٤ ترجمة رقم ٣٦٨٥، وجهود فقهاء حضرموت، لمحمد باذيب، ج١ ص٣٥٤.

الخامس: الفقيه الصالح الشيخ حسن بن علي باجبير، فقيه مدرس من فقهاء مدينة الشحر، أخذ العلم عن الفقيه القاضي أبي الخير المأربي قاضي الشحر وغيره، قال عنه الجندي: " فقيه الشحر في عصرنا حتى توفي"، وقال أيضًا: "فقيه صالح يدرس بمسجد يعرف بأبي قرين"، توفي رحمه الله بمدينة الشحر سنة ٧٢٢هـ(١).

السادس: العلامة الفقيه محمد بن مسعود باهير، أصله من بلدة بور، تفقه بالشحر على جماعة من العلماء منهم قاضيها العلامة أبي الخير المأربي كما نص على ذلك الجندي في سلوكه، توفي صاحب الترجمة بعد سنة ٧٢٦هـ رحمه الله(٢).

السابع: العلامة الفقيه القاضي جمال الدين محمد بن سعد بن محمد بن علي بن سالم باشكيل، كان مولده بغيل أبي وزير في رجب سنة ٦٧٤هـ، تفقه بالشحر على الفقيه علي بن عبد الله أبي أسد ثم أخذ عن شيخ شيخه قاضي الشحر العلامة أبي الخير المأربي، ثم رحل إلى عدن وأخذ عن قاضيها العلامة أبي بكر بن الأديب الخنفري وغيره، من مصنفاته شرح الوسيط للإمام الغزالي وفتاوى كبرى وصغرى، تولى القضاء بزبيد مدة طويلة، وفي آخر حياته ولي القضاء والتدريس بعدن، ثم عاد إلى وطنه فكان مترددًا بين الغيل والشحر، قال الأهدل: "رجع إلى الشحر، وتوفي بها، وقبره مشهور عند الشيخ سعد بن علي (الظفاري) صاحب الشحر، توفي حولي سنة ٧٦٠هـ رحمه الله تعالى(٣).

الثامن: العلامة القاضي رضي الدين أبو بكر بن أحمد بن عبد الرحمن السبتي الشحري، ولد بمدينة الشحر سنة ٦٩٣هـ، ونشأ وطلب العلم بها، أخذ عن أخيه القاضي محمد -المتقدِّم الذكر- وعن خاله العلامة القاضي محمد بن سعد باشكيل وغيرهما، من أجل تلاميذه الشيخ الفقيه محمد بن عمر بن رشيد الخولاني الحباني، له مصنفات جليلة منها

---

(١) السلوك، للجندي، ج٢ ص٤٥٧ وص٤٦٠، وتحفة الزمن، للأهدل، ج٢ ص٤٢٤، وجهود فقهاء حضرموت، لمحمد باذيب، ج١ ص٣٥٩.

(٢) تحفة الزمن، للأهدل، ج٢ ص٤٢٤، والسلوك، للجندي، ج٢ ص٤٥٧ وص٤٦٠، وجهود فقهاء حضرموت، لباذيب، ج١ ص٣٥٩.

(٣) تاريخ حضرموت، لشنبل، ص١٠١، والسلوك، للجندي، ج٢ ص٤٣٩ وص٤٦٠، وتحفة الزمن، للأهدل، ج٢ ص٤٢٥، وجهود فقهاء حضرموت، لمحمد باذيب، ج١ ص٣٦٢، الفكر والثقافة، لباوزير، ص١٣٢.

الجامع المحيط في اختصار شرح الوسيط ومختصر شرح مسلم وشرح الرحبية، قال عنه الجندي لما ذكر فقهاء الشحر من معاصريه: "وهو الآن (سنة ٧٢٢هـ) الحاكم في البلد والخطيب"، وقال بامخرمة في القلادة: "كان فقيهًا بارعًا مشهورًا مباركًا في عدة فنون، ولي قضاء الشحر إلى أن توفي"، توفي صاحب الترجمة بمدينة الشحر سنة ٧٦١هـ رحمه الله[١].

التاسع: العلامة الفقيه القاضي، الأديب المؤرخ عبدالرحمن بن علي حسان، ولد بريدة المشقاص سنة ٧٥٠هـ تقريبًا، أخذ العلم عن أعلام عصره منهم السيد الجليل علوي بن محمد مولى الدويلة، قال عنه شنبل: "وهو الإمام واحد عصره في العلم، كان كريمًا معظمًا سخيًا جوادًا له مصنفات منها شرح جامع المختصرات ونكت على المهذب، وله تاريخ مشهور وله نبذة في أدلة التنبيه وله قصائد عظيمة، وكتاب في مناقب الفقيه محمد بن علي باعلوي وغيره"، توفي بقرية كروشم من بلاده المشقاص سنة ٨١٨هـ رحمه الله[٢].

العاشر: العلامة الفقيه تقي الدين مسعود بن سعد بن أحمد باشكيل، ولد سنة ٧٥٩هـ، أخذ العلم عن أعلام عصره بغيل أبي وزير والشحر، تولى قضاء الشحر وعزل منه سنة ٨٠٤هـ، من أَجَل تلاميذه ابنه العلامة القاضي محمد بن مسعود (ت: ٨٧١هـ) أخذ عنه بالشحر، قال عنه الأستاذ سعيد عوض باوزير: "أحد العلماء المشهورين والفقهاء البارزين"، توفي سنة ٨٣٨ هـ رحمه الله[٣].

وصلَّ الله على سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

(١) تاريخ حضرموت، لشنبل، ص١٠٨-١٢٠-١٢٩، والسلوك، للجندي، ج٢ ص٤٦٠، وتحفة الزمن، للأهدل، ج٢ ص٤٢٤، وجهود فقهاء حضرموت، لمحمد باذيب، ج١ ص٣٦٩.

(٢) تاريخ حضرموت، لشنبل، ص١٦٢، والغرر، لخرد، ص٣٩٢، وتاريخ الشعراء الحضرميين، للسقاف، ج١ ص٧٤، والفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، لباوزير، ص١٢٦، وجهود فقهاء حضرموت، لمحمد باذيب، ج١ ص٣٨٣.

(٣) تاريخ حضرموت، لشنبل، ص١٢٨، والفكر والثقافة، لباوزير، ص١٣٣، وجهود فقهاء حضرموت، لمحمد باذيب، ج١ ص٣٩٩.

المصادر والمراجع

١- السقاف، عبد الرحمن بن عبيد الله، بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت، مخطوط.

٢- شنبل، أحمد بن عبد الله، تاريخ حضرموت، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

٣- مجهول، ارتفاع الدولة المؤيَّدية جباية بلاد اليمن في عهد السلطان الملك المؤيد داود بن يوسف الرسولي، تحقيق محمد عبدالرحيم جازم، الطبعة الأولى، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، ٢٠٠٨م.

٤- بامخرمة، أبو محمد الطيب بن عبد الله، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، الجزء الثاني دراسة تحقيق عبد الرحمن محمد جيلان صغير، والجزء الثالث دراسة تحقيق محمد يسلم عبد النور، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة اليمنية، ٢٠٠٤م.

٥- خرد باعلوي، الإمام محمد بن علي، الغرر، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٦- الحداد، علوي بن طاهر، الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها، تحقيق محمد عبد النور، الطبعة الأولى، مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر- المكلا، ٢٠١٦م.

٧- بامخرمة، أبي محمد عبد الله، تاريخ ثغر عدن، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولي - القاهرة، ١٩٩١م.

٨- مؤلف مجهول، تاريخ الدولة الرسوليَّة في اليمن، تحقيق عبد الله الحبشي، مكتبة الجيل الجديد - صنعاء، ١٩٨٤م.

٩- الأهدل، الحسين، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، تحقيق عبدالله الحبشي، الطبعة الأولى، المجمع الثقافي - أبوظبي، ٢٠٠٤م.

١٠- الخزرجي، أبي الحسن علي، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسوليَّة، تحقيق عبد الله الحبشي، الطبعة الأولى، مكتبة الإرشاد - صنعاء، ٢٠٠٩م.

١١- البغدادي، إسماعيل، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، نشر مصورًا

عن دار إحياء التراث العربي، عن طبعة وكالة المعارف الجليلة بإستانبول، ١٩٥١م.
١٢- ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد الأكوع، الطبعة الأولى، مكتبة الإرشاد - صنعاء، ١٤٢٧هـ.
١٣- الحامد، صالح، تاريخ حضرموت، الطبعة الثانية، مكتبة الإرشاد -صنعاء، ٢٠٠٣م.
١٤- الجندي، محمد بن يوسف، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق محمد ابن علي الأكوع، الطبعة الأولى، مكتبة الإرشاد - صنعاء، ١٣٠٩هـ.
١٥- بامطرف، محمد عبد القادر، الشهداء السبعة، الطبعة الثانية، دار الهمداني- عدن، ١٩٨٣م.
١٦- الأكوع، إسماعيل بن علي، الدولة الرسوليَّة في اليمن ٦٢٦-٨٥٨هـ/ ١٢٢٨-١٤٥٤م، الطبعة الأولى، دار جامعة عدن، ٢٠٠٣م.
١٧- باحسن جمل الليل، عبدالله بن محمد، نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية، تحقيق محمد عبد النور، الطبعة الأولى، تريم للدراسات والنشر، ٢٠١٠م.
١٨- باوزير، سعيد عوض، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، الطبعة الأولى، ١٩٦١م.
١٩- باحنَّان، محمد بن علي، جواهر تاريخ الأحقاف، الطبعة الأولى، دار المنهاج - جدة، ٢٠٠٨م.
٢٠- الملاحي، عبد الرحمن بن عبد الكريم، مدينة الشحر بوابة حضرموت الجنوبية التاريخية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، بحث لم ينشر.
٢١- الشاطري، محمد بن أحمد، أدوار التاريخ الحضرمي، الطبعة الثالثة، دار المهاجر، ١٩٩٤م.
٢٢- بامطرف، محمد عبد القادر، المختصر في تاريخ حضرموت العام، الطبعة الثانية، دار حضرموت - المكلا، ٢٠٠٨م.
٢٣- مجاهد، فاروق أحمد، التعليم في اليمن في عهد دولة بني رسول خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، جامعة صنعاء - صنعاء، ٢٠٠٤م.
٢٤- باذيب، محمد بن أبي بكر، جهود فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي، الطبعة الأولى، دار الفتح للدراسات والنشر - الأردن، ٢٠٠٩م.

٢٥- عليان، محمد عبد الفتاح، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في عهد دولة بني رسول باليمن، بحث دكتوراه لم ينشر، جامعة القاهرة، ١٩٧٣م.

٢٦- أحمد، محمد عبد العال، بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهديهما (٦٢٨-٩٢٣هـ/ ١٢٣١-١٥١٧م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب - إسكندرية، ١٩٨٠م.

٢٧- بامكريد، زكي صالح، السلطان سالم بن إدريس الحبوضي وأوقافه في حضرموت، رسالة ماجستير لم ينشر، جامعة حضرموت، ٢٠١٦م.

٢٨- حمدان، خميس، الشحر عبر التاريخ، الطبعة الأولى، مركز الدراسات والبحوث اليمنية -صنعاء، ٢٠٠٤م.

٢٩- باوزير، سعيد عوض، صفحات من التاريخ الحضرمي، الطبعة الثالثة، دار الوفاق- عدن، ٢٠١٢م.

٣٠- وزارة الإعلام والثقافة - عمان، عمان وتاريخها البحري، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.

٣١- عسيري، محمد بن مسفر، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي (٥٦٩-٦٢٧هـ)، دار المدني - جدة، ١٩٨٥م.

٣٢- اليماني، تاج الدين عبد الباقي، بهجة الزمن في تاريخ اليمن، الطبعة الثانية، دار الكلمة - صنعاء، ١٩٨٥م.

٣٣- محيرز، عبد الله أحمد، رحلات الصينيين الكبرى، الطبعة الأولى، مطبعة جامعة عدن، ٢٠٠٠م.

٣٤- باوزير، خالد سالم، موانئ ساحل حضرموت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٣٥- الملاحي، عبد الرحمن بن عبد الكريم، ملامح من تاريخ التوسع العمراني لمدينة الشحر، بحث لم ينشر.

٣٦- المبارك، حصة ناصر، الحياة الاقتصادية في اليمن في عهد بني رسول، رسالة دكتوراه، ١٤١٧هـ.

٣٧- هديل، طه حسين، التمردات القبلية في عصر الدولة الرسوليَّة، الطبعة الأولى، دار الوفاق - عدن، ٢٠١٢م.

الملحق

خريطة مدينة الشحر وأعمالها أيَّام حكم الدولة الرسوليَّة (القرن السابع الهجري)

من كتاب ارتفاع الدولة المؤيَّدية ص٣٩٥



علماء حضرموت وأثرهم العلمي في المعارف الإنسانية من القرن السادس حتى القرن التاسع الهجري

أ. محمد علوي عبدالرحمن باهارون

مدير دار الحامي للدراسات والنشر
وخدمة التراث - حضرموت

الملخص:

عرفت حضرموت بتاريخها العلمي المكتظ بالمشايخ والفقهاء والقضاة والأدباء عبر تاريخها الطويل، وإليها ينتسب فطاحل العلماء والأدباء الذين اشتهروا في العديد من الأقطار العربية والإسلامية وفي ذلك يقول الشاعر العربي:

يا حضرموت هنيئًا ما خصصت به — من الحكومة بين العجم والعرب
في الجاهلية والإسلام تعرفه — أهل الرواية والتفتيش والطلب

وللحضارمة بصمات علمية ودعوية واضحة في العديد من الأقطار العربية والإسلامية، فالحضرمي أينما وقع نفع:

تحيا بهم كل أرضٍ ينزلون بها — كأنهم لبقاع الأرض أمطارُ

وفي هذه الورقة البحثية يبحر الباحث في حياة أولئك الأعلام الذين نبغوا في حضرموت من القرن السادس حتى التاسع الهجريين، وبرعوا في العديد من العلوم كالفقه والحديث والتصوف واللغة والفلك، ونقلوا تلك العلوم إلى أقاصي بلدان العالم، إلى الهند وشرق أفريقيا وجنوب شرق آسيا واستراليا والفلبين وغيرها، مع أخلاق عالية ومعاملة حسنة، حتى دخل - بسبب التأثر بتلك الأخلاق - الآلاف المؤلفة من سكان تلك المناطق إلى دين الإسلام.

وتسلط هذه الورقة الضوء على علماء حضرموت بين القرنين السادس والتاسع الهجريين وآثارهم العلمية في المعارف الإنسانية المذكورة في كتب التاريخ والتراجم الحضرمية وغيرها، وما تميزت به من أهمية علمية، وقد انتظمت هذه الدراسة في مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة

كما هو موضح في المقدمة.

المقدمة:

الحمدلله رب العالمين وبه نستعين على أمور الدنيا والدين والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فلما جاء الإسلام على يد الرسول الخاتم ﷺ ونشر تعاليمه في قومه وأصحابه، انتشرت بعد ذلك دعوته إلى شتى أصقاع المعمورة بفضل جهود أولئك الرسل المخلصين الذين حملوا رسائله ﷺ إلى الملوك والحكام، وبفضل أولئك الفاتحون الذين فتحوا الأمصار ونشروا تعاليمه السمحة في تلك الأقطار.

ومن البلدان التي دخل أهلها طواعية إلى دين الله أفواجا بلاد حضرموت إحدى مخاليف إقليم اليمن في جنوب الجزيرة العربية، فقد دخل أهلها إلى الإسلام في السنة العاشرة للهجرة المسماة بعام الوفود، حيث وفد إلى المدينة المنورة وفد كندةبقيادة أشعث بن قيس الكندي، ووفد الصدف بقيادة وائل بن حجر الذي فرش له النبي ﷺ ردائه وأجلسه بجانبه وقال إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه، وبعث ﷺ في أثرهم الصحابي الجليل معاذ بن جبل معلما لأهل اليمن وحضرموت، وكان ذلك في شهر رجب في السنة العاشرة، واتخذ من الجند مركزا له ثم تردد على حضرموت وصنعاء، وقد تزوج عند قبيلة السكون الحضرمية، وكان الحاكم في حضرموت وقائم النبي عليه هو زياد بن لبيد البياضي ومركزه تريم وشبام، وكان هو الآخر يقوم بنشر تعاليم الإسلام بين أفراد المجتمع الحضرمي، وقد تتلمذ على يديهما العشرات من أبناء حضرموت، وبرز منهم نوابغ ومحدثون انتشروا بعد ذلك في الأقطار الإسلامية وتولوا القضاء والإفتاء في مصر والشام وغيرها، وهكذا انتشر العلم في ربوع حضرموت، وفي كل عصر يبرز أشخاص يتربعون على كرسي العلم والتعليم وألفوا المصنفات العلمية القيمة في شتى العلوم.[١]

وقد انتعشت حضرموت علميًا وثقافيًا عندما قطنها العلويون الحسينيون السنيون الذين

---

(١) انظر: باوزير، سعيد عوض، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، ص ٥٣-٥٥. وابن جندان، سالم ابن أحمد، الدر والياقوت في معرفة بيوتات عرب المهجر وحضرموت (٣/ ٥٠، ٥١، ١٠٢، ١٠٣) مخطوط.

نزح جدهم الأعلى الإمام المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى الحسيني الهاشمي من البصرة إلى المدينة ثم إلى اليمن ثم إلى حضرموت واستقر بها في سنة ٣١٨هـ متنقلا بين مناطقها كالجبيل والهجرين والحسيسة، وقاوم من بها من الأباضية وجادلهم بالسنان واللسان حتى كسرت شوكتهم، ونشر بها المذهب السني الأشعري في الأصول والمذهب الشافعي في الفروع وهما المذهبان المشهوران بها إلى اليوم والليلة.[١]

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور حضرموت العلمي وما أنجبته من علماء فطاحل، توسعوا في العلوم العقلية والنقلية حتى بلغ البعض منهم درجة الاجتهاد المطلق إلا أنهم لتواضعهم انطووا تحت المذهب الشافعي، وقد أودعوا ما حووه من العلوم في مصنفات قيمة فقدت معظمها؛ بسبب ما تعرضت له حضرموت من كوارث طبيعية وبشرية، ولم يبق منها سوى اليسير.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة إلى التعرف على الكم الهائل من المعارف الإنسانية التي شارك فيها علماء حضرموت بالتأليف والتدريس، وما تحدثت عنهم كتب التاريخ والطبقات والتراجم، بل تجد الواحد منهم يؤلف في عدة علوم كالفقه والتصوف والفلك والحساب والمنطق والتاريخ فضلا عن الأدب وما يتفرع عنه.

منهج الدراسة:

اتبعت هذه الدراسة منهج البحث التاريخي من خلال تتبع أولئك الأعلام في بطون كتب الطبقات والتراجم وغيرها من كتب التاريخ، وما أنتجوه من تراث معرفي إنساني. واستعانت أيضا بمنهج البحث الوصفي من خلال وصف بعض تلك المؤلفات القيمة الجديرة بإجراء الدراسات الخاصة عليها لما تكتنزه من أهمية علمية وحضارية.

تقسيم الدراسة:

انتظمت هذه الدراسة في مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة كالآتي:

---

(١) انظر: بامطرف، محمد عبدالقادر، المختصر في تاريخ حضرموت العام ص ٦٤، ٦٥. والحداد، علوي ابن طاهر، عقود الألماس في ترجمة العلامة أحمد بن حسن العطاس، ص٢٢١.

- **المبحث الأول**: علماء حضرموت وأثرهم في علوم القرآن الكريم.
- **المبحث الثاني**: علماء حضرموت وأثرهم في علم الفقه.
- **المبحث الثالث**: علماء حضرموت وأثرهم في علم الحديث.
- **المبحث الرابع**: علماء حضرموت وأثرهم في علم التصوف والأخلاق.
- **المبحث الخامس**: علماء حضرموت وأثرهم في علم التاريخ والتراجم.
- **الخاتمة**: نستعرض بها أهم النتائج المتوصل إليها، وذكر بعض التوصيات.

وفي ختام هذه المقدمة نأمل أن نكون قد أضفنا شيئًا جديدًا إلى مكتبتنا العربية يتعرف به على البلاد الحضرمية، التي وصفها بعض المؤرخين بأنها مخلاف يغلب على أهله الجهالة والبداوة، ولكنه جانب الصواب بذلك، وعمم بالبعض على الكل، والواقع والتاريخ يكذبان ذلك ويدحضانه كما ستجده جليًا في هذه الدراسة التي بين يديك.. والله ولي التوفيق.

المبحث الأول

علماء حضرموت وأثرهم في علوم القرآن الكريم

منذ أن دخل الإسلام إلى حضرموت وتردد صدى الوحي بين جنباتها، هب الحضارمة إلى دراسة وحفظ كتاب الله تعالى والعمل بأحكامه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وحفظوه أبناءهم وبناتهم، وتدارسوه فيما بينهم، حتى احتفت كتب الطبقات والتراجم بهذه المنقبة العظيمة فلا تذكر علمًا منهم إلا وتذكر في ترجمته (ولد بتريم وحفظ القرآن العظيم) وهذه العبارة أثارت إعجاب كثير من الباحثين ومنهم أمير البيان الأستاذ شكيب أرسلان الذي تمنى أن يؤلف كتابًا في ذلك بعنوان (الحجر الكريم فيمن ولد بتريم وحفظ القرآن العظيم).(1)

ومن مظاهر الاهتمام بالقرآن الكريم اهتمامهم بعلوم التجويد والقراءات القرآنية وكان من مناقبهم، إضافة إلى العبارة السابقة، قول كتب التراجم "وحفظ الجزرية والشاطبية"، والدليل على ذلك تعدد أساليب قراءته في مدن حضرموت، فيذكر الشيوخ أن القراءة الرسمية لأهل حضرموت هي قراءة أبي عمر عن الدوري، ثم لما طبعت المصاحف في العصر العثماني على قراءة عاصم عن حفص انتشرت تلك القراءة، وكان لايقرأ بها في حضرموت إلا مسجد واحد فقط هو مسجد الشيخ علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف بمدينة تريم، وفي مدينة سيئون يقرأون بقراءة نافع عن قالون، وقد ألفت بعض الكتب التي تتحدث عن تلك القراءات منها الجوهر المصون في رواية قالون للعلامة هادي بن حسن السقاف.(2)

وفي هذا المبحث نسلط الضوء على جماعة من أولئك الأعلام وما قاموا به من دور تجاه كتاب الله وهم للمثال وليس للحصر:

أولًا: العلامة المقرئ محمد بن إبراهيم باعيسى.

من قراء حضرموت وفقهائها، قال المؤرخ شنبل في حوادث سنة ٥٥٣هـ: وفيها توفي محيي السنة ومميت البدعة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد باعيسى المعروف بأبي جحوش.(3)

---

(١) الشاطري، محمد أحمد، فتاوى وردود شرعية معاصرة، ص ١١٩، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

(٢) أبوفطيم، علوي سالم عبدالله، القراءات القرآنية في حضرموت تاريخها والاهتمام بها ص١٨-٩٢.

(٣) شنبل، أحمد عبدالله، تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل ص ٣٩-٤٠.

ولد في شبام من أسرة معروفة بعلمائها الأفذاذ، وتولى قضاء شبام، واهتم بعلم القراءات والتجويد وبرع فيه، ومن مؤلفاته القيمة في هذا الفن كتابه (المفيد في القراءات الثمان). واستفاد من كتابه المذكور الإمام الشهير ابن الجزري في كتابه (النشر في القراءات العشر)، وذكر أنه كتاب مفيد كاسمه اختصر فيه كتاب التلخيص لأبي معشر الطبري وزاده فوائد.(١)

وذكر إسناده إلى مؤلفه قائلا:" قرأت به القرآن ضمنا على الشيوخ المصريين وقرأوا به كذلك على شيخهم أبي عبدالله محمد بن أحمد الصائغ، وقرأ به على شيخه الكمال بن سالم الضرير، وقرأ به على أبي الحسن شجاع الدين بن محمد بن سيدهم المدلجي المصري، وقرأ به على المؤلف أبي عبدالله الحضرمي، وقرأ به المؤلف على أبي الحسن علي بن عمر الطبري صاحب أبي معشر وعلى سعيد بن أسعد اليمني".(٢)

ثانيًا: الشيخ العلامة سالم بن فضل بافضل:

أحد أعلام حضرموت في القرن السادس الهجري، ولد بمدينة تريم وتلقى بداية علومه بها على مشايخها الفضلاء وتخرج بهم ومنهم الإمام محمد بن علي باعلوي الشهير بصاحب مرباط والشيخ يحيى بن عبد العظيم الحاتمي والشيخ علي بن علوي باعلوي الشهير بخالع قسم.

رحل الشيخ سالم عن وطنه لطلب العلم كما هو شأن طلبة ذلك الزمان الذين لايرضون بالعلم الذي يكتسبوه في بلدانهم بل تجدهم يقطعون الفيافي والقفار متحملين المتاعب والمشاق في سبيل لقيا أهل العلم والتتلمذ على يديه، وكان الشيخ سالم أبرز أولئك الطلاب فقد دامت غربته عن وطنه أربعين سنة متنقلًا بين العراق والحجاز متتلمذًا على مشايخها، ثم عاد إلى وطنه تريم محملًا قافلة من الجمال بالكتب العلمية المخطوطة في شتى صنوف العلم، وبذل نفسه لنشر العلم ونصرة المذهب السني ومقارعة الإباضية المنتشرين في حضرموت في تلك الفترة بالحجة والبرهان حتى قال فيه الشاعر:

والشيخ سالم سيدي محيي السنن والواجبات

ما خاب من به يقتدي محيي العلوم الدارسات

---

(١) القراءات القرآنية في حضرموت، مرجع سابق ص ٣٤، ٧٤.

(٢) ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر (١/ ٩٣-٩٤)، دار الفكر بيروت.

وقد تولى التدريس في زاويته الشهيرة -العامرة إلى اليوم- لعلوم الفقه وأصوله والتفسير والحديث والتوحيد، وقد تخرج على يديه جماعة منهم الإمام سالم بن بصري، والإمام علوي بن محمد بن علي باعلوي، وأخوه علي والفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي وغيرهم.(١)

من آثاره العلمية:

ترك الشيخ سالم مآثر مقروءة ومرئية، وقد اهتم اهتمامًا عظيمًا بالقرآن الكريم وعلومه من تفسير وقراءة وتدريس وإقراء، ومن ذلك حزب القرآن اليومي الذي أسسه في مساجد حضرموت -واديها وساحلها- منذ القرن السادس إلى اليوم، فكان يجلس بين العشاءين، وفي الثلث الأخير من الليل حتى طلوع الفجر، يقرأ القرآن والمصحف يدار بينهم حتى يكملوا الحزب المقرر وفي ذلك يقول المؤرخ عبد الله بن محمد السقاف في تاريخه: "وإني أنبهك إلى ظاهرة في حضرموت كلها وهي أن الشيخ سالمًا كان يجلس مع جماعة كل ليلة بين العشاءين في المسجد، ومن ثلث الليل الأخير إلى صلاة الصبح يتلون القرآن والمصحف يدور بين الحاضرين على ضوء المصباح، وهذا العمل غدا عادة في جميع مساجد حضرموت من أيامه إلى اليوم، وغدا من وظيفة المؤذن والإمام غالبًا".(٢)

وقد قسّم أهل حضرموت لذلك الغرض المصحف الشريف إلى أسباع أي سبعة أجزاء، وفي كل يوم يقرأون سبعًا، مبتدئين به من مساء يوم الخميس حتى فجر يوم الخميس من الأسبوع الثاني، ويتم بعد صلاة الفجر ختم القرآن الكريم، وهذا ديدنهم في كل أسبوع، تعرضًا لاستجابة الدعاء كما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **"عند كل ختمة دعوة مستجابة"** رواه البيهقي.

ومن مؤلفاته:

- المنظومة الفكرية، وتدل على اطلاع واسع في التشريع وعلى دقة التفكير وعمقه، وتنيف أبياتها على مائة وثلاثين بيتًا.
- المنظومة اللامية في مناسك الحج.
- كتب في التفسير، لم تبق الأيام لها على أثر.

---

(١) الشاطري، محمد أحمد، أدوار التاريخ الحضرمي ص ١٩٤- ١٩٧.

(٢) السقاف، عبدالله محمد، تاريخ الشعراء الحضرميين، ج١ ص ٥٥.

وكانت وفاته بمدينة تريم سنة ٥٨١ هـ [١]

ثالثًا: الشيخ سعد بن محمد بن أبي عبيد الحضرمي

الشهير بسعد المعلم لتعليمه القرآن الكريم لأبناء بلدته تريم في النصف الأول من القرن الثامن الهجري، ترجمه الخطيب في جوهره بقوله: المعلم الصالح التقي الورع الزاهد الولي العابد، كان يوم الدهر، لم يفطر إلا أيامًا قلائل، وختم على يديه حفظ القرآن مائة وأربعون طالبًا.

وقد اختلط القرآن العظيم بلحمه ودمه فكان ملازمًا على قراءته آناء الليل وأطراف النهار، قال عنه الشيخ فضل بن عبد الله بافضل: كان سعد المعلم يقرأ القرآن في كل جمعة ختمة ويقرأ من يوم السبت إلى يوم الاثنين ختمة، ومن يوم الثلاثاء إلى يوم الخميس ختمة، كأنما هي فرض عين عليه لا يدعها، وله ختمة يمكث فيها أربعة أشهر يقرؤها من بعد صلاة الضحى إلى قرب الزوال ببكاء وخشوع، و كان يقرأ في رمضان وعشر ذي الحجة كل يوم ختمة، وحج وزار النبي ﷺ. وتوفي في شهر صفر سنة ٧٤٢هـ.[٢]

رابعًا: الإمام العلامة محمد بن عمر بن محمد باعلوي الشهير بأبي مريّم

من أعلام حضرموت الذين لازالت الألسن تثني عليهم وتذكرهم كل ساعة وآن، وذلك لما خلده من مجد عظيم في خدمته لكتاب الله الذي يعلو ولا يعلى عليه ومن تمسك به سلم ومن أعرض عنه تخلف وندم، ذلكم هو الشيخ العلامة محمد بن عمر باعلوي المعروف بأبي مريّم نسبة إلى ابنته مريم المتوفى سنة ٨٢٢هـ بمدينة تريم، كان حافظًا لكتاب الله فقيهًا صالحًا، حتى قال عنه زميله في الطلب الشيخ محمد جمل الليل صحبته أربعين سنة ما رأيته غضب لنفسه قط.

بعد أن تخرج على شيوخ العلم بتريم اقتعد ونصب نفسه لإقراء القرآن الكريم في غرفة صغيرة لا تتجاوز مساحتها عشرة أمتار، وقد بناها في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري وتصدر فيها لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ العلوم الشرعية حتى ذكر أهل التاريخ أن

---

(١) أدوار التاريخ الحضرمي، مرجع سابق.

(٢) الخطيب، عبدالرحمن بن محمد، الجوهر الشفاف في مناقب السادة الأشراف (١/ ٢٤١)، مخطوط. بامخرمة، الطيب بن عبد الله، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، (٦/ ٢٥٣).

الذين ختموا القرآن حفظًا على يديه بلغوا ثمانمائة شخص.

وكانت طريقته في التدريس يقرأ عليه كل طالب خمس آيات ثم يحفظها وهكذا حتى يختم القرآن، ثم يقرأ عليه كل من ختم الربع الأول من كتاب التنبيه (ربع العبادات) للإمام أبي إسحاق الشيرازي وبعضهم يدمن القراءة عليه حتى يتفقه.

وكان رحمه الله كثير الطاعة حتى قال عنه الشيخ عبد الرحمن السقاف "لو وقع اجتهاده على جبل لدكه" فكان يقوم الليل ويقرأ عشرين جزءًا -أي ثلثي القرآن- وهذا ورده بالليل من القراءة، وبعد الصبح يمكث في المسجد حتى يصلي الضحى، ويذهب بعد ذلك إلى المعلامة يعلم للصبيان وغيرهم من البالغين في سبيل الله (أي مجانًا بدون مقابل) فإذا فرغ ذهب إلى الدار وبعد صلاة العصر يعلم القرآن لمتعلميه إلى قرب المغرب، وكان هذا ديدنه حتى وفاته بعد صلاة العشاء يوم الخميس لعشر خلت من ربيع الأول سنة ٨٢٢هـ.[١]

وتعتبر معلامته من المدارس المباركة في مدينة تريم حتى قيل إن الدعاء مستجاب فيها، وقد امتد عطاؤها وخريجوها من عصر مؤسسها إلى كتابة هذه السطور، ويدير التعليم بها إمام مسجد السقاف السيد الناسك محمد (سعد) بن علوي العيدروس المتوفى سنة ١٤٣٢هـ، وتعرف اليوم بـ(قبة أبي مريّم) بعد أن قام مفتي الديار الحضرمية العلامة عبد الرحمن بن محمد المشهور (ت: ١٣٢٠هـ) بترميمها سنة ١٢٩٠هـ، وقد تخرج منها إلى اليوم الآلاف من الحفاظ في كل عصر من العصور حتى لقبت تريم بمدينة الحفاظ.

المبحث الثاني

علماء حضرموت وأثرهم في علم الفقه

اهتم علماء حضرموت بعلم الفقه وأصوله منذ ما قبل القرن السادس الهجري، وبرز منهم فقهاء أفذاذ في المذهب الشافعي عرفوا بتبحرهم في علم الفقه الذي يقال عنه (بحر لاساحل له)، وفي هذا المبحث نذكر نماذج من أولئك الفقهاء وما لهم من أثر في ذلك، ومن أراد المزيد في هذا الباب فليرجع إلى بعض الدراسات التي تحدثت عن ذلك الدور العلمي لأهل حضرموت، ومنها: (مشاركة فقهاء حضرموت في خدمة الفقه الشافعي) محاضرة

(١) محمد بن علي خرد، غرر البهاء الضوي في طبقات الفقهاء من السادة آل أبي علوي ٢٤٢، ٢٤٣. والجوهر الشفاف للخطيب ج٣ ص ٥٢، ٥٣.

للسيد العلامة عمر بن حامد الجيلاني، ورسالة الماجستير لأخينا الأستاذ المحقق د. محمد أبو بكر باذيب الموسومة بـ (جهود فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي) ففيهما الغنية والكفاية.

إن استقصاء فقهاء حضرموت بين القرنين السادس والتاسع الهجريين، يستعصي للباحث والمتتبع لشحة المصادر، وإنما يجد رؤوس أقلام مذكورة في بعض كتب الطبقات والتراجم، فقد ذكر ابن سمرة في كتابه طبقات فقهاء اليمن الذي ألفه سنة ٥٨٦هـ، من فقهاء حضرموت "أبا زنيج، وأبا جحوش، وأبا أكدر قاضي تريم جمع بين القراءات السبع والفقه، وأبا بكير، لقيت أبا بكير هذا في عدن له سمت وهيبة محافظًا على الصلاة في أول وقتها قُتِلَا - أي أبو أكدر وأبو بكير - شهيدين في تريم سنة ٥٧٥هـ في غزاة الأمير عثمان الزنجيلي التي قتل فيها فقهاء حضرموت وقراءها قتلًا ذريعًا، وكانوا في عدن يقرأون على هذا الفقيه أعني أبا بكير تفسير الواحدي وكتاب النجم من كلام سيد العرب والعجم تأليف أحمد بن معد التجيبي (ت٥٥٠هـ)، ومنهم شيخي محمد بن أحمد بن النعمان يسكن الهجرين سمع من أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني الحافظ في أصبهان، لديه ورع وزهد ونظافة علم".(١)

ومن فقهاء حضرموت بين القرنين السادس والتاسع الهجريين: القاضي أحمد بن محمد باعيسى المتوفى سنة ٦٢٦هـ، ورضي الدين أبوداود سليمان بن مظفر بن غانم بن عبد الكريم الفقيه الشبامي المتوفى سنة ٦٣١هـ، والفقيه القاضي حافظ باحميد المتوفى سنة ٦٣٣هـ، والفقيه عمر بن علي باعمر القرشي المتوفى بتريم سنة ٦٤٢هـ، والفقيه حسين باهراوة المتوفى سنة ٧٦٩هـ، والفقيه سهل بن عبد الله بن حكم باقشير المتوفى سنة ٨٧٦هـ، والفقيه المعلم أحمد بن أبي بكر بن حسن باعلوي المتوفى سنة ٨٧٩هـ، والفقيه عوض باهراوة الشحري المتوفى سنة ٨٨٣هـ، والفقيه محمد بن علي بازغيفان المتوفى سنة ٨٨٨هـ، والفقيه محمد بن أبي بكر باوزير المتوفى سنة ٨٩٨هـ بقارة الشناهز وغيرهم.(٢)

وذكر الشيخ علي بن أبي بكر في كتابه البرقة المشيقة جماعة من فقهاء حضرموت من

---

(١) الجعدي، عمر بن علي بن سمرة، طبقات فقهاء اليمن ص ٢٢٠، ٢٢١، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨١م.

(٢) تاريخ شنبل، مرجع سابق، ص ٨٤، ٨٨، ٩٢، ١٩١-٢٠١، ٢١٠.

تريم وشبام والهجرين ودوعن والشحر، فمن فقهاء تريم آل أبي فضل منهم الفقيه عبد الله بن أحمد، والفقيه فضل بن محمد بن أحمد، وأخوه الفقيه سعد بن محمد، والفقيه فضل بن عبد الله، وآل أبي حاتم من قدماء فقهائها الأئمة الكاملون والعلماء المشهورون منهم الفقيه العلامة علي بن محمد بن حاتم وآل أبي اكدر منهم قاضي القضاة أبو بكر بن يحيى بن سالم أكدر، وآل أبي الحب منهم محمد بن أحمد ووالده وأعمامه وإخوانه وولده الأئمة الصالحون والعلماء العالمون، وآل الخطيب وآل باعيسى، وآل باماجد ومنهم الفقيه إبراهيم باماجد، ثم قال: وقد صح بالنقل الصحيح عن الثقاة أنه اجتمع في تريم في زمن واحد ثلاثمائة مفت، وبلغ الصف الأول في صلاة الجمعة كله فقهاء.

ومن فقهاء شبامبنو شراحيل والفقيه أبو بكر بامهرة والفقيه محمد بن أبي بكر عباد، والفقيه إبراهيم بن محمد هرمز.

ومن فقهاء الهجرين الفقيه المحدث ابن نعمان والفقهاء بنو عقبة والفقيه حماد والفقيه سعيد بابصيل وغيرهم.

ومن فقهاء دوعن الشيخ يوسف بن أحمد باناجه والشيخ أحمد باحسن، والفقهاء آل باحسين منهم الفقيه عبد الله باحسين والفقيه باسالم، والفقيه عبد الله بن محمد العمودي، والفقيه الهويمل باعكابة وغيرهم.

ومن فقهاء الشحر بنو السبتي منهم الفقيه أبو بكر السبتي، والفقيه عبد الرحمن السبتي، والفقهاء بنو شكيل منهم الفقيه محمد بن سعد شكيل، والفقهاء بنو حسان منهم الفقيه عبد الرحمن بن حسان، والفقهاء آل باقحطان منهم الوجيه عبد الرحمن بن شجعنة، والفقهاء بنو هراوة منهم الفقيه محمد بن أحمد باهراوة، والفقيه عبد الله بن أحمد باهراوة، والفقهاء آل باعشير منهم الفقيه عبد الله بن محمد باعشير والفقيه محمد بن أحمد باعشير وغيرهم.[١]

أولًا: الشيخ الفقيه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي ذئب:

من فقهاء مدينة شبام بحضرموت، كان فقيهًا وأديبًا له العديد من القصائد التي تنيف بعضها على مائة بيت، ومن آثاره الفقهية نظم كتاب التنبيه للإمام أبي إسحاق الشيرازي.[٢]

---

(١) السقاف، علي بن أبي بكر، البرقة المشيقة في ذكر لباس الخرقة الأنيقة، ص ١١٦-١١٨، طبع في مصر ١٣٤٧هـ.

(٢) الجندي، محمد بن يوسف، السلوك في طبقات العلماء والملوك ج١ ص ٥٣٤.

ثانيًا: الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن باعبيد التريمي

من أكابر فقهاء مدينة تريم حضرموت الذين تضرب إليهم أكباد الإبل، تبحر في العديد من العلوم ونبغ في علم الفقه، وما واقعته مع إمام الحرمين ابن أبي الصيف إلا واحدة من وقائعه التي تشهد له على ذلك التبحر، وهي كما يذكر المؤرخون: إن الفقيه المذكور سافر إلى الحج في زي الفقراء المساكين وأحب أن لايعرف فدخل مكة وهو على تلك الصفة وإمام الحرمين إذ ذاك بها فحضر الفقيه عبدالله حلقة إمام الحرمين وهو مختفي بذلك الزي وفي الحلقة فقهاء كُثر، فألقى عليهم مسألة دقيقة غامضة جدا فلم يقدر من الحاضرين أحد على جوابها فلما لم يجب عنها أحد من الحاضرين لم يتمالك الفقيه باعبيد حتى زحف إلى إمام الحرمين للجواب على تلك المسألة جوابًا شافيًا، فلما سمع منه إمام الحرمين ذلك الجواب قال له من أنت فإني أظن ما على وجه الأرض من يجيب مثل هذا الجواب إلا أن يكون الإمام عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عبيد التريمي فإن لم يكن هو اقتنعت. أو كما قال، فقال عبد الله بل أنا هو رضي الله عنهما.[١]

وتوفي الفقيه المذكور سنة ٦١١هـ، وفيها يقول المؤرخ شنبل: توفي الفقيه العالم العلامة الورع الزاهد عبد الله بن عبد الرحمن باعبيد التريمي الحضرمي صاحب شرح التنبيه المسمى بالإكمال.[٢]

وقد ذكره أصحاب الطبقات ومنهم الإمام ابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ونعته بقوله: صاحب كتاب الإكمال لما وقع في التنبيه من الإشكال والإجمال. وقد وهم عندما سماه محمدًا، وتبعه على ذلك فيما يبدو الإسنوي وابن قاضي شهبة في كتابيهما.[٣] وقد نقل عن كتاب الإكمال الإمام الفقيه أحمد بن موسى بن عجيل في إحدى مؤلفاته الفقهية.[٤]

---

(١) أدوار التاريخ الحضرمي، مرجع سابق، ص ١٨٩.

(٢) تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، مرجع سابق، ص ٧٥.

(٣) ابن السبكي، عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية الكبرى (٦/ ١٢٦)، ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد طبقات الشافعية (٢/ ١٢٣).

(٤) طبقات الشافعية، نفس المرجع السابق.

ثالثًا: العلامة الفقيه علي بن أحمد بامروان التريمي:

من فقهاء مدينة تريم في القرن السابع الهجري، تتلمذ على يديه جماعة من الشيوخ من أبرزهم الفقيه المقدم الأستاذ محمد بن علي باعلوي المتوفى سنة ٦٥٣هـ.

ترجم له بامخرمة بقوله: الإمام العلامة أبو الحسن علي بن أحمد أبو مروان الحضرمي شيخ الشيخ الفقيه محمد بن علوي باعلوي في علم الشريعة، وصاحب الفتاوى العظيمة والمؤلفات المفيدة.[١] وكانت وفاته بتريم سنة ٦٢٤هـ.[٢]

وقال عنه صاحب البرقة المشيقة: الإمام الفقيه العلامة نور الدين أبو الحسن علي بن أحمد مروان الحضرمي التريمي، صاحب الفتاوى المعظمة الجليلة، والمصنفات المفيدة البديعة.[٣] ومن مؤلفات الفقهية: (تحرير الأيدي والعقود اللازمة والجائزة، وأدوات الطلاق)، توجد منه نسخة فريدة بمكتبة الأحقاف بتريم ضمن مجاميع آل بن يحيى تحت رقم (٢٦٢٦)، وصدرت عن دار الصديق للنشر بصنعاء، بعناية أكرم مبارك عصبان، وتعد هذه الرسالة -كما يقول د.باذيب -أقدم مؤلف لفقيه من حضرموت تصل إلى أيدينا.[٤]

رابعًا: العلامة الفقيه القاضي أبو بكر بن أحمد بن عبد الرحمن السبتي:

من فقهاء مدينة الشحر في القرن الثامن الهجري كان ميلاده سنة ٦٩٣هـ، وتلقى علومه على مشايخ أجلاء في مقدمتهم والده الشيخ أحمد بن عبد الرحمن السبتي وغيرهم من أبناء عمومته حيث تعتبر أسرته من الأسر العلمية في حضرموت.

تولى القضاء ببندر الشحر واشتغل بالتدريس والإفتاء وصار مقصدًا لطلاب العلم ومما يدلنا على كثرة اشتغاله بذلك هو عدم تفرغه لإتمام مؤلفاته إلا بعد سنوات.

وقد بدأ التأليف وعمره ٢٢ سنة ومن أولى مؤلفاته شرح أرجوزة الرحبي في علم الفرائض بدأ فيه سنة ٧١٥هـ وفرغ منه في سنة ٧٣٧هـ وهو من أشهر شروح الرحبية طبع سنة ١٣٠١هـ. ويوجد منه عدد من النسخ الخطية بمكتبة الأحقاف للمخطوطات بتريم تحت الأرقام التالية (٢٦١٧- ٢٦٧٩ - ٢٧٠٨ - ٢٧٣٥- ٣٠٢٣).

(١) قلادة النحر، مرجع سابق، (٥/ ٨).

(٢) تاريخ شنبل، مرجع سابق، ص ٨٣.

(٣) البرقة المشيقة، مرجع سابق، ص ٩٧.

(٤) باذيب، محمد أبو بكر، جهود فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي، (١/ ٣٢٧، ٣٢٨).

ومن مؤلفاته الفقهية أيضًا اختصار شرح الوسيط في الفقه الشافعي للإمام الغزالي، ومن مؤلفاته الحديثية اختصار شرح مسلم للإمام النووي.

وكانت وفاته سنة ٧٦١هـ عن عمر ناهز الثامنة والستين قضى معظمه في التدريس والقضاء والإفتاء رحمه الله تعالى.(١)

خامسًا: العلامة القاضي محمد بن سعد بن محمد باشكيل.

ولد سنة ٦٦٤هـ، وعاش في غيل باوزير رحل إلى زبيد وتولى القضاء بها، ثم عين مدرسًا بعدن وانفصل عنه سنة ٧٢٠هـ، ثم رجع إلى الشحر وأقام بها ثلاث سنوات ثم سار برًا إلى مكة فحج وعاد إلى اليمن عن طريق تهامة.

من آثاره العلمية: شرح مطول على كتاب الوسيط لحجة الإسلام الغزالي.

وفتاوى فقهية مشهورة، ونبذة في الأنساب.(٢)

سادسًا: الفقيه القاضي محمد بن مسعود بن سعد باشكيل الأنصاري الخزرجي

ولد بغيل باوزير سنة ٨٠٤هـ، وتتلمذ على والده العلامة القاضي مسعود بن سعد بن أحمد باشكيل أحد العلماء المشهورين والعلماء البارزين المتوفى سنة ٨٣٨هـ، تولى قضاء الشحر وعزل في يوم ولادة ابنه المذكور.

رحل إلى عدن وتتلمذ على القاضي محمد بن سعيد كبِّن، وقرأ عليه التنبيه والمنهاج والحاوي وكتب جميع تلكم الكتب بخطه، وحشى تلك النسخ من شروح الكتب المذكورة، وقرأ عليه غيرها من كتب الفقه والحديث والتفسير ولازمه ملازمة تامة إلى أن مات.

تولى قضاء عدن في عهد الدولة المسعودية في شهر رمضان ٨٧٤هـ، ثم عزل في شهر ذي القعدة من سنة ٨٥١هـ ثم أعيد إلى القضاء في شهر رمضان من سنة ٨٥٢هـ واستمر فيه إلى سنة ٨٦١هـ في عهد الدولة الظاهرية.

من آثاره العلمية: حواشي على كتب (المنهاج والتنبيه والحاوي) في الفقه الشافعي.

---

(١) تاريخ شنبل، مرجع سابق ص ١٠٨، ١١٣، ١٢٠، ١٢٩.

(٢) الحداد، عقود الألماس، مرجع سابق، ص ٢٠٨. باوزير، الفكر والثقافة، مرجع سابق، ص ١٣٢.

وصنف شرحًا مفيدًا على كتاب منهاج الطالبين للإمام النووي جمع فيه بين كلام الإسنوي والسبكي والأذرعي وابن النحوي في شروحهم، وسلك فيه أسلوبًا غريبًا لم يعهد مثله في الشروح، بلغ فيه إلى خيار النكاح ومات عنه وهو مسودة، فبيضه حفيده عمر بن عبد الرحمن باشكيل، وقال عنه الفقيه عبد الله بن أحمد بامخرمة: إنه شرح جيد لم يوضع مثله على المنهاج، ولو تم لأغنى عن كل شرح. وسبب تأليفه أنه رأى في المنام كأن الشيخين الرافعي والنووي يعطيانه ورقًا وأقلامًا، فقص الرؤيا على شيخه القاضي ابن كبِّن، فقال له: الشيخان يلتمسان منك شرحًا على المنهاج فشرع فيه.(١)

سابعًا: الشيخ العلامة محمد بن أحمد بن عبد الله باحميش.

كان أحد كبار العلماء ومشاهير الفقهاء في القرن التاسع الهجري، ولد بغيل باوزير سنة ٧٩٨هـ، ونشأ بها، ثم رحل إلى عدن وأخذ عن الفقيه علي بن عمر بن عفيف الحضرمي والقاضي عمر بن محمد اليافعي، ومن تلاميذه الفقيهان عبد الله بن أحمد بامخرمة ومحمد ابن أحمد بافضل، وتولى قضاء عدن حتى وفاته سنة ٨٦١هـ.

ومن آثار العلمية: له شرح حسن مبسوط على كتاب الحاوي للماوردي.(٢)

المبحث الثالث

علماء حضرموت وأثرهم في علم الحديث

اهتم علماء حضرموت بعلم الحديث روايةً ودرايةً وبرز منهم العديد من المحدثين الذين تصدروا للتحديث ليس في حضرموت فحسب بل في الحرمين الشريفين، وهاجروا إليها في طلب اللقيا بالمحدثين والسماع من الحفاظ الموثقين كما رحلوا إلى مصر والشام.

وقد ظهر في حضرموت بين القرنين السادس والتاسع الهجريين العديد من المحدثين المسندين الضابطين واحتضنتهم مدنها كتريم وسيئون وشبام والشحر وغيرها، وكانت كتب الحديث كالصحاح والسنن والمسانيد تقرأ في مساجد وجوامع حضرموت إلى آخر القرن الثامن الهجري، يتناولها رجال من الحفاظ من أهل تريم وشبام حيث كانتا من سوق

(١) قلادة النحر، مرجع سابق، (٦/ ٤٣٩-٤٤١).

(٢) الفكر والثقافة، مرجع سابق، ص ١٣٧.

الحديث في القرن السابع الهجري، وقد وفد إليهما العديد من المحدثين.[1] ومن أبرز من عرف بهذا الفن:

أولًا: الحافظ المحدث عبد الملك بن محمد اليماني التريمي الحضرمي

عاش بين النصف الثاني من القرن الخامس الهجري والنصف الأول من القرن السادس الهجري، رحل إلى الحرمين الشريفين وسمع عن علمائها وحدَّث في مكة المكرمة في المسجد الحرام عند باب إبراهيم عليه السلام، ومن تلاميذه أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ، سمع عليه صحيح البخاري بتمامه قراءة عليه بمكة عن شيخه أبي مكتوم عيسى بن أبي ذر عن أبيه أبي ذر عبد بن أحمد بن محمد الهروي عن ثلاثة أبي محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي، وأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم ابن داود البلخي المستملي، وأبي الهيثم محمد بن صالح بن بشر الغريري عن أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، وحدث به أيضا عن شيخه أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد البلخي المروي من مريه بعض بلاد الأندلس عن كريمة عن أبي الهيثم الكشميهني عن الفربري عن البخاري بتمامه، ذكره الشيخ محمد بن سليمان الكفوي الحنفي في كتابه (كتائب أعلام الأخيار في طبقات الحنفية) في ترجمة الزمخشري.[2]

ثانيًا: العلامة المحدث عبيد بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن رحيم النهدي اليماني الحضرمي:

هو معاصر للمحدث عبد الملك السابق ذكره، رحل إلى الحرمين الشريفين وحدث بالمسجد الحرام عند باب النبي ﷺ، وقد سمع عنه العلامة الزمخشري صحيح مسلم بن الحجاج بتمامه، حدثهم به عن شيخه القاضي إمام الحرمين أبي عبد الله الحسين بن علي بن محمد الطبري عن أبي الحسين عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسي الجلودي عن إبراهيم بن محمد بن سفيان عن المصنف الإمام مسلم. قال العلامة علوي بن طاهر الحداد

(١) باهارون، محمد علوي، الرحلة العلمية إلى حضرموت من القرن السادس حتى القرن الخامس عشر الهجري ص٢٩٠، من أبحاث ودراسات فعاليات ملتقى تريم الثقافي بمناسبة تريم عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٣٠هـ- ٢٠١٠م. الطبعة الأولى ٢٠١٢م.

(٢) عقود الألماس، مرجع سابق، ص ١٩٣- ١٩٤.

في كتابه عقود الألماس بعد إيراده ما سبق ذكره: لعل عبيدًا هذا هو جد الإمام عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عبيد المتوفى سنة ٦١٣هـ، وسعيد بن محمد بن أبي عبيد الحضرمي التريمي المتوفى سنة ٧٤٢هـ وغيرهما من فقهاء آل أبي عبيد.[١]

ثالثًا: الإمام الحافظ المحدث سالم بن بصري بن عبد الله العلوي

من علماء تريم ومحدثيها ولد بها ونشأ في سوحها العظيم وحفظ القرآن الكريم، واشتغل بطلب العلوم وأخذ التفسير والحديث والعربية والأصول عن جماعة منهم الشيخ سالم بن فضل بافضل، وسمع منه الكثير حتى تخرج به، ورحل إلى اليمن والحجاز وتولى التدريس في الحرمين الشريفين ثم رجع إلى وطنه تريم لنشر العلوم ويرويها بأسانيده العالية. وقد ذكر المؤرخون أنه اجتمع في زمانه بمدينة تريم ثلاثمائة مفت وطلب السلطان منهم أن يعلموه بأفضلهم فاتفقوا على أن صاحب الترجمة أفضلهم وناهيك بها شهادة بفضله واعترافًا بسمو مقداره ونبله، وتوفي بتريم سنة ٦٠٤هـ. ومن تلاميذه المشايخ الأعلام الفقيه المقدم وعلي بن أحمد بامروان وأحمد بن محمد بن أبي الحب، وأحمد محمد باعيسى وعلي بن محمد الخطيب.[٢]

من آثاره العلمية: فتاوى فقهية على أساليب أهل الاجتهاد في النص والاستدلال.[٣]

وألّف كتابًا حديثيًا في فضائل اليمن وحضرموت وأهلها قال عنه السيد سالم ابن جندان: رأينا منه نسخة مخطوطة بدون نقط كثيرة الغلطات والتصحيف، برواية أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن أبي الحب القرشي فيه فضل كثير ورد في حق حضرموت وما والاها، ومن الأحاديث التي رواها بسند لا بأس به يرويه عن عبد الله بن محمد الهروي بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "ينبت من حضرموت أولياء كما ينبت الماء البقل" أخرجه الطبراني في الكبير.[٤]

---

(١) نفس المرجع السابق.
(٢) الشلي، محمد بن أبي بكر، المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي (٢/ ١١١-١١٢).
(٣) نفس المرجع السابق.
(٤) ابن جندان، الدر والياقوت، مرجع سابق، (٣/ ٥١، ٥٤، ٧٥).

رابعًا: السلطان الفقيه المحدث عبد الله بن راشد بن شجعنة

يتيمة عقد سلاطين حضرموت وأشهرها علمًا وتقوى وورعًا، وينسب إليه وادي ابن راشد، واشتهر عصره من بين العصور وعرف بعصر النور وخيرها وأخصبها.. حتى ضرب بعصره الأمثال وانتشرت عنه الكلمة التي كانت غرة خصال الحضارم الحميدة أنه قال: في بلادي ثلاث خصال أفتخر بها على السلاطين: الأولى لا يوجد فيها حرام، والثانية لا يوجد فيها سارق، والثالثة لا يوجد فيها محتاج.

نشأ ابن راشد في وسط علمي وفي بيئة مثقفة متدينة بموطنه تريم وقد ولد بها سنة ٥٥٣هـ، وحفظ القرآن الكريم في صغره وتوجه إلى طلب العلوم الشرعية والعربية حيث يوجد بها أئمتها ورجالها، وهم إذ ذاك كثيرون وتتلمذ للمتخصصين في العلوم الشرعية كالشيخين يحيى بن سالم بافضل، وفضل بن أبي جواس وغيرهما.

وفي عام ٥٨٠هـ قرأ صحيح البخاري على الفقيه المحدث محمد بن أحمد بن النعمان الهجراني، ثم رحل إلى مكة المشرفة سنة ٥٨٨هـ وأخذ فيها علوم الحديث وغيره عن ابن أبي الصيف وابن عساكر والمقدسي، وبعدها عاد إلى حضرموت علمًا من أعلامها يحدث في مساجد تريم بأحاديث المصطفى ﷺ.

وفي عام ٥٩٣هـ تولى حاكم مدينة تريم ثم امتد حكمه إلى جميع وادي حضرموت حتى نسب إليه، وقد جاهد الخوارج بها باللسان والسنان ومنهم آل النعمان ولاة شبام حتى أذعنوا له بالطاعة وتفرق شمل الخوارج، وتوفي السلطان عبد الله بن راشد سنة ٦١٦هـ.(١)

خامسًا: العلامة الحافظ المحدث علي بن محمد بن جديد الحسيني

الإمام شيخ الإسلام وخاتمة الحفاظ، ولد بمدينة تريم وحفظ القرآن الكريم كما حفظ عدة متون في فنون العلم ثم اشتغل بتحصيل العلوم، وممن أخذ عنه الإمام شيخ الإسلام سالم بافضل ثم بعد أن تحقق في العلوم توجه نحو اليمن والحجاز وأخذ عن علماء عديدين في اليمن ومكة والمدينة ورحل إلى الشام والعراق حتى اجتمع له من الروايات سماعًا وقراءة

(١) أدوار التاريخ الحضرمي، مرجع سابق ص ٢١١- ٢١٤. والجوهر الشفاف، ج ٣، مرجع سابق.

ما يفوق الحصر والوصف، وبلغ عدة شيوخه نحو الألف، وبرع في العلوم الشرعية والأدبية. وبالجملة فالإمام ابن جديد معدود في مشاهير الحفاظ المجتهدين وجهابذة العلماء الناقدين، وأجازه بالإفتاء والتدريس جماعة من مشايخه منهم بقية الحفاظ الإمام الكبير نزيل الحرم الشريف الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المشهور بابن أبي الصيف، واحتفى به حتى تخرج به وحمل عنه علمًا جمًا، كما سمع منه جميع كتبه ومروياته.

وحدث الشريف أبو جديد بمكة المشرفة بالكتب الستة، وقد حاول الاستيطان بها لولا أن أعيان حضرموت حرضوه على العودة، فعاد ابن جديد إلى وطنه يحمل مكتبته الحافلة الجامعة، فدرَّس وأسمع وأفاد وألحق الأحفاد بالأجداد وجمع كتبًا عدة في علوم الحديث اعترف بحسنها فحول العلماء.(١)

وكان الإمام أبو جديد متبحرًا في العلوم العقلية والشرعية والأدبية إلى درجة أنه تصدر للردود على بعض الفرق المخالفة للمذهب السني ومنهم المعتزلة، وقد انتهت إليه رياسة الحديث باليمن والتهائم والجبال وأخذ عنه العديد من علمائها وكان كثير الأسفار إلى الهند والعراق والحجاز واليمن، ولم يكن له نظير في فنون العلم والفهم وشدت إليه المطايا وقصده الطلاب من جميع مختلف النواحي الشاسعة والقريبة، وقد تخصص في علوم الحديث والقرآن، وهو من أكابر حفاظ الحديث ومفسريه. وقد كان المحدثون حين يلقون أحاديث الرسول ﷺ يسندونها عن أشياخهم حتى يصلوا لها إلى الرسول، ولكن الشريف أبا جديد حذف السند اختصارًا، ويعد في اليمن أول من حذف السند، وإن اشتهر غيره في بعض الأقطار بأنه أول من حذف السند. وقد خرّج أحاديثَ كثيرة، وجمع أربعين حديثًا في فضائل الأعمال.(٢) ويوجد منه نسخة موجودة في مكتبة الأحقاف للمخطوطات بمدينة تريم نسخها وقابلها العلامة المؤرخ علوي ابن طاهر الحداد.

ومن آثاره المسند الكبير والمسند الصغير في علم الحديث ذكرهما العلامة سالم بن جندان عند ترجمته تلميذه الشيخ علي بن محمد بن أحمد الحجيشي التريمي فقال عنه:

(١) الحامد، صالح علي، تاريخ حضرموت ص ٧٠٢- ٧٠٥، ج ٢.
(٢) خرد، محمد بن علي، غرر البهاء الضوي في طبقات الفقهاء من بني علوي ص١١٨- ١٢٠.

ورحل إلى اليمن وسمع الحديث من الإمام الحافظ أبي الحسن علي بن محمد بن جديد العلوي وقرأ عليه المسند الكبير والصغير كلاهما له، وسمع كتاب فضائل حضرموت للسيد سالم بن بصري.(١)

وكان للمحدث أبو جديد العديد من الرحلات العلمية فمن ذلك رحل إلى اليمن وأخذ بعدن عن القاضي إبراهيم بن أحمد القريضي (المستصفى) كما أخذه هو عن مؤلفه الشيخ محمد بن سعيد بن معن، ودخل الشريف أبو جديد مع أخيه عبد الملك بلدة الوحيز من أعمال تعز للأخذ عن الشيخ العارف بالله مدافع بن أحمد المعيني، وأقاما عنده وزوجهما بابنتيه ولازماه حتى توفي سنة ٦١٤هـ، ثم سار أبو جديد إلى مكة المكرمة ناشرًا للعلوم لاسيما علم الحديث حتى وفاته سنة ٦٢٠هـ.(٢)

وقد تتلمذ على الحافظ ابن جديد وسمع عنه العديد من الطلاب في حضرموت وزبيد ومكة وتعز وغيرها منهم الإمام الشيخ محمد بن إسماعيل الحضرمي، ومحمد بن مسعود السقال والإمام ناصر الحميري والشيخ أحمد بن محمد الجندي، والشيخ حسن ابن راشد، والشيخ محمد بن إبراهيم بن أحمد الشلي والإمام عمر بن علي صاحب بيت الفقيه وغيرهم.(٣)

سادسًا: الشيخ المحدث أبو بكر بن عبد الرحمن باشراحيل:

من علماء حضرموت ومحدثيها في القرن التاسع الهجري، قال عنه المؤرخ شنبل في تاريخه في حوادث عام ٨٨٨هـ: وفيها توفي الرجل الصالح الناسك المقرئ الفقيه أبو بكر بن عبد الرحمن شراحيل بالحمراء.(٤)

وترجمه بامخرمة في قلادة النحر بقوله: الإمام العالم العامل، المحدث الحافظ، الحضرمي، أصل بلده شبام من حضرموت، ثم انتقل إلى اليمن، فلازم حافظ اليمن يحيى العامري، وقرأ عليه في الحديث كثيرًا حتى صار فيه ماهرًا، وكان الغالب عليه علم الحديث، وله مشاركة في غيره من الفقه والنحو وغير ذلك.

---

(١) الدر والياقوت، مرجع سابق، (٣/ ٣٥٢).

(٢) غرر البهاء الضوي، نفس المرجع السابق.

(٣) الحامد تاريخ حضرموت، نفس المرجع السابق.

(٤) تاريخ شنبل، مرجع سابق، ص٢٠١.

وصنف كتابًا على (البخاري) و(مسلم) و(الموطأ) على نهج (مشارق الأنوار) للقاضي عياض سماه (مفتاح السنة) وزاد فيه زيادات من القاموس وغيره، وهو كتاب مفيد في فنه.

ثم أقام في قرية الحمراء من وادي لحج وتزوج بها، وتوفي بها ليلة الثلاثاء من شهر رمضان المعظم سنة ثمان وثمانين وثمان مئة.[1]

المبحث الرابع

علماء حضرموت وأثرهم في علم التصوف والأخلاق

عرف علم التزكية والأخلاق منذ عصر التابعين بعلم التصوف، واختلفت الآراء في سبب التسمية وعلى كل حال فالأسماء لا تعلل، وعلم التصوف المقصود به هنا هو ما يعبر عنه بمقام الإحسان الركن الثالث من أركان الدين (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، وما يتعلق بمراقبة الله والإخلاص وتزكية النفس من رعوناتها، أما ما يومئ إلى العقائد الزائغة والفلسفة وغيرها فليس بمقصود بل حذر منه العلماء المخلصين وحذروا من قراءة كتبه.

وقد اهتم علماء حضرموت بعلوم التصوف والتزكية منذ أن انتشرت السنة في ربوعها منذ مطلع القرن الرابع الهجري، ولكنهم لم يولوه اهتمامًا مثل علوم القرآن والفقه الحديث، فقد كانت مدرسة الفقهاء هي الطاغية حتى وصف العلامة ابن جندان ذلك العهد بعصر الفقه والفقهاء.[2] يقول الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف متحدثًا عن الإمام المهاجر أحمد بن عيسى جد العلويين: "وكان لقدوم المهاجر إلى حضرموت ولأحفاده من بعده أثر عظيم في تاريخ حضرموت السياسي والاجتماعي والمذهبي. وقد غدا أحفاد المهاجر إلى اليوم من أهم مصادر التصوف في حضرموت.. وفي رأينا أن أحدًا من الذين تديروا حضرموت في تاريخها المعروف، حكامًا ومحكومين، قادةً أوأتباعًا، لم يترك من المعالم البارزة في هذه البلاد مثل ما تركه السيد المهاجر وبعض الأكابر من أحفاده، أمثال الإمام محمد بن علي بن محمد العلوي الملقب بـ (الفقيه المقدم)، لم يكن أول متصوفة حضرموت ولكن التصوف غلب على حضرموت منذ عهده، فقد كان تأثيرهم على سائر الأحداث بحضرموت أقوى من

---

(١) قلادة النحر، مرجع سابق، (٦/ ٤٧٤).

(٢) الدر والياقوت، مرجع سابق.

تأثير مشايخ حضرموت على ما للمشايخ من نفوذ وسمو مقام عند الحضارم".[1]

وقد نبغ بين القرنين السادس والتاسع الهجريين العديد من العلماء الذين اهتموا بتسليك وتربية المريدين ومن أبرزهم:

الشيخ العلامة سعد الدين محمد بن علي الظفاري الشحري.

المتوفى بالشحر سنة ٦٠٧هـ. كان من أئمة العلماء المتقدمين والفقهاء المشهورين بالصلاح والتقوى قرأ على الإمام صاحب مرباط الشيخ محمد بن علي باعلوي المتوفى سنة ٥٥٦هـ، وعلى الشيخ محمد بن سالم باوزير مولى عرف وله أوثق الصلات بالفقيه المقدم.[2]وقد أخذ عن الشيخ سالم بن فضل بافضل والشيخ عبد الله الأسدي.

رحل من ظفار بعمان إلى حضرموت متنقلًا بين قراها آخذًا عن الشيوخ حتى طاب به المقام، واستقر بمدينة الشحر وابتنى بها مسجدًا عرف بمسجد الشيخ سعد إلى اليوم.

ومن أبرز تلاميذه الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي فقد أخذ عنه بالمكاتبة وتبادلا الرسائل العلمية التي قام تلميذه الشيخ محمد بن علي باطحن بجمعها وشرحها في مؤلف خاص.[3] وهذه الرسائل هي كل ما حفظ من آثار الشيخ سعد رحمه الله.

الفقيه المقدم الإمام محمد بن علي بن محمد باعلوي

من العلماء المسلكين والهداة المربين، الفقيه المقدم والأستاذ الأعظم، ناشر علم التصوف والأخلاق في قطره، ومنتهجًا طريق الفقر والمسكنة بكسر سيفه، قال عنه شنبل: الشيخ الفقيه مربي السالكين وعمدة المحققين، وأحد الأقطاب المتمكنين العلماء العالمين.[4]

ولد بتريم سنة ٥٧٤هـ وحفظ القرآن العظيم، ثم اشتغل بتحصيل العلوم وتفقه على شافعي زمانه وعلامة أوانه عبد الله بن عبد الرحمن باعبيد، وعلى القاضي أحمد بن محمد باعيسى، وأخذ الأصول والعلوم العقلية عن العلامة علي بن أحمد بامروان والعلامة أحمد بن محمد

---

(١) المختصر في تاريخ حضرموت العام، مرجع سابق، ص ٦٤، ٦٥، ١٢١.

(٢) الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، مرجع سابق، ص١٢٣.

(٣) الرحلة العلمية إلى حضرموت، مرجع سابق، ص ٢٩٣، وقد أفرده بالترجمة مؤخرًا أخينا الباحث عادل حاج باعكيم في كتابه (أريج الياسمين في ترجمة تاج العارفين).

(٤) تاريخ شنبل، مرجع سابق، ص٩٤، ٩٥.

ابن أبي الحب، وأخذ التفسير والحديث عن الحافظ المجتهد علي بن محمد باجديد، وأخذ التصوف والحقائق عن الإمام سالم بن بصري ومحمد بن علي الخطيب، وعمه الشيخ علوي ابن محمد صاحب مرباط، والشيخ الكبير سفيان اليمني لما زار حضرموت ونزل مدينة تريم.

وكان عابدًا زاهدًا ورعًا متصدقًا بالليل والنهار مواظبًا على قراءة القرآن كلما ختم ختمة شرع في أخرى، وكان هذا ديدنه حتى وفاته سنة ٦٥٣هـ.

وقد تخرج به جماعة من أهل حضرموت منهم الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن باعباد، وأخوه الشيخ عبد الرحمن بن محمد باعباد، والشيخ عبد الله بن إبراهيم باقشير، والشيخ سعيد بن عمر بالحاف، والشيخ إبراهيم بن يحيى بافضل، وأولاده الأئمة الأعلام علوي وعلي وأحمد وعبد الرحمن.[1]

قال عنه صاحب المشرع: وأثنى عليه أكابر الرجال واتسع في مدحه المقال، وكان إذا تكلم في التفسير فهو حامل رايته أو ذاكر في الحديث فهو ذو روايته أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، فلو رآه أحد أجداده لتبجح بمكانه، أو رآه الشافعي لترجح عنده على أقرانه، ولو سمعه ابن فورك لفرك عن طريقته ورجع بعد المجاز إلى حقيقته، ولو شاهده شيخه علي بامروان في ذلك العصر والأوان لعلم أنه بحر العلم ليس للبحر ما عنده من الجواهر، وروضة فضل تستقل الرياض نفسها أن تحاكي ما لديه من الأزاهر.

ومن مؤلفاته في علوم التصوف والأخلاق وما يتعلق به من دقائق وغوامض يعرفها من عرف هذا العلم وتسنم ذروته:

١. رسائل كان يرسلها إلى شيخه الشيخ سعد الدين الظفاري.
٢. رسائل أرسلها للشيخ الكبير سفيان اليمني.
٣. فتاوى: سئل فيها عن ثلاثمائة مسألة في أنواع العلوم فأجاب عنها بأحسن جواب، وبيَّن فيها وجه الصواب وأوضح منها كل مشكلة وحل بها كل معضلة.[2]

---

(١) المشرع الروي، مرجع سابق، (٢/ ٣-٦).
(٢) المشرع الروي، نفس المرجع السابق.

الشيخ عبد الله القديم بن محمد باعباد

من مشاهير علماء حضرموت وكبار صوفيتها في القرن السابع الهجري، ولد الشيخ القديم بمدينة شبام سنة ٦١٦هـ وتوفي بالمحلة (الغرفة) ودفن بمقبرة شبام سنة ٦٢٢هـ، وكان الشيخ القديم يمتع، في كثير من جهات حضرموت وما جاورها، بالجاه الواسع والكلمة النافذة والمريدين الكثير.(١)

ومن أبرز مشايخه سيدنا الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي المتقدمة ترجمته، والشيخ أحمد بن الجعد الأبيني المتوفى سنة ٦٩٠هـ، والشيخ أبو الغيث بن جميل المتوفى سنة ٦٥١هـ، والشيخ محمد بن سالم باوزير المتوفى في القرن السابع الهجري.(٢)

وتتلمذ عليه جماعة منهم خليفته وابن أخيه الشيخ محمد بن عمر بن محمد باعباد، والشيخ محمد بن عبد الله باكريت مؤسس مدينة سيحوت، والشيخ محمد بن علي الشميري صاحب مرخه، والشيخ علوي بن الفقيه المقدم وغيرهم.(٣)

ومن آثاره العلمية: دعاء ختم القرآن، ووصايا إخوانية ورسائل تصوفية، وأوراد وأدعية، وفتاوى فقهية وصوفية وشعر صوفي ومواعظ وبعض المفاهيم القرآنية، وقد ذكر نماذج من آثاره ورسائله ووصايا مترجمة الشيخ محمد بن أبي بكر باعباد في كتابه المنهج القويم، وقال إن تلك الوصايا والرسائل لو جمعت لصارت مجلدات.(٤)

الشيخ عبد الرحيم بن عمر بن محمد بن سالم باوزير

مؤسس مدينة غيل باوزير وباني جامعها سنة ٦٥٦هـ، من أعلام الدعاة وناشري ألوية المعرفة والتعليم بساحل حضرموت، أسس في غيل باوزير مدرسة علمية جلب إليها العديد من العلماء، وأوقف لها الأوقاف الكثيرة لطلبة العلم والغرباء، ونبغ فيها عدد كبير من أبنائه وأحفاده.

---

(١) المختصر في تاريخ حضرموت، مرجع سابق، ص ١١٥.

(٢) باعباد، فائز محمد أحمد، شيخ آل باعباد الأكبر عبد الله بن محمد باعباد القديم وأثره العلمي والدعوي والاجتماعي ص ٩٤-١٠٣.

(٣) شيخ آل باعباد الأكبر، مرجع سابق، ص ١٤١-١٤٩.

(٤) المرجع السابق، ص ١٥٨-١٦٩، والفكر والثقافة، مرجع سابق، ص ١٢٩.

وقد درس على كبار علماء عصره في حضرموت والحرمين ويقال إن له مؤلفًا في الفقه امتدت إليه أيدي الضياع. وكان له في الإرشاد لسان وفي العلم باع وفي الاقتصاد يد وفي العبادة قدم حتى وافاه أجله بغيل باوزير في ١٥ شعبان سنة ٧٤٧هـ.[١]

الشيخ عبد الرحيم بن سعيد بن عبد الرحيم باوزير:

كان أحد مشاهير رجال العلم والتصوف في القرن الثامن الهجري، ترجمه الشرجي في طبقاته، وقال عنه كان من أفضل المشايخ المتأخرين وأكملهم تربية للمريدين وله في طريق القوم معرفة تامة وكلام مشهور. وكانت وفاته سنة ٨٢٧هـ.

ومن مؤلفاته كتاب الطرائق التي كان يمليها على سبيل الوارد، وكتاب الطرائق هذا عبارة عن ٢٧ فصلًا تتحدث بأسلوب الصوفية ومصطلحاتهم على طريقة القوم وتصور جانبًا من آرائهم وتفكيرهم، وقد طبع في القاهرة، [٢]وللشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بكير رحمه الله دراسة نقدية بعنوان على طريق طرائق الشيخ عبد الرحيم باوزير وطبع مؤخرًا عن دار حضرموت للدراسات والنشر.

الشيخ عبد الله العيدروس بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف.

ولد بتريم في شهر ذي الحجة سنة ٨١١هـ، ولما بشر جده الشيخ عبد الرحمن السقاف قال هو صوفي وقته وأخبر بأنه سيكون له شأن عظيم، ترعرع في تريم وحفظ القرآن العظيم، وتفقه على جماعة منهم الفقيه سعد بن عبد الله باعبيد، والعلامة عبد الله باهراوة، والعالم إبراهيم بن محمد باهرمز، وقرأ التصوف والحقائق عن الشيخ محمد جمل الليل وعمه عمر المحضار، والشيخ سعد بن علي بامذحج، وأخذ علوم العربية عن العلامة الأديب أحمد بن محمد بافضل، والشيخ محمد بن علي باعمار.

وألّف مؤلفات في بابها مفيدات منها: الكبريت الأحمر وهو مع اختصاره في غاية الإفادة، وله شرح على قصيدة الشيخ سعيد بالحاف التي أولها: (نحن لكم من قبل أن يلد نوح وأنتم لنا من قبل يخلق الروح)، وله مؤلف في مناقب شيخه سعد بن علي، وله رسائل كثيرة في علوم منيرة ووصايا شهيرة تحث على فعل الخيرات وتحمل على المكرمات، وله نظم حسن

(١) الفكر والثقافة، مرجع سابق، ص ١٣٨، ١٣٩.

(٢) المرجع السابق، ص١٣٩، ١٤٠.

وشرح جملة من قصائده وله دوائر أغرب في مبناها وأعجب في معناها ولم يسبق إلى مثلها، وله كلام فائق في علم الحقائق والرقائق. وكانت وفاته بتاريخ ١٢ رمضان سنة ٨٦٥هـ بمنطقة عبول في طريقه من الشحر إلى تريم[١]

الشيخ علي بن أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف:

شيخ الإسلام والمسلمين وأحد الأئمة المجددين زعيم النهضة الفكرية في أيامه ومحيي شعور القومية والنافخ في صورها. ولد بتريم سنة ٨١٨هـ، وتوفي بها سنة ٨٩٥هـ.[٢]

تربى بعمه الشيخ عمر المحضار ثم بأخيه الشيخ عبد الله بن أبي بكر، وأخذ العلم عن جماعة منهم أخوه الشيخ عبد الله وأمره بملازمة كتاب إحياء علوم الدين قرأه على أخيه مدة حياته خمسًا وعشرين مرة، ثم أمر ابنه الشيخ عبد الرحمن أن يقرأه عليه فقرأه عليه مدة حياته خمسًا وعشرين مرة. وكان رحمه الله جامعًا بين الشريعة والحقيقة، وله رحمه الله مؤلفات نافعة جامعة، ونظم رائق، ومن أجلِّ مؤلفاته: كتاب معارج الهداية إلى ذوق جنى المعاملة في النهاية جمع فيه زبدة السلوك مع صغر حجمه، وله وصايا نافعة.[٣]

ومن مؤلفاته: كتابه الشيق البرقة المشيقة في ذكر لباس الخرقة الأنيقة، وهو أحد مراجع دراستنا هذه، وهو من أقدم الكتب التي ألفت في القرن التاسع الهجري، ذكر فيه العديد من المعلومات التاريخية عن علماء حضرموت.

والدر المدهش البهي في ترجمة الشيخ سعد بن علي المذحجي. والأنموذج اللطيف في مناقب الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي، وقد طبع ملحقًا بكتاب البرقة المشيقة، ومؤلفات في النحو والنكاح وعلم الميقات.[٤]

---

(١) المشرع الروي، مرجع سابق، (٢/ ١٥٢-١٥٦)، وقد طبعت إحدى رسائله مؤخرًا بعنوان (رسالة بديعة في التصوف) حققها الدكتور زين محمد العيدروس، صدرت عن دار العيدروس بالمكلا ٢٠١٤م.

(٢) تاريخ الشعراء الحضرميين، مرجع سابق، (١/ ٧٨، ٨١).

(٣) قلادة النحر، مرجع سابق، (٦/ ٤٤٤).

(٤) الفكر والثقافة، مرجع سابق، ص ١٣٦.

المبحث الخامس

علماء حضرموت وأثرهم في علم التاريخ والتراجم

بدأ علماء حضرموت بتدوين تاريخ الحوادث والوفيات وغيرها في حوليات معروفة منذ مطلع القرن السادس الهجري، يقول المؤرخ المحقق عبد الله بن حسن بلفقيه: إن مبدأ عهد تدوين التاريخ الحضرمي فيما بين منتصف القرن السادس وأوائل القرن السابع، ويسمى ذلك العصر بعصر الرعيل الأول من المؤرخين الحضارمة، ويتألف هذا الرعيل فيما انتهى إليه التحقيق من أولئك المؤرخين التريميين الثلاثة وهم الإمام محمد أحمد بن أبي الحب، والإمام القاضي أحمد محمد باعيسى ومؤلف كتاب الياقوت الثمين الذي عد أقدم مصدر تاريخي لذكر الإمام يحيي بن عبد العظيم الحاتمي من علماء تريم المتوفى سنة ٥٤٠هـ، والرعيل الثاني يتألف من المؤرخين كابن حسان، وكالخطيب مؤلف الجوهر الشفاف، وكالعلامة عبد الله بن عبد الرحمن باوزير مؤلف التحفة النورانية وغيرهم.[١]

ومن علماء حضرموت الذين أَلَّفوا في التاريخ والتراجم ممن عاش بين القرنين السادس والتاسع الهجريين

المؤرخ التريمي

وهو من أقدم من أرَّخ لحضرموت وأعيانها، وهو أحد علماء تريم في القرن السادس الهجري، له تاريخ يسمى (الياقوت الثمين فيما يتعلق بالعلماء والأولياء والصالحين) وقد وقف على نسخة منه قد ذهب أكثرها من القدم، ونقل عنها السيد المحدث المؤرخ محمد ابن علي خرد في كتابه الغرر.[٢]

وقد عاش المؤرخ المذكور في العصر الذهبي الذي بلغت فيه تريم إلى الذروة العليا، وانتهت إلى القمة الشامخة التي لا تسامى بوجود ثلاثمائة مفت بتريم في وقت واحد، ومنهم أولئك الرعيل الأول من مؤرخي حضرموت ومنهم المؤرخ المذكور الذي كانت وفاته بعد مستهل القرن السابع الهجري.[٣]

---

(١) نحو المدخل إلى التاريخ الحضرمي، مجموعة كتب في تاريخ وأنساب حضرموت ص ٢٠، ٢١.

(٢) انظر: المشرع الروي، مرجع سابق، (١/ ١٦١).

(٣) بلفقيه، عبد الله بن حسن، استدراكات وتحريات على تاريخ حضرموت في شخصيات، مجموعة كتب، مرجع سابق، ص ٦٥.

القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي عيسى

قاضي تريم المتوفى ليلة آخر صفر سنة ٦٢٨هـ، كان تقيًا ورعًا زكيًا، يقال إن قاضي تريم توفي فأقرع السلطان بينهم فخرجت القرعة عليه، فأقرع ثانيًا وثالثًا وكانت القرعة تخرج عليه، فأمره شيخه بالقبول، فأبى، فأمره السلطان بالرحيل عن البلد إذا لم يقبل، ثم رحل بأهله وأقاربه ثم رجع وتولى القضاء، له مؤلف في التاريخ يعرف بتاريخ باعيسى ذكره القطب أبو بكر العيدروس وغيره، وله أسانيد عالية.(١)

ويذكر العلامة خرد في الغرر أنه تاريخ غير واسع ولم يقرب فيه كل شاسع.(٢)

الإمام المؤرخ العلامة عبد الرحمن بن علي بن حسان

قاضي المشقاص ودفينها سنة ٨١٨هـ، اشتهر تاريخه عند مؤرخي حضرموت ونقلوا عنه في تواريخهم منهم: المؤرخ أحمد بن عبد الله شنبل في التاريخ الأكمل، والمؤرخ الطيب بن عبد الله بامخرمة في قلادة النحر، ينقل عنه صفحات ويكتب أعلاه (منقول من تاريخ ابن حسان)، (٣) ومن المتأخرين النسابة المؤرخ سالم بن أحمد باجندان في كتابه الدر والياقوت في معرفة بيوتات عرب المهجر وحضرموت.(٤)

قال عنه شنبل في تاريخه: وهو الإمام واحد عصره في العلم، كان كريمًا معطيًا سخيًا جوادًا، له تصانيف منها شرح جامع المختصرات ونكت على المهذب، وله تاريخ مشهور، وله نبذ في أدلة التنبيه، وله قصائد عظيمة، وكتاب مناقب الفقيه محمد بن علي باعلوي وغيره.(٥)

وقال عنه العلامة علوي بن طاهر الحداد: الفقيه الإمام العالم المتقن القاضي، الساكن بريدة المشقاص. له ثلاثة تواريخ في وفيات أعيان اليمنيين ومواليديهم، وقد وقفت على الصغير منها في خزانة سيدي أحمد بن حسن العطاس، وناولني شيخنا هذا التاريخ فتصفحته. وله كتاب خاص في مناقب الأستاذ الأعظم، كما وقفت على نسخة منه بمكتبة السيد سالم بن

---

(١) عقود الألماس، مرجع سابق، ص٢٢٠، ٢٢١، والفكر والثقافة، مرجع سابق، س١٢٧.

(٢) المشرع الروي في، مرجع سابق، (١/ ١٦١).

(٣) انظر قلادة النحر، مرجع سابق، (١/ ٤٠) و (٦/ ٢٩٠).

(٤) الدر والياقوت، مرجع سابق.

(٥) تاريخ شنبل، مرجع سابق، ص١٦٢.

علي المحضار ببلدة حبان سنة ١٣٢٢هـ، وله تاريخ البهاء، موضع بالمشقاص.[١]

المؤرخ باشراحيل الشبامي

وهو من علماء القرن الثامن الهجري، لم نقف على اسمه، قال عن تاريخه المذكور المؤرخ عبدِ الله بن حسن بلفقيه في تحقيقاته التاريخية: اتفق لنا الاطلاع على أوراق قديمة متناثرة منها تاريخ لأحد علماء آل باشراحيل الشباميين ممن كان يعيش في سنة ٧٧٢هـ أي ممن يعد في طبقة الرعيل الثاني من مؤرخي حضرموت، وتوجد هذه الأوراق لدى السيد المؤرخ البحاثة صالح بن علي الحامد بسيئون، ولما أن كان ما تحويه هذه الأوراق مما يرجع إلى أوائل القرن الرابع، فقد أطلنا النظر فيها لمحاولة العثور على اكتشاف وجود علماء بحضرموت، أو أحد من مشاهير الصلاح في القرن الرابع أو الخامس، أي ممن لعله يكون هذا المؤرخ قد اهتدى لاستكشافه لاسيما بتلك المحاولة التي يقوم بها في جمع تاريخ لحضرموت يكون شاملًا لتلك القرون الأولى التي ينتدب لها بسبيل الاستدراك على من تقدمه من الرعيل الأول من مؤرخي حضرموت، فلم نظفر بطائل من هذا القبيل وربما كان في هذا ما يؤيد ما غلب على ظننا من مراد صاحب الجوهر الشفاف بقوله (ورأيت بلدنا تريم حرسها الله الرحمن الرحيم كثيرة الأولياء والصالحين ومشايخ الصوفية العارفين، منهم المشهورون ومنهم المستورون، ولكن قد عفت آثارهم وخفي على أهل زماننا غالب صالحيها وأعيانها البتة، واندرست ونسيت أعلامهم وفضائلهم بالكلية لا سيما المتقدمين منهم الذين في القرن الخامس وما قبله)، فإنه يقصد بالمتقدمين في القرن الخامس وما قبله من سبق من الصالحين وأعيان العلماء في عصر الفقهاء، أي فيما قبل عصر التدوين التاريخي بحضرموت.[٢]

ويقول عنه في شرحه لأبيات الشيخ اليافعي وتحقيق قدومه إلى حضرموت، ورأيت نقلًا عن تاريخ باشراحيل (ولعله هو قاضي شبام محمد بن عبد الرحمن باشراحيل المتوفى سنة ٨٢٣هـ) قال في حوادث سنة ٧٩٤هـ: (وفيها قدم الشيخ أبو النجيب عبد الرحمن بن عبد الله ابن أسعد اليافعي حضرموت وسار منها في رجب).[٣]

---

(١) عقود الألماس، مرجع سابق، ص٢٠٢، الفكر والثقافة، مرجع سابق، ص١٢٦.

(٢) استدراكات وتحريات، مرجع سابق، ص ٦٦، ٦٧.

(٣) لمحة من زاوية التاريخ الحضرمي، ص ٢٥٨.

الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن باوزير

كان من أعلام الخواص، ومن أولئك المشار إليهم بالبنان بين العلماء الأثبات، والمحققين الثقات، ويقع في طبقة الرعيل الثاني من مؤرخي حضرموت، وكان من الأكابر المتفق على جلالة قدرهم علمًا وعملًا وورعًا وسمو مكانة وعلو منصب، وكان ممن تعمر طويلًا، عاش إلى العقد السادس من القرن التاسع الهجري.(١)

من أبرز مؤلفاته: "التحفة النورانية في مناقب فاطمة الرضية وذريتها خير البرية"، توجد منه نسخة مخطوطة بمركز النور للدراسات والأبحاث، بتريم.

وهو من أهل حورة، ولد أواخر القرن الثامن الهجري، رحل في طلب العلم إلى اليمن والحرمين الشريفين وتتلمذ على الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي، ومحمد بن سعيد كبّن، وابن أبي الصيف اليمني، وابن المقري، ومسعود باشكيل وغيرهم من المشايخ الذين أفرد لهم كتابًا خاصًا مع أسانيده وإجازاته التي حصل عليها من أولئك الشيوخ في الحديث والفقه الشافعي.(٢)

ومن أجل تلاميذه الشيخ علي بن أبي بكر السكران باعلوي، وقد أجازه عدة إجازات عن مشايخه المذكورين بتاريخ ١٩ ربيع الثاني سنة ٨٤٣هـ، (٣) وأخاه الشيخ الكبير عبد الله بن أبي بكر العيدروس قال المؤرخ الشلي في ترجمته: كان الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن باوزير مع الاتفاق على جلالة قدره وعلو منصبه ممن لازم صحبته وأخذ عنه طريقته لعلمه بعلو شأنه وارتفاع مقامه، (٤)بل وألّف في مناقبه كتابًا بعنوان (تحفة النفوس والروض المأنوس في مناقب العيدروس).(٥)

الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الخطيب الأنصاري

من علماء تريم ومن أعيان المشايخ الخطباء علامة من علمائهم ووجيه من وجهائهم البارزين، ولد بتريم في عام ٧٩٥هـ ونشأ بها وتتلمذ على الشيخ الكبير عبد الرحمن السقاف

(١) نحو المدخل إلى التاريخ الحضرمي، مرجع سابق، ص ٣٢، ٣٣.
(٢) الفكر والثقافة، مرجع سابق، ص ١٣١.
(٣) انظر: البرقة المشيقة، مرجع سابق، ص ١٦٤-١٦٨.
(٤) المشرع الروي، مرجع سابق، (٢/ ١٥٤).
(٥) لمحة من زاوية التاريخ الحضرمي، مرجع سابق، ص ٢٦٦.

وغيره من المشايخ كارعًا من مناهلهم العذبة ومتغذيًا من مواهبهم، وكن في تريم كهف اللائذين مقصودًا من رواد العلم والتصوف حتى توفي سنة ٨٥٥هـ.

ومن مؤلفاته القيمة وآثاره المخطوطة:

- الجوهر الشفاف في مناقب السادة الأشراف.
- عقد البراهين المشرقة في مناقب العلامة السيد عبد الله العيدروس العلوي.[١]

الشيخ العلامة محمد بن أبي بكر بن عمر باعباد

من علماء القرن الثامن الهجري، قال عنه شنبل: الإمام الفقيه العالم، إمام عصره وشيخ وقته وفريد دهره، ومجدد دين الأمة على رأس الثمانمائة، توفى سنة ٨٠١هـ.[٢]وقد أجازه العلامة المحدث يحيى بن أبي بكر البوني المالكي إجازة عامة مطولة بكافة مروياته لما قدم إلى حضرموت ودخل شبامًا سنة ٧٥٢هـ.[٣]

من مؤلفاته القيمة:

كتاب المنهج القويم والشفاء للسقيم في مناقب الشيخ عبد الله بن محمد القديم.

وهو مخطوط معروف اعتمد عليه كثير من مؤرخي حضرموت، ويعد من أقدم وأهم المخطوطات الحضرمية.[٤]

وهناك كتاب يسمى (السلسل المهذب والمنهل الأحلى) في التراجم وطبقات العلماء، نسبه بعض الباحثين للشيخ محمد بن أبي بكر المذكور تبعًا للعلامة علوي بن طاهر الحداد في كتابه عقود الألماس، والحق أن الكتاب المذكور هو من تأليف محمد بن أبي بكر الحضرمي المغاربي ألفه لديوان السلطان عبد العزيز المريني (ت ٧٩٩هـ)، وهو من معاصري الشيخ باعباد.[٥]

---

(١) تاريخ الشعراء الحضرميين، مرجع سابق، (١/ ٧٦، ٧٧).
(٢) تاريخ شنبل، مرجع سابق، ص ١٥٤.
(٣) الرحلة العلمية إلى حضرموت، مرجع سابق، ص ٢٩٤.
(٤) شيخ آل باعباد الأكبر، مرجع سابق، ص ٨-٩.
(٥) نفس المرجع السابق.

الشيخ العلامة محمد بن عبد الله بامزروع الشبامي

من علماء شبام في النصف الأول من القرن التاسع الهجري توفي سنة ٨٥٠هـ.

من آثاره العلمية: ترجمة لأحد مشايخه، وهو الشيخ العلامة محمد بن أحمد باعباد مؤسس مسجد الجامع ومسجد باجريدان بمدينة الغرفة، وهو كتاب الإكليل في مناقب الشيخ محمد ابن أحمد المكنى عقيل.[١]

خاتمة

عرفت حضرموت عبر العصور الإسلامية وبالتحديد منذ مطلع القرن الرابع الهجري فما بعده، بكونها حاضرة من حواضر الإسلام، ظهر فيها العديد من العلماء الأعيان الذين نشروا السنة وأماتوا البدعة، وأخمدوا نيران الإباضية الخوارج، والذين أشارت إليهم كتب التاريخ والطبقات والتراجم للمؤرخين العرب والحضارمة في القرن السادس الهجري فما بعده، وكان لهم دور لا ينكر في ازدهار حضارة الإسلام ونقلها إلى البلدان القصية في الهند وجنوب شرق آسيا وشرق وجنوب إفريقيا، وما تزال آثارهم قائمة في تلك المناطق والأقاليم التي نشروا فيها أخلاق الإسلام وسماحته وتعاليمه إلى اليوم، وقد شهد لهم بالفضل والسبق في ذلك العديد من الباحثين الغربيين فضلًا عن العرب، والفضل ما شهدت به الأعداءُ.

يقول العلامة المحقق علوي بن طاهر الحداد: اعلم أن البلاد الحضرمية لم تكن على الحال التي نراها اليوم من الضعف والخراب، واستيلاء الجهل والجفاء عن الدين. وقد كانت بعد وصول الإمام المهاجر وذهاب الخارجية خيرًا من ذلك، وأشد عمارة، وأكثر قرى وسكانًا، وعلمًا وفضلًا. وقد انبعثت فيها نهضة علمية بعد مهاجرة سلف السادة الأشراف العلويين الحسينيين إليها، فانتشر بها مذهب الإمام الشافعي في الفروع، ومذهب أهل السنة والجماعة في الأصول، ورحل عدد منهم إلى علماء الأقطار الإسلامية، فأخذوا العلوم والرواية، والمذهب الشافعي، عن المشهورين به في تلك العصور في بغداد والحرمين وزبيد وجبال اليمن وتهامة. وانعقدت حلق المدارس في بلاد حضرموت، وتزاحم الطالبون

(١) شيخ آل باعباد الأكبر، مرجع سابق ص ١٠-١١.

بالركب، وتسابقوا إلى حيازة الرتب، والتمسك من العلوم بأقوى سبب، وانتشرت العلوم فيها بآل بصري وآل جديد وهم أبناء عم مع العلويين، وغيرهم من العلماء الحضارمة كآل أكدر وآل بكير.(١)

لقد ظهرت آثار علماء حضرموت أيضًا فيما ألفوه من مؤلفات في العلوم الدينية والعربية والاجتماعية وغيرها من المعارف الإنسانية، والظاهرة الجديرة بالإعجاب وهي أن تجد العالم منهم يؤلف في عدة علوم مثل الفقه والنحو والتاريخ والتصوف والتراجم والأنساب والفلك وغيرها.

ولو حفظت لنا مؤلفاتهم القيمة لأظهرت تلك المشاركة العلمية الرائدة لعلماء حضرموت، ولكن وتقدرون وتضحك الأقدار، فقد منيت حضرموت عبر التاريخ بالعديد من الفتن والحروب والمجاعات والتقلبات السياسية والغزو الخارجي من قبل العرب والغرب كما تسطره كتب التاريخ. كل ذلك أدى إلى فقدان العشرات من المصادر الحضرمية التي نسمع باسمها فقط ولا نعرف محتواها سواء كانت في الفقه والتفسير والحديث والتاريخ أو غيرها من العلوم.

وكانت أكثر البيوتات المشهورة بالعلم في حضرموت ساحلها وداخلها تقتني مجموعات كبيرة من المؤلفات في شتى أنواع العلوم، وبالإضافة إلى المكاتب الخاصة التي يحتفظ بها أصحابها من أهل العلم في تريم وسيئون والشحر وغيل باوزير وشبام وحورة وعمد ودوعن، كان كثير من محبي العلم وأهل الفضل يجمع الكتب العلمية ثم يحبسها وقفًا على طلبة العلم.(٢)

وقد طمست العشرات من تلك المخطوطات في حملات الغزو الوهابية والحروب المتكررة على حضرموت وغيرها، ويذكر أن الوهابية لما جاءوا إلى حضرموت، والذي كان مجيئهم ضغثًا على إبالة (أي مصيبة على مصيبة)، ولما دخلوا إلى تريم سنة ١٢٢٢هـ، جاءوا إلى خزائنها المشحونة بنفائس كتب التفسير والسنة والفقه والتاريخ فطموا بها الآبار جفاء

---

(١) عقود الألماس، مرجع سابق، ص ٢٢١، ٢٢٢.

(٢) الفكر والثقافة، مرجع سابق، ص ٩٧، ٩٨.

وغلظة وبداوة وغباوة، ولقد أتلفوا من بيت آل العيدروس اثنتي عشرة خزانة ومن بيت آل الهندوان ست خزائن، وقس على هذه البيوت غيرها من مراكز العلم ومعاهده وزواياه، إلى غير ذلك مما يطول عده، كما فعلوا ذلك باليمن حينما دخلوها.[1]

لقد تحدثت هذه الدراسة عن غيض من فيض، من أثر علماء حضرموت ومشاركتهم العلمية في المعارف الإنسانية، ومجال القول واسع في ذلك، ونظرًا لضيق وقت البحث اقتصرنا على المذكور إذ الميسور لا يسقط بالمعسور.

ونأمل من أرباب الاختصاص الاهتمام بهذا الجانب الثري من جوانب تاريخنا الحضرمي العلمي الحافل بالأمجاد، والذي يشكل جزءًا من حضارتنا الإسلامية والعربية، والبحث عن تلكم المخطوطات المفقودة في مكتبات حضرموت، وفي مكتبات العالم العربي والغربي، فقد نقل العديد من المستشرقين عشرات المخطوطات الحضرمية إلى مكتبات أوروبا، وبذلك نكون قد بررنا أسلافنا، وقمنا بواجب الخدمة لتراثهم العلمي والحضاري.

والأمل معقود أيضًا في المراكز البحثية الحضرمية وفي مقدمتها مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، الذي حمل على عاتقه خدمة التراث والتاريخ الحضرمي بنشر الدراسات وعقد الندوات والمؤتمرات العلمية التي تعتبر وسيلة جيدة إلى توثيق ذلك الإرث العظيم، فلإدارته ومشرفيه خالص الشكر والتقدير.. والله ولي الهداية والتوفيق.

---

(١) ابن شهاب، محمد بن عبد الرحمن، بيانات عن الحضارمة، حاضر العالم الإسلامي، ص١٦٤، ١٧٣، ج٣، طبعة دار الفكر. والبرقة المشيقة، مرجع سابق ص ب.

ثبت المصادر والمراجع

أولًا: المخطوطة:

١. ابن جندان، سالم بن أحمد، الدر والياقوت في معرفة بيوتات عرب المهجر وحضرموت، (الجزء الثالث، قبائل كندة)، بخط السيد المعمّر حسين بن محمد بن الشيخ أبو بكر المتوفى بالمكلا سنة ١٤٢٣هـ.

٢. الخطيب، عبد الرحمن بن محمد، الجوهر الشفاف في مناقب السادة الأشراف، بخط سالم بن علي بن حسين الخطيب سنة ١٤١٠هـ.

ثانيًا: المطبوعة

◉ **الشاطري، محمد أحمد:**

٣. أدوار التاريخ الحضرمي، عالم المعرفة جدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٤. فتاوى وردود شرعية معاصرة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، بدون دار نشر.

٥. بلفقيه، عبدِ الله بن حسن:

٦. استدراكات وتحريات على تاريخ حضرموت في شخصيات.

٧. لمحة من زاوية التاريخ الحضرمي.

٨. نحو المدخل إلى التاريخ الحضرمي.

٩. مجموعة كتب في تاريخ وأنساب حضرموت، الطبعة الأولى، تريم للدراسات والنشر ٢٠٠٩م.

١٠. ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، دار الفكر بيروت.

١١. ابن السبكي، عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية الكبرى، الطبعة الثانية، هجر للطباعة والنشر والتوزيع - ١٤١٣هـ.

١٢. أبو فطيم، علوي سالم عبد الله، القراءات القرآنية في حضرموت تاريخها والاهتمام بها، مركز أبناء المهاجر للدراسات والنشر ٢٠٠٧م.

١٣. باذيب، محمد أبو بكر، جهود فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي، دار الفتح للدراسات والنشر ٢٠٠٩م.

١٤. باعباد، فائز محمد أحمد، شيخ آل باعباد الأكبر عبدالله بن محمد بن أبي عباد (المشهور بالقديم) وأثره العلمي والدعوي والاجتماعي، الطبعة الأولى، مكتبة الوبير بالشحر، ٢٠١٦م.

١٥. بامخرمة، الطيب بن عبد الله، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، دار المنهاج، جدة ٢٠٠٨م.

١٦. بامطرف، محمد عبد القادر، المختصر في تاريخ حضرموت العام، الطبعة الأولى، دار حضرموت للدراسات والنشر ٢٠٠١م.

١٧. باهارون، محمد علوي، الرحلة العلمية إلى حضرموت من القرن السادس حتى القرن الخامس عشر الهجري، أبحاث ودراسات فعاليات ملتقى تريم الثقافي بمناسبة تريم عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٣٠هـ- ٢٠١٠م، اللجنة العلمية لملتقى تريم الثقافي- حضرموت، ومنتدى ثلوثية بامحسون الثقافي- الرياض، الطبعة الأولى ٢٠١٢م،

١٨. باوزير، سعيد بن عوض، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، دار الطباعة الحديثة ١٣٨١هـ- ١٩٦١م.

١٩. ابن شهاب، محمد عبد الرحمن، بيانات عن الحضارمة، لوثروب ستودارد الأمريكي، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نوهض، تعليقات الأمير شكيب أرسلان، طبعة دار الفكر.

٢٠. ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد، طبقات الشافعية، عالم الكتب - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ.

٢١. الجعدي، عمر بن علي بن سمرة، طبقات فقهاء اليمن، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨١م.

٢٢. الجندي، محمد بن يوسف، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق محمد ابن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء ١٤٠٩هـ.

٢٣. الحامد، صالح علي، تاريخ حضرموت، الطبعة الثانية، مكتبة الإرشاد صنعاء، ٢٠٠٣م.

٢٤. الحداد، علوي بن طاهر، عقود الألماس في ترجمة الحبيب أحمد بن حسن العطاس، بدون دار نشر وتاريخ.
٢٥. خرد، محمد بن علي، غرر البهاء الضوي ودرر الجمال البديع البهي، في طبقات الفقهاء من السادة آل أبي علوي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
٢٦. السقاف، عبد الله محمد، تاريخ الشعراء الحضرميين، مكتبة المعارف الطائف، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ.
٢٧. السقاف، علي بن أبي بكر السكران بن عبد الرحمن، البرقة المشيقة في ذكر لباس الخرقة الأنيقة، طبع في مصر سنة ١٣٤٧هـ، على نفقة السيد علي بن عبدالرحمن بن سهل جمل الليل باعلوي.
٢٨. الشلي، محمد بن أبي بكر، المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي، الطبعة الأولى، المطبعة العامر الشرفية، ١٣١٩هـ.
٢٩. شنبل، أحمد عبد الله، تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، مكتبة صنعاء الأثرية ٢٠٠٣م.

توصيات المؤتمر

١ – الاستفادة من المداخلات والإضافات التي طرحت خلال المناقشات.

٢– طباعة الأوراق المقدمة للمؤتمر في كتاب خلال الفترة القريبة القادمة.

٣– ضرورة تسليم الملاحظات الخاصة ببحوثهم حسب التوقيت المحدد من قبل المركز، على أن تسلم البحوث النهائية قبل انقضاء الفترة المحددة.

٤– حث الباحثين من حضرموت وخارجها بالمشاركة الفاعلة في الندوات والفعاليات القادمة خدمة لحضرموت وتراثها وتاريخها وامتدادها المهجري.

٥– يؤكد على تعزيز علاقات التعاون المشتركة بين الجامعات والمراكز البحثية لإثراء البحث العلمي في مجال الدراسات التاريخية والتوثيق والترجمة وغيرها.

٦– أهمية استمرار المؤتمرات السنوية للمركز من أجل توثيق تاريخ حضرموت وذاكرتها المكانية والزمانية عبر العصور.

٧– أن تهتم السلطة في حضرموت بالتراث والتاريخ والآثار في كل الأرض الحضرمية وتعمل على ترميم الآثار بالتنسيق مع المنظمات الدولية المهتمة بالتراث الإنساني.

٨– أن تعمل السلطة على إعادة تأهيل المكتبات العامة المحتوية على المخطوطات والفهارس والكتب التاريخية القديمة.

٩– تعميق التنسيق والتكامل بين السلطات المحلية بحضرموت ومراكز البحوث والدراسات والجمعيات والمؤسسات المهتمة بالتراث والتاريخ الحضاري في حضرموت.

١٠– أن تعمل السلطة بالمحافظة على إنشاء دار للوثائق والمخطوطات لحفظ الأرشيف التاريخي لحضرموت وصيانته.

المحتويات

الموضوع الصفحة

المحور الثالث: الملامح الحضارية